بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : أحمد بن عبد الله بن جمعان بن سرور الغامدي **كلية** : الدعوة وأصول الدين **قسم** : العقيدة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير **في تخصص** : العقيدة

عنوان الأطروحة : ((أسبـــاب سقـــوط الشيوعيـــة " الماركسيـــة "))

==

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ...

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه – والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٤١٨/٢/٩هـ – بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ، فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الداخلي
الاسم : د. سليمان بن عبدالله السلومي	الاسم : د. محمود محمد مزروعه	الاسم : د. عبد الله بن عمر الدميجي
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

يعتمد

رئيس قسم العقيدة

الاسم :

التوقيع :

يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة

المملكة العربيه السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة ام القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

أسباب سقوط الشيوعية
(الماركسية)

رساله مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب
أحمد بن عبد الله بن جمعان آل سرور الغامدي

إشراف الدكتور
سليمان بن عبد الله السلومي

المجلد الرابع

١٤١٦هـ - ١٤١٧هـ

(١٤٠٢)

الاتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية

كانت سياسة الاتحاد السوفييتي تقوم على أساس التوسع ، ومن بعد الحرب العالمية الثانية مافتىء السوفييت يبحثون لهم عن مناطق يبسطون نفوذهم عليها ، وينشرون الفكر الشيوعى بها .

و(كان الانتصار السوفياتى على المانيا قد أعطى قادة الاتحاد دورا رياديا ومسيطرا فى تلك المناطق التى انتصر فيها الجيش الأحمر ...)[١].

وكان لستالين أهداف دنيا محددة ومنها الاعتراف بالمناطق السوفيتية التى تم الاستيلاء عليها فى ١٩٣٩ و١٩٤٠ والسيطرة الدبلوماسية على البلدان الواقعة على الحدود الروسية مع أوروبا ، وقدمت هذه السياسة ميزان قوى جديد فى أوروبا وآسيا وجعلت الدول الغربية تعيد النظر فى سياستها التى اتبعتها أثناء الحرب[٢].

وقد (أدت الحرب إلى معاناة أفراد الشعب الروسى ولكنها فى الوقت ذاته ثبت الأمل فى قلوبهم لتحقيق حياة أفضل وتحقيق نظام أكثر انسانية فى دولتهم . كانت الخسائر فى الأرواح فادحة إلى درجة أنه لم يتمكن أحد من احصاءها بدقة ، ويقدر عدد الضحايا بحوالى ٢٠ مليون قتيل من المدنيين والعسكريين ويوفر هذا الرقم دلالة على حجم المعاناة ثم تدمير مناطق واسعة فى روسيا الغربية حيث تحطمت المدن وأصبحت ركاما ، وتم تجريد المناطق الريفية من المواشى وفاضت المناجم بالمياه . كانت مصادر الغذاء ضئيلة إلى درجة أنه عندما فشل محصول عام ١٩٤٦ تفشت المجاعة فى المناطق الشرقية وكان على الحكومة السوفياتية طلب المعونة الغذائية من الغرب (حصلت على شحنات غذائية وفرتها الأمم المتحدة)[٣].

---

(١) العالم فى القرن العشرين (٢٦٠) .
(٢) انظر المرجع السابق (٢٦٠) .
(٣) المرجع السابق (٢٦٢) .

ومن هنا كان لابد من العمل على تحسين هذا الوضع ، فوجه ستالين مجموعة من الجيش من أجل إعادة البناء ، وكذلك استغلال موارد بعض الدول التى خضعت للسلطان السوفييتى ، أو كانت حليفة له . يقول دانييل:

(مارست السلطات السوفياتية سياسة الاستغلال الإقتصادى بغض النظر عما إذا كانت الدولة المستغلة عدوا سابقا مثل المانيا أو حليفة مثل بولندا ويوغسلافيا)[١].

وغدا التوسع السوفييتى من الأسباب الرئيسية فى ازدياد الارتياب من قبل الغرب فى نوايا السوفييت فلم تعد تثمر المؤتمرات أو المحادثات فأصبحت الشكوك سيدة الموقف[٢].

ونعرض الآن لبعض الأحداث التى وقعت فى دول أوروبا الشرقية وغيرها . والقصد من ذلك التدليل على مدى مابذله الاتحاد السوفييتى من أجل الاستيلاء على هذه الدول ، ومن ثم كون هذا التوسع أحد الأسباب التى أدت إلى تأجيج الحرب الباردة بين الطرفين ، وكون بعض هذه الأحداث أساسا حربا باردة بين الطرفين .

بولونيا :

إن مشكلة بولونيا كانت تكمن فى وجود حكومتين لها إحداها داخلية والثانية خارجية تتخذ من بريطانيا مقرا لها ، ومن هنا فلابد من حدوث الخلاف بين الحكومة البريطانية ، والدولة السوفيتية التى وصلت قواتها إلى هذه الأراضى . وقد كان الجيش البولونى يقاوم الاحتلال الألمانى وكان الاتحاد السوفييتى يرفض تقديم المساعدة لهذا الجيش بحجة أن هذا الجيش لم يرتبط مع القيادة العليا فى موسكو .

ويبين رمضان لاوند موقف السوفييت ذلك فى نقاط فيقول :

---

(١) العالم فى القرن العشرين (٢٦٣) .

(٢) انظر المرجع السابق (٢٦٥-٢٦٦) .

(أولا : رفض الروس تقديم أية معونة للبولونيين الذين كانوا يخوضون حربا انتحارية ضد الألمان . وقد أطلقوا على الجيش الداخلى البولونى اسم (عصابة المغامرين) .

ثانيا : اعتبر الروس امتناعهم عن تقديم المعونة للجيش الداخلى عملا مشروعا بدعوى أن هذا الجيش لم ينسق ثورته مع القيادة السوفياتية العليا ، وأن هذه الثورة قد لعبت دورها لمصلحة الألمان بسبب ذلك .

ثالثا : رفض الروس السماح للطائرات الحليفة التى كانت تطير من قواعدها الايطالية على بعد ١١٠٠كلم لانزال المؤن إلى البولونيين بالنزول فى مطاراتهم للتزود بالوقود بدعوى أن المؤن كانت تسقط بين أيدى الألمان...)[١].

ويصور دروزيل وضع بولونيا فيقول :

(منذ ١٩٤٥ وضعت لبولونيا قضيتان هامتان ، على الصعيد الدولى وهما :

(١) قضية الحدود .

(٢) قضية الحكومة بسبب وجود حكومة منفية فى لندن ، و(لجنة التحرير الوطنية البولونية) فى لوبلن التى يرعاها الاتحاد السوفييتى .

ففى النقطة الأولى اتخذت القرارات الأساسية فى مؤتمر بوتسدام فى بدء آب ١٩٤٥ . إلا أن مايجب أن يبقى فى نظر الأنغلو ـ ساكسون مؤقتا اعتبر قطعيا فى نظر الحكومة الروسية والبولونية . فقد وقعت هاتان الحكومتان فى موسكو فى ١٧ آب اتفاقا على خط الحدود . فى الشرق تتخلى بولونيا إلى الاتحاد السوفييتى عن جميع أراضيها فى أوكرانيا وروسيا البيضاء ...)[٢].

---

(١) الحرب العالمية الثانية (٤٨٨) .

(٢) التاريخ الدبلوماسى (١٤٠-١٤١) .

وانظر الثنائية الدولية (٥٤) ، وذكرت أن تعديل الحدود كان لمصلحة الاتحاد السوفييتى .

وأما المسألة الثانية فهى موضوع الحكومة :

كان الاتحاد السوفييتى يقيم علاقات دبلوماسية مع حكومة بولونيا فى بريطانيا ووقع حادث وذلك بقتل مجموعة من الضباط البولونيين الأسرى واتهمت حكومة بولونيا فى لندن الاتحاد السوفييتى بأنه كان وراء هذا الحادث فانقطعت العلاقات فيما بينهما فى (٢٥-٢٦) نيسان ١٩٤٣م .

وفى هذه الأثناء تشكل فى الليل ٣١ كانون الأول إلى أول كانون الثانى ١٩٤٤ فى طى الكتمان والسر (مجلس وطنى داخلى) صرح هذا المجلس أنه يحبذ أن تكون الحدود البولونية تنطبق على خط كروزون . وفى ٢٢ تموز أحدث المجلس الوطنى (لجنة التحرير البولونية) وكان يرأسها الإشتراكى أوزوبكا ـ موراوسكى ، ثم انتقلت هذه اللجنة إلى لوبلن وتسمت فى ٣١ كانون الأول ١٩٤٤ اسم (الحكومة المؤقتة للجمهورية البولونية) وأقامت هذه فى فارسوفيا فى ١٨ كانو الثانى ١٩٤٥م . وهكذا وجدت الحكومتان واحدة يدعمها الانغلو ـ ساكسون فى لندن ، والأخرى الروس فى فارسوفيا(١).

ولايغيب عن أذهاننا أن بريطانيا قد دخلت الحرب دفاعا عن بولونيا وأبدى تشرشل قلقه عندما رأى روسيا تسيطر عليها وقال : (أما وقد امتشقنا الحسام للدفاع عن بولونيا التى هاجمها هتلر بفظاعة فلن نقبل أبدا بحل لايجعل من بولونيا دولة حرة ذات سيادة)(٢).

وقد بذل تشرشل جهودا كبيرة فى سبيل التوصل إلى الاتفاق فيما بين الحكومتين البولونيتين ولكن فشلت تلك الجهود(٣)نتيجة للتناقض بين موقف ستالين من جهة وتشرشل وروزفلت من جهة أخرى بشأن الحكومتين(٤).

---

(١) انظر التاريخ الدبلوماسى (١٤٢-١٤٣) باختصار وتصرف .
وانظر الثنائية الدولية (٥٤) .

(٢) Byrne, Cartes sur table (Spcakin, Frankly). p.74 .
نقلا من كتاب التاريخ الدبلوماسى (٨١) .

(٣) انظر الحرب العالمية الثانية (٥٠٠) .

(٤) انظر الثنائية الدولية (٥٤) .

وكانت بريطانيا تصر على الاعتراف بحكومة المنفى البولونية نظرا لدخول بريطانيا الحرب دفاعا عنها ، و(يضاف إلى ذلك أن ١٥٠ ألف جندى بولونى كانوا منخرطين فى مجموعة الجيوش البريطانية وأن عددا من الناخبين الأمريكيين من أصل بولونى يتراوح بين ٥ و ٦ مليون يجب أن يحسب حسابهم)[١].

إلا أن الاتحاد السوفييتى تمكن من إبرام معاهدة عون متبادل مع بولونيا فى ٢١ نيسان ١٩٤٥ يعمل بها لمدة عشرين عام . وهكذا دخلت بولونيا فى فلك الاتحاد السوفييتى . واعتبر ذلك انتصارا سوفيتيا على بريطانيا والولايات المتحدة .

رومانيا :

إن وضع الاتحاد السوفييتى التوسعى لنشر فكره وسيطرته كان السمة الغالبة عليه ومن الدول التى وقعت تحت ذلك التأثير وحقق السوفييت سيطرتهم عليها رومانيا .

وكانت رومانيا فى حكمها ملكية ، وجرت بها انتخابات ندد بها الغرب واعتبرها غير صحيحة .

وفى ١٩٤٧ تشرين الأول انحل حزب الفلاحين المعارض وحكم على زعيمه بالسجن مدى الحياة ، ووجه الضغط على الملك ميشيل حتى تنازل فى ١ كانون الثانى سنة ١٩٤٨ ، وتبع ذلك فراره من البلاد[٢].

وكانت رومانيا تشارك بقواتها فى الحرب ضد ألمانيا مشاركة بذلك الجيش الأحمر فى قتاله (على تحطيم المقاومة الألمانية فى البلاد ، كما ساعدت الروس على أسر عدد كبير من جنود العدو واحتلال الحقول البترولية فى بلووستى ، وموانىء البحر الأسود وشبكة الطرق الحديدية الرومانية التى لم

(١) الحرب العالمية الثانية (٥٠٠) وانظر مابعدها .
(٢) انظر من الحرب الباردة حتى الوفاق (٣٨) .

تصب بأذى . وبسبب ذلك حلت معضلات التموين لدى الروس . وقد تقرر بين شروط معاهدة الصلح الموقعة فى موسكو فى ١٢ أيلول أن يتنازل الرومانيون لروسيا عن المنطقة التى كان السوفيات قد استولوا عليها عام ١٩٤٠ ، كما تعهدوا بإعادة أملاك الحلفاء ودفع ٣٠٠ مليون دولار كتعويضات حرب خلال ستة أعوام وتسليم بحريتهم التجارية . مقابل ذلك اعتبر الرومانيون محاربين إلى جانب الروس ووعدوا بعد هزيمة المجر بتسليم قسم من ترانسلفانيا)[١].

وبعد أن أصبح النفوذ السوفييتى واضحا فى رومانيا ، اضطر تشرشل أن يوقع اتفاقية مع ستالين بشأن تقسيم النفوذ فيها وبقية بلاد البلقان ، واتخذ هذه الخطوة دون استشارة حلفائه لأنه كان مقتنعا بضرورة العمل قبل فوات الأوان لانقاذ مايمكن انقاذه ، ولم ينتظر مصاحبة روزفلت لانشغاله بالانتخابات الأمريكية[٢].

ولنستمع لتشرشل يحدثنا عن ذلك فيقول بعد أن وصل إلى موسكو : (قلت لستالين أن الفرصة متاحة للعمل ، "فدعونا نسوى جميع القضايا المتعلقة بالبلقان . فهاهى جيوشكم فى رومانيا وبلغاريا . ولنا فى البلدين مصالحنا وبعثاتنا ووكلاؤنا ، وعلينا أن لانقف متعارضين فى أهدافنا تجاه قضايا بسيطة . وبالنسبة إلى بريطانيا وروسيا ، ماقولكم فى أن يكون لكم التفوق بنسبة تسعين فى المائة فى رومانيا ، وأن يكون لنا التفوق بعين النسبة فى اليونان ، وأن نكون متعادلين فى يوغسلافيا؟)

---

(١) الحرب العالمية الثانية (٤٨٩-٤٩٠) ، وانظر التاريخ الدبلوماسى (١٣٤-١٣٦) ، وذكر أن مدة إعطاء التعويضات ثمان سنوات تبدأ من ١٢ أيلول ١٩٤٤ ، وأن يدخل الاتحاد السوفييتى فى حيازته الأموال الألمانية فى رومانيا ، وأن تكون الملاحة فى الدانوب حرة ومفتوحة لمغتربى جميع الدول ، على أن يعقد مؤتمر دولى لوضع نظام جديد للملاحة وكان الغرب يرى أن يظل الدانوب ذا طابع دولى ، والسوفييت يرون أن يعهد بنظام الملاحة إلى الدول الواقعة على ضفته . (١٣٦) . وانظر كذلك (١١٧) .

(٢) انظر التيارات السياسية المعاصرة (٤١٩-٤٢٠) .

وبينما كان المترجم ينقل ماقلته إلى الروسية ، كتبت على وريقة صغيرة مايلى :

رومانيا :

روسيا	٩٠٪
الدول الأخرى	١٠٪

اليونان :

بريطانيا بالاتفاق مع الولايات المتحدة	٩٠٪
روسيا	١٠٪

يوغسلافيا :	٥٠-٥٠٪
المجر :	٥٠-٥٠٪

بلغاريا :

روسيا	٧٥٪
الدول الأخرى	٢٥٪

ودفعت بالورقة إلى ستالين الذى كان آنذاك قد استمع إلى ترجمة حديثى الأول . وخيم الصمت علينا بعض الوقت . ثم أخذ قلمه الأزرق من جيبه ، ورسم علامة (صح) على الورقة ، وأعادها إلى . وهكذا تم إقرار كل شيء فى أسرع وقت ممكن)[١].

لقد كان تشرتشل (يحاول أن يفعل أفضل مافى استطاعته لشرق أوروبا لقد كان يدرك أن الغرب لن يستطيع منع ستالين من فعل مايريد فى البلقان لكنه كان يأمل أن الاتفاقيات على الورق ستحد من اجراءات ستالين)[٢].

وبهذا الاتفاق (حصل ستالين من تشرشل على منطقة نفوذ فى شرق شبه جزيرة البلقان)[٣].

ومن جهة ثانية ساء الاتفاق الولايات المتحدة الأمريكية وانتقدته لأنها (كانت تصر على عدم عقد صفقات أثناء الحرب)[٤].

---

(١) المذكرات (٢/٩٨٢-٩٨٣) .
وانظر : الحرب العالمية الثانية (٤٩١-٤٩٢) ، من الحرب الباردة حتى الوفاق (٣٣٣) ، التيارات السياسية المعاصرة (٤١٩-٤٢٠) .

(٢) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٣٣) .

(٣)،(٤) التيارات السياسية المعاصرة (٤٢١) .

وكـان تشرشل يظن أن هذه الاتفاقية ، والنسب المعطـاه ليست إلا من أجل أن يهـدأ الوضع ثم يعاود الحلفاء النظر فيها . يقـول تشرشل فى رسالة بعث بها إلى وطنه فى ١٢ تشرين الأول ١٩٤٤ :

(مـن الـواجب التـأكيد ، بأن هـذا الايضـاح العـام لمشـاعر بريطـانيا والسـوفيات تجاه البلاد المذكورة ، ليس إلا هاديا مؤقتـا بالنسبة إلى المستقبل الفـورى فى أوقـات الحرب ، وإن النظـر سيعـاد فيه ، عنـدما تجتمـع الدول العظمـى بعـد انتهاء الحرب على مـائدة الهـدنة أو الصلـح ، لإعـداد تسـوية أوروبية عامة)[١].

هذا ماكان يؤمله تشرشل ، إلا أن الاتحاد السوفييتى بقيادة ستالين كان محتفظا بحقه فى تلك الدول بل وزاد عليه حتى خضعت بعضها لنفوذه كاملة .

المجر :

كـذلك كان الأمر بالنسبة للمجر فقد (قام الحزب الشيـوعى فى أوائل سنـة ١٩٤٧ بمهاجمة حزب صغـار الملاكين ، وألقى القبـض على عـدد منهم . وجرت انتخـابات ... خرج الحزب الشيوعى منها أكبر الأحزاب رغـم أنه لم يتمتـع بأكثرية فى البرلمان . ومـع ذلـك فقد شكل الحزب الشيـوعى المجـرى حكـومة . وفى ١ تشرين الثـانى حلت جميع الأحزاب السيـاسية الأخرى)[٢].

وحكمـت الشيوعية البلاد إلى أن أراد الشعب الخروج ممـا هم فيه ، ولكـن كعادة الشيوعية فى قهرها للشعوب أرسلت إليهـا القوات ودكتها حتى عاد الشعب المجرى لسابق عهده ، يقول إبراهيم سعده :

(لـن ينسى التاريخ أبدا مـافعله الاتحاد السوفييتى بشعـب المجر فى سنة ١٩٥٦ . حاول الشعـب المجـرى أن يسترد سيـادته فـوق أرضـه ، وأن يقول

---

(١) المذكرات (٩٨٧/٢) .

(٢) من الوفاق حتى الحرب الباردة (٣٦-٣٨) .

(لا) للاتحاد السوفييتي فما كان من موسكو إلا أن أرسلت دباباتها ومدافعها وطائراتها لتدك العاصمة بودابست ، وتسحق الآلاف من المواطنين تحت الأنقاض .

ولم تتوقف الوحشية السوفيتية العسكرية إلا بعد أن هدأ كل شىء فى المجر ، وعاد الشعب المجرى ، مقهورا ، ذليلا ، إلى حظيرة الشيوعية السوفيتية مرة أخرى منذ هذا الوقت والعسكرية السوفيتية تقبض بيد من حديد على زمام الأمور فى المجر . وأصبح عدد القوة السوفيتية هناك نحو ٦٠ ألف رجل . ومركز القيادة العسكرية فى توكول ، بالقرب من العاصمة بودابست . والقوات تتكون من فرقتين مدرعتين ، وفرقتين للمشاه وقوة جوية تكتيكية ضاربة)[١].

بولندا :

تكتسب بولندا أهمية كبيرة بالنسبة للاتحاد السوفييتي ، حيث يمكن أن تكون بولندا مسؤولة بعض الشىء فى الحرب العالمية الثانية عن مضايقة الاتحاد السوفييتي والوقوف فى وجه بعض رغباته . كما أن بريطانيا هى الأخرى تنظر إلى هذه الدولة بعين الاهتمام .

يقول كولن وبيتر :

(فى ربيع سنة ١٩٣٩ ضمنت بريطانيا وفرنسا حدود بولندا . فأعلنتا الحرب على ألمانيا فى أيلول سنة ١٩٣٩ بعد غزو الألمان لبولندا . وبما أن بريطانيا كانت قد دخلت الحرب بسبب بولندا ، فقد كان من المتوقع جدا أن تولى بريطانيا أهمية كبرى لمستقبل ذلك البلد ، إلا أن الاتحاد السوفياتى كان له ذات الموقف أيضا وكانت بولندا طريق الغزو التقليدية لروسيا من الغرب وبالنسبة للزعامة السوفياتية كانت بولندا مسؤولة بعض الشىء عن اندلاع

---

(١) الروس قادمون (٤٧-٤٨) ، الطبعة الرابعة ، المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر بالاسكندرية ، وانظر التيارات السياسية المعاصرة (٤١٩) .

الحرب العالمية الثانية وذلك عندما اعترضت بنجاح تقديم العروض السوفياتية لمساعدة تشيكوسلوفاكيا ومنعت القوات السوفيتية من حق المرور سنة ١٩٣٨ . وخلال الحرب كان ستالين يوضح باستمرار أنه مهما كان مصير بولندا بعد الحرب فإن الاتحاد السوفييتى لن يقبل على حدوده وجود بولندا معادية لروسيا ...)[١].

(وكانت حكومة لوبلين البولندية التى يرعاها الروس ، والتى يطلقون عليها اسم حكومة "وارسو" ، تنظر إلى حكومة لندن البولندية ، بشعور من العداء المرير المتأصل)[٢].

ومن هنا ظلت (العلاقات بين الحكومة البولندية فى المنفى (فى لندن) وبين ستالين رديئة دائمًا بسبب الغزو السوفياتى لبولندا سنة ١٩٣٩ ، وازدادت سوءا عندما تسربت أنباء مذبحة غابة كاتين . ومنذ سنة ١٩٣٩ كانت الحكومة البولندية فى لندن تحاول دون جدوى أن تعرف ماذا حدث لعدد كبير من الضباط البولنديين الذين كان من المعتقد أنهم وقعوا فى أسر الروس . وفى نيسان سنة ١٩٤٣ كشف الجيش الألمانى النقاب عن عثوره على قبر جماعى فى غابة كاتين يحتوى على عشرة آلاف جثة للضباط ، وضباط الصف البولنديين ولم يتم إثبات الأمر بصورة قاطعة ، لكن من المحتمل فيما يبدو أن الروس وليس الألمان كانوا المسؤولين عن ذلك ، وبالتأكيد كان هذا التفسير هو الذى قبلته الحكومة البولندية فى لندن وطالبت هذه الحكومة البولندية بتحقيق يقوم به الصليب الأحمر فى الحادث . وفى نيسان سنة ١٩٤٣ قطع الكرملين علاقاته الدبلوماسية مع الحكومة البولندية فى لندن . وأقام فى تموز سنة ١٩٤٤ حكومة بولندية منافسة (وهى اللجنةالبولندية للتحرير الوطنى) أو لجنة لوبلين ، التى كان يسيطر عليها الشيوعيون ويعتمدون عليها فى

---

(١) من الحرب الباردة حتى الوفاق (١٦-١٧) .
(٢) مذكرات تشرشل (١٠١٧/٢) .

تنفيذ السياسة السوفياتية)[١].

وعندما تقدمت الجيوش الألمانية لبولندا قام البولنديون بالدفاع عن بلادهم وقاتلوا الجيش الألمانى فى شوارع وارسو[٢]، ودامت هذه الانتفاضة أكثر من شهرين وكلفت البولنديين ٣٠٠ ألف قتيل ودمرت وارسو[٣]، وكانت هذه الأحداث تقع والجيش الأحمر على مقربة من وارسو ومع ذلك لم يقم بمساعدة البولنديين .

(وعندما حان الوقت المناسب للروس ، عبر الجيش الأحمر الحدود البولندية ... ولما دخل الروس وارسو كان الطريق ممهدا للشيوعيين البولنديين بعد أن أخمد الألمان حركة المقاومة وقتلوا معظم زعمائها)[٤].

(وعندما دخل الروس المدينة بعد ثلاثة أشهر ، لم يجدوا شيئا إلا شوارع محطمة وجثثا لم تجد من يلحدها ...)[٥].

وكانت القضية البولندية قضية ذات مشاكل عديدة وقديمة وحتمية . حتى قال تشرشل : (لاريب فى أن قضية بولندة ، كانت من أهم العوامل التى دعت إلى عقد مؤتمر يالطة ، وكانت من أولى القضايا الرئيسية التى أدت إلى إنهيار الحلف الأعظم)[٦]. وناقش مؤتمر يالطا مسألة بولندا . وكانت القضايا التى نوقشت بشأنها :

(* كيف يمكن تأليف حكومة بولندية مؤقتة واحدة .

* كيف ومتى تجرى الانتخابات الحرة .

* كيف تسوى الحدود البولندية فى الشرق والغرب .

---

(١) من الحرب الباردة حتى الوفاق (١٧) .
وانظر التيارات السياسية المعاصرة (٤١٨) .

(٢) انظر التيارات السياسية المعاصرة (٤١٧) .

(٣) انظر من الحرب الباردة حتى الوفاق (١٨) .

(٤) التيارات السياسية المعاصرة (٤١٨) .

(٥) مذكرات تشرشل (٢/٩٥٢) .

(٦) المرجع السابق (٢/١٠١٨) .

* كيـف تؤمن مناطق المؤخرة وطرق المواصلات للجيـوش السوفياتية الزاحفة)[١].

وجماع القول أنه حصل اتفاق بشأن الحدود[٢].

أمـا مـايتعلق بالحكـومة والانتخـابات فـإن السوفييـت كـانوا يرون أن الحكـومة التى يؤيدها الشعب البولندى هى أحق مـن غيرها بهذا[٣]، ورضى الاتحاد السـوفييتى بأن يكون ميكـولاتشيك زعيم الحكومـة البـولندية فى لندن كنائب لرئيس الدولة البولندية ، ووافقت على اجراء الانتخـابات الحرة أثناء الاجتمـاعات . أما الواقع فلم يشهد ذلك إذ أنه (بعد ثمانيـة عشر شهرا اضطر ميكـولاتشك للهـرب من بولنـدا مـن أجل أن ينجو بحيـاته ، وأصبـح حزبه المسمـى حزب الفلاحين محظـورا وأصبحـت بولنـدا فى قبضـة قـوية لحكـومة شيوعية لاتعتمد على تأييد الناخبين البولنديين بل على وجود الجيـش الأحمر بأعداد كبيرة وعلى الشرطة السرية السوفياتية)[٤].

وهكذا خضعت بولندا للاتحاد السوفييتى وأصبح فيها مايقارب ٤٥ ألف رجل[٥].

---

(١) مذكرات تشرشل (١٠١٨/٢) .

(٢) انظر المرجع السابق (١٠٢٠/٢) .

(٣) انظر مـذكرات تشرشل (١٠٢٠/٢) ومـابعدها ، وذكر سردا تاريخيـا عـن الاجتماع الذى دار بين الحلفاء وأقوالهم وردود أفعالهم .

(٤) من الحرب الباردة حتى الوفاق (١٩) .
وانظر تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٢١) مابعدها ، وانظر (٤١) ، وذكر فيها أن مما زاد التوترات بعد الحرب عدم السماح لقيام حكـومة فى بولندا من خلال انتخابات حرة .

(٥) انظر الروس قادمون (٤٨) .

يوغسلافيا :

أخضع الاتحاد السوفييتى يوغسلافيا تحت سلطانه وذلك بعد أن أصبح تيتو الشيوعى على سدة الحكم رغم الخلافات التى أبداها تيتو ضد الاتحاد السوفييتى فيما بعد .

وكانت يوغسلافيا ميدانا للخلافات والتناقضات بين أقلياتها الوطنية بالإضافة إلى الخلافات السياسية بين جمهوريين وملكيين وشيوعيين ومع ذلك هب الشعب اليوغسلافى فى مقاومة الألمان وكان تيتو الشخص البارز الذى سرعان ماغدا مسيطرا وكان معه من الشخصيات البارزة فى الساحة ميخائيلوفيتش ، ومالينوفسكى ، وكانت العداوة شديدة بين أتباع هؤلاء[1].

(والواقع أن محاولات تيتو لفرض الشيوعية على البلاد وقسوته فى القضاء على خصومه السياسيين وتصرفاته العنيفة قد جعلت الحرب عنيفة ضارية بين أنصاره وأنصار فيمايلوفيتش . وعندما شعر فيمايلوفيتش بعجزه عن مواجهة الضربات التى كانت تأتيه من كل جانب ولاسيما من الألمان أنفسهم فقد سعى إلى تحقيق تسوية مع المحور)[2].

وبعد هذا الموقف ، ولكون الطرفين لم يصلا إلى اتفاق منح تشرشل تأييده لتيتو وقال : (كانت شخصية ميخائيلوفيتش المشجية قد غدت العقبة الكأداء ، وكان علينا أن نحافظ على اتصالنا العسكرى بالأنصار ، ولذا تحتم علينا اقناع الملك بوجوب طرد ميخائيلوفيتش من منصبه كوزير للحربية ... وسحبنا تأييدنا الرسمى لميخائيلوفيتش ، واستدعينا البعثات البريطانية العاملة فى المناطق التى يشرف عليها)[3].

---

(١) انظر : مذكرات تشرشل (٨٨١/٢) ، الحرب العالمية الثانية (٤٩٣) .
(٢) الحرب العالمية الثانية (٤٩٤) ، وانظر التاريخ الدبلوماسى (١٨-١٩) .
(٣) المذكرات (٨٨٥/٢) .

وعمل تيتو على مهاجمة القوات الألمانية المتقهقرة وقضى (على أنصار النازيين من الصربيين ، وعلى الزعماء الإرهابيين من الكروات . ولم يكن لتيتو منافس فى المستقبل سوى حكومة المنفى اليوغسلافية ، أما الملك وحكومته فقد صمم تيتو على ألا يعيرهم أى اهتمام . كذلك كان عازما على أن يتحرر مما فعله الزعماء الشيوعيون البولنديون الذين جعلوا من الجيش الأحمر سندا وعمادا لهم فى حكمهم البلاد بل رأى أن يقوم بنفسه بأداء الواجب عليه نحو يوغسلافيا ، ولكن لم يسلم الأمر من قبوله العون من الجيش الأحمر فى آخر مرحلة من مراحل التحرير ، وكان ذلك عندما اخترق الروس حدود بلاده من رومانيا فى طريقهم لمهاجمة الألمان فى المجر . والواقع أن تيتو ظل على عناده وحزمه فى كل مرحلة من مراحل خلافاته مع الاتحاد السوفييتى)[١].

مع أن السوفييت كانوا يطمعون فى أن يتولى مهمة الجبهة اليوغسلافية حيث كان زعيما للحزب الشيوعى اليوغسلافى منذ عام ١٩٣٧ وعاش فى الاتحاد السوفييتى وطور ثقافته السياسية بها[٢].

إلا أن الاتحاد السوفييتى منى بخيبة أمل (وذلك عندما شاءت يوغسلافيا عام ١٩٤٨ ألا تكون بلدا تابعا له) .

لقد زعم تيتو (أنه تلميذ أمين لماركس ولينين ، ولكنه لم يقبل بخضوع كلى لروسيا الستالينية . حتى أنه كان أقدر على المقاومة من الموجهين البلغاريين والرومانيين والبولونيين لأن هؤلاء فرضتهم موسكو ولايقبضون على السلطة إلا بدعم السوفياتيين ، فى حين أن تيتو فرض نفسه كزعيم

---

(١) التيارات السياسية المعاصرة (٤١٩) .
وانظر مذكرات تشرشل (٨٨٤/٢) . وقال أن تيتو عقد (مؤتمرا سياسيا لحركته فى ياسى فى البوسنة ، ولم يكتف بإقامة حكومة مؤقتة (لها وحدها السلطة المطلقة فى تمثيل الشعب اليوغسلافى) بل حرم الحكومة الملكية فى القاهرة أيضا من جميع حقوقها وتقرر منع الملك من العودة إلى البلاد إلا بعد تحريرها) .

(٢) انظر الحرب العالمية الثانية (٤٩٣) .

للمقاومة ويتمتع بشعبية شخصية واسعة لدى أعضاء الحزب الشيوعى ...)[١].

ولعل هذا من الأسباب التى منعت الاتحاد السوفييتى من السيطرة التامة على يوغسلافيا أو جعلها تسير حسب مايريده لها السوفييت ، هذا بالإضافة إلى أن يوغسلافيا قسمت مناصفة بين بريطانيا والاتحاد السوفييتى ، ومن هنا كانت يوغسلافيا من أوائل الدول التى أعلنت التمرد على ستالين .

تشيكوسلوفاكيا :

كانت المعاهدات التى عقدها الاتحاد السوفييتى مع كثير من الدول قد ساعدت على جعله صاحب السيادة فيما بعد على هذه الدول ومنها تشيكوسلوفاكيا فوقع رئيسها بينين معاهدة تحالف مع الاتحاد السوفييتى بعد أن أعاد العلاقة معه فى تموز ١٩٤١ ووقعت تشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفييتى معاهدة تحالف فى ١٢ كانون الأول ١٩٤٣ ونصت على ألا توقع الدولتان على هدنة أو معاهدة سلاح منفردتين . وفى ٢٩ حزيران ١٩٤٥ وقعت تشيكوسلوفاكيا معاهدة مع الاتحاد السوفييتى تنازلت بموجبها عن روسيا الكارباتية وكانت هاتان المعاهدتان مقدمة لتطور سريع أغلق بانقلاب شباط ١٩٤٨ ، ووضع تشيكوسلوفاكيا فى عداد الدول التابعة للاتحاد السوفييتى[٢].

ويوضح دروزيل تلك الأحداث بعرضه إنقلاب براغ فيقول :

(لقد تبنى الزعيم الشيوعى غوتفالد موقفا معتدلا فى تشيكوسلوفاكيا ، وفى انتخابات أيار ١٩٤٦ ، حصل حزبه على ٣٨٪ من الأصوات ، وهذا أكبر نجاح سجله الشيوعيون فى انتخاب حر . وأقيمت حكومة ائتلافية . ولكن الرفض السوفياتى بالسماح لوفد تشيكوسلوفاكى بحضور مؤتمر باريس

---

(١) التاريخ الدبلوماسى (٢٣٢) ، ولمزيد عن أحداثها انظر العالم فى القرن العشرين (٢٦٤-٢٦٥) ، وانظر مابعدها .

(٢) انظر التاريخ الدبلوماسى (١٣٩-١٤٠) ، وانظر (٧٣-٧٤) وقد قال غوتفالد رئيس تشيكوسلوفاكيا أن بلاده (تتبنى السياسة الدولية الديمقراطية ، والمسالمة التى يسلكها الاتحاد السوفييتى والديمقراطيات الشعبية السلافية) .

فى مشروع مارشال (٨ تموز ١٩٤٧) ، أوجد توترا سياسيا استغله الشيوعيون بنشاط للاستيلاء على السلطة كليا . وفى ٢٥ شباط ١٩٤٨ ، بعد اضطراب دام عدة أيام ، تألفت حكومة شيوعية بكاملها تقريبا . وكان الرئيس بينيش مسنا ومريضا فاضطر للرضوخ . ووجد جان مازاريك وزير الخارجية ، وهو غير شيوعى ، ميتا فى ١٠ آذار ، على أثر انتحار ولاشك . وكان هذا الحادث إنقلابا حقيقيا . وفى الظاهر لم يكن فى كل هذا سوى حادث داخلى محض . وفى الواقع ، هنالك إمكان للتفكير فى أن هذا الإنقلاب جرى بأمر السوفيات وتحت حمايتهم لأن صحافتهم وإذاعتهم ناصرتا غوتفالد بشدة . وربما كان مجىء نائب وزير الخارجية السوفياتى ، السيد زورين ، فى عز الأزمة ، ظاهرة ملموسة لهذا التدخل .

وعلى الصعيد الدولى لم تستطع الدول الغربية أن تعمل شيئا . وحصلت بداية فى ٢٢ آذار ١٩٤٨ فى مجلس الأمن دون أى نتيجة . ومع هذا فإن (انقلاب براغ) الذى اتبع بعد قليل بحصار برلين ، ذهب بالحرب الباردة إلى درجة توتر مجهولة حتى ذلك الحين . ومن المؤكد أنه يوضح لحد كبير مفاوضة ميثاق الأطلسى)(١).

المجر والبانيا :

ومن الدول التى كانت أنظمتها شيوعيةالمجر والبانيا .

وبالنسبة للمجر فقدكان نصيب الاتحاد السوفييتى منها ٧٥٪ . وقال تشرشل : (ولما كانت الجيوش السوفيتية هى التى تحرز السيطرة على المجر ، فمن الطبيعى أن يعهد بالشطر الأكبر من النفوذ إليها، شريطة الاتفاق طبعا مع بريطانيا العظمى والولايات المتحدة ، اللتين على الرغم من عدم قيامهما بأى عمل عسكرى فى المجر ، يجب أن تنظرا إليها كدولة من دول أوربا الوسطى ، لادولة بلقانية)(٢).

---

(١) التاريخ الدبلوماسى (٢٣٢-٢٣٣) .

(٢) مذكرات تشرشل (٩٨٧/٢) .

أما البانيا فقد كانت العصابات الشيوعية موجودة بها ويقودها أنور خوجا وحاولت المانيا القضاء عليها فى حزيران ١٩٤٤ ، ولكنها فشلت . وفى كانون الأول ١٩٤٤ دخل أنور خوجا إلى عاصمة البانيا بتيرانا وشكل فيها الحكومة الشيوعية(١).

ومن تلك الدول بلغاريا وكانت (الجبهة الوطنية) تسيطر عليها وقوادها من الشيوعيين(٢). كما وصل التدخل السوفييتى إلى كل من اليونان وتركيا(٣).

وهكذا يتبين لنا أن الاتحاد السوفييتى استطاع أن يخضع أوروبا الشرقية وأن تكون السيادة له عليها فأصبحت دولها تسير فى فلكه ، وتعمل بآرائه ، ولاتخرج عن قراراته ، فأصبحت تلك الدول تمثل كتلة شيوعية تسير حسب إرادة الدولة الأم (الاتحاد السوفييتى) .

يقول دروزيل :

(لقد سيطر الاتحاد السوفييتى على أوروبه الشرقية سيطرة حقيقية امتدت فى ربيع ١٩٤٨ ، على ألمانيا الشرقية وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا وهونغاريا ويوغسلافيا والبانيا وبلغاريا ورومانيا . وارتبطت هذه البلاد به بمعاهدات ذات طابع سياسى وقعت أولياتها فى زمن الحرب . وفى الحقيقة كانت الرابطة الأساسية إقامة أنظمة شيوعية مخلصة لموسكو)(٤).

ويقول تشرشل لـ(قد هبط ستار حديدى على القارة الأوربية، ممتد من ستيتين على بحر البلطيق إلى تريستا على بحر الأدرياتيك . ووراء هذا الستار ، تقوم عواصم جميع الدول العريقة فى أواسط أوروبا وشرقها .

---

(١) انظر التاريخ الدبلوماسى (١٩-٢٠) بتصرف .

(٢) انظر المرجع السابق (١٣٦-١٣٧) .

(٣) انظر عن ذلك : مذكرات تشرشل (٩٩٨/٢-١٠٠٤) ، الحرب العالمية الثانية (٤٩٠-٤٩١) ، التاريخ الدبلوماسى (١٦٥-١٦٧) ، التيارات السياسية المعاصرة (٤٢١) .

(٤) التاريخ الدبلوماسى (٢٢٨) ، وانظر (٢٣١-٢٣٢) .

فوارشو وبرلين وبراغ وفيينا وبودابست وبلغراد وبوخارست وصوفيا ، أجل كل هذه المدن المشهورة وماحولها من سكان ، تقوم الآن ويقومون ، فى المنطقة التى ادعوها بالسوفياتية ، وكلها تتعرض بشكل أو بآخر ، لالنفوذ السوفياتى فحسب ، بل إلى حد ضخم من إشراف موسكو وسيطرتها فى كثير من الحالات)[١].

ولم يقتصر الأمر بالاتحاد السوفييتى على أوروبا الشرقية بل توسع نفوذه العسكرى إلى غير دول أوروبا[٢]وماكان هذا التوسع ليرضى الولايات المتحدة فكما أن السوفييت أقاموا ذلك الحاجز الوهمى الذى عرف بالستار الحديدى على دول أوروبا الشرقية ، فإن الولايات المتحدة إتجهت إلى (الدخول فى معاهدات وانشاء الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة ، كما اتجهت إلى الحد من حجم القوات المسلحة بما تضمنه هذا من قضايا إقتصادية محلية ذات أبعاد سياسية ، كما اتجهت أيضا إلى إعادة تنظيم مؤسسات الدفاع والسياسة الخارجية)[٣].

ويوضح بروسترك اهتمام أمريكا بهذه الأحداث وردود الفعل تجاه السوفييت وتدخلها فى بعض مناطق من العالم لصد الاعتداء السوفييتى فيقول (كلها أحداث تمثل حركة توسعية فى قالب بطولى حقيقى . وقد اتسمت كلها بالخطورة ، كما تطلبت جميعها قدرات نادرة لاتخاذ القرار والتحرك كما تم

---

(١) مذكرات تشرشل (١٠٩٤/٢) .
وانظر التيارات السياسية المعاصرة (٤٤٩) وقال : (ونتيجة للنفوذ والتأثير الروسى تأسست فى تلك الدول حكومات تسير على النظام الشيوعى ، وتكون منها جميعا ـ فيما عدا يوغسلافيا ـ كتلة شيوعية تسير فى فلك الاتحاد السوفييتى) .
(٢) انظر الروس قادمون (٤٨) .
(٣) نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأمريكية (٨٥) .

اتخاذ القرار السليم بصددها وتم تطبيقها بهمة ونشاط)[١].

وإذا كان حال السوفييت هو التوسع والتدخل فى شئون الغير ، فإن الولايات المتحدة بدورها كانت كذلك بل كانت تقوم بنشر فكرها و(حاولت دائماً أن تفسر علاقاتها ببقية أجزاء العالم عل صورة مبادىء أيديولوجية تتخطى المصالح العسكرية والإقتصادية الضيقة)[٢].

ومع ذلك ومن بعد الحرب العالمية الثانية أصبحت نظرة الولايات المتحدة تتجه صوب الدول والمناطق ذات المصالح السياسية والإقتصادية ، وكذلك باتجاه الدول التى تخشى أن يكون للنفوذ الشيوعى فيها سلطان ، يقول ريتشارد بارنت : (وفى العادة فإن اندلاع أعمال العنف لدى الشعوب البعيدة لاتلاحظ إلا عندما يتبين وجود مصالح إقتصادية وعسكرية للولايات المتحدة متعلقة بها . وعلى وجه العموم ، فإن دولة صغيرة متخلفة تجد صعوبة كبرى فى لفت انتباه وزارة الخارجية إلا إذا كانت واقعة على أطراف (المعسكر السوفييتى - الصينى) ، أو ضحية انتفاضة ذات علاقة بالشيوعية ، أو قد أصبحت من أهداف الديبلوماسية السوفيتية أو الصينية)[٣].

وهكذا نجد الولايات المتحدة تقوم بنفس الأسلوب الشيوعى ، لنشر الأيديولوجية الرأسمالية ، والاستفادة من الموارد الإقتصادية ، والسيطرة على المواقع الاستراتيجية ، ومنع انتشار الفكرة الشيوعية ، ومن هنا كانت هذه السياسة التوسعية من الطرفين لها أكبر الأثر فى زيادة الخلاف وحدته ، واتساع الهوة فيما بينهما ، ناهيك عن فقدان الثقة وإساءة الظن بكل فعل

---

(١) نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأمريكية (١٠٣-١٠٤) .
وقد عرض المؤلف للمبادىء السياسية للسياسة الأمريكية ووضح من خلالها الاهتمام بمجابهة السوفييت ، وعدم نقل الصراع إلى العالم الجديد والبحث عن نظام دولى جديد (٤٥-٤٦) .

(٢) حروب التدخل الأمريكية فى العالم (٤١) ريتشارد بارنت ، ترجمة منعم النعمان ، الطبعة الأولى ١٩٧٤م ، دار ابن خلدون للطباعة والنشر والتوزيع .

(٣) المرجع السابق (٤١) .

يصـدر من الطرف الآخر ، وقـد واجهت كل من الدولتين هـذه الأحداث ، ووجهـت موارد البلاد ومصادرهـا الإقتصادية فى سبيل تحقيـق الانتصار فيها ، فكلفـت الكثير ، واستنزفت الطاقات البشرية والمادية ، ولاشـك أن الأحداث تختلف فى حجمها ، وخطورتها ، ومدى تأثيرها .

ومن العرض السابق لمسألة التوسع نصل إلى الحقائق التالية :

أولا : أن الاتحاد السوفييتى هو الأكثر توسعا فى أعقـاب الحرب العالمية الثانية ، ولعل لذلك أسبابه ودوافعه فمن ذلك :

(أ) استيلاء الاتحاد السوفييتى على أكثر هذه الدول ودخولـه لبعض المناطق عسكريا بمفرده .

(ب) الاتفاقيات والمعاهدات التى كان قد وقعها مع تلــك الدول قبل وأثناء وبعد الحرب .

(ج) تحقيق الانتصارات فى أكثر الجبهات على يد قواته .

(د) امتـداد أراضيه من قبل الحرب إلى مسـاحات شاسعـة مما جعل الحلفاء ينظرون لبعض الدول على أنها دول مجاورة له وهـو أحق بالنفوذ فيها من بقية دول الحلفاء .

ثانيا : أن دول الحلفـاء كان همها فى بداية الحرب وأثنـائها منصبا على دحر القـوات الألمانية ، وفى هذه الأثناء كان الاتحاد السـوفييتى يحصن الدول والمنـاطق التى دخل إليها . فما أن انتهت الحرب حتى غـدت أكثر الدول فى أوروبا الشرقية وأوسطها تحت السيطرة السوفيتية .

ثالثا : أن الخلاف مـابدأ بالظهـور والبروز على السـاحة إلا مـع نهـاية الحرب فبـدأت الـدول الحليفـة بالشـك فى بعضها، وعـدم الثقـة فى تصرفات وتصريحات بعضها بعضا وخاصة فيما بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى .

رابعا : أن الاتحاد السوفييتى قد أثبت بهذا التوسع والاستيلاء على دول أوروبا الشـرقية أن لـديه قـوة لايمكـن قهرها بسهولـة وبدأ الغـرب يتخـوف ويحذر منها حتى قال تشرشل :

(ذهبت جيوشنا ، وسيمضى وقت طويل قبل أن نتمكن من جمع حتى ولـو ستين فرقة لمواجهة القـوات الروسية التى تتفـوق علينا عدة وعددا)[١].

خامسا : أن التـوسع كان سببا مـن أسباب زيادة التـوتر بين الدولتين الكبريين ووقـع بسببهـا عدد مـن الأحداث والأزمات والتى كـانت فى الأعـم الأغلـب محاولة لبسط النفـوذ من قبل إحدى الدولتين على دولـة أو منطقـة فتقـوم الأخرى بالتـدخل ابعـادا لهـا وحيلـولة دون تحقيـق هـدفها فى تلـك المنطقة.

ونعرض الآن لهذه الأزمات التى كانت من الأسباب الرئيسية فى تأجيج الحرب الباردة بين الطرفين وكانت هى فى ذاتها حربا باردة بينهما .

---

(١) المذكرات (١٠٧٧/٢) .

الأزمات

لقد شكلت الأزمات بين الطرفين حربا باردة بينهما حيث كان كل طرف يسعى للحد من توسع الطرف الآخر ، وفى الوقت ذاته يسعى للاستفادة من هذه الأحداث وتوجيهها لمصلحته وجعلها تحقق أهدافه إن عسكرية ، وإن سياسية ، وإن إقتصادية ، وفى تصورنا أن أبرز الأزمات التى واجهتها القوتان الكبريان هى :

(١) أزمة برلين .
(٢) اقامة الأحلاف العسكرية .
(٣) أحداث الصين .
(٤) الأزمة الكورية .
(٥) الأزمة الفيتنامية .
(٦) الأزمة الكوبية .
(٧) الشرق الأوسط والسيطرة عليه .
(٨) الأزمة الأفغانية .

وسنتناول كل أزمة على حده على أن هذه الأزمات والأحداث ، قد ارتبطت بالقضية التى نتجت عن ذلك وهى سباق التسلح ، ومايلحق بوسائل الحرب الباردة وأساليبها .

(١٤٢٤)

أولا : أزمة برلين

قلنا فيما سبق أن المانيا قد تم تقسيمها إلى أربعة مناطق عند نهاية الحرب العالمية الثانية فمنطقة تحتلها أمريكا ، والأخرى الاتحاد السوفييتى ، وثالثة بريطانيا ، والرابعة من نصيب فرنسا[١].

وكان الاتحاد السوفييتى يرى أن جوهر مستقبل المانيا مربوط بالمسألة الألمانية منذ نهاية الحرب العالمية (فاعتقد ... السوفييت ، أنه مالم تحل القضايا الخاصة بأمن المانيا بطريقة تتفق تماما مع المطالب السوفيتية فإن إعادة تسليح المانيا سيترتب عليه فى النهاية قيامها بالهجوم على الاتحاد السوفييتى)[٢].

لقد كان لهذا التقسيم أثره فى اشعال الموقف لحرص كل طائفة على نصيبها وتخوفها من الأطراف الأخرى ، ولكن لكون الثلاثة الأطراف (أمريكا وبريطانيا وفرنسا) قريبين من بعضهم فلربما يكون العداء بين طرفين اثنين هما أمريكا وتابعيها من جهة ، والاتحاد السوفييتى من الجهة الأخرى .

ولاشك أن هناك أسباباً أثارت الاتحاد السوفييتى وجعلته يقدم على محاولة الاستيلاء على برلين وفرض سيطرته عليها . ويعتبر مشروع مارشال الداعى إلى الوقوف مع أوروبا ودعمها إقتصاديا قد قضى على أمل السوفييت فى تمزيق أوروبا واستغلالها . ومن هنا أقدم الاتحاد السوفييتى على الاستيلاء على تشيكوسلوفاكيا وكذلك حصار برلين مما جعل الحرب الباردة تزداد حدة . ويعلن ترومان البقاء فى المدينة ، فى حين كان يطالب ستالين بانسحاب الحلفاء منها .

يقول دانيال ونورمان :

"قبل أسابيع قليلة من تصويت الكونجرس بالموافقة على تحويل (مشروع مارشال) ، انتزع الشيوعيون السلطة من الحكومة التشيكوسلوفاكية

---

(١) راجع (١٤٧٢) .

(٢) نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأمريكية (١٠٠) .

المتعـاطفة مع الشيوعيين برغـم استقلالها . وتحولت دولـة ديمقراطية إلى دولة شمـولية فى أقـل من شهر ، وكـان الإنقلاب الـذى وقـع فى تشيكـوسلوفاكيا إنذارا إلى معظـم العالم غير الشيوعى ، وذكر أوروبا الغـربية بأهمية دفاعاتها والحاجة إلى اتخاذ قرار بشأن مستقبل المانيا ...

وكان الأمريكيون والبريطانيون والفرنسيون قد دخلوا فى محادثات لمدة شهـور حول توحيـد مناطق احتلالهـم جمهورية ألمانية غـربية تتمتـع بالحكم الذاتى . وعارض ستالين مشروعات توحيد ألمانيا ، وعندما أعلن عن مشروع تكوين حكومة لألمانيا الغربية ، أعرب ستالين عن امتعاضه .

كـانت برلين عـاصمة ألمانيـا السـابقة تقـع بالقـرب مـن مـركز منطقـة الاحتلال السـوفيتية . وتولت كل من الدول الأربع الكبرى حكـم قطاع من قطـاعات المدينـة . وتضمنـت القطـاعات الأمـريكية والبريطـانية والسـوفيتية ماعرف باسم برلين الغربيـة . وفى ٢٣ يوليـو حاصـر سـتـالين المدينـة وقطـع جميع الطرق والسكك الحديدية المؤدية إليها من الغرب .

وفجأة أصبح سكان برلين الغربية الذين بلغ عددهـم ٢,٥ مليون نسمة رهـائن فى الحرب الباردة . ولـو اضطر الغرب إلى التخلى عـن برلين فسـوف تهتز ثقـة أوروبا فى الولايات المتحدة اهتزازا كبيرا . وكـان زعماء الولايات المتحـدة يرغبون فى تجنب أى صدام مباشر مع الجيش السـوفييتى ، غير أنهم عقـدواالعزم على عـدم التخلى عـن المدينـة ، وقـد لخص ترومـان الموقـف الأمـريكى بهذه الكلمات المقتضبة : "سوف نبقى فى المدينـة . انتهى الأمر" . وللتـدليل على أنه عنى مـاقـال ، أصدر أوامره إلى سـربين مـن القاذفات من طراز (بى-٢٩) بالطيران إلى بريطانيا والمانيا . وكان هذا الطراز من

الطائرات هو وحده القادر على حمل القنابل الذرية)[١].

وكان للأوضاع الإقتصادية أثرها فى أزمة برلين وزيادة حدتها ، فقد تم الاتفاق فى بوتسدام أن يأخذ الاتحاد السوفييتى (التعويضات من منطقة احتلاله وأن يأخذ من المناطق الغربية المحتلة ٢٥٪ من جميع الآلات والمنشآت الصناعية التى لم تكن ضرورية لإقتصاد المانيا وقت السلم . وبدلا من ذلك يقوم الاتحاد السوفييتى بارسال الطعام والفحم والمواد الخام من منطقة احتلاله إلى المناطق المحتلة الغربية وذلك بقيمة ٦٠٪ مما تلقاه من الغرب ...)[٢].

إلا أن الروس أوقفوا (شحنات الأغذية والمواد الخام التى كانوا يرسلونها مقابل التعويضات وذلك بسبب الوضع الإقتصادى (السىء) فى أوروبا الشرقية)[٣].

فساء ذلك الأمر الولايات المتحدة فألقى وزير خارجيتها جيمس بيرنز خطابا جاء فيه الاعتراف الرسمى (بأن اتفاقيات بوتسدام الإقتصادية لم تكن تنفذ بشكل صحيح واقترح توحيد إقتصاد المنطقة الأمريكية مع أى من المناطق الأخرى أو معها جميعا)[٤].

---

(١) تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٤٧-٤٨) .
وانظر موجز تاريخ الولايات المتحدة (٥٥٦-٥٥٧) ، وقال : (وكان المرتقب من هذا الحصار أن يؤدى إلى تسليم برلين للسيطرةالروسية ليتسنى إذا حان الحين جعلها عاصمة دولة ألمانية شيوعية قوية . وكانت حجة السوفييت أن الغرب انتهك بعض الاتفاقيات غير أن السبب الحقيقى هو أن الغرب كان يعمل لبعث ألمانيا إقتصاديا وسياسيا كجزء مهم من أوروبا جديدة أعيد تعميرها) .

(٢) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٤٢) وانظر مابعدها ، وانظر : العالم فى القرن العشرين (٢٥١-٢٥٤) ، موجز تاريخ الولايات المتحدة (٥٤٨) .

(٣) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٤٥) .

(٤) المرجع السابق (٤٥) .
وذكر أنه لم توافق إلا بريطانيا وانضمت المنطقتان من ١ كانون ١٩٤٧ ، ثم انضمت فرنسا إليهما فيما بعد سنة ١٩٤٩ . وهكذا قسمت ألمانيا إقتصاديا بين الشرق والغرب .
وانظر موجز تاريخ الولايات المتحدة (٥٤٨) وقال : (وكان هذا تطورا شغل بال الروس) .

أمـا الاتجاه السياسى فإن المانيـا كان بها عدة أحزاب سيـاسية ، وكان من القضايا التى اتفق عليها بين الحلفاء (تسليم السلطة العليـا فى ألمانيا لمجلس رقـابة الحلفـاء المؤلف من الحكـام العسكـريين لمناطق الاحتلال الأربع وقيـادة تابعـة لمجلس رقابة الحلفاء ... كمااتفق على أن تكون ألمانيـا وحدة إقتصادية واحدة وأن تصبح مرة أخرى وحدة سياسية واحدة)[١].

غير أن الخلافات بين الحلفاء كانت أكبر من أن تقف الحكومة الرباعية صامدة أمامها وذلك نظرا لكثرة مـااختلفوا عليه من قضـايا وخاصـة مايتعلق بألمانيا ، ووصلت الخلافات بينهما فى عام ١٩٤٧ بالمجابهة الدعائية[٢]

وكـان الاتحاد السـوفييتى أكثر الأطـراف إثارة للخلاف ، إن الجهــود الجبـارة التى بذلـت من أجل احلال السلام فى ألمانيـا قـد باءت بالفشـل[٣]،

(١) مـن الحرب الباردة حتى الوفاق (٤١) ، وذكر أن فرنسا رفضـت قيام المانيا موحدة لأنها ترى أن ذلك تهديدا لها حيث غزت ألمانيا فرنسا ثلاث مـرات خلال سبعين عاما .
وانظر التيارات السياسية المعاصرة (٤٤٧-٤٤٨) .
وذكـر بعضا من الأحزاب السياسية الموجودة فى ألمانيا وكـذلك الخلاف بين أعضاء هذه الحكومة ، وانسحاب المندوبين الروس من الاجتماع الرباعى .
كـذا انظر من الحرب الباردة حتى الـوفاق (٤٥-٤٧) ، وذكـر الأحزاب السيـاسية ومنهـا الحزب الإشتراكى الذى جعل منه الروس قوة لابأس بهــا ، إلا أن الشعب الألمانى كان يتخوف من التوجه الشيوعى لأنه يربطه بالكـرملين مباشرة ، وجاءت عدة دعوات تدعو إلى دمج الحزب الشيـوعى الممالىء لروسيـا بالحزب الإشتراكـى الـديمقراطى إلا أنها باءت بالفشـل ، وأنشىء حزب جديد منـدمج ولكـن دون أن تستطيع روسيا السيطرة عليه وكانت ثمرته الوحيدة تقريبـا ادخال الرعب فى قلوب أصحاب المناطق الغربية .

(٢) انظر من الحرب الباردة حتى الوفاق (٤٧) .

(٣) انظر : التاريخ الدبلوماسى (١٨٥-١٨٧) ، من الحرب الباردة حتى الوفاق (٤٨) ، موجز تاريخ الولايات المتحدة (٥٤٦-٥٤٨) .
وأجمـع هؤلاء على أن المؤتمرات كانت تنفض دون ما اتفـاق على موضـوع واحد ذى أهمية .

وكانت تلك الجهود تتبخر أمام الاصرار السوفييتي وعناده . غير أن فشل هذه المؤتمرات صعد من الحرب بين الدولتين ، وعرف الأمريكيون (أنه لاأمل لهم فى مفاوضة الروس إلا من مركز قوة . ومنذ ذلك الوقت فصاعدا لم يكن أى من الجانبين كثير الاهتمام بالمصالحة)[١].

ويقول مونتغمرى : (اشترك وزراء خارجية الدول المحتلة لألمانيا فى مؤتمر انعقد فى لندن بشأن هذه البلاد (المانيا) وغدا واضحا أنه لايمكن الوصول إلى أى اتفاق مع روسيا)[٢].

وكنتيجة طبيعية لفشل هذه المحادثات ولإصرار السوفييت على مطالبهم وسياستهم تجاه ألمانيا[٣]كان لابد من الاتجاه إلى أسلوب آخر يضمن به ستالين تحقيق مطالبه ، وطالب الحلفاء بالجلاء عن ألمانيا غير أن ذلك لم يكن بالبساطة التى تصورها ستالين ، وقد قام السوفييت فى حزيران/يونيو ١٩٤٧ بتأسيس (إدارة إقتصادية لمنطقتهم وقطعوا بعنف الاتصال مع مناطق الاحتلال الأخرى)[٤].

وكرد فعل لهذه الخطوة ولضرب تشيكوسلوفاكيا من قبل السوفييت دعت الدول الثلاث الحليفة إلى عقد مؤتمر فى لندن حول تشكيل دولة المانيا الغربية .

---

(١) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٤٨) .

(٢) المذكرات (٥٣٨) .

(٣) (كانت سياسة روسيا هى أن تمتص من المانيا كميات كبيرة من السلع المصنوعة كتعويضات ، وأن تحول دون انتعاش المانيا أو أن ترجئه ، وأن تدفع الشعب إلى التحول إلى شيوعيين ، عن طريق توليد الفقر والفوضى بأساليب مرسومة . أما السياسة الأنجلو أمريكية فكانت على النقيض ، كانت ترمى إلى إعادة المانيا إلى العافية الصناعية ، وإعادة ارساء الرخاء ، وصون النظام ، وتدريب الشعب على الديمقراطية السياسية) .
موجز تاريخ الولايات المتحدة (٥٤٧-٥٤٨) .

(٤) مابعد الحرب الباردة (٢٨) .

وكـرد فعل من السوفييت انسحبـوا من مجلس مراقبـة القوى الأربع ، ثم أعلـن قـرار إنشاء دولة المانيـا الغربية وبعد أسبـوع أى فى ١٨ حزيران / يونيـو ١٩٤٨ أعلنت القوى الغربية قرب ادخال العملة المعـدلة فى مناطقهم ، وتبعه رد فعل السوفييت بتعديل العملة فى منطقتهم وفى كل برلين[١].

وفى ٢٣ حزيران طـرحت القـوى الغـربية عملتهـا الجديدة فى برلين الغربية ، ورد السوفييت على ذلك باغلاق المناطق الغـربية من المدينة وسدوا الطرق البرية ، وقطعوا الإمداد بالكهرباء عنها[٢].

ثم لجأت القـوات السوفيتيـة إلى استخدام القوة فضـربوا الحصـار على برلين وكـان حصـارها (فى نظـر الـروس بديلا عن الحرب . إذ كـان هجـوما مدبرا على جميع الأوضاع الغـربية فى المانيـا وعلى الالتزام الأمـريكى تجاه أوروبا)[٣].

ولايغيب عنا أن برلين كانت تمثل منطقة مهمة للألمان والحلفاء[٤]، وقد بين ذلـك تشـرشل فى البرقية التى بعـث بهـا إلى ايزنهاور وجاء فيهـا : (إننى لأقـول بمنتهـى الصـراحة ، أن برلين مـازالت على جانب كبير مـن الأهمية الاستراتيجية ، فلاشىء يمكن له أن يؤدى إلى التأثير نفسيا ، والإيحاء باليأس

---

(١) انظر مابعد الحرب الباردة (٢٨) .
وانظر مجلة كلية الملك خالد العسكرية العدد (٥٥/٢٨) .
(٢) انظر مابعد الحرب الباردة (٢٧) .
وكان ذلك بتاريخ ٢٤ حزيران/يونيو ١٩٤٨م .
(٣) Philip windwor, cc city on leave : History of Berlin (1945-1962)
(Chatto and windas, 1963) p.98 .
نقلا من كتاب من الحرب الباردة حتى الوفاق (٤٨)
وانظر عن الحصار التيارات السياسية المعاصرة (٤٥٩) .
وانظـر : الثنـائية الـدولية (٣٣٠) ، العـالم فى القـرن العشرين (٢٦٧) ، التـاريخ الدبلوماسى (١٨٧) ، تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٤٨) .
(٤) انظر فن الحرب (٣٢٨) .

لجميع قوات المقاومة الألمانية من سقوط برلين نفسها ... ولهذا فإنى أرى من الناحية السياسية أن علينا أن نسرع بالزحف شرقا فى المانيا بأقصى مالدينا من سرعة ، وأنه إذا وقعت برلين فى قبضتنا ، فإن علينا أن نستولى عليها ، ويبدو لى أن هذا القول سليم أيضا من الناحية العسكرية ...)(١).

وقال فى رسالة أخرى (إننى أرى من الأهمية بمكان عظيم ، أن نلتقى بالروس فى أبعد نقطة إلى الشرق ، ماأمكننا إلى ذلك سبيلا ...)(٢).

ونعود إلى الحصار فقد زاد الروس من قبضتهم وتضييقهم على المناطق الغربية ، وكانت القوات الروسية المتواجدة هناك تؤهلهم لذلك وكان أمام الغرب ثلاثة خيارات (إذ كان بوسعهم إرسال قوافل عسكرية على الطرق الرئيسية إلى برلين الغربية واختراق الحصار ، أو أن يستسلموا ويخرجوا قواتهم من المدينة ويسلموا برلين كلها للإدارة السوفييتية ، أو أن يتسلقوا من فوق الحصار بالمعنى الحرفى . وفكر الأمريكيون جديا فى الخيار الأول لكنهم تخلوا عنه لأنه ربما أدى إلى درجة عالية جدا من المخاطرة بخوض حرب . ولم يكن هناك سوى ٦ آلاف جندى غربى فى برلين مقابل ١٨ ألف جندى روسى داخل المدينة وعدة فرق فى مناطق مجاورة لها . ومع أن الولايات المتحدة كانت تتمتع باحتكار السلاح النووى فى ذلك الوقت إلا أن قواتها التقليدية كانت ضعيفة كما كانت قوات حلفائها فى أوروبا ولذلك لم يستطع الغرب المغامرة بإثارة حرب تقليدية كانوا سيخسرونها حتما فى المراحل الأولى على الأقل . أما الخيار الثانى فلم يفكر به أحد جديا لأنه إذا انسحب الغرب من برلين فإن مصداقيتهم فى العالم سوف تضعف بشكل مروع ولن يتوقع بعدها من الأنظمة المعادية للشيوعية فى العالم أن تصدق تأكيدات الأمريكيين بالمساعدة ضد العدوان الشيوعى ، ولذلك تم اللجوء إلى الخيار

(١) المذكرات (١٠٣٥/٢-١٠٣٦) .
(٢) المرجع السابق (١٠٣٧/٢) .

الثالث فتقرر أن يقوم الحلفاء الغربيون بتزويد برلين الغربية من الجو)[١].

وبالفعل بدأت الحركة الجوية إلى غرب برلين فـ(أقلعت الطائرات الأمريكية والبريطانية إلى الجو وكانت تحط فى برلين طائرة شحن من طراز (سى-٢٧) تحمل الطعام ، والفحم والضروريات الأخرى ، كل ثلاث دقائق بلاتوقف . وفى طريق عودتهم كان الطيارون ينقلون المرضى والأطفال الذين يعانون من سوء التغدية إلى حيث الأمان فى مستشفيات الغرب . وردد الطيارون قولا مأثورا نصفه شعار ، والنصف الآخر من قبيل الفكاهة : "نحن نؤدى الأمر الصعب على الفور . أما المستحيل فهو يستغرق وقتا أكثر قليلا)[٢].

وقد فشل الحصار فعلا بسبب الانتصار الذى حققه الجسر الجوى[٣].

وبعد هذا العرض المقتضب لهذه الأزمة نأتى لذكر أهم آثارها .

آثار أزمة برلين :

خلفت هذه الأزمة آثارا كثيرة على المستوى الداخلى للشعب الألمانى وكذلك على مستوى العلاقات الدولية ، وخاصة فيما بين الطرفين اللذين برزا كقوتين عظميين بعد الحرب العالمية الثانية ، ويمكن ابراز آثار تلك الأزمة فى التالى :

أولا : بدأت معاناة الشعب الألمانى منذ الحاق الهزيمة بجيشه ، ثم دخول قوات الحلفاء إلى أرضه ، وبالتالى اقتسام الأراضى الألمانية ، وفاقم من هذه المعاناة الحصار الذى ضرب على برلين من قبل السوفييت ، فعاش الشعب الألمانى ويلات الحرب ثم تجرع غضب الحلفاء ، إلى أن أصبح منقسما بين اتجاهين متصارعين ليدفع الشعب الألمانى ثمن هذا الصراع .

---

(١) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٤٩-٥٠) ، وانظر التاريخ الدبلوماسى (١٨٧) .

(٢) تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٤٨) ، وانظر : مابعد الحرب الباردة (٢٩) ، مجلة كلية الملك خالد العسكرية (٥٥/٢٨) .

(٣) انظر مذكرات مونتغمرى (٥٤٧) .

ثانيا : أدى الحصار إلى استنزاف كبير للحلفاء الغربيين ، وذلك لوجود الحامية الغربية مضافا إليها السكان الموجودين فى برلين الغربية . هذا مع الأخذ فى الاعتبار تلك التكاليف المدفوعة قبل الحصار لوجود الحاميات التابعة لكل دولة .

ثالثا : فشل القوات الروسية فى الحصول على مطالبها من الدول الغربية وذلك من جهة عدم التأثير بالحصار حيث (اضطر ستالين إلى فك الحصار بعد مرور ٢٣١ يوما و٢٦٤ و٢٧٧ طلعة جوية)(١).

رابعا : (لقد برهنت الولايات المتحدة للأوربيين الغربيين أنه باستطاعتها أن تقف بجانبهم إذا ماتأزمت الأمور ولم يجن الاتحاد السوفييتى إلا أقل القليل ، إذ لم تكن لديه القدرة على إفشال وحدة ألمانيا ، وخرجت إلى الوجود جمهورية ألمانيا الاتحادية فى ٢٣ مايو ١٩٤٩ ، واتخذت مدينة بون عاصمة لها ، ورد الاتحاد السوفييتى على ذلك فى شهر أكتوبر التالى بانشاء جمهورية ألمانيا الديمقراطية فى ألمانيا الشرقية)(٢).

وأصبحت المانيا مقسومة إلى جزئين الغربى وتمثله ألمانيا الاتحادية وشرقى وتمثله ألمانيا الديمقراطية ، وأقيم جدار برلين الذى كرس الانقسام وحرم السكان من التنقل ، مع أن ذلك يتعارض مع ماجاء فى مؤتمر بوتسدام القائل بحرية التنقل(٣).

---

(١) تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٤٨-٤٩) .

(٢) تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٤٩) ، وانظر : من الحرب الباردة حتى الوفاق (٥٢-٥٣) ، الثنائية الدولية (٣٣٠) ، العالم فى القرن العشرين (٢٦٨) .

(٣) انظر الثنائية الدولية (٣٣٠-٣٣١) .
وانظر من الحرب الباردة حتى الوفاق (٥٣) وذكر أن كلا من الطرفين رفض الاعتراف بالحكومة التى توالى ذلك الطرف .
وانظر : العالم فى القرن العشرين (٢٥٣-٢٥٤) ، موجز تاريخ الولايات المتحدة (٥٥٧) .

خامسا : زاد شعور العداء والمناهضة للسوفييت فى كافة أرجاء أوروبا الغربية ، وأصبحت مطالبها تقابل بالرفض[١] كما نجم عن ذلك الحصار (استمالة الغرب للرأى العام الألمانى وشحذه ضد الروس)[٢].

سادسا : أزال الحصار أية أوهام من عقول حكومات الدول الغربية حول الاتفاق مع الاتحاد السوفييتى بشأن المانيا[٣].

سابعا : أظهرت هذه الأزمة أهمية السلاح النووى فى التصدى للسوفييت وجعلت الولايات المتحدة الأمريكية تسير فى اتجاه مضاد لخفض الميزانية الدفاعية بعد الحرب[٤].

ثامنا : لقد كانت هذه الأزمة من أوائل الأزمات التى أشعلت الحرب الباردة بين الطرفين ، كما أنها جرت لأحداث تلتها ، وبدأ كل طرف يترقب الفرصة السانحة من أجل استنزاف طاقات العدو ، وكذلك إيقاع الرعب فى صفوفه ، حتى غدا مصطلح الحرب الباردة يردد على ألسنة السياسيين والكتاب . يقول دروزيل : (ووجد العالم آنذاك فى حالة سماها الكتاب والخطباء والسياسيون فى العالم أجمع (الحرب الباردة) وسخن وقع الخطب داخل الأمم المتحدة وخارجها . وتردد علنا امكان حرب عالمية جديدة...)[٥].

---

(١) انظر : موجز تاريخ الولايات المتحدة (٥٥٧) ، من الحرب الباردة حتى الوفاق (٥١) .

(٢) مجلة كلية الملك خالد العسكرية ، العدد (٥٥/٢٨) بقلم على المليجى على ، ماذا بعد هدم جدار برلين ، لقد كان الفرد فى المانيا الشرقية يريد النفاذ بأى طريق إلى المانيا الغربية وماأن تنفس الشعب الصعداء فى المانيا الشرقية حتى أخذ يتدفق أفواجا وبهجرات جماعية إلى ألمانيا الغربية التى كانت تمنحهم جوازات سفر المانية غربية لكونها ترى نفسها مسئولة عن الشعب الألمانى بأكمله .
انظر غورباتشوف ونهج التحول الكبير (٢٥٦-٢٥٧) .

(٣) انظر من الحرب الباردة حتى الوفاق (٥١) .

(٤) انظر المرجع السابق (٥١) .

(٥) التاريخ الدبلوماسى (١٨٨) .

وهكـذا غـدت أزمة برلين مـزيدة فى حدة التـوتر والخلاف بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة .

وبقـى انشطـار المانيـا إلى دولتين يثير القلـق والخوف لـدى كـل مـن الـدولتين الكبريين ، وتترقـب كل واحدة منهما تحركـات وتوجهـات الدولة الأخرى داخل الحدود التى تسيطر عليها أو تسير فى فلكهـا . ولقد أدت هذه الأزمة إلى إقامة الحلف الذى انضمت إليه الولايات المتحدة الأمريكية وضم مجمـوعة من الدول ، ثم بعد فترة مـن الزمن أعقبه الاتحاد السـوفييتى بإقامة حلـف ضم مجموعة من الدول التابعة له أو الواقعة تحت سيطـرته ، وكانت هذه الأحلاف زيادة فى تعميق الهوة وفقدان الثقة والترصد للعدو .

لقد أدت سياسة ستالين تجاه المانيا (إلى تسارع التحالف بين دول غرب أوروبا وتكوين التحالف العسكرى الغربى (NATO))[١].

---

(١) العالم فى القرن العشرين (٢٦٨) .

ثانيا : التحالف

إن التحالف بادىء ذى بدء يقصد منه الحفاظ على توازن القوى ، وعدم تمكين العدو من التفوق ، واستدراك الضعف أو الاخفاق الذى قد يظهر على أحد الأطراف ، ولعل هذا بديلا عن الإنصياع لأوامر العدو أو المطالبة بالسلام ، ومن هنا يعقد التحالف حتى تكون تلك الكثرة مقابل ذلك العدو ، ولاشك أن هذا التحالف يشكل إرهاقا نفسيا للعدو . ومن هنا اعتبرنا التحالف أحد الأساليب التى عملت الدول الكبرى على إيجادها والانضمام إليها ، ارهابا للعدو ، وكسبا كذلك لأكبر عدد من الدول ، وضمان عدم قيام تلك الدول بمعاداتها والاستفادة بما لديها من قدرات متنوعة .

وسياسة التحالف ليست بالسياسة الجديدة بل عرفت منذ القدم بين الدول وكان الهدف منها الوقوف فى مواجهة الأعداء(١)، وقد يكون التحالف على احقاق الحق وابعاد الظلم ومن ذلك حلف الفضول الذى أقامته قريش(٢)وهكذا عرف التاريخ الإنسانى تلك الأحلاف وكلما ازداد الخلاف كانت الحاجة ماسة للتحالف ، وهذا ماعرفه العصر الحديث حيث كثرت الأيديولوجيات ، وزاد التصارع والتسابق على ضروريات الحياة فكان لابد والحال هذه من وجود التحالف .

---

(١) انظر بعضا من هذه الأحلاف فى كتاب التاريخ العسكرى (٣٦٢-٣٨٧) .

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام (١٤١/١) ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها ، وذكر أن قبائل من قريش وهى بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وأسد بن عبد العزى ، وزهرة بن كلاب ، وتيم بن مرة "تعاقدوا وتعاهدوا على أن لايجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول" .

وعندما كانت أوروبا مسرحا للنزاعات المستمرة فقد عرفت هذه القارة أنواعا عديدة بين أطرافها من التحالفات ، فعندما كانت المانيا تحاول السيطرة على أوروبا عقدت بعض الدول تحالفات فيما بينها وكانت فى غالبها ضد المانيا كما هو حال المعاهدة السوفيتية الفرنسية عام ١٩٤٤ ، والمعاهدة الفرنسية الانجليزية فى ٤ آذار ١٩٤٧[١]وغيرها[٢]. وبعد الخلاف الذى وقع بين الغربيين والاتحاد السوفييتى بدأت الأحلاف فى ازدياد فيما بين الدول الغربية[٣]، وكان من أشهر الاتفاقيات وأكبرها التوقيع على معاهدة حلف الأطلسى الذى ضم الولايات المتحدة ومجموعة من الدول التى كانت تسير فى وجهتها ، وقد كان هناك ارهاصات سبقت الإعلان عن هذا الميثاق وكان أهمها وجود القوة السوفيتية التى أخذت فى تهديد الأمن الأوربى بكامله[٤]، فكان لابد من الوحدة والانضمام تحت لواء واحد لمقاومة المد الشيوعى .

وفى ١١ يونيو سنة ١٩٤٨ صوت مجلس الشيوخ الأمريكى عل قرار (يخول الحكومة الاشتراك فى الأحلاف الجماعية الإقليمية ، ويخولها بصفة خاصة فتح باب المفاوضات لانشاء حلف الأطلنطى . وبعد ذلك بيومين بدأت فى واشنطون مباحثات بين وزارة الخارجية الأمريكية وسفراء دول الاتحاد الغربى الخمسة (بريطانيا - فرنسا - بلجيكا - هولندا - لكسمبورج) فضلا عن سفير كندا وانتهت بوضع المعاهدة فى مارس سنة ١٩٤٩ وأعلنت فى ١٨ مارس

---

(١) انظر التاريخ الدبلوماسى (٢٠٩) .
وانظر التنظيم الدولى (٢٧٥) ، ، د. الشافعى محمد بشير ، مكتبة الجلاء الجديدة ، المنصورة ، ذو الحجة ١٤١٠هـ/اكتوبر ١٩٨٠م دون ذكر لرقم الطبعة .

(٢) انظر الحلف الأطلسى والشرق الأوسط (٨) ، واعتبر أن اعلان ميثاق الأطلسى نشأ عن المعاهدة الانجليزية الفرنسية ١٩٤٧ ، ومعاهدة بروكسل سنة ١٩٤٨ .

(٣) انظر التاريخ الدبلوماسى (٢٠٩-٢١٠) .

(٤) انظر ماذكره دروزيل - بشأن الأفكار والدعوات التى سبقت إعلان ميثاق الأطلسى وألمح فيها إلى تخوف الغربيين من الخطر السوفييتى - فى كتابه التاريخ الدبلوماسى (٢١٠-٢١٢) . ويذكر ميشال خوبير بأن الأوربيين الخائفين كانوا يسترعون انتباه الولايات المتحدة إلى هذا الحلف . الأمريكيون (٧٩) .

قبـل التـوقيع عليهـا ، ثم أجريت احتفـالات التـوقيع الـرسمية فى ٤ ابريل ودخلت المعاهدة دور التنفيذ فى ٢٤ أغسطـس ١٩٤٩)[١]. وكان هذا التحالف (أول تحالـف فى التاريخ يقـوم وقت السلم . وعين الجنزال أيزنهـاور ، قـائد القوات الأمريكية فى أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية ، قائدا عاما لقوات المنظمة)[٢].

(وكانت أول خطوة اتخذها الحلفاء لتنظيم الدفاع ضد الشيوعية ...)[٣].

وقـال ممثـل الحكومة الفرنسيـة : (لقد حصلنا اليـوم على مـاكنا نأمله عبثـا فى فترة مـابين الحربين : وهـو اعتراف الـولايات المتحـدة بأن لاسلام ولاأمن لأمريكا إذا كانت أوروبا فى خطر)[٤].

حلف شمال الأطلنطى (NATO) :

كـان هنـاك عـدة عوامل أدت إلى قيـام حلـف الناتو وأبرزهـا مجابهـة السـوفييت والوقوف ضد أطماعه فى أوروبا الغربية بعـد أن أصبحت أوروبا الشرقية تحت قبضته .

يقـول د. الشـافعى : (ترجع العـوامل المباشرة لإنشـاء هـذا الحلف إلى عدة تصرفات للاتحاد السوفييتى أفصحـت عن نواياه العـدوانية فى نظر الغرب ومن هذه التصرفات إبرامه العديد من اتفاقيات المساعـدات المتبادلة مع دول أوروبا الشـرقية وسيطـرته على تشيكـوسلوفاكيا وإغلاق برلين الـذى بدأ فى شهر ابريل ١٩٤٨ ليزداد إحكاما فى شهر يونيو من نفس العام...)[٥].

---

(١) التنظيم الدولى (٢٧٧) .
وانظر موجز تاريخ الولايات المتحدة (٥٩٣) .

(٢) تاريخ الـولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٤٩) ، وانظـر من الحرب البـاردة حتى الوفاق (٣٩) .

(٣) التيارات السياسية المعاصرة (٤٥٩) .

(٤) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٣٩) .

(٥) التنظيم الدولى (٢٧٦) .

ويقـول اللواء على فهمى حامـد : (نشأ الحلف بين دول غـرب أوروبا ودول أمـريكا الشمالية بعد نهاية الحرب العالمية الثـانية ، حيث كانت معظم دول الحلـف فى أوضـاع سياسيـة وعسكرية وإقتصادية سيئـة ، بينمـا اجتاح الغزو السوفييتى دول شرق أوروبا سياسيا وعسكريا ، وأصبـح من المؤكد أن معظم دول أوروبا ستقع لامحالة تحت السيطرة السوفيتية . ولمنـع هذا الاعتقاد وايقاف التيار السوفييتى ظهرت ضرورة انشاء هذا الحلف)(١).

(لقـد أنشىء هذا الحلف مـن أجل تحقيق الأمن الجمـاعى الذى فشلت الأمـم المتحدة فى توفيره ، كما أنه كان بمثابة اعتراف بوجود تهـديد سوفييتى حقيقـى لأمـن أوربا بصفة عـامة وللـديمقراطية الغربيـة بصفـة خاصـة . فهذا الحلـف جاء كنتيجـة مبـاشرة للحـرب البـاردة ولمواجهـة الحاجة إلى احتـواء التـوسع السـوفييتى الهـدام . فضلا عـن أنه كـان لـه تأثير هـام على حدثين تاريخيين هـامين همـا : أولا بلـورة فكـرة وجود أوروبا كـوحدة سيـاسية وإقتصادية وثقافية ، وثانيا المشاركة الدائمة للولايات المتحـدة كقوة دولية فى الشئون السياسية لأوروبا التى تسبقها تاريخيا كقوة دولية)(٢).

والدول الأعضاء فى هذا الحلف هى بلجيكا ، كندا ، الدانمرك ، فرنسا المانيـا الاتحادية ، اليـونان ، ايسلنـدا ، ايطـاليا ، لـوكسمبورج ، هـولندا ، النرويج ، البرتغـال ، تركيا ، المملكـة المتحدة ، الولايات المتحـدة . ويطلق على هذا الحلف **الناتو (NATO)** .

وهى اختصار للكلمات :

North Atlantic Treaty Organization(٣).

---

(١) مجلة الـدفاع (السعودية) العـدد (١٤/٦٦) ، السنـة الخامسـة والعشـرون ، رجب ١٤٠٧هـ/مارس ١٩٨٧ من مقال بعنوان أضواء على حلف الأطلنطى .

(٢) نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأمريكية (١٧٢-١٧٣) .

(٣) انظر : مجلة الدفاع السعودية ، العدد (١٤/٦٦) ، التنظيم الـدولى (٢٧٧) ، الحلف الأطلسـى والشـرق الأوسـط (٨) ، التيـارات السيـاسية المعـاصرة (٤٥٩-٤٦٠) .

ويبين دروزيل فقرات المعاهدة ومما جاء عنه : (تصر المقدمة على رغبة المتعاقدين فى السلام ، وتصميمهم على حماية النظام الديمقراطى ، من النموذج الغربى ، بالقوة ، وعلى حكم الحق . ولم تلمح المعاهدة إلا تلميحا سريعا (المادة ٢) إلى ضرورة تحسين الرخاء بتعاون متبادل . والشىء الأساسى فيها هو البنود العسكرية ، ويجب أن يميز التهديد والعدوان . ففى حالة "التهديد" (مادة ٤) ، تتشاور الأطراف . ويكفى ، لتعريف "التهديد" ، أن يصرح أحدها أنه موجود .

وفى حالة "عدوان" فى أوروبا ، فى أمريكا الشمالية ، فى الجزائر ، ضد إحدى جزر الأطلسى فى شمال مدار السرطان ، ضد سفينة أو جهاز طيران تابع إلى أحد المتعاقدين ، لاتكون المعونة العسكرية آلية تماما . وإذا حدث حادث من هذا القبيل ، فكل طرف ، فى حالة دفاع مشروع ، طبقا للمادة ٥١ من شرعة الأمم المتحدة ، يقوم "حالا بمفرده وباتفاق مع الأطراف الأخرى ، بالعمل الذى يراه ضروريا ، بما فى ذلك استعمال القوة المسلحة لتوطيد القوة وتأمين السلام فى منطقة شمال الأطلسى" (المادتين ٤و٥) . وهكذا يبقى كل طرف حر فى تقرير ماإذا كانت معونته عسكرية أى يقوم بالحرب .

والمادتان ٨،٧ تنصان على أنه لايوجد عدم تلاؤم بين ميثاق الأطلسى من جهة ، وشرعة الأمم المتحدة وكل تعهد سابق لأحد الحلفاء من جهة أخرى . وسينشأ مجلس قادر على الانعقاد سريعا ، وهيئات عون ومن بينها (لجنة دفاع) (المادة ٩) .

ولتدخل دولة أخرى فى هذا الميثاق يجب اتفاق المتعاقدين بالاجماع (المادة ١٠) . وتودع وسائل التصديق لدى حكومة الولايات المتحدة . وليوضع الميثاق موضع التنفيذ يجب تصديق أكثرية الموقعين بما فيهم الدول السبع الأولى المفاوضة . وبعد عشرة أعوام على الأقل يمكن إعادة النظر فيه (المادة ١٢) . وبعد عشرين عاما يمكن لأحد الأطراف أن ينهيه ، فيما يختص

به ، بعد عام على ابداء رغبته)[١].

وكانت الولايات المتحدة هي المتزعم لهذا الحلف وألقى على عاتقها أكبر جزء من تحملاته الإقتصادية والعسكرية ، وكان العدو الذى تجمع هؤلاء لمجابهته هو الاتحاد السوفييتى ، وكان هذا يدعم ويؤيد سياسة الاحتواء التى عملت بها الولايات المتحدة . وتقوم هذه السياسة على التدخل فى القرارات الإقليمية السياسية التى يمكن أن تؤثر فى دعم السوفييت ، وأدت هذه السياسة إلى تأجيج الحرب الباردة ، والانخراط فى سباق التسلح المحموم الذى عانت منه كلا الدولتين ، وبلغت سياسة الاحتواء كل دول العالم تقريبا[٢].

---

(١) التاريخ الدبلوماسى (٢١٢-٢١٣) .
وانظر : موجز تاريخ الولايات المتحدة (٥٦٠) ، التيارات السياسية المعاصرة (٤٦٠) وعن التخلى عن هذه المعاهدة بعد عشرين عاما انظر التنظيم الدولى (٢٧٧) .
ويقول اللواء على فهمى : (وتؤكد الدول أعضاء الحلف ثقتهم وإيمانهم بمبادىء وأهداف الأمم المتحدة ورغبتهم فى العيش فى سلام مع باقى الشعوب والحكومات وتصميم جميع دول الحلف على حماية الحرية والتقدم على أسس من الديمقراطية واحترام القانون الدولى .
ويحث الأعضاء جميع دول المنطقة على تنمية الاستقرار والسلام فى منطقة شمال الأطلنطى وصمموا على توحيد جهودهم وتوصياتهم للدفاع الجماعى) . مجلة الدفاع السعودية العدد (١٤/٦٦) .
وقد تم ادخال دولتين بناء على ماأقر فى الميثاق وهما اليونان وتركيا .
انظر : التاريخ الدبلوماسى (٢١٩) ، تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٤٩) ، التنظيم الدولى (٢٧٧) .
ولمزيد من المعلومات عن الحلف وتنظيماته وهيئاته انظر التاريخ الدبلوماسى (٢١٥-٢١٩) ، وانظر التنظيم الدولى (٢٨٣) ومابعدها .

(٢) ولمزيد عن هذه السياسة انظر : العالم فى القرن العشرين (٢٧٠-٢٧٣) ، تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٤٩) مختصرا .
وعن وصول هذه السياسة إلى الشرق الاوسط انظر الحلف الأطلسى والشرق الأوسط (٨) ، مروان بحيرى ، الطبعة الأولى ١٩٨٢م ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، لبنان .

ومن هنا توسعت الالتزامات الأمريكية بشكل كبير[١].

بعض الأهداف التى حققها الحلف :

يذكر بروستروك دينى بعض الأهداف التى حققها الحلف فيقول : (لقد استطاعت منظمة حلف شمال الأطلنطى ومارتبط بها من مؤسسات للتعاون الأوروبى تحقيق الأهداف التالية : احتواء الاتحاد السوفييتى وتحقيق الأمن الجماعى للديمقراطيات الغربية ، وتدعيم التعاون الإقتصادى والثقافى الأوروبى وإلى حد ما التعاون السياسى الأوروبى ، والمشاركة الدائمة من جانب الولايات المتحدة فى الشئون الأوربية . لقد نجحت مؤسسات التعاون بالرغم من الضغوط الشديدة والتعقيدات الناجمة عن عدد الدول المشاركة واختلاف مصالحها . لقد نجحت منظمة حلف شمال الأطلنطى فى تنسيق المصالح الأمنية للغرب لأول مرة فى هذا القرن . وقد ساعد الردع المترتب على الأمن الجماعى فى المحافظة على السلم لأكثر من ثلاثين عاما)[٢].

لقد قام هذا الحلف ونظم على أساس يستطيع معه الوقوف فى وجه التوسع السوفييتى ، حتى لاتكون أوروبا الغربية لقمة سهلة للاتحاد السوفييتى وهى فى حال فرقتها وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن حلف شمال الأطلنطى قام كردة فعل على :

(أ) توسع الاتحاد السوفييتى وضم دول أوروبا الشرقية إليه .

(ب) كثرة المعاهدات التى أبرمها مع تلك الدول .

(ج) سيطرة الأحزاب الشيوعية فى كثير من دول أوروبا الشرقية وامساكها بزمام الأمور .

---

(١) انظر : موجز تاريخ الولايات المتحدة (٥٦٠-٥٦١) ، (٥٩٣-٥٩٤) ، العالم فى القرن العشرين (٢٧٠) .

(٢) نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأمريكية (١٧٣) ، وانظر : مجلة الدفاع السعودية العدد (١٦/٦٦) وانظر مابعدها ، التنظيم الدولى (٢٧٩) ومابعدها .

(د) حصـــار برلين ويعتبر الحدث الــذى كشــف عـن النـوايا الســوفيتية العدوانية الموجهة ضد الغرب .

ولكن هل وقف الاتحاد السوفييتى موقف المتفرج من هذا الحدث الذى جمع القوى الغربية؟

هذا ماسنعرض له الآن .

رد الفعل السوفييتى :

عنـدما قـامت أمريكا والدول الحليفـة لها بالتوقيـع على هـذه المعاهدة اعتبر الاتحاد الســوفييتى أنه المقصـود مـن وراء هذا التحـالف ، وأخذ يفسـر ماجاء فى نص الميثاق على هذا الأساس ، واعتبر أن هـذا الميثاق يتعارض مع نصوص هيئة الأمم المتحدة ، كما أنه يتعارض مع المعاهدات التى تم توقيعها بين الاتحاد السوفييتى وبعض دول ذلك الحلف من قبل .

ومن هنا قام السوفييت بالاحتجاج والمعارضة لهذا المشروع .

(وظهـرت هذه المعارضة مبـاشرة وغير مباشرة . بالـراديو والصحـافة . فقـد صرحت إذاعة روسية فى ٩ شبـاط باللغة الفرنسية ، تقـول : "إن فرنسا بالنظـر إلى إشتراكها فى الكتلة الأطلسية ... ترى نفسهـا مضطرة لرصد نفقات عسكـرية جسيمـة تثقل كاهل مـوازنة المكلف الفرنسى الضئيلـة . إن ميثـاق شمال ـ الأطلسى ضرب الضربة الأخيرة استقلال فرنسـا المعرض للخطر جدا إن فـرنسا بإشتراكها فى هذا الميثـاق تدوس بأقدامها ميثـاق الصـداقة والمعونة المبرم بين فرنسا والاتحاد السوفييتى) .

ومـن جهة أخرى قامت المنظمـات الشيوعية بحملات "لصـالح السلام" موجهة فى الواقع ضد الميثاق .

وفى آخر آذار قدم السوفيات للغربيين مذكرة احتجاج يتلخص ختامها بخمس نقاط :

(١) ميثاق الأطلسى عدوانى محض وموجه ضد الاتحاد السوفيتى .

(٢) الميثاق يتناقض تناقضا واضحا مع شرعة الأمم المتحدة .

(٣) الميثاق يتناقض مع معاهدة العون والصداقة لعام ١٩٤٢ بين بريطانيا العظمى وروسيا .
(٤) الميثاق يتناقض أيضا مع معاهدة العون والصداقة لعام ١٩٤٢ بين فرنسا والاتحاد السوفييتى .
(٥) الميثاق يتناقض مع جميع الاتفاقات والمعاهدات الموقعة بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة وبريطانيا العظمى فى يالطا وبوتسدام وغيرها)[1].

حلف وارسو :

قام الاتحاد السوفييتى فى السنوات اللاحقة من قيام حلف شمال الأطلسى بتجميع الكتلة الإشتراكية فى حلف قائم على وحدة المذهب فى مفهومه العام . وعرفت هذه المعاهدة بمعاهدة وارسو والتى وقعت فى ١٤ مايو ١٩٥٥ و(أشارت ديباجة هذه المعاهدة صراحة إلى أنها رد فعل للحلف العسكرى المتمثل فى اتحاد أوروبا الغربية الذى ضم ألمانيا الغربية وكذا لحلف الأطلنطى الذى ضم هذه الدولة أيضا التى يعاد تسليحها ...)[2].

ولكن لماذا تأخرت المعاهدة لهذه السنوات بعد الإعلان عن قيام حلف شمال الأطلسى من قبل؟

فى اعتقادى أن هناك عدة أسباب ساعدت على هذا التأخر من أهمها :

أولا : أن المنظومة الإشتراكية التى وقعت المعاهدة فيما بعد كانت تسير فى فلك الاتحاد السوفييتى .

ثانيا : أن سيطرة الاتحاد السوفييتى على دول أوروبا الشرقية سواء السياسية أو الإقتصادية قد جعلت هذه الدول تظهر وكما لو كانت فى جبهة واحدة تسيرها جهة واحدة .

---

(١) التاريخ الدبلوماسى (٢١٤) ، وانظر ستالين (٢١٦-٢١٨) .
(٢) التنظيم الدولى (٣٩٣-٣٩٤) .

ومما يؤيد ذلك أن من الدوافع لقيام حلف شمال الأطلسى توسع الاتحاد السوفييتى وسيطرته على بلدان أوروبا الشرقية .

ثالثا : كثرة المعاهدات التى كانت موقعة بين الاتحاد السوفييتى وتلك الدول والتى كانت تربط تلك الدول ربطا مباشرا بالاتحاد السوفييتى .

فقام حلف وارسو كردة فعل على توحد الدول الغربية تحت منظومة دفاعية ، ووجود بعض الأحداث والأزمات فى ذلك الوقت منها الحرب الكورية ، وأحداث الصين ، ويضم (ثمانية بلاد الاتحاد السوفييتى ، بولونيا ، تشيكوسلوفاكيا ، المانيا الشرقية ، رومانيا ، بلغاريا ، البانيا ، هونغاريا)[١].

وتقوم هذه المعاهدة (الحلف) على حق الدفاع المشترك بين الدول ضد الاعتداء عليها ، وتنمية العلاقات الإقتصادية والثقافية فيما بينها ، ثم إن الدفاع الذى يقدمه الحلف للدول ليس فقط ضد العدو الخارجى بل كذلك ضد الحركات الداخلية التى تناوىء (الحكم الإشتراكى) وهذا ماذهب إليه الاتحاد السوفييتى[٢].

ويظهر جليا أن الحلف يقوم على وحدة أيديولوجية هى الإشتراكية التى يتزعمها الاتحاد السوفييتى ، وقد طبق الاتحاد السوفييتى ماأعلنه الحلف من أنه دفاع حتى ضد الجبهات الداخلية المعارضة للشيوعية فتدخل فى المجر سنة ١٩٥٦م ، وفى تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦٨م .

وقد جعل الحلف إمكانية العضوية مفتوحة لكل الدول الأوربية أيا كان نظامها السياسى والإجتماعى ، بشرط موافقة الدول الأعضاء موافقة جماعية ، غير أن العضوية كانت مفتوحة من الناحية النظرية أما الناحية العملية فمقصورة على دول أوروبا الشرقية[٣].

---

(١) التاريخ الدبلوماسى (٣٢٦) ، وانظر التنظيم الدولى (٣٩١) .
(٢) انظر التنظيم الدولى (٣٩٦-٣٩٧) .
(٣) انظر المرجع السابق (٣٩٥) .

آثار قيام التحالفات :

شكلت التحالفات التى قامت بين دول أوروبا بشقيها آثارا على مجريات الأحداث الدولية بعموم سواء كانت آثارا وقتية أم آثارا مستقبلية ، ويمكن إبراز أهم هذه الآثار فى التالى :

أولا : زادت هذه الأحلاف من حدة التوتر بين الدولتين الكبريين كما زادت من نطاق الحرب الباردة بينهما .

ثانيا : أدت هذه الأحلاف إلى التأثير على إقتصاد البلدين حيث كانت كل من الدولتين تعمل جاهدة على تغطية نفقات دول الحلف الخاصة به وتأمين القدرات الدفاعية لنفسها ولحليفاتها .

ثالثا : حرص كل حلف على الاستزادة من الأسلحة المتطورة ، ونشرها وخاصة حلف الناتو مما ساعد على إبراز أسلوب آخر من أساليب وأنواع الحرب الباردة وهو سباق التسلح والذى أدى إلى استنزاف القدرات والموارد وخاصة من قبل السوفييت ، مماجعل هذه الحرب أثرا قويا فى إنهيار الإقتصاد الشيوعى وبالتالى إنهيار الشيوعية ككل .

رابعا : حققت هذه التحالفات شيئا من التوازن والردع فيما بين الطرفين مضافا إلى احتدام الصراع بينهما . يقول مراد الدسوقى : (مثلت الأحلاف العسكرية التعبير المؤسس الرئيسى لظاهرة الصراع الدولى ، كما مثلت الأداة الرئيسية فى إدارة الصراع وحفظ التوازن والردع)[1].

(١) السياسة الدولية ، العدد (١٥٥/١٠٩) يوليو ١٩٩٢ السنة الثامنة والعشرون . وانظر التنظيم الدولى (١٤-١٦) وذكر أن كلا من الدولتين تحاول جاهدة فى تحقيق التوازن والحفاظ على أمنه وسلامته مع دول الحلف وقال : (وهكذا تعمل كل كتلة من الدول على المحافظة على توازن القوى مع الكتلة الأخرى حتى لاتؤخذ على غرة وتكون ضحية العدوان مثلما حدث فى الحرب العالمية الثانية) (١٦) .

على أن الخلاف بين الدولتين لم يكن مقصورا على الـدول الأوربية بل تشعبـت الأحداث وأخذت الحرب البـاردة فى سرعة الانتشـار حتى ماأصبحت دول العالم بكاملها تقريبا تسير فى فلك هذه الحرب وذلـك عن طريق القوتين الكبريين ومن تلك الدول التى اتجهت إليها الحرب البـاردة شرقا دولة الصين وكـانت أحداثهـا واحدة مـن أبرز الأزمـات التى شهـدتهـا السـاحة الـدولية حينذاك .

ثالثا : أحداث الصين اتجاه الحرب الباردة شرقا

كانت الصين تمثل منطقة مهمة بالنسبة للولايات المتحدة وذلك لما تتمتع به الصين من ثقافة وحضارة ، مضافا إلى ذلك مايمكن أن تحققه الولايات المتحدة من مكاسب إقتصادية فيها ، ومن هنا حرصت عليها وعلى استقرارها ولكن الأحداث التى وقعت فيها بعد ذلك واستيلاء الشيوعيين عليها وتحكمهم فى السلطة بها زاد من العداء بين القطبين ، ووسع من دائرة الحرب الباردة وأخرجها عن أوروبا الغربية .

ويبين كولن وبيتر أهمية الصين لأمريكا فيقولان :

(كانت الصين قطرا ذا طابع خاص بالنسبة لأمريكا . فقد كانت ذات ثقافة وحضارة عظيمة وكميات ضخمة من الطعام وجاذبية عظيمة . وحاولت أمريكا ولأسباب تتعلق بمصالحها الإقتصادية ، والحق يقال ، أن تحول دون تفتيت الصين إلى مناطق نفوذ أوروبية عند نهاية القرن التاسع عشر . كما أرسلت الولايات المتحدة مبشرين إلى الصين ... وساعدت أمريكا الصينيين وبالمقابل أحب الصينيون الأمريكيين ...)[(١)].

وقد تعرضت الصين لعدة حروب أرهقتها وأضعفتها وكان آخرها غزو اليابان لها .

واستطاع مجموعة من الصينيين بما فيهم (ماوتسى تونغ) تأسيس الحزب الشيوعى فى سنة ١٩٢١م ، واستفاد أولئك من الثورة الشيوعية فى الاتحاد السوفييتى وبناء على نصيحة ستالين فقد اتحد الحزب الشيوعى الصينى مع حزب الكومنتانغ إلى أن هاجم تشانغ كاى تشك الشيوعية سنة ١٩٢٧م ودخلت الصين فى دوامة الحرب الأهلية ، منذ ذلك الوقت (أى عام ١٩٢٧)

---

(١) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٥٥) .
وانظر تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٦٥) .

١٩٢٧م) ولم يقطع استمراريتها إلا الوحدة المؤقتة من أجل صد الهجوم الياباني على الصين منذ ١٩٣٧ وحتى سنة ١٩٤٥[١].

(وقد اتفقت الطائفتان المتحاربتان على تنحية خلافاتهما جانبا من أجل طرد اليابانيين)[٢].

وفي هذه الحرب قامت الولايات المتحدة بتقديم المعونة لقوات شيانج ولكنها لم تعط الثمرة التي كانت ترجوها الولايات المتحدة ، لكون شيانج لم يستطع النصر على اليابانيين ، وأراد أن يستخدم هذه المعونات في حربه مع الشيوعيين .

يقول دانيال ونورمان :

(وعندما دخلت الولايات المتحدةالحرب في عام ١٩٤١ ، فقد أسهمت بملايين الدولارات من أجل الأسلحة والطعام والدواء . ولم تنجح هذه المعونة كثيرا في رفع الروح المعنوية لقوات شيانج المنهوكة بالفعل . ووجدت بعض أموال المعونة طريقها إلى بعض المسئولين الوطنيين الفاسدين ولم يحرز شيانج أي نصر يذكر على اليابانيين . وبدلا من ذلك ، فقد أخفى الأسلحة الأمريكية لاستخدامها في التحدي الوشيك مع الشيوعيين الذين سيطروا على معظم شمال الصين)[٣].

ومن المعروف أن أمريكا دخلت الأراضي اليابانية واحتلتها وقد كان الاتفاق بين أمريكا والسوفييت يقضي بأن يدخل الاتحاد السوفييتي الحرب ضد اليابان بمجرد استسلام المانيا وذلك مقابل حصول الاتحاد السوفييتي على جزر الكوريل في شمال المحيط الهادي ويحتل الجزء الشمالي لشبه جزيرة كوريا ، وتسيطر الولايات المتحدة على اليابان ومعظم الجزر التابعة للإمبراطورية اليابانية سابقا .

---

(١) انظر من الحرب الباردة حتى الوفاق (٥٦) .
(٢) تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٦٢) .
(٣) المرجع السابق (٦٢-٦٣) .

وأما بشأن الصين فقد اتفقا على أن تبقى منطقة فاصلة بين مناطق النفوذ السوفيتية والأمريكية(١).

وتحاشى كل من الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة اتخاذ موقف ثابت من الصين منذ اقتراب نهاية الحرب .

فستالين فى محادثاته مع الدبلوماسيين الأمريكيين أعلن (استخفافه بالثوار الماويين ووصفهم بأنهم ليسواشيوعيين (حقيقيين) ومهما كانت دوافع الدكتاتور السوفييتى فقد كان مستعدا للترحيب بشيانج كزعيم للصين . فى الوقت الذى ذكر فيه الدبلوماسيون الأمريكيون فى الخارج أن الشيوعيين هم ديمقراطيون أصلاء ويتمتعون بثقة الشعب الصينى .

كانت إدارة ترومان على اقتناع بأن التخلى عن شيانج هو بمثابة تسليم الصين للشيوعيين ، ومن ناحية أخرى كان الرئيس مصرا على تحاشى التورط فى حرب برية فى آسيا مهما كان السبب ، إذ كان يرى أن ذلك سوف يتسبب فى إزهاق أرواح دون ماضرورة .

وبذلت الجهود العديدة لإغراء المتنافسين على تشكيل ائتلاف فيما بينهم وفى عام ١٩٤٥ قامت الولايات المتحدة بنقل ماو جوا إلى شونج كينج للاجتماع بشيانج . ولكن ماو أراد السيطرة على شمال الصين فى حين أصر شيانج على السيطرة على كل البلاد . وتشبث كل من الرجلين بموقفه .

وظل الجنرال جورج . سى . مارشال يعمل فى الصين فى الفترة من ديسمبر عام ١٩٤٥ حتى يناير ١٩٤٧ على تحاشى وقوع حرب أهلية ، ومع نجاحه فى التوصل إلى وقف اطلاق النيران بين الطرفين فقد تصلبت مواقف

---

(١) انظر : تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٥٩) ، العالم فى القرن العشرين (٢٧٥) وانظر تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٦٢) بشأن انهاء الاحتلال الأمريكى لليابان مع بقاء القوات التى تحفظ أمن الدولتين إلى أجل غير مسمى .

شيـانج وماو . وفى نهاية المطـاف شجب مارشال الطـرفين وعاد إلى بلاده)[١].

وبدأت الشكوك تظهر بوضوح بين الطرفين حيث بدأ الحزب الشيوعى فى الصين بالتـوسع والسيطـرة مـن جهـة الشمـال بينمـا كـان نفـوذ منـافسه السياسى شيانغ كاى شك فى انحسار . ومن هنا عملت الـولايات المتحدة على مد يد العون له من أجل دفع محاولاته لتوحيد الصين تحت قيادته ، وكذلك من أجل اعادة بناء الدولـة التى كـان يقطنها ٥٠٠ مليـون شخـص عـانوا من مآسى الحرب لمدة ثمان سنوات[٢]. إلا أن منافسه ماو كان يسيطر على ثلاثين ألـف ميـل مربع فى شمال الصين ووسطهـا ويحكـم مليـونين مـن الناس عام ١٩٣٩ بينمـا أصبح يسيطر على أربعمـائة ألف ميل مربع ويحكـم مـائة مليون ولـديه جيـش يبلغ تعداده ٤٧٠ ألـف جنـدى نظامى مـع مليـون مـن رجال العصـابات عام ١٩٤٥م[٣]ممـاجعل عملية ابعاد الحزب الشيـوعى أو الانتصـار عليـه عملية غير سهلة خاصة إذا ماوضعنا فى الاعتبار دعـم الاتحاد السوفييتى لماو .

مساعدات الولايات المتحدة لتشاينغ :

قامت الولايات المتحدة بمحاولات عديدة لمنع انتشـار الوجود الشيوعى داخل الأراضـى الصينيـة ، وكـان سبيلهـا إلى ذلك دعـم التـوجه المنـاوىء للشيـوعية ، وبعد أن أيقنـت أمريكا بقوة الحزب الشيـوعى الصينى ، عملت على إقـامة حكـومة ائتلافيـة فى الصين خاصـة وأن نظـام تشيـانغ غير مؤهل لقيادة البلاد بسبب فساده وتذمر الشعب منه .

---

(١) تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٦٣) .
وانظر : من الحرب الباردة حتى الوفاق (٥٧) ، العالم فى القرن العشرين (٢٧٧) ، التـاريخ الـدبلوماسى (١٧٥) . وقـال : (ويئس مارشال مـن هـذه الحالة المضطربة فتنحى عن دوره كوسيط) .

(٢) انظر العالم فى القرن العشرين (٢٧٥) .

(٣) انظر من الحرب الباردة حتى الوفاق (٥٦) .

وحاولت الولايات المتحدة وبريطانيا الحياد عند ذلك ووصل الأمر إلى حد حظر المساعدةالعسكرية عن تشيانغ فى محاولة لارغامه على قبول الحل السلمى[١]ومع ذلك فقد كانت الولايات المتحدة لاتقطع المساعدات عن النظام المناوىء للشيوعية . فنقلت الولايات المتحدة سنة ١٩٤٦ نصف مليون من جنود تشاينغ فى مختلف أرجاء الصين ، وقامت بعمليات استطلاع جوى لمصلحته وقدمت معونات إقتصادية وعسكرية بلغت ٣٠٨٧ مليون دولار بين سنة ١٩٤٥ وسنة ١٩٤٩ . وهكذا أصبحت الولايات المتحدة متدخلة فى الحرب الأهلية الصينية وعلى الأقل فى نظر ماو زعيم الاتجاه الشيوعى[٢].

وبعد أن فشل تشاينغ فى تحقيق أهداف الولايات المتحدة فى الصين جاءت بعض الآراء التى تطالب بالتدخل المباشر للسيطرة على الوضع والحيلولة دون سيطرة الشيوعيين فقال وزير خارجية أمريكا مارشال : (إذا أريد تحقيق هدف تحطيم الشيوعيين الصينيين وجعلهم مجرد عامل مهمل فى الصين فى المستقبل القريب ، لابد للحكومة الأمريكية من أن تتولى بنفسها زمام الحكم فى الصين وإدارة شؤونها الإقتصادية والعسكرية والحكومية . وهذا سوف يورط الولايات المتحدة فى إلتزام مستمر سيكون من المستحيل عليها عمليا أن تتنصل منه . وسيؤدى على الأرجح إلى نتائج خطيرة بجعل

---

(١) انظر من الحرب الباردة حتى الوفاق (٥٧) .
وقد كان لهذه السياسة أثرها فى تمكين الحزب الشيوعى وأعلن عضو الكونغرس جون كنيدى فى اجتماع سياسى ذلك بقوله : (لقد حصدت سياستنا فى الصين الزوابع ، فقد كان الاصرار المتواصل على منع المعونات إلا إذا شكلت حكومة ائتلافية ضربة قاصمة للحكومة الوطنية) . نفس المرجع (٥٧) .

(٢) انظر المرجع السابق (٥٧) .
وانظر العالم فى القرن العشرين (٢٧٥-٢٧٦) وذكر أن ترومان بعث مايقارب ٥٠ ألف من جنود البحرية إلى الساحل الشمالى من الصين ، وقال بأن الولايات المتحدة لم تكن متورطة فى أى دولة مزقتها الحرب مثلما حصل فى الصين .

الصين ميدانا للصراع الدولى)[١].

وهكذا نجد أن الولايات المتحدة فى سياستها الخارجية كانت ترى أن التدخل المباشر فى الصين سيكون الحل الأمثل للأزمة المتصاعدة ، والطريق الوحيد لإبعاد الشيوعيين عن السيطرة عليها ، إلا أن الشيوعيين بقيادة ماو كانوا يحققون الانتصار تلو الآخر .

وتتابع سقوط المدن فى أيديهم ، وحررت بكين عام ١٩٤٩م ، وفى العام نفسه أعلن ماو مولد جمهورية الصين الشعبية[٢].

(وبمجرد دخول الشيوعيين فى السلطة تناسوا مجهودات الولايات المتحدة فى حل مشكلة الصين سلميا ، ولم يتذكروا غير مساعدة الولايات المتحدة لعدوهم اللدود . وبدأوا فى العمل على طرد الأمريكيين من الصين)[٣].

وقد منيت الولايات المتحدة بالفشل فى سياستها تجاه الصين ، وكانت التساؤلات قائمة كيف عجزت الولايات المتحدة من نصرة شيانج ، وإذا كان نظاما فسادا فلماذا قدمت له إدارة ترومان ملايين الدولارات؟ لقد بدأ خوف الغرب يزداد وشعروا بالخطر الذى يهدد الدول الغربية من وجود تلك الدولة الشيوعية بل لقد بدأ القلق يساورهم بأن الشرق الأقصى كله سيتلقى المساعدة من الشيوعيين الذين سيطروا على الصين فكان ميلاد (دولة الصين الشعبية) من أخطر الحوادث التى تواجهها الولايات المتحدة والدول الغربية

---

(١) C.J.Bown "Revolution in China" 1911-49 (Heinemann Educational Books, 1974) Broadsheet 19, p.4 .
نقلا من كتاب من الحرب الباردة حتى الوفاق (٥٨) .

(٢) انظر من الحرب الباردة حتى الوفاق (٥٩) .
وانظر موجز تاريخ الولايات المتحدة (٦٤-٦٥) ومما جاء فيه قول وزير الخارجية الأمريكى دين اتشيسون : (إنه لم يكن فى استطاعة الولايات المتحدة وليس بامكانها الآن أن تفعل شيئا من شأنه أن يغير النتائج) .

(٣) تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٦٥) .

غير أن موقف الدول الغربية كان مختلفا تجاه الصين الشعبية فاعترفت بها بريطانيا فى عام ١٩٥٠ ، ورفضت فرنسا الاعتراف بها بسبب ماكانت تقدمه الصين للثوار فى الهند الصينية ، وأما الولايات المتحدة فكان الرأى العام فيها ساخطا على النظام رغم أن فكرة الاعتراف بها قد راودت الولايات المتحدة فى فترة من الفترات فتأخر اعتراف الولايات المتحدة وتأخر معه منح عضوية هيئة الأمم المتحدة حتى تمت الانتخابات الأمريكية فى نوفمبر ١٩٥٠م[١].

ولكن تغير موقف الولايات المتحدة بشأن الاعتراف فى ذلك الوقت نظرا لبروز الحرب الكورية والتى كان لها أثر كبير فى مجريات الأحداث السياسية والعلاقات الدولية .

وهكذا حاولت الولايات المتحدة الإبقاء على الصين بعيدة عن الفكر الشيوعى ، وبذلت جهودا كبيرة فى محاولة الإبقاء عليها بعيدا عن الصراع ولكن سيطرة الحزب الشيوعى صعدت من تصارع القطبين ، فكانت محاولة أمريكا لبسط نفوذها فى الصين ، واختيار القيادة التى تريدها ، قد أثار السوفييت فأخذوا يعملون على محاولة كسب هذه الدولة لصفهم حتى لاتصبح منطقة خاضعة للسيطرة الأمريكية وبالتالى نقطة انطلاق لتهديد السوفييت ومصالحهم فى البلاد الأخرى .

السوفييت والصين :

وكنتيجة طبيعية لابد وأن يهتم الاتحاد السوفييتى بهذه المنطقة لأهميتها وكذا لمنع التغلغل الأمريكى فيها . وقد استطاع السوفييت الاستيلاء على منشوريا فى الوقت الذى أخفقت فيه اليابان من السيطرة على الصين ، مما أدى إلى ظهور تشانغ كاى شيك ، واسترجع (الأرض الصينية كلها منذ قبل ١٩٣٢ وجزيرة فورموزا أيضا . وفى الواقع مالبث أن عرف أن هنالك عقبتين

(١) انظر التيارات السياسية المعاصرة (٤٦١) .

تقفان فى وجه اعادة بناء الصين قوية : وهما عمل الاتحاد السوفييتى فى منشوريا وعودة الحرب الأهلية بين الشيوعيين والوطنيين الصينيين .

وسويت الحالة فى منشوريا بسلسلة اتفاقات صينية - سوفيتية فى ١٤ آب ١٩٤٥ ... كان أول هذه الاتفاقات حلفا موجها ضد اليابان وشبيها بالأحلاف التى أبرمها الاتحاد السوفييتى ضد المانيا فى أوروبة .

والاتفاق الثانى يتعلق بخط حديد شانغ - شون بين منشوريا وبور - آرثر . وذلك بأن يبقى هذا الخط الحديدى تحت السيادة الصينية على أن يدار من قبل شركة روسية - صينية رئيسها صينى .

والاتفاق الثالث والرابع يتعلقان ببور - آرثر ودايرن على أن تستخدم بور - آرثر كقاعدة بحرية من قبل الروس والصينيين معا . وأن تكون الإدارة المدنية صينية على أن يؤمن الاتحاد السوفييتى الدفاع . وأن يكون ميناء دايرن ميناء حرامفتوحا نظريا لتجارة جميع البلاد ، ولكن على أن يتمتع الاتحاد السوفييتى فيه بالإعفاء الجمركى ويساهم فى إدارة الميناء .

والاتفاق الخامس يتعلق بالأقاليم الثلاثة الشرقية فى الصين ، هذه الأقاليم التى تحتلها القوى السوفيتية ، ويسوى مختلف القضايا التى يضعها هذا الاحتلال . وأخيرا وضح تبادل المذكرات بأن تبقى منشوريا وسنكيانغ تحت السيادة الصينية ، وصرح تبادل مذكرات آخر بأن يسوى مصير استقلال منغوليا الخارجية باستفتاء ، فإذا أيد هذا الاستفتاء رغبةاستقلال منغوليا الخارجية فى حدودها الحالية ، قبلت الصين هذا الاستقلال)[1].

(وكان بالإمكان أن تعطى هذه المعاهدات شيئامن توطيد السطة الصينية على الشمال ومنغوليا لو لم يقم الاتحاد السوفييتى فى وجهها مختلف الصعوبات فقد احتل الروس بسرعة منشوريا كلها وأسروا مايقرب من ٦٠٠٠٠٠ يابانى . واستقبل السكان المحليون هذا الاحتلال بادىء ذى بدء استقبالا حسنا ، ولكن سرعان ماأصبح غير شعبى ، وفوق ذلك صرحت

---

(١) التاريخ الدبلوماسى (١٧١-١٧٢) .

الحكومة السوفيتية فى مذكرة مؤرخة فى ٢١ كانون الثانى ١٩٤٦ بأنها تعتبر جميع المشاريع اليابانية التى كانت تشتغل فى منشوريا لحساب اليابان ، إنما هى غنيمة حرب خاصة بها ، وترى أن تنقلها إلى الاتحاد السوفييتى . وهذا التدبير ، الذى أثار عبثا احتجاجات الصين ، كان هدفه تعمير المعدات الروسية بل وأيضا تخريب صناعة ثقيلة قوية ، بالقرب من الحدود السوفيتية ، يمكن للصين أن تستخدمها فيما بعد ضد الاتحاد السوفييتى . وفى الوقت نفسه بدأت الجيوش الشيوعية الصينية منذ ١١ آب ١٩٤٥ بالتغلغل فى منشوريا واستطاعت ، وربما كان ذلك بالاشتراك مع الجيوش السوفيتية ، أن تستولى على كميات كبيرة من الأسلحة اليابانية من شأنها أن تسهل الكفاح ضد تشانغ كاى شيك . واستطاع الروس أن ينظموا فى كل مكان فى منشوريا (حكومات الشعب) المحلية ...) .

"وفى مؤتمر وزراء الخارجية الثلاثة فى موسكو ، فى كانون الأول ١٩٤٥ اقترح بيرنز أن تسجل قضيةنقل منشوريا إلى حكومة الصين الوطنية فى جدول الأعمال . فرفض مولوتوف وانتقد وجود الجيوش الأمريكية فى الصين الشمالية . ولم يتوصل إلى أى اتفاق على تاريخ الجلاء عن الصين . وفى آخر آذار ١٩٤٦ أعلن الروس أنهم سينهون الجلاء عن منشوريا فى ٢٣ نيسان . وفى هذا التاريخ استولى الشيوعيون الصينيون على جميع المدن فى شمال منشوريا ، ودخل الصينيون الوطنيون شانغ ـ شون فى أيار ، وذهب تشانغ كاى تشيك برحلة إلى موكدن . ومن الوجهة العملية ألفت منشوريا الشمالية دولة شيوعية مستقلة استقلالا ذاتيا ، ومن جهة أخرى كان الشيوعيون الصينيون يقومون بالعمليات فى أرياف منشوريا الجنوبية ويعرقلون سلطة الوطنيين على المدن وطرق الخط الحديدى)[١].

وإذا كنا قلنا بأن أمريكا دعمت الوطنيين فإن الاتحاد السوفييتى قد

---

(١) التاريخ الدبلوماسى (١٧٣-١٧٤) .
وارجع إلى : . F.C.Jones, op. cit. p.230 a 241

شجع الشيوعيين (وزود السوفييت قوات ماو فى منشوريا بالأسلحة التى استولوا عليها من اليابانيين)[١]. ولولا أن ستالين كان يشك فى مقدرتهم على الاستيلاء على السلطة لكان تدخل الاتحاد السوفييتى فى الأحداث أكبر من الحال الذى كان عليه تجاه مسألة الصين .

ومن هنا (لم يكن لقلق أمريكا من التورط السوفييتى فى الصين مايبرره لأن ستالين سنة ١٩٤٥ كان يعتقد أن تشيانغ كاى تشيك سوف يكسب الحرب ، بل ونصح ماو بالفعل أن يسعى إلى تسوية مؤقتة مع تشيانغ ...)[٢].

يبين مكنمارا أنه رغم الاعتقاد بوجود شبح الشيوعية فى كتلة واحدة ويمثل أكثر اضطرابا للدول الغربية إلا أن هذا الاعتقاد فى غير مكانه نظرا لوجود الخلاف بين الاتحاد السوفييتى والصين مما يدل على أن الشروخ كانت موجودة وبكثرة فى الكتلة الشيوعية[٣].

وبعد هذا العرض أصل إلى الحقائق التالية :

أولا : شكلت الصين منطقة مهمة بالنسبة للدولتين الكبريين ، فكانت أمريكا ترغب فى منع انتشار الشيوعية فى الصين ، كما ترغب فى تحقيق أكبر قدر من المصالح السياسية والإقتصادية من وراء بسط نفوذها عليها . فى حين كان الاتحاد السوفييتى يرغب فى تأمين منطقته الحدودية ، وكذلك تمكين الحزب الشيوعى من التأثير على أفراد الشعب وجعل الشيوعية معتقدهم الأساسى .

ثانيا : أدت هذه الرغبات والأطماع - زيادة على الخوف واتهام الطرف الآخر بالتوسع - إلى محاولة كل طرف الكسب فى هذه المواجهة غير المباشرة فأرسلت المساعدات الإقتصادية والعسكرية من قبل الدولتين وإن كانت من

---

(١) تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٦٣) .
(٢) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٥٨) .
(٣) انظر مابعد الحرب الباردة (٣١) .

جانب الـولايات المتحدة أكثر منهـا من جانب السوفييـت ، إلا أنهـا لم تحقق ماكانت تصبو إليه وأصبحت الصين دولة شيوعية .

ثالثا : أن حدة العـداء بين الصين والاتحاد السوفييتى كـانت أخف منها فيمـا بين الـولايات المتحـدة والصين ، وعلى الأقل فى خضـم هـذه الأحداث التى كـانت تمس الطـرفين فى الحقيقـة مبـاشرة . إذ أن الصينيين ينظـرون إلى الولايات المتحدة أنها كانت تدعم عدوهم بينما كان الاتحاد السوفييتى يشترك مع الصين على الأقل فى بعـض الخطـوط العـريضة للفكـر الإشتراكـى مضـافا لذلك الإمداد بالسلاح وبعـض المسـاعدات التى كـان يتلقـاها الشيـوعيون فى حربهم ضد الوطنيين .

رابعا : أن الخلاف الـذى وقع بين الصين والاتحاد السـوفييتى فيمـا بعد يدل دلالـة واضحـة على فساد الفكـر الشيـوعى ، وعدم ثبـاته وأنه لايمكـن تطبيقـه فى كل مجتمع ولأجل ذلك نبذت بعض الدول هـذا الفكر واستبدلت كثير مـن مبادئه بمبادىء أخرى تتعـارض مع أفكار مـاركس ، ومع تصورات الثورة البلشفية ، ولاأدل على ذلك من وجود الستالينية ، والماوية والتناقض فيما بينهما . مما يدل على فساد الفكر .

خامسا : كـان بالإمكان أن يهـدأ التوتر فيما بين الطـرفين (السوفييت والأمريكان) فيما لو تم اعتراف الولايات المتحدة بالصين الشيـوعية حينذاك غير أن انفجـار الأزمة الكـورية أشعل التوتر من جديد بين الطـرفين . وهذا ماسنعرض له الآن .

رابعا : الحرب الكورية

تعتبر أحداث كوريا مشابهة لأحداث المانيا وذلك لكون هذه الدولة قد انقسمت إلى قسمين شمالى وجنوبى ، وفى كل قسم يسيطر قوة تنظر إلى قوة القسم الآخر بالشك والريبة .

وكانت كوريا واقعة تحت السيطرة اليابانية بعد أن انتزعت تلك السيطرة من أسرة مانشو فى الصين ، وأثناء الحرب العالمية الثانية اتفق الحلفاء على منح كوريا الاستقلال التام فور تحريرها ، وفى سنة ١٩٤٥ فى الثانى عشر من شهر آب دخلت القوات السوفيتية كوريا الشمالية ووصلت خط العرض ٣٨ قبل أن تستسلم اليابان ، وفى ٢٨ آب كان جنوب كوريا تحت الاحتلال الأمريكى(١).

ولاشك أن (لكوريا أهمية استراتيجية عظمى لجيرانها ، روسيا ، واليابان ، والصين . ثم أصبح للولايات المتحدة بعد هزيمة اليابان مصالح هامة فى تلك المنطقة تجعلها تهتم أبلغ الاهتمام بمصيرها ...)(٢).

---

(١) انظر : من الحرب الباردة حتى الوفاق (٦١) ، التيارات السياسية المعاصرة (٤٦٢) ، المذاهب العسكرية فى العالم (١٣٣) ، بسام العسلى ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥م (٧٨-٧٩) وفيه : (كانت هناك ثلاث دول آسيوية تهتم بكوريا منذ عقود . الدولة الأولى هى الصين ، التى سيطرت على كوريا حتى عام ١٨٩٥م ، والدولة الثانية هى روسيا حيث كانت لها مصالح فى كوريا الشمالية منذ التسعينات من القرن التاسع عشر ، والثالثة هى اليابان التى أقامت محمية لها هناك فى عام ١٩٠٥ (المحمية هى حكومة تسيطر عليها قوى خارجية) . واستمرت سيطرة اليابان على كوريا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية) .

(٢) التيارات السياسية المعاصرة (٤٦٢) .
ويقول مؤلف موجز تاريخ الولايات المتحدة :
(إذا تأملنا التغيرات العاصفة والتفاعل العام الذى كان يسرى فى آسيا ، نجد أن معظم الأمريكيين لم يكونوا يؤلون المنطقة الضئيلة المسماه كوريا اهتماما يذكر حتى سنة ١٩٥٠ . إذ أنهم كانوا منصرفين إلى الأجزاء الأكثر اجتذابا للأنظار فى الصورة الشاملة للقارة) . (٥٦٦-٥٦٧) .

وقد بدأ التفاوض بشأن كوريا بين أمريكا والسوفييت فى المؤتمرات التى عقدت فى يالطا وبوتسدام القائلة بتحرر كوريا من اليابان ، وأن يحتل الروس شمال كوريا والأمريكيون جنوبها . ولكن قبل استسلام اليابان بيومين دخل الروس الشمال وذلك فى ١٢ آب ١٩٤٥ . وفى ٨ أيلول استسلمت القوة اليابانية لأمريكا فى جنوب الخط ٣٨ .

وكان الرئيس روزفلت من عام ١٩٤٣ يفكر بوضعها تحت الوصاية الدولية ، وفى أيار ١٩٤٥ قبل ستالين بهذه الفكرة وتمارس هذه الوصاية أمريكا ، وبريطانيا ، والصين ، والاتحاد السوفييتى ، وجعل مؤتمر وزراء الخارجية المنعقد فى موسكو فى كانون الأول هذا القرار رسميا[١].

و(من هنا بدأ تاريخ الصعوبات : لقد قرر مؤتمر موسكو إحداث (لجنة مختلطة) روسية ـ أمريكية ، مكلفة بالاتصال مع الأحزاب الديمقراطية والهيئات الاجتماعية فى كوريا بغية المساعدة على تشكيل حكومة مؤقتة فى كوريا ، وعلى أن تكون هذه الحكومة موضوعة تحت وصاية الدول الأربع لمدة خمسة أعوام . فاحتجت الأحزاب الكورية كلها على فكرة الوصاية وطالبت بالاستقلال المباشر . إلا أن الحزب الشيوعى بدل موقفه فجأة وأصبح مناصرا للوصاية . وهذا التطور سمح للاتحاد السوفييتى بأن يطالب بألا تشاور (اللجنة المختلطة) إلا الأحزاب الراضية عن مقررات موسكو . وعلى العكس ، اقترحت الولايات المتحدة أن تشاور جميع الأحزاب التى لاتثير مظاهرات ضد اللجنة المختلطة . وكان من المستحيل الوصول فى هذه النقطة إلى اتفاق . وكذا الحال لإقامة الحكومة المؤقتة ، فقد اقترحت الولايات المتحدة الانتخاب ، بالتصويت العام ، والتشريعات المؤقتة فى كل

---

(١) انظر التاريخ الدبلوماسى (٢٨٧-٢٨٨) .
وارجع فى كل مايتعلق ببوادر النزاع إلى :
"L.C.Green, korea and the united -Natiohs" .
world Affairs, oct. 1950. p.414-437 .
وانظر التنظيم الدولى (٤٣) .

من المنطقتين . وانتخبت هاتان المنطقتان حكومة مؤقتة لكل كوريا . واقترح الاتحاد السوفييتى بالعكس عقد جمعية وحيدة لكل البلاد تسمى (جمعية الشعب) وتمثل الأحزاب والمنظمات الديمقراطية المشايعة لاتفاق موسكو وتضم أكثر من ١٠٠٠٠ عضو . على أن يكون للشمال والجنوب عدد متساو من الممثلين)(١).

ثم اقترحت الحكومة الأمريكية عرض القضية على موقعى اتفاق موسكو فوافقت الصين وبريطانيا ورفضت موسكو وادعت أن اللجنة المختلطة قادرة على القيام بعملها ، عندئذ أحالت الولايات المتحدة القضية إلى الأمم المتحدة فاحتج السوفييت أن هذه القضية ليست من صلاحيات الأمم المتحدة ثم قبل السوفييت بذلك وطالبوا بدعوة ممثلى كوريا الشمالية والجنوبية فعارضت الجمعية ، فقرر الاتحاد السوفييتى وتوابعه ألا يشتركوا فى المناقشة ولافى التصويت فقررت الجمعية العامة للأمم المتحدة بـ٤٣ صوتا ضد صفر وامتناع ٦ أصوات تشكل (اللجنة المؤقتة للأمم المتحدة فى كوريا) وتكلف بتسهيل حكومة قومية كورية بعد انتخابات وتعجيل جلاء قوات الاحتلال وتأليف اللجنة من ممثلى البلاد التالية :

كندا ، استراليا ، الصين ، فرنسا ، الهند ، الفلبين ، سان سلفادور ، سورية ، أوكرانيا ، ورفضت أوكرانيا المشاركة بالأعمال(٢).

إلا أن السوفييت رفضوا (اجراء انتخابات ديمقراطية فى منطقتهم وحولوا السلطة بالتدريج إلى كيم إيل سونغ الشيوعى . أما فى الجنوب فقد أجريت انتخابات للمجلس الوطنى تحت اشراف الأمم المتحدة فى أيار سنة ١٩٤٨ وفاز بالرئاسة الدكتور سنغمان رى المعادى للشيوعية . ولذلك فإنه بانتهاء سنة ١٩٤٨ أصبح فى كوريا نظامان متنافسان يدعى كل منهما السيادة على البلاد بأسرها ، وهما الجمهورية الشعبية الكورية الديمقراطية فى الشمال

---

(١) التاريخ الدبلوماسى (٢٨٨-٢٨٩) .
(٢) انظر : المرجع السابق (٢٨٩-٢٩٠) ، التنظيم الدولى (٤٣) .

وجمهورية كوريا فى الجنوب . وانسحبت القوات الروسية من كوريا فى كانون الأول سنة ١٩٤٨ وانسحب الأمريكيون فى حزيران سنة ١٩٤٩ ...)(١).

وكانت كل من الحكومتين السوفيتية والأمريكية تقوم بتقديم المساعدة للحكومتين كل للحكومة التى تواليها ، وقد زادت هذه المساعدات الحال سوءا وجعلت التصعيد بين الجانبين فى حال مستمرة ، فقامت كل دولة بتقديم المساعدات الإقتصادية والعسكرية حيث (قدمت الولايات المتحدة ماقيمته ٤٦٦ مليون دولار من المعونات المدنية والعسكرية ، ولكنها لم تقدم دبابات أو مدفعية أو طائرات لكوريا الجنوبية التى يقطنها ٢١ مليون نسمة بينما أنشأ الكوريون الشماليون جيش التحرير الشعبى لكوريا الشمالية وقوامه تسعون ألف جندى وجهزوه بالدبابات وقوة جوية مساندة . وهكذا فرغم أن سكان كوريا الشمالية البالغين تسعة ملايين نسمة كانوا أقل عددا بكثير من سكان كوريا الجنوبية ، إلا أن قواتهم المسلحة كانت أفضل جدا دون شك من جيش كوريا الجنوبية الذى لم يتجاوز عدده خمسة وستين ألف جندى)(٢).

وقد اعتبرت الولايات المتحدة أن لها (نطاق دفاعى) محدد فى المحيط الهادى ولم يذكر وزير خارجيتها دين اتشيسون كوريا الجنوبية ولعل الأمريكان كانوا يفترضون أن الصراع السوفييتى الأمريكى سيشمل العالم بكامله أو أن أوروبا هى مركز الصدام فى المستقبل وفى ذلك الوقت لم تكن كوريا منطقة بارزة فى كلا الحالتين(٣). وكان لهذا الموقف آثاره حيث اعتقد

---

(١) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٦١) ، وانظر : التاريخ الدبلوماسى (٢٩١) ، موجز تاريخ الولايات المحتدة (٥٦٧) ، تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٧٩) وذكر أنه فى أثناء انسحابهما قاما بتكوين حكومتين منفصلتين . وانظر التنظيم الدولى (٤٤) .

(٢) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٦١-٦٢) ، وانظر العالم فى القرن العشرين (٢٨٢-٢٨٣) .

(٣) انظر من الحرب الباردة حتى الوفاق (٦٢) .

السوفييت بأن الولايات المتحدة ستقبل بالتوحيد القسرى للكوريتين وبالفعل بدأ التحرك العسكرى من كوريا الشمالية على كوريا الجنوبية .

نشوب الحرب بين الدولتين :

قامت كوريا الجنوبية بتحذير الولايات المتحدة ولجنة الأمم المتحدة بأنها ستتعرض لهجوم من كوريا الشمالية ، وكانت المنطقة الحدودية عرضة للمناوشات ، وبالفعل (فى ٢٥ حزيران ، اجتازت قوى كوريا الشمالية خط العرض ٣٨ على طوله كله ، وبالرغم من أن الاتحاد السوفييتى صرح بأن العدوان كان من عمل كوريى الجنوب ، فإن سعة العمليات التى قام بها كوريو الشمال برهنت ، بما لايقبل الشك ، على أن هذه العمليات أعدت بعناية وعن سابق تصور وتصميم)[١].

وقد (اجتاحت ست فرق من قوات كوريا الشمالية خط العرض ٣٨ ، واندفعت بمدرعاتها ومدفعيتها نحو الجنوب . وأدى هذا الهجوم المباغت إلى انهيار مقاومة الجنوبيين . فتمكنت قوات الشمال من الوصول إلى عاصمة الجنوبيين (سيؤول) واحتلالها يوم ٢٨ حزيران (يونيو) ، ثم تابعت تحركها بتصميم وثبات نحو الجنوب ، بحيث لم يبق بيد القوات الأمريكية والقوات الجنوبية إلا قاعدة بوزان ومحيطها (حيث تجمعت فى هذه المنطقة فى نهاية شهر آب/أغسطس ١٩٥٠ مجموعة من خمس فرق أمريكية ـ تضم مائة ألف مقاتل ـ و٥٠٠ دبابة و٨ فرق من قوات كوريا الجنوبية) . وسيطر الشماليون بذلك على ٩٠٪ من التراب الكورى بينما لم يبق بيد الجنوبيين أكثر من ١٠٪ من

---

(١) التاريخ الدبلوماسى (٢٩١-٢٩٢) .
وانظر من الحرب الباردة حتى الوفاق (٦٢) وقال : (ويبدو من المستحيل أن يكون الكوريون الشماليون قد قاموا بالهجوم بناء على مبادرتهم الخاصة) .

مساحة كوريا ، وذلك بعد شهرين من بداية الحرب)(١).

وهنا بدأت أمريكا بتحركها ، وكان لابد من رد فعل لهذا الغزو الشمالى ، خاصة أن أمريكا ترى أن الاتحاد السوفييتى وراء هذا الهجوم ، يقول مكنمارا :

(ألجمت طبيعة الهجوم المفاجئة الأمريكيين وأصابتهم بالدهشة . وظهرت كما لو كانت الشكل الجديد لجوهر عدوان الشيوعيين . بالطبع ، ليس هناك أى شك فى أن الحرب الكورية كانت تمثل بالتأكيد نموذجا للعدوان السافر من جانب كوريا الشمالية ، وأنها تمت ـ على الأقل ـ بموافقة تكتيكية من جوزيف ستالين . ولكن الهجوم على كوريا الجنوبية لم يكن دليلا على أنه مقدمة للحرب العالمية الثالثة ـ كما اعتقد الكثير من الأمريكيين فى ذلك الوقت ـ ولم يكن أيضا خدعة سوفيتية فى آسيا مخططة لكى تسحب القوات الأمريكية بعيدا عن أوروبا .

الحرب الكورية كانت بشكل أو آخر حلقة أخرى من حلقات أخرى من حلقات الحرب الباردة نتجت عن نزاع طبيعى على الحدود السياسية غذته وهيجته الأحكام الخاطئة حول نوايا الطرف الآخر . وكمثال على ذلك نجد أن الكوريين الشماليين والقادة السوفييت قد وقعوا فى خطأ جوهرى عندما اعتمدوا على فهمهم الخاطىء لخطاب ـ يعتبر اليوم مشهورا ـ ألقاه الوزير اشيسون فى كانون الثانى/يناير ١٩٥٢ أمام أعضاء النادى القومى للصحافة فى واشنطن واشتم منه أن الولايات المتحدة قد لاتحمى كوريا الجنوبية فى حالة

(١) المذاهب العسكرية فى العالم (١٣٣) .
وانظر : تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٧٨) .
موجز تاريخ الولايات المتحدة (٥٦٨) وفيه :
(أن جيش كوريا الشمالية ، قد اندفع عبر خط العرض ٣٨ ، بطائرات روسية ، ودبابات روسية ، وضباط مدربين على أيدى الروس) .
من الحرب الباردة حتى الوفاق (٦٢) .
العالم فى القرن العشرين (٢٨٢-٢٨٣) .

تعرضها للهجوم .. فى حين أنه ـ بلاشك ـ عندما صرح أو أورى بأن الدفاع عن كوريا الجنوبية فى حد ذاته غير هام ، كان فى الحقيقة يناقش المدى الدفاعى للولايات المتحدة فى حالة حدوث عالمية)[١].

وقد كان موقف الولايات المتحدة يتمثل فى أمرين :

(أ) عرض القضية على مجلس الأمن والحصول على تأييده فيما تنوى أمريكا اتخاذه .

(ب) مساعدة كوريا الجنوبية وامدادها بالسلاح لمقاومة كوريا الشمالية .

فقامت الولايات المتحدة فى ٢٥ حزيران (على ساعة نيويورك) فى ٢٦ حزيران فى كوريا بطلب ترجو فيه الأمم المتحدة أن تدعو مجلس الأمن للاجتماع وبالفعل اجتمع المجلس (على الفور وأدان الهجوم المسلح من جانب كوريا الشمالية ، وطالب بايقافه ، وانسحاب القوات المعتدية خلف خط عرض ٣٨ . وأهاب بالدول الأعضاء أن تساعد فى تنفيذ هذا القرار)[٢].

و(عارض الممثل اليوغسلافى وحده هذا القرار ، إلا فيما يتعلق بالكف المباشر عن الحرب . وتقدمت يوغسلافيا باقتراح يتزع إلى دعوة ممثل عن كوريا الشمالية فرفض بـ٦ أصوات ضد ١ و٣ امتناع "مصر والهند والنرويج")[٣].

و"عندما اجتمع مجلس الأمن للأمم المتحدة فى نفس يوم الهجوم الكورى لاتخاذ موقف ، لم يكن المندوب السوفييتى موجودا لمقاطعته جلسات المجلس منذ كانون الثانى/يناير بناء على أوامر حكومته بسبب معارضة الولايات المتحدة وبلاد أخرى لاستبدال مندوب حكومة الصين الوطنية وإحلال ممثل جمهورية الصين الشعبية محله .. وكنتيجة لغياب المندوب

---

(١) مابعد الحرب الباردة (٤٠-٤١) .

(٢) التنظيم الدولى (٤٤) .
وانظر : التاريخ الدبلوماسى (٢٩٢) ، تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٨٠) .

(٣) التاريخ الدبلوماسى (٢٩٢-٢٩٣) .

السوفييتى أصرت الولايات المتحدة على أن تكون توصية المجلس هى اعتبار هجوم كوريا الشمالية "خرقا للسلام" .. الأمر الذى مهد الطريق لأن يمر قرار تشكيل قوات مسلحة تابعة للأمم المتحدة فى كوريا بالإجماع)[١].

و(كان هذا الاجراء هو أول علامة تبديها الولايات المتحدة عن نيتها فى الوقوف بحزم فى كوريا)[٢].

وقد نص القرار الذى اتخذ (على اختيار قائد للعملية من الولايات المتحدة . وفى اليوم التالى وقع اختيار ترومان على الجنرال ماك آرثر للقيام بهذا الدور . وعلق ماك آرثر على ذلك بقوله :

(إذا لم تعرقلنى واشنطن ، باستطاعتى أن أتعامل مع الموقف حتى لو قيدت احدى ذراعى خلف ظهرى) .

ومن هنا تدخلت أمريكا مباشرة فى الحرب تحت علم الأمم المحتدة فهى قائدة الحرب بدون شك وقد حاولت الولايات المتحدة التخفيف من حدة تدخلها فأعلن ترومان فى مؤتمر صحفى فى الأسبوع الأول للأزمة (أن الولايات المتحدة ليست فى حالة حرب . وعندما سأله مندوب صحفى عما إذا كان من الصواب تسمية القتال (بعمل بوليسى) ، فأجاب ترومان قائلا :

---

(١) مابعد الحرب الباردة (٤١) .
وانظر : التنظيم الدولى (٤٤) ، التاريخ الدبلوماسى (٢٩٢) ، تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٨٠) .

(٢) تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٨٠) .
كانت الولايات المتحدة ترغب فى التدخل ورد العدوان الشمالى لأسباب من أهمها:
١ ـ أن القادة الأمريكيين أدركوا (أن تحول كوريا إلى دولة شيوعية سوف يؤدى إلى امتداد نطاق السيطرة السوفياتى إلى حدود قريبة من اليابان التى أرادت الولايات المتحدة أن تجعلها مركز للدفاعات الأمريكية فى شرق آسيا . الأهم من ذلك ، أن فشل الولايات المتحدة فى مقاومة الاعتداء الشيوعى كان سينقل رسالة إلى العالم بأن سياسة الاحتواء تخفى ضعفا عسكريا ...) .
العالم فى القرن العشرين (٢٨٣) .

(نعم إنه عمل بوليسى تماما")[١].

وقال ترومان : (نحن لانريد للقتال فى كوريا أن يتسع نطاقه ليصبح حربا عامة . ولن يتوسع نطاق القتال إلا إذا اجتذبت الامبريالية الشيوعية جيوشا وحكومات أخرى للقتال إلى جانب المعتدى ضد الأمم المتحدة)[٢].

فكأن ترومان بهذا يريد أن يبين أن أمريكا لم تدخل فى حرب مع السوفييت ولكن إنما هو الدفاع عن الاعتداء الذى تعرضت له كوريا الجنوبية .

وقال اتشيسون : (إن القوات الأمريكية وجدت فى كوريا (فقط من أجل إعادة جمهورية كوريا الجنوبية إلى وضعها قبل الغزو الذى جاء من الشمال ")[٣].

وبعد معارك قوية دارت بين الطرفين على جبهات متفرقة نظم ماك آرثر فى ١٥ أيلول ١٩٥٠م (هجوما برمائيا ذكيا قامت به فرقة من مشاة البحرية على انشون (Inchon) على بعد ٢٠٠ ميل وراء خطوط العدو وعشرين ميلا فقط عن سيول وبسبب هذا الهجوم وعملية الانزال التى قام بها الكوريون الجنوبيون على يونغ دوك (Yong Dok) على الساحل الشرقى ، تمكنت القوات المتحالفة من قطع خطوط الامداد الممتدة من الشمال إلى الجنوب والخاصة بالقوات الكورية الشمالية وانهارت قوة العدو . وتم الوصول إلى سيول فى ٢١ أيلول . وبحلول نهاية ذلك الشهر كان مجموع خسائر الجيش الكورى الشمالى قد بلغ ٣٣٥ ألفا وأصبح واضحا أن القوة النارية الأمريكية قد كسبت الجولة"[٤].

---

(١) تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٨١) .

(٢) Edmund Trayenso, "Korea and the limits of limited war" (Addison-wesley Readin, Mass, 1970) p. 27 .
نقلا عن كتاب من الحرب الباردة حتى الوفاق (٦٤) .

(٣) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٦٣-٦٤) .

(٤) المرجع السابق (٦٤) .

ورغب قائد القوات الأمريكية فى توحيد كوريا إلا أنه فى ٣ تشرين الأول تلقت الولايات المتحدة انذارا من شو ان لاى رئيس وزراء الصين عن طريق السفير الهندى جاء فيه : (إذا ماعبر الأمريكيون خط العرض الثامن والثلاثين فإن الصين ستضطر إلى التدخل فى كوريا" ، وكان صريحا فى توكيده بالقول أن الكوريين الجنوبيين ليسوا مصدر مشكلة ولكن الدخول الأمريكى إلى كوريا الشمالية سيقابل بمقاومة صينية)[١].

وبالفعل تدخلت القوات الصينية وتدفقت داخل الأراضى الكورية وحصل التصادم بين القوتين الأمريكية والصينية وتراجعت قوات الأمم المتحدة والقوات الأمريكية إلى خلف خط عرض ٣٨[٢].

(واستمرت الحرب ضارية بين القوات الصينية والكورية الشمالية من جانب وقوات الولايات المتحدة والأمم المتحدة من جانب آخر)[٣].

وقد (كان من رأى القائد الأمريكى جنزال ماك آرثر أنه لاأمل فى احراز أى نصر على القوات الصينية إلا بضرب قواعد الإمداد فى الأراضى الصينية نفسها . على أن الرئيس ترومان لم يوافق على هذا الرأى ، وحدث بينهما خلاف أدى إلى طرد ماك آرثر من قيادة الحملة "ابريل ١٩٥١م")[٤].

---

(١) نقلا من كتاب من الحرب الباردة حتى الوفاق (٦٤) .
وانظر التنظيم الدولى (٤٥) .

(٢) انظر : المذاهب العسكرية فى العالم (١٣٣-١٣٤) ، التنظيم الدولى (٤٥) ، من الحرب الباردة حتى الوفاق (٦٥) .

(٣) التنظيم الدولى (٤٥) .

(٤) التيارات السياسية المعاصرة (٤٦٣) .
وانظر : من الحرب الباردة حتى الوفاق (٦٦) ، العالم فى القرن العشرين (٢٨٤) وقال بأن أحلامه لم تكن متصلة بواقع الامكانات المحدودة لاستراتيجية الحرب الباردة العسكرية . فى حين أن بعض الباحثين ذكر أن ترومان كان يفكر هو الآخر فى استخدام القنبلة الذرية ضد الصين الشعبية لانهاء الحرب الكورية . انظر التنظيم الدولى (٤٥) .

غير أن بعض القادة والسياسيين الأمريكيين رأوا أنه ليس هنا من فائدة كبيرة ترجوها أمريكا فى حربها ضد الصين وأنها ليست العدو الحقيقى فقد تقدم الجنرال عمر برادلى رئيس هيئة الأركان المشتركة فى عام ١٩٥١ فى شهر أيار بشهادة أمام الكونغرس جاء فيها :

(إن الصين الحمراء ليست أقوى دولة تحاول السيطرة على العالم . وبصراحة فإن هيئة الأركان المشتركة ترى أن هذه الاستراتيجية ستورطنا فى حرب غير مناسبة وفى المكان غير الملائم والوقت غير المواتى والعدو غير الحقيقى)[١].

ولهذا نظرا لكون هذه الحرب لم يتمخض عنها نصر واضح لأحد الطرفين بل بقيت بين مد وجزر جاءت الدعوة من أجل انهاء هذا الصراع . وقد بدأت هذه الدعوة من قبل الاتحاد السوفييتى ، إلا أن الولايات المتحدة فى أول الأمر غلبت جانب سوء الظن الذى تخفيه هذه الدعوة .

وقد جاء هذاالنداء لاحلال السلام فى كوريا على لسان مندوب الاتحاد السوفييتى فى الأمم المتحدةيعقوب مالك فبعد أن هاجم ميثاق الحلف الأطلسى والسيطرة الأمريكية على فورموزا ختم حديثه قائلا : (إن الشعوب السوفيتية تعتقد أنه يحسن القيام بمحادثات بين المتحاربين بغية وقف النار وبهدنه تنص على سحب متقابل للجيوش من جانبى خط العرض ٣٨ . فهل يمكن اتخاذ مثل هذا الاجراء؟ أعتقد بذلك شريطة أن توجد رغبة مخلصة فى انهاء الحروب الدامية فى كوريا)[٢].

فكان هذا الخطاب دعوة صريحة للمفاوضة ، وأعلمت الولايات المتحدة بأنها على استعداد لذلك رغم سوء الظن ، وصرحت الصحف الصينية بأنها تحبذ الايحاء الروسى[٣]. وتم البدء فى المفاوضات غير أنها لم تؤت ثمارها

---

(١) Hudson, op. cit, p.92 .
نقلا من كتاب من الحرب الباردة حتى الوفاق (٦٦) .

(٢) التاريخ الدبلوماسى (٣٠٠) ، وانظر التنظيم الدولى (٤٦) ، (٥٩٤) .

(٣) انظر التاريخ الدبلوماسى (٣٠٠) .

وبقيت المناوشات بين الطرفين سواء منها القتالية ، أو الكلامية[١]، وزاد نمو الشعور المتذمر من الحرب لعدم الجدوى منها ولوفاة ستالين عام ١٩٥٣ أظهر الاتحاد السوفييتى والصين مرونة أكثر فى الميل إلى الصلح فاستؤنفت المفاوضات التى كانت قد قطعت .. وتم توقيع الهدنة فى ٢٧ يونيو سنة ١٩٥٣م[٢]. وانتهت الحرب إلا أن المشكلة بقيت قائمة فلم توحد كوريا وأصبح خط العرض ٣٨ فاصلا بين الكوريتين (وكان المفترض أن يعقب الهدنة فورا مؤتمر سياسى . فمعاهدة وصلح دائم ، بيد أن الأحداث أثبتت أن هذا كان سرابا)[٣].

وبقيت المشكلة الكورية فعقد مؤتمر جنيف فى سنة ١٩٥٤ لمناقشتها إلا أنه فشل فى إيجاد الحل لها وأزيحت المشكلة الكورية جانبا لاستحالة الاتفاق بشأنها[٤]. ثم استمرت جهود الأمم المتحدة بشأن توحيد كوريا وأنشأت لجنة خاصة لهذه المهمة استمرت حتى عام ١٩٧٣ . ثم قررت الجمعية العامة حلها بعد أن التقى ممثلوا كوريا الشمالية والجنوبية وأصدروا بيانا يتضمن المبادىء الأساسية لتوحيد كوريا[٥].

وبعد هذا العرض فما هى آثار الحرب الكورية؟

لقد كانت الحرب الكورية من أبشع الحروب التى شهدتها الخمسينات ، فكانت آثارها كبيرة سواء فى الأرواح أو فى الموارد الإقتصادية ، كما كانت آثارها ممتدة إلى مابعد وقتها حتى كانت من أخطر الأحداث المؤثرة فى سياسة الدولتين الكبريين ، وفى استمرار وازدياد حدة الحرب الباردة بينهما ويمكن ذكر بعض الآثار لهذه الحرب فى النقاط الآتية :

---

(١) انظر عن ذلك : التاريخ الدبلوماسى (٢٩٩-٣٠٣) ، موجز تاريخ الولايات المتحدة (٤٩٤-٤٩٥) .

(٢) انظر : موجز تاريخ الولايات المتحدة (٥٩٥) ، العالم فى القرن العشرين (٢٨٦) ، التنظيم الدولى (٤٦) .

(٣) موجز تاريخ الولايات المتحدة (٦٠٤) .

(٤) انظر : التنظيم الدولى (٤٦) ، موجز تاريخ الولايات المتحدة (٦٠٤) .

(٥) انظر : التنظيم الدولى (٤٦) ، محاضرات فى الندوة الدبلوماسية الثامنة (٢٢٨) .

أولا : أن هـذه الحرب لم تتمخـض عن نصر صريح لأحد مـن الطرفين وقـد استقـر الأمـر فى نهـاية المطـاف على الابقـاء على الكـوريتين الشمـالية والجنوبية ويفصل بينهما خط العرض ٣٨ .

ثانيا : لقـد خسـرت الـولايات المتحـدة الشـىء الكثير مـن وراء هـذه الحرب ، رغـم بعض ماحققته مـن ورائها كالابقاء على كـوريا الجنـوبية بعيدة عن السيطرة الشيوعية حيث (كسب الغرب انتصارا ملمـوسا بثمن باهظ . إذ سكن القبور عشرات الآلاف من الأمريكيين والبريطانيين والكوريين الجنوبيين وغيرهـم من الجنود ، ولقد شوه مئات الآلاف ، أو أعجـزوا نتيجة الأمراض والمحن ، وبات معظم كوريا خرابا . ولكن الغرب حقق ، ماوصفه ونيستون تشيرشـل بأنه (هـزيمة تامة) ، فلقـد هـزم العدوان الشيـوعى بأن حصـره فى موقف لاحراك له منه . ولو أن الاتحاد السوفييتى نجح فى ضغطـه التجريبى فى كوريا ، لأسرع فأردفها بحركـات أخرى . إذ كـان ستـالين قـد أعـد جدولـه الـزمنى لغزو ماليزيا ، والهند الصينية ، وفورموزا ، ولـو أنه أفلح ، لأعقبها بأوروبا الغربية . ولكنه أحبط ، بينما ازدادت سرعة التسلـح الغربى . فباتت الجبهـة العـالمية ضد الشيوعيـة أشـد مما كانت عندما شنـت كـوريا الشمالية هجومها بدرجة تفوق أى قياس)(١).

وعن الخسائر التى منيت بها كوريا الجنوبية وحلفائها يقول كولن وبيتر (خسرت كوريا الجنوبية من القتلى مليونا وثلاثمائة ألـف عسكرى ومليونا من المدنيين . وخسرت الولايات المتحدة ١٤٢٠٠٠ والأمم المتحـدة ١٧٠٠٠ "بما فيهم ٧٠٠٠ من مجموعة الأمم البريطانية")(٢).

---

(١) موجز تاريخ الولايات المتحدة (٥٩٥-٥٩٦) .

(٢) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٦٧) .

وانظـر المذاهب العسكرية فى العـالم (١٣٤) ، وقال إن أمـريكا خسـرت ١١٩ ألف قتيـل ، و٢٦٥ ألـف جريح ، و٩٣ ألـف أسير . وقـال ووقـع القسـم الأكبر مـن الخسائر المادية على الولايات المتحدة .

وقال عن خسائر كوريا الشمالية بأنها بلغت مليون وستمائة ألف قتيل .

ثالثا : كان من آثار الحرب الكورية جر الاتحاد السوفييتى إلى سباق التسلح الذى لم يكن قادرا على تحمل نفقاته نظرا لإنهيار الإقتصاد السوفييتى وكان هذا التسابق من الطرفين(١).

يقول كولن وبيتر : (من وجهة نظر الولايات المتحدة فإنه أمكن انقاذ كوريا الجنوبية وربما اليابان ومنى الاندفاع الشيوعى فى آسيا بنكسة وارتفعت موازنة الدفاع الأمريكية من ١٢ بليونا إلى ستين بليونا من الدولارات . وبذلك أجبرت الاتحاد السوفييتى على الدخول فى سباق للتسلح لم يكن قادرا على نفقاته بسهولة)(٢).

رابعا : رغم حذر الصين إلا أن الحرب الكورية ودخول الصين فيها قد أكسبها هيبة من أعدائها ، واحتراما من الأحزاب الشيوعية وعطفا من الدول الآسيوية . يقول كولن وبيتر : (زادت الحرب كثيرا من تفاقم العداوة بين الصين وأمريكا ، وربما رأى ستالين فى ذلك بعض الفائدة لروسيا إلا أن الصينيين كسبوا قدرا من الهيبة دون شك . لقد "أنقذوا" كوريا الشمالية من ماك آرثر ، وأوقعوا خسائر كبيرة بقوات الأمم المتحدة بهجماتهم التى كانت تعتمد على "الأمواج البشرية" ، وقطعوا جزءا من الطريق فى سبيل إقناع البنتاجون (وزارة الدفاع الأمريكية) بعدم توريط القوات الأمريكية فى البر الآسيوى الرئيسى مرة أخرى . واتحدت الصين ضد التهديد الأجنبى وتوسع جيش التحرير الشعبى الصينى واكتسبت الصين احترام الأحزاب الشيوعية الأجنبية وعطف الحكومات الآسيوية)(٣).

خامسا : ومن الآثار لهذه الحرب أن الاتحاد السوفييتى أجبر (الصين على الاعتماد على دولته فى الحصول على المساعدات العسكرية)(٤).

---

(١) انظر العالم فى القرن العشرين (٢٤٧) .
(٢) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٦٨) ، وانظر العالم فى القرن العشرين (٢٨٦) .
(٣) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٦٨) .
(٤) العالم فى القرن العشرين (٢٨٦) .

وربما عمل هذا على الحد من الخلاف فيما بين الدولتين .

سادسا : كادت الحرب فى كوريا أن تؤدى إلى قيام حرب عالمية جديدة (كما وأنها عمقت من تقسيم العالم إلى معسكرات متنافسة مسلحة)[١].

سابعا : أن الحرب الكورية كان لها (انعكاسات دولية واسعة مثل الخوف ، فى أوروبا الغربية خاصة ، والمزيد من التعاون والتكتل ، فى أوروبا والغرب ، أو مثل دمج اليابان فى العالم الغربى ، أو كانت حتى كظرف مسرع لممارسة الاستقلالية الصينية تجاه موسكو)[٢].

ثامنا : أن هذه الحرب قد جعلت كلاً من الطرفين يزداد خوفا من الآخر ويفسر دخوله فيها بأنه محاولة لبث سيطرته على بقاع أخرى من العالم.

وينقل مكنمارا عن كينان أن كلاً من الطرفين رأى (أن الآخر يمثل مصدرا للبدء بالعدوان والخطط الهجومية . ففى واشنطن كانوا يقرأون الحرب الكورية على أساس أنها (بداية اندفاع السوفييت النهائية لقهر العالم) بينما فى موسكو اعتبروا رد أمريكا العسكرى النشط فى مواجهة التحرك السوفييتى المستفز هذا "كتهديد لوضع السوفييت فى كل من منشوريا وشرق سيبريا")[٣].

وبعد فإن هذا التقسيم الذى حصل لكوريا كان نتيجة للإرادة الدولية الكبرى الممثلة فى أمريكا والسوفييت سعيا من ورائه إلى تحقيق المصلحة التى تهم كل طرف من الأطراف[٤].

ونختم حديثنا عن الحرب الكورية بقول كولن وبيتر حيث قالا :

(كانت كوريا (بؤرة العاصفة) فى السياسة العالمية لمدة ثلاث سنوات فى بداية الخمسينات بينما أعادت الولايات المتحدة وأوروبا تسليح نفسها وأخذت تفكر هل سيغامر الروس بغزو المانيا الغربية من أجل إعادة توحيد

---

(١) العالم فى القرن العشرين (٢٨٦) .
(٢) الثنائية الدولية (٣٢٩) .
(٣) مابعد الحرب الباردة (٤١) .
(٤) انظر الثنائية الدولية (٣٢٨) .

ذلـك البلد أيضا؟ وكما أن حصار برلين رسم خطا فاصلا فى الحرب البـاردة فى أوروبا ، فـإن الحرب الكورية بدأت أيضا فى رسـم خط فاصل فى الحرب الباردة فى آسيا . واستمرت العاصفة فى أوائل الخمسينات فى الشرق الأقصى بينما كانت بريطانيا متورطة فى الملايو والولايات المتحدة مصممة على إحتواء الصين فشرعت لذلك فى تدخلها فى جنوب شرق آسيا)[١].

وهكـذا كانت الحرب الكورية بين الطـرفين قد زادت مـن حدة التوتر فيمـا بينهمـا وجعلت كلاً منهمـا يستنفـر طاقاته ومـوارده فى كسـب الـوقت باخراج أكبر قدر من السلاح الذى يمكنه من السيطـرة والتغلب على خصمه وكانت الأحداث متلاحقة ، والأطماع من قبل الدولتين متعارضة ، ومن هنا كان لابد من التصادم من جديد . وكـانت هـذه المرة فى الهنـد الصينيـة .

---

(١) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٧٠) .

خامسا : الأزمة الفيتنامية [الهند الصينية]

كانت الهند الصينية بأجزائها الثلاثة فيتنام ولاوس وكمبوديا خاضعة للفرنسيين ، ويصور كولن وبيتر باختصار السيطرة الفرنسية عليها ، ثم احتلال اليابان لها ، ثم عودتها إلى فرنسا مرة أخرى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية فيقولان : (احتل الفرنسيون الهند الصينية (فيتنام ولاووس وكمبوديا) بين سنة ١٨٦٣ وسنة ١٨٩٧ وحسب قول الرئيس روزفلت سنة ١٩٤٤ "فقد قامت فرنسا بحلبها مدة مائة سنة . وإن أهل الهند الصينية يستحقون شيئا أفضل من ذلك" . وفى سنة ١٩٣٠ أنشأ هوتشى منه حزب الشعب فى الهند الصينية . ولكن فرنسا تمكنت بسهولة من الإبقاء على حكمها (الأبيض) إلى أن جاء اليابانيون (الصفر) وحطموا قدرة فرنسا الظاهرية وذلك باحتلال البلاد بعد سقوط فرنسا فى أوروبا سنة ١٩٤١ . وفى سنة ١٩٤١ أسس هوتشى منه عصابات الفيت منه بدعم من الحلفاء وذلك لمحاربة السيطرة اليابانية . ويفترض أنه كان يعتقد أن فرنسا بعد النصر سوف تقبل مبدأ استقلال الهند الصينية ضمن نطاق من نوع من (الكومونولث) الفرنسى . ولكن ديغول قال فى مؤتمر برازافيل سنة ١٩٤٤ (يجب استبعاد حصول المستعمرات على الحكم الذاتى حتى ضمن المستقبل البعيد")[١].

وفى عام ١٩٤٥ (أصدرت مجموعة فيتنامية وطنية تعرف باسم (فيت منه) إعلانا بالاستقلال ورفض الفرنسيون الاعتراف بذلك ...)[٢].

وفى العام نفسه (كانت فرنسا مصممة على إعادة هيبة قواتها المسلحة . فقد تقرر فى بوتسدام (مع عدم وجود ممثل فرنسى) إنه عند تسليم اليابان يجب أن تحتل القوات الصينية الوطنية شمال الهند الصينية مؤقتا وأن تحتل

---

(١) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٧٦-٧٧) .
وانظر التاريخ الدبلوماسى (٢٨٣) .
(٢) تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (١٠٨) .

القوات البريطانية الجزء الجنوبى . وفى أيلول سنة ١٩٤٥ أعلن هوتشى منه استقلال جمهورية فيتنام الديمقراطية . ولكن بريطانيا التى ربما ساورها القلق على وضع أختها الإمبراطورية الفرنسية سمحت للقوات الفرنسية بالدخول ثانية إلى جنوب فيتنام . وبوجود هذا العدد الكبير من القوات الأجنبية على أرض بلاده كان هوتشى منه مستعدا للتفاوض على نوع من الاستقلال . وفى سنة ١٩٤٦ بدا ممكنا أن تصبح فيتنام الشمالية مستقلة فورا (مع تركز القوات الفرنسية فى نقاط استراتيجية لمدة خمس سنوات) ، وأن تعقد استفتاءات فى الجنوب من أجل تقرير آراء الشعب . غير أن الاستفتاءات لم تخرج إلى حيز الوجود وأمرت فرنسا قوات الفيت منه بالخروج من هانوى وهايفونج فى تشرين الثانى سنة ١٩٤٦ . ورفض الأمر الفرنسى فقصف الفرنسيون المدينتين موقعين فيهما ستة آلاف إصابة . وهكذا بدأت أول حرب فى الهند الصينية)[١].

وبدأت المواجهة بين قوات الفيت منه والقوات الفرنسية حيث بدأ أربعون ألف من الفيتنامية مدربون جزئيا ورديئو التسليح سنة ١٩٤٦ حملتهم ضد ١٦٣ ألف من القوات الفرنسية المتمرسة على الحرب ، وكان الفرنسيون والاداريون الاستعماريون قد عقدوا العزم على التمسك بكنوز الأرز والمطاط فى فيتنام الجنوبية من خلال إيجاد دويلات تكون ألعوبة فى يد الفرنسيين فرفض هوتشى منه ذلك وبدأ الشمال ببرنامج شيوعى قوامه محاولات من رجال العصابات للسيطرة على الريف وخنق المدن وذلك بتدمير المواصلات بينها ، ثم تحولت مجموعة من رجال العصابات لتثقيف الفلاحين فى القرى وإعادة توزيع الأراضى ، وكان برنامجه يشابه برنامج ماو فى شمال الصين ، وبعد أن ظهرت الصين الشيوعية ، وأصبحت إمكانية إرسال المساعدة لقوات الفيت منه واردة اضطر الفرنسيون إلى إعطاء الاستقلال ضمن الاتحاد

---

(١) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٧٧) .
وانظر : التاريخ الدبلوماسى (٢٨٣) ، حروب التدخل الأمريكية (١٧٨) .

الفـرنسى للاوس وكمبـوديا وإمبراطـورية يحكمهـا آخر ملـك فيتنـامى وهو الإمبراطور باوداى وحينها قال الفرنسيون للأمريكيين إن حربهـم الاستعمارية يجب النظـر إليها على أنها جزء من مؤامرة شيوعية عالميـة الهدف من ورائها السيطـرة على الـدول الحرة وحلفـائها الغربيين ، وتقبـل ترومـان هذا القول خاصـة بعـد اندلاع الحرب الكـورية ، وأرسـل فريقاً عسكـرياً استشـارياً إلى فيتنام واعترفت الولايات المتحدة وبريطانيا بفيتنام مستقلـة ، واعترفت الصين بفيتنـام وهوتشى منه ، وكذلـك اعترف بها السوفييت وكـوريا الشمالية عام ١٩٥٠ ، وبعض دول أوروبا الشرقية .

وبحلـول عـام ١٩٥٤ كانت الـولايات المتحدة تدفـع ٧٨٪ مـن تكاليف القتال فى حرب فيتنـام[١]حيـث قامت الولايات المتحـدة الأمريكيـة بمسـاعدة الفـرنسيين فى حين كـانت عقـب الحرب العـالمية الثانيـة معـارضة للاستعمـار الفـرنسى ولكنها اعتبرت الحرب فى فيتنام جزء من الهجـوم الشيوعى العالمى إذ أن (هوشى منه) زعيم الفيت منه كان شيوعيا صريحا[٢].

يقـول روزفلـت : (إن فرنسـا قـد استكملت البلاد ـ بسكـانها الثلاثين مليـونا ـ لحوالى مـائة عام ، لكـن الشعب فى وضع أسـوأ ممـا كان عليه فى البداية)[٣].

لقـد اكتسبت فيتنام (أهميتها المركزية بالنسبة للـولايات المتحدة نتيجة

---

(١) انظـر : من الحرب الباردة حتى الـوفاق (٧٧-٧٨) ، تاريخ الـولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (١٠٩) ، وانظـر حروب التـدخل الأمريكية فى العالم (١٨٣) وذكـر أن نسبة التكاليف ٨٠٪ .

(٢) انظـر : تاريخ الولايات المتحـدة منذ ١٩٤٥ (١٧٤) ، الأمـريكيون (٢٧) ، حروب التدخل الأمريكية فى العالم (١٧٦) ، التاريخ الدبلومـاسى (٢٨٥) وقال إن حرب الهنـد الصينيـة تحولت (من حرب استعمـارية إلى حرب منـاوئة للشيـوعية وهـذا التحول أدى إلى إنقلاب عميق فى السياسة الأمريكية) .

(٣) حروب التدخل الأمريكية فى العالم (١٧٤) .

انتصار الشيوعية فى الصين)[١].

واستمرت المواجهة بين القوات الفيتنامية والفرنسية ، وفى عام ١٩٥٤ استطاع الفيتناميون السيطرة على قلعة (ديان بيان فو) خلال حصار دام ٥٥ يوما واستطاع الجنرال غياب احضار الرجال والإمدادات على الدراجات الهوائية عبر مسالك الأدغال واستخدم المدافع الصينية والمدافع المضادة للطائرات ، وقتل ٧٢٠٠ جندى فرنسى وأسر الباقين وعددهم أحد عشر ألفا.

واقترح وزير خارجية أمريكا جون فوستر دالاس والقائد رادفور رئيس هيئة الأركان المشتركة على الرئيس الأمريكى أيزنهاور استخدام قاذفات القنابل الذرية من القواعد فى الفلبين ، فرفض أيزنهاور ذلك ، وصوت البرلمان الفرنسى لصالح الخروج من فيتنام ، وحينها كان مؤتمر جنيف منعقدا من أجل تسوية القضية الألمانية وأوكل إليه مهمة تحقيق وقف اطلاق النار[٢].

وأنهيت الحرب فى تموز ١٩٥٤ ونصت إتفاقية جنيف على إجراء انتخابات حرة خلال عامين ، وبهذا غدت فيتنام منقسمة إلى دولتين فيتنام الشمالية (الشيوعية) وفيتنام الجنوبية المناهضة للشيوعية ، ومن هنا بدأ الصراع الدولى بين القطبين الاتحاد السوفييتى الداعم للإشتراكية فى الشمال والولايات المتحدة التى تدعم كل مايناهض الشيوعية المتزايدة فى هذه الدولة فى الجنوب .

وعملت كل دولة من الدولتين الكبريين على مساعدة الطرف الذى يواليه فـ(قبل انتهاء عام ١٩٥٤ أقامت الولايات المتحدة منظمة معاهدة جنوب

---

(١) حروب التدخل الأمريكية فى العالم (١٧٣) ، وخشيت الولايات المتحدة أن تكون هذه المنطقة مصدرا للهجوم على المصالح الأمريكية فى المحيط الهادى ، انظر (٧٤) نفس المرجع .

(٢) انظر : من الحرب الباردة حتى الوفاق (٧٩) ، التيارات السياسية المعاصرة (٤٦٣) تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (١٠٩-١١٠) ، حروب التدخل الأمريكية فى العالم (١٨٤) ومابعدها .

شرق آسيا (سياتو) ، وهو تحالف مناهض للشيوعية . وضمت المعاهدة استراليا ، وبريطانيا العظمى ، وفرنسا ، ونيوزيلاند ، وباكستان ، والفلبين ، وتايلاند ، والولايات المتحدة . وقد أعفت الولايات المتحدة فرنسا فى الوقت ذاته من دورها فى حماية وإمداد القوات المناهضة للشيوعية فى فيتنام)[١].

وكانت تشعر أمريكا بأن نصيبها فى فيتنام ليس كبيرا نظرا لما كان يتمتع به هوتشى منه قائد فيتنام الشمالية من سيطرة على مشاعر معظم الشعب الفيتنامى وقد اعترف أيزنهاور بذلك فقال :

(لم أتحدث مع أى شخص خبير بشؤون الهند الصينية أو أراسله إلا ووافقنى على أنه لو أجريت انتخابات سنة ١٩٥٦ فإن ٨٠٪ من الناخبين كانوا سيصوتون إلى جانب هوتشى منه الشيوعى)[٢].

وبعد أن انسحبت القوات الفرنسية من فيتنام قبل الانتخابات بثلاثة أشهر أرسل أيزنهاور إلى نغودين ديم رسالة بين فيها التزام الولايات المتحدة الأمريكية بالدفاع عن فيتنام الجنوبية . وحينها نظم دالاس حلف جنوب شرق آسيا من أجل تحقيق الاستقرار فى منطقة الحرب الباردة فى الشرق وقال (إن خسارة فيتنام ولاووس فى الغرب وكمبوديا فى الجنوب الغربى كانت ستؤدى إلى استسلام الملايين للاستعباد الشيوعى ، ومن الناحية المادية فإن ذلك كان سيعنى خسارة خامات الصفيح الثمينة وموارد الأرز والمطاط الهائلة كما كان سيعنى أن تايلند التى كانت تتمتع بوجود أرض عازلة بينها وبين الصين الحمراء ستعرض حدودها الشرقية بكاملها للتسلل والهجوم . وإذا ماسقطت الهند الصينية فإن تايلند وكذلك بورما والملايو ستتعرض للتهديد مع مخاطر إضافية تواجه باكستان الشرقية وجنوب آسيا وجميع

---

(١) تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (١١٠) ، وانظر حروب التدخل الأمريكية فى العالم (١٩٤) .

(٢) Eisenhower, op. cit. p.372 .
نقلا من كتاب من الحرب الباردة حتى الوفاق (٨١) .

أندونيسيا)[١].

ومـن هنا وجدت سياسة أو نظـرية الدومينو (النظرية القـائلة بأنه إذا سقطـت إحدى دول جنوب شرق آسيا فى أيدى الشيوعيين ، فـإن كافة دول المنطقة حتى أقصاها ، أى أندونيسيا وماليزيا ، وحتى الهند كذلك ، ستتهاوى كقطع الدومينو)[٢].

ولأجل ذلك كانت الولايات المتحدة ذات يد طولى فى مساعدة فيتنام ، وكانت تحاول جاهدة فى منع سيطرة الشيوعيين . وللحـد من توسعهم عملت الـولايات المتحـدة على التـدخل المبـاشر فى أحداث فيتنـام خاصـة وأن المسيطرين على السياسة الخارجية قد اعتنقوا نظرية الـدومينو وقد اقتنع بذلك الـرؤساء الأربعة أيزنهاور ، وكينيدى ، وجونسـون ثم نيكسون[٣]. ومما زاد الـوضع سوءا والولايات المتحـدة اندفاعا ماذكرته المخـابرات الأمـريكية (فى عام ١٩٥٩ أن تأييد الفيتناميين الشمـاليين لرجال العصـابات فى ازدياد مستمر وفى ٨ يوليـو ١٩٥٩ ألقـى أحد أفـراد رجال العصـابات قنبلـة على قـاعدة عسكـرية فى فيتنـام الجنوبيـة لقى على أثرها جنديان أمـريكيان مصـرعيهما ، وكانا أول ضحيتين أمريكيتين فيما أصبح ذلك حربا كبرى)[٤].

وحاول ايزنهـاور أن يقاوم الضغـوط التى استهدفـت توريط الولايات المتحدة فى محاولة انقاذ القوات الفرنسية إلى أن استجاب لذلك وأيد الرئيس ديم وجاء مـن بعـده كنيـدى وسـار فى نفس الطريق فكـان تواجد القـوات الأمريكية كبيرا فى فيتنام ، إلا أن المواجهة التى لقيتهـا من الشعب الفيتنامى كانت لها بالمرصاد وقد أحبطـت كثيرا مـن محاولاتهـا وكـذلك منعتهـا مـن الوصول إلى غاياتها شارك فى ذلك المتمردون فى الجنـوب ، والدعم لهم من

---

(١) Eisenhower, op. cit. p.333 .
نقلا من كتاب من الحرب الباردة حتى الوفاق (٨٣-٨٤) .

(٢) موجز تاريخ الولايات المتحدة (٦٤٧) ، وانظر الثنائية الدولية (٣٣٣) .

(٣) انظر موجز تاريخ الولايات المتحدة (٦٤٧) .

(٤) تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (١١٠) .

قبل الشمال على شكل عصابات مسلحة وزادت أمريكا من معوناتها الإقتصادية والعسكرية وعندما جاء جونسون ازداد تورط الولايات المتحدة وازداد مع هذا التورط عمل المخابرات المركزية وغارات الكوماندوز لنسف الجسور ، وتدمير المنشآت(١).

وقد أدت إحدى العمليات إلى حادث خليج تونكين فى ٢٤ أغسطس من عام ١٩٦٤ فـ(بينما كانت إحدى المدمرات الأمريكية المسماة (مادوكس) Maddox تقوم بأعمال الدورية فى خليج (تونكين) هاجمتها ثلاث سفن حربية تابعة لفيتنام الشمالية ، وقد غرقت إحدى هذه السفن ...)(٢).

وبسبب ذلك اتخذ الكونغرس قرارا يخول الرئيس سلطة اتخاذ قرار الحرب فدفع الرئيس طبقا لهذا القرار بقواته المسلحة إلى فيتنام لتقديم يد المساعدة لأى إقليم فى هذه المنطقة يرغب فى الدفاع عن حريته ، وواصل الرئيس قصفه على الأهداف المدنية والعسكرية فى تلك المناطق الصناعية(٣).

(وقد بلغ ماأسقط من قنابل فوق فيتنام إبان حكم نيكسون الذى استمر ثلاث سنوات فقط .. كل ماأسقط من قنابل فوق آسيا وأوروبا مجتمعين فى الحرب العالمية الثانية . وضحت الحكومة بحياة ١٥ ألف أمريكى . وبلغت الخسائر ١١٠ ألف جريح وخمسين بليون دولار ذهبت كلها أدراج الريح . أما فيتنام الجنوبية فقد فقدت ٦٠٠ ألف مواطن بين قتيل وجريح من أجل أن تمضى الأمور بصورة "مشرقة" . وبشكل عام أدت هذه الحرب إلى فقد حياة ٥٥ ألفا أضيف إليهاخسائر بلغت ٣٥٠ ألفا .. وفاقت نفقاتها ١٦٠ بليون دولار . أما الخسائر المعنوية والفكرية فلايمكن تقديرها بمال . وجاء فى تقرير اللجنة التى شكلها مجلس الشيوخ أن الضريبة التى دفعتها فيتنام الجنوبية بلغت النصف مليون مقاتل بينما بلغت خسائر الأعداء المليون قتيل

---

(١) انظر موجز تاريخ الولايات المتحدة (٦٤٨) .

(٢) فترة من الانفراج الدولى (٢٥) ، اندريه فونتين ، ترجمة موسى الزعبى ، ١٩٨٨م مطبعة الجاحظ ، دمشق .

(٣) انظر : موجز تاريخ الولايات المتحدة (٦٤٩) ، فترة من الانفراج الدولى (٢٦) .

هذا غير الخسائر التى بلغت المليون ونصف المليون مواطن . ولاحقت الحرب كمبوديا ولاوس فترة من الزمن وألحقت بها خسائر فى الأرض التى دكتها الغارات والدمار الذى لحق بالحياة فى القرى)[١].

وقد صور أحد مساعدى وزير الدفاع الأمريكى قوة ذلك القصف وعشوائيته بالفعل حين قال : (كنا نواصل القصف ملتزمين بشعار أنه لكى نقضى على قوات (الفيتكونج) فإنه يلزم دك كل القوى ... وسحق كل الغابات ... ثم يسوى بعد ذلك .. سطح أرض فيتنام كلها بالأسفلت)[٢].

وقد بذلت الجهود من أجل توقيع السلام مع فيتنام الشمالية وأفلح هنرى كيسنجر فى توقيع معاهدة للتسوية مع فيتنام الشمالية فى باريس ١٩٧٢ ونصت على أنه من حق هانوى وضع قوات لها فى فيتنام الشمالية ، ولكون رئيس فيتنام الجنوبية ثيو لم يستشر بشأن هذه المعاهدة فقد غضب من هذا البند ورفض التوقيع فقامت أمريكا بارغامه عندما قصفت فيتنام الجنوبية اثنى عشر يوما عام ١٩٧٢ ، ونجح الأمريكان فى ذلك ووقع ثيو على المعاهدة فى يناير ١٩٧٣ برغم أنه ثبت عدم جديته واحترامه لبنودها فيما بعد ، وطبقا لهذه المعاهدة تعهدت الولايات المتحدة بسحب قواتها من فيتنام وتسد احتياجات سايجون من السلاح والمعدات . وخلفت أمريكا وراءها عتادا كان يمكن أن يحيل فيتنام الجنوبية إلى واحدة من أكبر الدول البحرية فى العالم ورابع أكبر جيش ، وسادس قوة جوية فى العالم كله[٣].

وبدأ وقف اطلاق النار ودخل حيز التنفيذ إلا أن الرئيس الجنوبى (نجوبين فان ثيو) أعلن فى كانون الثانى فى الثامن والعشرين منه لمواطنيه (أن لاشىء قد تغير ... وأن الصراع ضد الشيوعية سيستمر ، فقاتلوا هؤلاء الذين يواجهونكم فى قطاعاتكم)[٤].

---

(١) موجز تاريخ الولايات المتحدة (٦٥٢) .

(٢) المرجع السابق (٦٤٩) .

(٣) انظر المرجع السابق (٦٥٢) .

(٤) نقلا من كتاب فترة من الانفراج الدولى (٤٣٧) .
وعن لجان المراقبة لوقف اطلاق النار وبعض ماصاحب ذلك من ضغوط على ثيو انظ (٤٣٧-٤٣٩) .

ولكن موقف الحكومة الأمريكية منه ورغبتها فى احلال السلام فى تلك المنطقة جعلته يذعن لمطالبها مضافا لذلك إعلان رئيس وزراء فيتنام الشمالية بعدم محاولتها (أى فيتنام الشمالية) إقامة نظام شيوعى فى سايغون ، ومن الغريب أنه رغم الاتفاق على وقف اطلاق النار إلا أن الولايات المتحدة كانت مستمرة فى هجومها واطلاق قنابلها فى حين أن فيتنام الشمالية ذكرت أن وقف اطلاق النار ليس أمرا صعبا . وقال الشيوعيون بأن القنابل التى ألقيت بعد وقف اطلاق النار وصلت إلى ٢٠٠,٠٠٠ ضحية وأجبرت القاذفات مئات الآلاف على الهجرة[١].

وقد (أثار استئناف القصف الجوى موجة استنكار فى كونجرس الولايات المتحدة . وأوقف بتاريخ ٢٥ حزيران كل اعتماد مالى من أجل هذه العمليات . إنه قرار ذو معنى ، بحيث أنهى بريجنيف ذلك اليوم تحديد الزيارة التى وقع خلالها اتفاقا حول الإحتياطات الوقائية من الحرب النووية رفض نيكسون القرار فى بداية الأمر ، لكن وجب عليه أخيرا أن يقبل بنوع من الحل الوسط ، إذ وعد فى أحد صيغه ، أن يوقف الغارات اعتبارا من ١٥ آب . وكتب بتاريخ ٣ آب إلى رئيس مجلس ممثلى الشعب ، كارل البرت ، وإلى رئيس الأغلبية الديمقراطية فى مجلس الشيوخ ، مايك مانسفيلد أن : فيتنام الشمالية ، سترتكب خطأ كبيرا إذا اعتبرت أن انتهاء القصف الجوى فى كمبودجيا هو من أجل التشجيع على ارتكاب عدوان جديد (...) وسيعرف الشعب الأمريكى كيف يرد على عدوان من هذا القبيل ، وبالوسائل المناسبة)[٢].

لقد كانت أحداث فيتنام متصلة بأحداث أخرى فى دول الجوار مثل كمبوديا ، ولاوس وكانت أجهزة المخابرات تلعب دورا بارزا فى أحداثها

---

(١) انظر فترة من الانفراج الدولى (٤٣٩) .

(٢) نقلا من المرجع السابق (٤٣٩-٤٤٠) .

على أن الأحداث لاتخلو مما يذكر من حرب بين الطرفين لمنع كل منهما الآخر فى تحقيق رغبته وبث سيطرته على تلك المنطقة[١].

وهكذا كانت فيتنام إحدى حلبات الصراع بين الدولتين وقد خلفت هذه الحرب آثارا على القطبين .

آثار الحرب الفيتنامية :

أولا : كانت الحرب الفيتنامية حربا من أجل بسط النفوذ ومنع الطرف الآخر من السيطرة والتوسع . فإنه وإن كانت الحرب على أرض فيتنام إلا أنها كانت بين الدولتين الكبريين .

ثانيا : عكست الحرب الفيتنامية النزاع الدولى الكبير الذى تجسد فى هذه البقعة من العالم[٢]، وزاد من حدة الخلاف والشك فى النوايا لكل التحركات بالإضافة إلى أن الولايات المتحدة لايمكن أن تتراجع مجددا فى آسيا كما أعلنه بعض قادتها[٣].

ثالثا : أثبتت الحرب الفيتنامية عجز القوات الأمريكية فى حسم الخلاف الذى كانت تنفخ فيه الشيوعية ، ووصل الأمر إلى أن أصبحت فيتنام ضمن المجموعة الإشتراكية ، وبرغم توقيع المعاهدة سنة ١٩٧٣ إلا أن الحرب استمرت إلى سنة ١٩٧٥ ووجدت فيتنام كدولة تعتمد النظام الإشتراكى .

رابعا : استغل الاتحاد السوفييتى توظيف الحرب لصالحه إعلاميا وأيديولوجيا حيث أشغل العدو (الولايات المتحدة) والمنافس (الصين) بعضهما ببعض فى حين كان الوقت لصالحه يتحرك كيف شاء دوليا نظرا لانشغال الولايات المتحدة بفيتنام[٤].

---

(١) انظر بشأنها كتاب فترة من الانفراج الدولى (٢٦-٢٧) .

(٢) انظر الثنائية الدولية (٣٣٤) .

(٣) انظر حروب التدخل الأمريكية فى العالم (١٨٩) .

(٤) انظر الثنائية الدولية (٣٣٤-٣٣٥) ، وهذا لايعنى أن الولايات المتحدة لم تستغل الحرب الباردة فى بث أيديولوجيتها حيث تحالفت مع الكنيسة فى فيتنام .
انظر حروب التدخل الأمريكية فى العالم (٢٠١) .

خامسا : أثرت الحرب الفيتنامية على الولايات المتحدة الأمريكية سياسيا وإقتصاديا وعسكريا ونفسيا[١].

(جاء فى تقرير اللجنة العاملة فى مجلس الأمن القومى الذى قدم فى تشرين الثانى ١٩٦٤ (أن انتقال جنوب الفيتنام إلى الشيوعيين بأى شكل كان هو ضربة كبرى لسياستنا الأساسية . فسمعه الولايات المتحدة تعتمد إلى حد بعيد على ابقاء جنوب فيتنام غير شيوعية)[٢]. ولاشك أن هذا الاعتقاد زاد من شدة التمسك بالسياسة الأمريكية تجاه فيتنام ولأجل ذلك وبعد الانسحاب اعتبرت هذه الأزمة الجرح الدامى فى قوة الولايات المتحدة سياسيا وعسكريا. هذا عدا الخسائر المادية والإقتصادية التى منيت بها الدولتان وخاصة الولايات المتحدة وفى هذا إرهاق للإقتصاد وانفاق على حرب خارجية الهدف منها ابعاد سيطرةالعدو وذلك على حساب الشعب داخل الدولة التى وجهت اهتمامها بصد العدو على حساب شعبها . وهناك من مال إلى اعتبار الحرب الفيتنامية بمثابة مواجهة بين الصين وأمريكا أكثر منها مواجهة بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة ولكن اعتماد هذا الرأى لاينفى الدعم السوفييتى لفيتنام الشمالية[٣]. ويمكن القول أن فيتنام حظيت (بدعم مالى سوفياتى ودعم تسليحى من الصين الشعبية)[٤]. وهكذا لقد كانت فترة الخمسينات والستينات من أشد الأوقات توترا بين القوتين الجبارتين . وفى

(١) انظر عن ذلك : موجز تاريخ الولايات المتحدة (٦٨١-٦٨٢) ، الأمريكيون (٢٧-٢٩) .

(٢) حروب التدخل الأمريكية فى العالم (٢٢٤) .

(٣) انظر : الثنائية الدولية (٣٣٥) ، حروب التدخل الأمريكية فى العالم (٢٢٧) .

(٤) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٨١) .
ويؤيد هذا الرأى ماجاء عن كوسيغين حيث قال : (إن الصينيين يتكلمون كثيرا لكننا نحن الذين نقوم بالدفع) . النار والجليد (١٨٦) . واعترف بأن السوفييت زودوا فيتنام الشمالية بالأسلحة من النوع الممتاز ، وأن السوفييت أرسلوا الخبراء والفنيين إليهم ليعلمونهم كيفية استخدامها . انظر نفس المرجع (١٨٦) .

هذه الفترة أيضا وجد بعض إنفراج بين القوتين خاصة فى الستينات ، وبحق يمكن اعتبار هذه الفترة قد جمعت بين التأزم والإنفراج .

ومن أهم تلك الأحداث :

(١) الحرب الكورية .

(٢) أحداث الشرق الأوسط[١].

(٣) إعلان الولايات المتحدة عن سياستها الجديدة (الرد الشامل) وهى : (أن تقيم الولايات المتحدة دفاعها - والدفاع عن حلفائها على أساس الالتزام باستخدام الأسلحة النووية)[٢].

وقد تراجع الأوربيون عن هذه السياسة بعد وفاة ستالين والخوف من الحرب الشاملة ، إذا هى استمرت فيها .

وكان الهدف من هذه السياسة تطويق التوسع السوفييتى ومحاولة دحره عن الدول والمناطق التى سبق وأن استولى عليها .

(٤) قام السوفييت فى هذه الفترة بإحكام قبضتهم على الدول التى استولوا عليها أثناء الحرب وبعدها ، وكان الدرس الذى تلقته المجر جعل بقية الدول لاتفكر فى الخروج عن التوجيهات الصادرة من الاتحاد السوفييتى[٣].

(٥) أقدمت الولايات المتحدة على إبرام كثير من المعاهدات فى هذه الفترة حتى أن (دالاس) اتهم بأنه مصاب (بجنون المعاهدات) وكان دالاس يرى أنها أسلوب هام فى التصدى للتوسع الشيوعى .

زد على هذا استخدام المخابرات فى محاولة الاطاحة ببعض الحكومات الموالية للشيوعية[٤].

---

(١) سيأتى الحديث عنها بشىء من التفصيل إن شاء الله تعالى .

(٢) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٨٧) ، وانظر (٨٨-٨٩) .

(٣) انظر : المرجع السابق (٩٤-٩٥) بمراجعه ، الروس قادمون (٢٥٠) تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (١١٧) .

(٤) انظر تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (١١٥) .

(٦) وجدت فى هذه الفترة دول عدم الانحياز فى سنة ١٩٥٥م غير أن هذا الحياد لم يساعد هذه الدول على التخلص من التورط فى الحرب الباردة وحصل بسببها الانقسام فيما بين دول عدم الانحياز . هذا بالاضافة إلى أن الأمريكان ينظرون لعدم الانحياز نظرة عدائية[١].

كما أنه وجدت بعض الأحداث التى كانت سببا فى فترات الانفراج والتخفيف من حدة التوتر بين الدولتين .

(١) وفاة ستالين فى ٥ آذار ١٩٥٣ واعتبرها البعض نوعاً من الانفراج فى حدة التوتر والتأزم بين الدولتين[٢].

يقول دانيال ونورمان :

(بينما استمر شعور القلق البالغ من الشيوعية ، فقد بدرت بوادر (ذوبان) ممكن لجليد الحرب الباردة . مات جوزيف ستالين ، الديكتاتور السوفييتى فى مارس ١٩٥٣ . وبدا أن خلفاءه حريصون على بدء سياسة جديدة . وشرعوا يتحدثون عن امكانية (التعايش السلمى) بين القوتين العظميين)[٣].

(٢) ومن ذلك توقيع بعض المعاهدات وعقد بعض المؤتمرات التى تم فيها بعض التنازلات حيث كان خروتشوف على نهج يخالف فيه سلفه من القادة الشيوعيين ، وقد بدأ بكسر طوق العزلة السياسية للاتحاد السوفييتى فقام بعدة رحلات إلى خارج البلاد ، ووقع الاتحاد السوفييتى المعاهدة مع النمسا بعد مفاوضات جرت فى ٥ أيار سنة ١٩٥٥م

---

(١) انظر من الحرب الباردة حتى الوفاق (٢١٨) .
وقال دالاس : (باستثناء ظروف نادرة جدا ، فإن الحياد فكرة لاأخلاقية وقصيرة النظر) . نفسه (٢١٨) .

(٢) انظر من الحرب الباردة حتى الوفاق (٨٥-٨٧) .
وذكرا بعضا من الآثار الداخلية والخارجية فى السياسة السوفيتية الناتجة عن موته.

(٣) تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (١١٥-١١٦) .

انسحبت بموجبها الدول الكبرى المحتلة للنمسا ، وتخلى السوفييت عن الأرض . غير أن هذه المعاهدة عادت على الكرملين بفائدة مفادها أن الاتحاد السوفييتى ممكن أن يكون مرنا ومعقولا[(١)].

ومن ذلك مؤتمر جنيف ١٩٥٥م[(٢)].

(٣) كذلك بدأت العلاقات بين الدولتين فى التحسن حيث قام الاتحاد السوفييتى بتخفيض جيشه بمقدار ستمائة ألف جندى ولاشك أن لهذه التبدلات آثارها فى التخفيف من الحدة التى وصلت اليها الدولتان فى الحرب الباردة .

(٤) ومن ذلك تراجع السوفييت فى سياسة ستالين الدكتاتورية ، وفضح الستالينية ، ومحاولة الانفتاح على العالم الخارجى حيث تشجعت بعض دول أوربا الشرقية للمطالبة بالتغيير والإصلاح .

أما الستينات فكانت كذلك مابين توتر حاد وتقارب وبدايات حقيقية فى التفاهم ، وكانت أهم أحداثها الصواريخ الكوبية ، وأزمة فيتنام . كما كانت أبرز أحداث الخمسينات الحرب الكورية ، وأحداث الشرق الأوسط التى سنتحدث عنها فى الصفحات المقبلة.

على أن هذه الأحداث متداخلة وبعضها ممتد إلى فترات زمنية سواء فى البداية أم فى النهاية . حيث يجتمع حدث مع حدث آخر أو مع آثاره والعكس .

---

(١) انظر من الحرب الباردة حتى الوفاق (٨٩-٩٠) .

(٢) انظر المرجع السابق (٩٢) وكانت محصلته فى نظر السوفييت أن الأربعة الكبار قد قبلوا الوضع الراهن فى أوروبا .
وأن هؤلاء الزعماء شرعوا فى الكلام حول وجود دولتين المانيتين .
وانظر تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (١١٦) .

سادسا : الشرق الأوسط[١] والحرب الباردة

شكلت منطقة الشرق الأوسط أهمية كبرى للدول الاستعمارية منذ إنهيار الإمبراطورية العثمانية (التركية) وخضعت هذه المنطقة للسيطرة الأجنبية من بريطانيا ، وفرنسا ، ثم شكلت أهمية خاصة للولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، ولاغرابة فى هذه الأهمية نظرا لما تتمتع به هذه المنطقة من موارد إقتصادية هائلة ، وكذلك نواح دينية عديدة تتعارض مع توجهات الغرب والشرق على حد سواء .

وبعد أن أخلت بريطانيا المنطقة وتركت مسئوليتها فى فلسطين لهيئة الأمم بدأت القوتان فى التورط فى منطقة الشرق الأوسط بصورة كبيرة .

يقول كولن وبيتر : (مع اضمحلال النفوذ البريطانى فى الخمسينات ، حاولت كل من موسكو وواشنطن المطالبة بحقها فى فراغ القوة الناتج عن ذلك وبذلك أدخلتا خلافاتهما فى منطقة كانت مسرحا تقليديا لصراع القوى العظمى)[٢].

---

(١) تقول الدكتورة دعد عن مصطلح (الشرق الأوسط) : (أن أصل المصطلح غريب عن المنطقة نفسها وقد نشأ لأسباب محددة تعود إلى ظروف الحربين العالميتين وهى بالأخص أسباب استراتيجية عسكرية (ميدانية ولوجيستية) . إن ارتسام المصطلح على الخريطة تعدل منذ الحرب العالمية الثانية وبتأثير أمريكى خاصة ليشمل من ضمنه مصطلح الشرق الأدنى وليمتد غربا فى أفريقيا البيضاء ؛ وبالتالى ، بالرغم من الاختلاف فى التحديد اعتبر أحيانا الشرق الأوسط ممتدا من المغرب العربى غربا حتى أفغانستان شرقا ومن اليونان شمالا حتى بحر العرب والمحيط الهندى جنوبا ، واكتفى أحيانا بأن يشمل المنطقة التى تذهب من مصر حتى ايران ومن تركيا حتى بحر العرب والمحيط الهندى) . الثنائية الدولية (٣٤٠) .
ولمزيد عن ذلك انظر الحلف الأطلسى والشرق الأوسط (١٩-٢١) .

(٢) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٢١٩) .
وانظر دور الماركسية فى الإشتراكية العربية (٥١-٥٤) وذكر أن هذه المنطقة كانت محط أنظار الروس من زمن القياصرة . وعن أهمية هذه المنطقة للسوفييت انظر السياسة السوفيتية فى قوس الأزمة (٤٩-٥٨) ، فردهاليداى ، ترجمة عفيف الرزاز الطبعة الأولى ١٩٨٢م ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، لبنان ، وقد أجاد مؤلفه فى ذلك .

ولاشك أن ظهور اسرائيل إلى الوجود زاد من حدة التوترات بينها وبين العرب وتحولت هذه التوترات إلى حرب عام ١٩٤٨م[١]. وكان الأمر كذلك فى السنوات اللاحقة ، وعملت الدول الكبرى على محاولة استغلال الأحداث لصالحها فنشأت الأزمات بين الأطراف وظن كل طرف أن الطرف الآخر يهدف إلى السيطرة على دول هذه المنطقة . فكان السباق والتأزم فى العلاقات الدولية ، هو المسيطر بسبب أحداث الشرق الأوسط .

فبدأت أمريكا تعمل من أجل مصلحتها ومصلحة إسرائيل وكان الغرب كله يهدف إلى إبعاد الاتحاد السوفييتى عن المنطقة وقامت أمريكا فى ١١ تشرين الثانى سنة ١٩٥١م بانشاء قيادة الشرق الأوسط بمشاركة المملكة المتحدة وفرنسا وتركيا ودعت الدول العربية إلى الانضمام إليها . وكأن الولايات المتحدة بهذه الدعوة تريد من العرب اعتبار أن عدوهم هو الاتحاد السوفييتى ونسيت أن العدو الحقيقى فى هذه المنطقة هو اسرائيل الدولة اليهودية . ان أم القضايا فى هذه المنطقة هى مسألة إستيطان اليهود الأرض الإسلامية فى فلسطين وتدنيس المسجد الأقصى ، ومن هنا كانت الأزمة وكان رد الفعل العربى تجاه القرارات التى اتخذت بشأن فلسطين والقدس .

وقد اعترف بأهمية هذه المنطقة الساسة والقادة من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى وغيرهم فجاء عن ترومان قوله :

(يشكل الشرقان الأدنى والأوسط منطقة ذات مشكلات خطرة ، وهى تحتوى على موارد طبيعية هائلة ذات قيمة فائقة . كما تقع فى المنطقة خطوط المواصلات البرية والجوية والمائية الفضلى ، والتى تربط بين الغرب والشرق فتتسم هذه المنطقة ـ بالتالى ـ بالأهمية الاستراتيجية الكبرى ،وفيها دول صديقة ذات سيادة ، وهى من الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة . أنها ليست قوية بما فيه الكفاية للوقوف ، إفراديا أو جماعيا ، فى وجه العدوان المسلح

---

(١) انظر تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٣٤٤) .
كانت الحروب البارزة اللاحقة عام ١٩٥٦م ، و١٩٦٧م ، و١٩٧٣م .

من قبل أية قوة عظمى ، ولـذلك يسهل أن نرى كيف يمكـن للشرقين الأدنى والأوسـط أن يتحولا إلى مسرح لخصومة شديدة بين قـوى خارجية ، وكيف يمكن لهذه الخصومة أن تنفجر فى نزاع مسلح"(١).

ويقول جورج ماكفى مساعد وزير خارجية الولايات المتحدة فى تقرير له :

(اسمحـوا لى بأن أتكلم بصـراحة عـن هذه المسألـة . إن خسـارة هـذه المنطقة إلى الاتحاد السوفييتى ستشكل كارثة رئيسية ...)(٢).

وهكـذا يتبين لنا أن الولايات المتحدة كانت حريصـة على عدم تغلغل السوفييت فى هذه المنطقة ، كما أن هذه المنطقة شكلـت أهمية خاصة بالنسبة للسـوفييت ومـن هنـا كانت إحدى المنـاطق التى شهـدت الحرب البـاردة بين الطرفين(٣).

ونظرا لهذه الأهمية عمل الغرب على ابعاد السوفييـت عن هذه المنطقة وكانوا بفعلهم أو أفعالهم تلك يستحثون السوفييت للتدخل فيها حيث كانت بعض الأحداث داعية إلى تدخل الاتحاد السوفييتى فى منطقة الشرق الأوسط ، خاصـة التكتـل الغـربى ، والأحلاف التى عقـدت وكـان القصـد منهـا إبعـاد السـوفييت عـن المنطقـة ، فبـالإضافة إلى قيـادة الشرق الأوسـط ، (ظهـر إلى الـوجود حلـف دفـاعى جديد كـان مـوجها فى الـدرجة الأولى ضـد الاتحاد السوفييتى ، انضمت إليه تركيا وإيران والعراق وباكستـان وهو حلف بغداد الـذى اتخذ العـاصمة العـراقيـة مـركزا لـه . وقـد أثار ذلـك الحلـف الاتحاد السوفييتى فاحتجت عليه حكومته وهاجمته . ثم ازداد الموقف بالنسبة للشرق

---

(١) Reitzel, et al, United States Foreignpolcy 1955-1995, p.210 .

نقلا من كتاب الحلف الأطلسى والشرق الأوسط (١١) .

(٢) نقلا من المرجع السابق (١٩) .

(٣) انظر بعض الاهتمامات بالمنطقـة من قبل الدول الكبرى فى كتـاب الحلف الأطلسى والشرق الأوسط (٩-١٠) .

الأوسط خطورة عندما انضمت بريطانيا إلى عضويته فى ابريل ١٩٥٥ ، وبدأ الضغط على مصر لكى تنضم إليه ، ورفض الرئيس جمال عبد الناصر الانضمام إليه رفضا باتا ، فأصبح الحلف بعد ذلك موجها ضد مصر أكثر منه ضد روسيا)[١].

(ومنذ سنة ١٩٥٥ كان من مصلحة موسكو السعى لإزالة هذا التهديد بمحاولة تخريب الحلف أو تبنى قضايا تلك الدول مثل مصر وسوريا التى كانت تعارض الحلف أكثر من غيرها . ولذلك كانت موسكو تعتمد عليها فى دعم المصالح السوفيتية من خلال العمل على توطيد مصالحها هى)[٢].

ومن هنا بدأ التوتر يزداد بشأن المنطقة ، فالسوفييت يرغبون فى ايجاد الأنظمة التابعة لهم ، والولايات المتحدة هى الأخرى تعمل لهذا ، وإن كان كلا الطرفين قد حققا أكثر مصالحهما فى المنطقة عن طريق دولة اسرائيل التى قامت على مساعدات هاتين الدولتين .

فكان الصراع العربى الاسرائيلى على أوجه ، ولعل السياسة اليهودية رأت أن من المصلحة أن تنساق احدى الدولتين الكبريين لتقديم المساعدات لبعض الدول العربية ليكسب اليهود مسألة عدم اتحاد الدول العربية فى جبهة واحدة فمنهم المشرق ومنهم المغرب ، وكلا الأمرين فيه من الهوان الشىء الكثير .

---

(١) التيارات السياسية المعاصرة (٤٦٤-٤٦٥) .
وانظر من الحرب الباردة حتى الوفاق (٢٢٠) .

(٢) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٢٢٠) .
يقول دروزيل : (ومن الواضح أن الاتحاد السوفييتى كان يحتج دوما على حلف بغداد الموجه ظاهرا ضده ، وفى ١٢ تشرين الأول ١٩٥٥ بصورة خاصة ، اعلم ايران بأن حلف بغداد لايتفق مع المعاهدة الإيرانية - السوفياتية لعام ١٩٢٧ . وكذلك الهند ، بطل الحياد ، انتقدت حلف بغداد بشدة . أما الولايات المتحدة ، فعلى العكس ، دعمت حلف بغداد بقوة وأخذت تعتبره بالتدريج مفتاح سياستها الدفاعية . وأرسلت مراقبين إلى اجتماعات مجلس الحلف وإلى لجنته الإقتصادية . وفى أوائل حزيران ١٩٥٧ ، قبلت الولايات التمحدة فى اللجنة العسكرية) . التاريخ الدبلوماسى (٣٧٣) ، وانظر (٣٧٠-٣٧١) .

لقد حقق إنشاء الحلف الدفاعى مكسبا للسوفييت وذلك بعودة مصر إليها ، وعقد الرئيس جمال عبد الناصر صفقة الأسلحة التشيكية والتى كانت بداية مساعدة عسكرية سوفيتية مستمرة[١].

حيث كانت (بمثابة أساس لتحالف جديد بين الاتحاد السوفييتى ومصر ، كما كانت فى الوقت نفسه بداية مرحلة جديدة من (الثقة) بين الفريقين ، إذ حتى ذلك الوقت كان الاتحاد السوفييتى لايزال يشكك فى مدى إخلاص مصر للنظام الإشتراكى بينما كانت مصر لاتزال تشكك فى نيات موسكو)[٢].

إن الدول الغربية كانت تهدف إلى ربط هذه الأحلاف التى استخدمتها لمصالحها ، وضد أهداف السوفييت ومطامعهم بحلف الناتو حتى تسير حسب سياستها وتوجهها كيفما شاءت[٣]، وجاء الإعلان الصريح من قادة تلك الدول بأن الاهتمام بالمنطقة وجعلها فى حالة قوة هو العمل الذى سيكون من شأنه ابعاد الاتحاد السوفييتى عنها .

يقول اتشيسون فى شباط/فبراير ١٩٥٠م :

(إن الطريقة الوحيدة للتعامل مع الاتحاد السوفييتى ... هى فى خلق حالات القوة)[٤].

وتقول تاتشر : (يجب أن يوضح الغرب للاتحاد السوفييتى وحلفائه ، أنه قادر على حماية المصالح الجوهرية بالوسائل العسكرية إذا كانت هناك ضرورة لذلك ...)[٥].

---

(١) انظر النار والجليد (١٥٠-١٥١) .

(٢) المرجع السابق (١٥١) .

(٣) انظر ماذكره مروان البحيرى عن هذه التوجهات (٢٤-٢٥) فى كتابه الحلف الأطلسى والشرق الاوسط . وانظر (٢٢-٢٣) .

(٤) المرجع السابق (٢٢) .

(٥) نقلا من المرجع السابق (٣١) .
وانظر مزيدا من أقوالها فى نفس الصفحة .

وهكـذا تكون الدول الغربيـة أعلنت من جانبها أهميـة المنطقة بالنسبة لهـم ، واستعـدادها للتـدخل عسكـريا إذا رأت أن الاتحاد السـوفييتى ينـوى الـوصول إليها ، وكانت الأحداث والصراعات العديدة مـع العدو الصهيونى فى أرض فلسطين المسلمـة فقـامت كـل دولـة بما ترى أنه ينـاسب توجهها وسيـاستها فى المنطقـة ولكـن إلى درجة معينـة بحيث تظـل دولـة إسرائيل فى مأمن وكذلك أن يدوم أمنهـا واستقرارها ، وكان هذا الأصـل قدرا مشتركا بين الطـرفين لاغبار عليه . أثبتتـه الأحداث والأقوال والـوقائع التى شهدتها الساحة الفلسطينية كما شهدتها الساحة الدولية منذ قيـام إسرائيل وحتى هذه اللحظة[١].

آثار أزمة الشرق الأوسط :

كـانت منطقـة الشـرق الأوسـط بؤرة مـن بؤر التـوتر بين الطـرفين إذ حاولـت الـولايات المتحدة منـع النفوذ السوفييتى مـن الـوصول أو السيطرة عليهـا . بينما كان السوفيـت يسعون إلى إيجاد المكان المنـاسب لهم من أجل الاستغلال وتحقيق الأطماع والأهداف الأيديولوجية والإقتصادية .

ويمكن ابراز أهم الآثار فى التالى :

أولا : ازدياد النفـوذ الأمـريكى بشكل كبير فى منطقـة الشـرق الاوسط بحجة ابعاد المنطقة عن الشبح الشيوعى . وكان لتوجهـات السياسة الأمريكية فى المنطقـة ردود أفعال لـدى كثير من الدول خاصة بعـد أن أصبح التحايل الأمريكى على المنطقةواضحا ، كما كانت التوجهات فى حماية دولة إسرائيل

---

(١) ولمعرفة مزيد من الأحداث والتوترات فى منطقة الشرق الأوسط انظر : مـن الحرب البـاردة حتى الوفاق (٢٢٠) ومـابعدها ، التيـارات السيـاسية المعـاصرة (٤٦٧) ومابعدها ، التاريخ الدبلوماسى (٣٧٢) ومابعدها ، موجز تاريخ الولايات المتحـدة (٦١١) ومابعدها ، تاريخ الولايات المتحدة منـذ ١٩٤٥ (١١٤،٣٤٤-٣٤٥) ، النار والجليد (١٥١-١٥٢) ، الثنائية الدولية (٣٤١-٣٤٢) .

مكشوفة ، ومن هذه الردود قطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة وكان هذا مسوغا استغلته الولايات المتحدة لصالحها .

يقول كولن وبيتر : (اعترضت مصر وسوريا على التورط الأمريكى فى الشرق الأوسط وزادتا قربا من الاتحاد السوفييتى لمقاومته وأعطتا بذلك مزيدا من التبرير لواشنطن . وزاد الاتحاد السوفييتى من معونته لمصر وأرسل ضباطا روسيين لتدريب القوات السورية . وأثار هذا مخاوف الغرب من أن تصبح سوريا شيوعية . وبذلك تعرض جناح حلف بغداد للخطر وتقوض النظم الحاكمة الموالية للغرب فى الأردن ولبنان والعراق . فزادت الولايات المتحدة من نسبة تسليم الأسلحة إلى الأقطار الثلاثة المهددة)(١).

ثانيا : كانت ردود الأفعال السوفيتية واضحة ردا على التحركات الأمريكية حيث قامت تركيا بمناورات على الحدود السورية ، ونددت الحكومة السوفيتية بالاستفزاز الغربى لسوريا ، وهددت بالقيام بأعمال عسكرية ضد تركيا(٢). وقال دالاس إن تركيا (الآن تواجه خطرا عسكريا متزايدا من نمو الأسلحة السوفيتية المطرد فى سوريا)(٣).

وحذر خروشوف الولايات المتحدة من أنه (إذا نشبت الحرب فنحن قريبون من تركيا وأنتم لستم كذلك وعندما تبدأ المدافع فى الرماية فإن الصواريخ قد تبدأ تطير وعندئذ سيفوت الوقت للتفكير فى عواقب ذلك)(٤).

وهكذا كانت التوترات والشكوك قائمة بين الطرفين فى كل تحركاتهم تجاه منطقة الشرق الأوسط مما دفع كل منهما فى زيادة حدة العداء وسوء الظن بالطرف الآخر والعمل على الحد من توغله فى المنطقة وابعاده عنها ولو باستخدام القوة .

---

(١) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٢٢٢) .
(٢) انظر المرجع السابق (٢٢٢) .
(٣) نقلا من المرجع السابق (٢٢٢) .
(٤) نقلا من المرجع السابق (٢٢٢) .

ثالثا : من آثار أزمة الشرق الأوسط تحقيق هدف من أهداف اليهود وهو تمزيق المسلمين العرب والعمل على عدم اتحادهم أو وقوفهم فى صف واحد وظهر ذلك جليا فى أن بعض الدول العربية قطعت علاقاتها مع الولايات المتحدة ثم اتجهت إلى الشرق الشيوعى للحصول على المساعدات العسكرية والإقتصادية منه ظنا منها بأنها ستجد فى ذلك حلا للخروج من أزمتها فأضحى حالها كحال المستجير من الرمضاء بالنار .

ومع ذلك فقد استطاع الاتحاد السوفييتى أن يجعل بعض الدول تثق به وتواليه نظير المساعدات التى توهم الرعاع أن الهدف منها هو مساعدة العرب المسلمين على دولة إسرائيل اليهودية .

وبعد هذا العرض نصل إلى الحقائق التالية :

أولا : أن تدخل القوى الكبرى فى منطقة الشرق الأوسط زاد من حدة التوتر والخلاف وقام بتمكين إسرائيل فى المنطقة ولم تؤد تدخلات الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى من انهاء الصراع العربى الاسرائيلى بل فاقمت منه وظلت الدولتان العظميان متورطتان فى الشرق الأوسط بصورة عميقة وبقيت الأزمة العسكرية مستمرة .

ثانيا : أن كلاالدولتين كانت تقوم بالحفاظ على أمن إسرائيل وسلامتها بل كانت هذه غاية الدولتين الكبريين مما يدل على أن التدخل كان للمصالح بشتى أنواعها من قبل الدولتين ، وإذا كانت السياسة الأمريكية مكشوفة بالنسبة للحرب ولوجود اسرائيل ، فإن الوجه الحقيقى للاتحاد السوفييتى كان يغيب عن كثير من الناس وذلك لكونه دافع وهدد ووعد بالسلاح والمدد وحقق شيئا من ذلك كان تسكيتا وذرا للرماد فى العيون .

(أ) فأما حرص موسكو على اسرائيل فيكفى أن العدوان الثلاثى وقع وموسكو تعلم به من قبل وقوعه .

فـ(فى ربيع سنة ١٩٦٩ سأل زاخاروف رئيسه المباشر سبيرونوف عن ظروف حرب ٥ يونيو بين مصر واسرائيل . وأعرب زاخاروف عن دهشته

البالغة لفشل إدارة المخابرات السوفيتية فى معرفة ترتيبات الحرب التى كانت إسرائيل تعدها . ولماذا لم يبلغ عملاء الإدارة عن موعد الهجوم الإسرائيلى حتى يمكن تفادى الكارثة التى لحقت بسلاح الطيران المصرى؟

ورد سبيرونوف بالحرف الواحد :

كلنا كنا نعلم أن إسرائيل تستعد للحرب . وكلنا كنا نعرف اليوم الذى قررته للهجوم والساعة التى تبدأ عندها توجيه ضربتها الجوية الأولى! وقد أبلغنا هذه المعلومات كلها - أولا بأول - إلى الإدارة فى موسكو ، وقبل ٥ يونيو بفترة كافية . ربما أنهم ، فى موسكو ، لم يصدقوا هذه المعلومات . أو ربما أنهم لم يتحركوا لقلة ثقتهم فى مصادر معلوماتنا)[١].

(ب) وأما كون الاتحاد السوفييتى لايرغب فى هزيمة إسرائيل عسكريا فلأنه كان يصدر عن قادته مايدل على أن الحل السلمى هو الذى تختاره حكومة موسكو .

يقول بريجنيف : (إن الاتحاد السوفييتى يتابع تطورات الاشتباكات العسكرية بين مصر وإسرائيل بقلق شديد . والاتحاد السوفييتى سيظل دائما ضد استخدام القوة لتحقيق السلام)[٢].

(ج) أما السلاح للعرب فإنه كان ذرا للرماد فى العيون وكسبا للود ، وإمعانا فى زيادة الفرقة بين الدول العربية ، حيث إن هذا السلاح لايساوى شيئا أمام مايملكه العدو ، وهذا السلاح يتصرف فيه السوفييت كما شاؤا هذا ، غير ماوعدت به الدول العربية وخاصة مصر من سلاح ومع ذلك فقد كان الكذب والخداع أكبر من أن يخفى فالاتحاد السوفييتى ساعد عى إيجاد إسرائيل وساعد على أمنها ، ولن

---

(١) الروس قادمون (١٢٤) ، وانظر (٦٣-٦٦) .
وانظر فترة من الانفراج الدولى (١٢٣) وفيه : (لم يتردد سفير الاتحاد السوفييتى فى مصر أن يوقظ عبد الناصر الساعة الثالثة صباحا ليطلب منه وبالحاح شديد أن لايكون البادىء فى الأعمال الحربية) .

(٢) الروس قادمون (٩٤) .

يبذل شيئا يذكر فى القضاء عليها[١].

ثالثا : أفرزت الأحداث أمرا وهو أن الولايات التحدة كانت تسيطر على أكثر دول المنطقة وكان لمواقف السوفييت أثر فى ذلك ، كما أن العقيدة الشيوعية قد جعلت شعوب المنطقة تنفر منها . يقول كولن وبيتر :

(قدمت موسكو المعونات لمصر وسوريا والعراق . ولكنها واجهت مشكلة رئيسية مفادها أن عقائديتها لم تكن تنطبق على دول الشرق الأوسط المتخلفة كما أن الحادها لم يكن موضع ترحيب ...)[٢].

رابعا : من الحقائق التى ينبغى ألاتغيب عن بالنا أن دول المنطقة بما فيها إسرائيل طالبت بابعاد المنطقة عن الحرب الباردة[٣].

خامسا : أن الأمر الذى فجر الأحداث فى منطقة الشرق الاوسط هو إيجاد الدولة اليهودية فى أرض فلسطين الإسلامية وأن من مصلحة الدولتين الكبريين الإبقاء على هذه الدولة تحقيقا لمصالحهما التى توجه بمصالح اليهود أساسا . ومن هنا تظل الحقيقة الكبرى أن الشرق والغرب الكافر يظلان عدوان حقيقيان للمسلمين مهما قيل وكتب عن دعمهما أحيانا لقضايا المسلمين (نظريا لاعمليا) .

سادسا : أن الصراع مع العدو الإسرائيلى والذى أوجدته القوى الكبرى بدعم الأيدى اليهودية لن ينتهى إلا إذا تعاملنا مع هذا الصراع على أساس عقدى ، وماعدا ذلك من تعامل فإن مصيره إلى الزوال وقد يستبدل بغيره فى أى لحظة قادمة حسب ماتقتضيه الظروف ، ومن هنا فلاالشرق

---

(١) وعن حقيقة سلاح موسكو للعرب انظر الروس قادمون على سبيل المثال (٦١-٦٢) (٨١) ومابعدها ، (١٣٢،١٤٠،١٥٦- ١٥٧،١٥٨-١٥٩) .
وعن موقف أمريكا والسوفييت من الحرب عام ١٩٦٧ وتواطؤهما مع العدو انظر فترة من الإنفراج الدولى (١٤٣) ومابعدها ، وانظر (١٠٧،١٢٣،١٣٠) .

(٢) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٢٢٣) ، وانظر النار والجليد (١٥٠) .

(٣) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٢٢٣) .

ولاالغرب سيدعم المسلمين فى صراعهم مع إسرائيل من أجل التخلص منها أو حتى الضغط عليها من أجل أن ترتدع ، ولن يكون النصر إلا بالعودة إلى الله تعالى والقيام بأوامره ونواهيه ، والتعامل مع أحفاد قتلة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما أمرنا الله تعالى به . وهذا سيكون طريق النصر فليت قومى يعلمون .

سابعا : من الحقائق التى تسطر هنا هو أن الجبارين يخافان من تنامى الصحوة الإسلامية .

يقول الكولونيل كومارنا رايان[١] عن الدولتين الكبريين : (رغم تكتيكاتهما المتعارضة يبدو أن كلتاهما تقلقان من تصاعد الثورة الإسلامية)[٢].

لقد كانت الحرب بين الطرفين حربا عقائدية ، غير أنها تجتمع إذا ماكان العدو هو المسلمين وهذا ماأثبتته الأحداث التى تلت قيام الشيوعية ووجودها كقوة تصارع الرأسمالية . هذا بالإضافة إلى الأحداث التى تشهدها الساحة الدولية فى وقتنا الحاضر .

على أن الخلاف بين الطرفين والحرب بينهما كانت كذلك سياسية وإقتصادية ، ولأجل ذلك عرف العالم كله تقريبا هذا النوع من الحرب (الحرب الباردة) بين القوتين الكبريين . ومن هذا الصراع أيضا ماحدث فى احدى دول أمريكا اللاتينية (كوبا) وكان هذا الحدث سيؤدى إلى الحرب العالمية الثالثة ، وكان صراعا بين الشيوعية والرأسمالية على أرض تلك الدولة . وعرف هذا الصراع بالأزمة الكوبية أو أزمة الصواريخ الكوبية ، أو صواريخ أكتوبر .

---

(١) عضو المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية فى لندن ، عميد المعهد الهندى للدراسات الإسلامية .

(٢) نقلا من كتاب محاضرات فى الندوة الدبلوماسية الثامنة (٢٥٨) ، وكان عنوان محاضرته (الآمال والمخاوف فى غرب آسيا) .

أزمة كوبا

إن أحداث الحرب الباردة وأسبابها قد امتدت على مختلف قارات العالم ومن الدول التى بلغتها تلك الحرب وكانت تشكل خطرا كبيرا بين القوتين دولة كوبا فى أمريكا اللاتينية . وكانت أزمة كوبا أخطر ماواجهته الساحة الدولية بعد الحرب العالمية الثانية إذ بسببها كادت أن تقع حرب عالمية ثالثة يستخدم فيها السلاح النووى .

وكان للظلم الذى تعيشه البلاد تحت وطأة حكومة (باتيستا) دور فى تفاقم الوضع وحدته حيث كان هذا الزعيم دكتاتوريا طاغية ، وبدا أن الشعب يرغب الخروج من هذا الظلم الذى يعيشه فى ظل زعامة (باتيستا) ويرغب فى الثورة عليه ، ووجد بين القوم محام شاب يدعى فيدل كاسترو[١] حاول استغلال اندفاع الشعب وغضبته ضد الزعيم الحاكم من أجل الانقلاب عليه غير أنه لم يوفق فى بادىء الأمر وعاود الكرة إلى أن استطاع أن يحل محل باتيستا .

يقول كولن وبيتر : (فى ٢٦ تموز سنة ١٩٥٣م قام محام شاب اسمه فيدل كاسترو مع مائة وخمسين من أتباعه بمهاجمة ثكنات الجيش فى سنتياغو الكوبية فى عهد الدكتاتور الكوبى الجنرال باتيستا ، وقتل نصف الثوار وسجن كاسترو ثم نفى ، وفى كانون الأول سنة ١٩٥٣م عاد كاسترو مع ٨٢ عضوا من حركة ٢٦ تموز إلى جبال سيراما يسترا فى كوبا ، وبحلول كانون الأول سنة ١٩٥٨م كان كاسترو قد شرع فى حرب تقليدية ضد باتستا الذى

---

(١) عاش كاسترو فى عائلة جيدة الثراء وكان والده صاحب أراضى زراعية ، تلقى تدريبه فى المحاماة ودخل مجال السياسة سنة ١٩٤٠م كعضو فى الحزب الأرثوذكسى وفى عام ١٩٥٢م استعد لخوض الانتخابات التشريعية الوطنية .
العالم فى القرن العشرين (٤٤٤) .

إنهار نظامه قبل انتهاء شهر كانون الثانى سنة ١٩٥٩م)[١].

وقد حظى كاسترو بمساعدة الحزب الشيوعى فى وصوله إلى السلطة حيث بلغ عدد أعضاءه ١٥ ألف ، وكانت قيادة الحزب مركزية وشارك الحزب كاسترو فى معارضته للولايات المتحدة[٢]. وقد وجد عدة اتجاهات فى كوبا حاول كاسترو استغلالها كلها لصالحه ، ومن هنا كانت له عدة أهداف من أهمها (اندماج القوة ... إجراء الإصلاحات السريعة . من أجل رفع مستوى المعيشة للطبقات الفقيرة فى كوبا ... الاستقلال عن الولايات المتحدة)[٣].

وفى جميع هذه الأهداف أثبت أنه ناجح جزئيا ، ونتيجة لذلك غدت كوبا فى غضون أربع سنوات مجتمع إشتراكى يعتمد على التجربة السوفيتية ويحكم فيه حزب واحد يعتمد على الاتحاد السوفييتى[٤].

كان البرنامج الإقتصادى الذى أراده كاسترو قد أساء للولايات المتحدة مما جعلها تبدأ محاولات الإطاحة بكاسترو فزاد العداء للولايات المتحدة ، وزادت الروابط فى الوقت نفسه بالاتحاد السوفييتى .

وقام كاسترو بمصادرة مزارع السكر ومصانعه التى يملكها الأمريكيون ، وكانت كوبا تمثل منطقة مهمة بالنسبة لاستثمارات الولايات المتحدة حيث جاء فى تقرير رفع لوزارة التجارة الأمريكية سنة ١٩٥٣م :

---

(١) من الحرب الباردة حتى الوفاق (١١٥-١١٦) .
وانظر : تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (١٥٧) .
العالم فى القرن العشرين (٤٤٤) .
موجز تاريخ الولايات المتحدة (٤٦٠-٤٦١) .
وذكر أن الزعيم الجديد كان كذلك مستبدا ظالما قام بكبت الحريات ، وانتزع الممتلكات ، ومما زاد فى سخط الولايات المتحدة عليه وكذا الشعب الأمريكى هو اعتزامه إقامة دولة شيوعية فى كوبا .

(٢) انظر العالم فى القرن العشرين (٤٤٨) .

(٣) المرجع السابق (٤٤٨) .

(٤) المرجع السابق (٤٤٨) ومابعدها .

(إن الاستثمارات الأجنبية الهامة الوحيدة فى كوبا هى استثمارات الولايات المتحدة ،إذ تتجاوز مشاركة الولايات المتحدة الأمريكية ٩٠٪ فى خدمات الهاتف والكهرباء ، وحوالى ٥٠٪ فى السكك الحديدية العمومية ، ومايقارب ٤٠٪ فى انتاج السكر الخام . وتأتى كوبا فى المرتبة الثالثة فى أمريكا اللاتينية من حيث قيمة استثمارات الولايات المتحدة المباشرة فيها . وقد أدت حركة كاسترو فى التأميم إلى اصطدامه مع الرئيس ايزنهاور الذى قطع العلاقات الدبلوماسية مع كوبا فى كانون الثانى سنة ١٩٦١م وخلال الانتخابات الرئاسية سنة ١٩٦٠م طالب كنيدى بدعم أمريكى (للقوات الديمقراطية المعادية لكاسترو سواء فى المنفى أو فى كوبا نفسها والتى توفر الأمل فى النهاية للإطاحة بكاسترو) . وورث كينيدى خطة تؤيدها وكالة المخابرات المركزية لدعم إدارى تموينى لغزو كوبا يقوم به المنفيون وينزلون فى منطقة خليج الخنازير فى نيسان سنة ١٩٦١م . وفشل الهجوم ودمرت قوات الغزو على الشاطىء ، وكان تورط الولايات المتحدة واضحا للعالم أجمع . وحمل كاسترو على الامبريالية الأمريكية فى وقت كان يوطد فيه علاقاته مع الاتحاد السوفييتى الذى كان قد وافق فى شباط سنة ١٩٦٠م على أخذ السكر الكوبى وتقديم مساعدة بعد المقاطعة الإقتصادية الأمريكية لكوبا ، وفى كانون الأول سنة ١٩٦١م أعلن كاسترو قائلا (إننى ماركسى لينينى) ، وفى تموز سنة ١٩٦٢م سافر راؤول كاسترو وتشى غيفارا إلى موسكو لتوثيق الروابط الإقتصادية وترتيب معونة دفاعية فى حالة حدوث مزيد من تدخل الولايات المتحدة فى كوبا ، ولم يكن هذا بالأمر المستحيل لأن كنيدى كان قد أعلن بعد حادث خليج الخنازير أنه : "إذا أخفقت دول نصف الكرة هذا فى الوفاء بالتزاماتها ضد التدخل الشيوعى الخارجى، فإن الحكومة لن تتردد عندئذ فى القيام بالتزاماتها الأولى وهو أمن هذه الأمة . وإذا ماجاء ذلك الوقت ، فإننا لانريد أن يلقى علينا الدروس أولئك الذين تركوا بصماتهم باستمرار فى شوارع بودابست الدامية ، وإننى عاقد العزم على بقاء نظامنا ونجاحه مهما

كانت التكاليف والثمن)[١].

الولايات المتحدة وكوبا :

كانت كوبا المنطقة الوحيدة التى لم تواجه فيها الولايات المتحدة أى تنافس دولى حتى العقد السادس من القرن العشرين ، وقد حاولت الولايات المتحدة كسب المساعدة فى سياسة الحرب الباردة ضد السوفييت فقامت بمد يد المساعدة بدورها إلى هذه الدولة فكانت تقدم لها المساعدات العسكرية فى الخمسينات .

كما اهتمت بالإصلاح الإجتماعى والحكم الداخلى للبلاد .

واعتقدت الولايات المتحدة أن حكام أمريكا اللاتينية سيطاوعون سياستها فى الحرب الباردة سواء كانوا دكتاتوريين ، أم محافظين ، أم وطنيين[٢].

الاتحاد السوفييتى والإشتراكية الكوبية :

كان الاتحاد السوفييتى يقدم المساعدات لكاسترو ونظامه وقد بدأ كاسترو فى إشتراكيته معتمدا على المثال السوفييتى ومتأثرا به ، ثم مالبث أن أعلن أن كوبا ليست بحاجة إلى أنماط إشتراكية من البلدان الأخرى ، إلا أن كاسترو بعد أن رأى تغلغل السوفييت فى دول أوروبا الشرقية وكذا غزوها لبعض الدول اضطر إلى تغيير سياسته تجاه السوفييت وقام بتمجيد الخدمات العظيمة التى يقدمها الاتحاد السوفييتى للإنسانية . ومقابل هذا التحول زاد الدعم العسكرى لكاسترو بعد ذلك شابهت كوبا دول أوربا الشرقية حيث

---

(١) من الحرب الباردة حتى الوفاق (١١٦-١١٧) .

(٢) انظر العالم فى القرن العشرين (٤٣٦) ومابعدها .
وعن اهتمام أمريكا بخطط التنمية التطورية لأمريكا اللاتينية انظر نفس المرجع (٤٣٨-٤٣٩) .

كانت القيادة حرة فى ضمن النطاق الذى تسمح به الإشتراكية السوفيتية ويحقق مصالحها الدولية[١].

كوبا بين القوتين العظميين :

عندما قامت الثورة فى كوبا سعى أصحابها إلى نزع ومصادرة ممتلكات الأغنياء سواء من الكوبيين أو الأجانب ، وإلى إعادة توزيع الثروات والأراضى على الفقراء من الشعب . وصودرت جميع مزارع السكر الكبيرة . فأصبحت معظم المزارع تقع تحت التنظيم الجماعى الشيوعى (مزارع جماعية) وكانت هذه الأعمال محل سخط أمريكا وكان كاسترو على استعداد لتحديها .

وعمل الثوريون الكوبيون على زيادة دخلهم بزيادة بيع السكر إلى الدول الخارجية فطلبت كوبا من الولايات المتحدة أن تزيد من شرائها للسكر وفرضت كوبا زيادة ٢٠٪ على سعره ، زد على هذا أن كوبا كانت تنتقد السياسة الرأسمالية ، وبدأ الثوار يبعدون كوبا عن نطاق السيطرة الأمريكية . وقام ايزنهاور بدوره برفض ذلك الطلب وطالب كوبا بدفع التعويضات للرأسماليين الأمريكيين الذين تضرروا من مصادرة الأملاك فى كوبا . وهدد الأمريكيون بأنهم سيقطعون شراء السكر ، وبدأت الولايات المتحدة عام ١٩٦٠م تخطط سرا فى امداد المعارضين لنظام كاسترو بالأسلحة ، وهنا لجأت كوبا إلى الدول الشيوعية بحثا عن مساعداتها ، وفى شهر شباط ١٩٦٠م وافق الاتحاد السوفييتى على شراء السكر الكوبى بشكل مستمر بالإضافة إلى تمكين الكوبيين من شراء الآلات والنفط السوفييتى ، واستوردت كوبا النفط من الاتحاد السوفييتى وكان يجب عليها أن تكرره فى كوبا ، وأمر كاسترو شركات مصفاة البترول الأمريكية الخاصة الموجودة فى كوبا أن تقوم بالعملية ، وبعد النقاش بين هذه المصافى والولايات المتحدة رفض أصحابها الاستجابة لمطلب كاسترو . وفى حزيران ١٩٦٠م استولى عليها كاسترو .

(١) انظر العالم فى القرن العشرين (٤٦١-٤٦٣) .

وكانت هذه نقطة الفصل فى العلاقات الكوبية الأمريكية ، وحينها أوقفت الولايات المتحدة جميع مشترياتها للسكر من كوبا وفرضت حظرا تجاريا عليها ، وبدأت الولايات المتحدة حربا إقتصادية مع كوبا . ورد كاسترو على ذلك بأن استولى على جميع الممتلكات الأمريكية المتبقية فى كوبا وفى نهاية عام ١٩٦٠م أصبحت جميع التجارة والمصارف والبنوك ووسائل النقل وثلثى الأراضى الزراعية ملكا للدولة الكوبية ، وسارت كوبا فى طريقها الإشتراكى ، وعندما كانت كوبا دولة فقيرة ولم تستطع أن تحقق أهدافها الإقتصادية اضطرت إلى الاعتماد على المساعدات الخارجية فقامت بالاقتراض من الاتحاد السوفييتى مبالغ طائلة ، وأصبحت تعتمد على الاتحاد السوفييتى بشكل كبير نظرا لفقرها وللمقاطعة التجارية التى فرضتها الولايات المتحدة عليها . وبهذا جعل كاسترو من كوبا بلدا معتمدا على الاتحاد السوفييتى وجاء به إلى منطقة الكاريبى وبالتالى جاء بالحرب الباردة إليها .

وزادت الولايات المتحدة من رغبتها فى التخلص من هذا النظام ولجأت مرة أخرى إلى سياسة التدخل ، وهددت الولايات المتحدة على لسان رئيسها كنيدى بأنها سوف ترد على أى هجوم يقع على أى جزء من العالم الحر ، واستمرت الولايات المتحدة فى سياسة الاحتواء للأنظمة الشيوعية الموالية للاتحاد السوفييتى والصين واستخدمت فى تلك السنوات سياسة (الرد اللين) وضم هذا الرد إعطاء الثوار المناوئين لكاسترو المساعدات السرية . وعندما قدم رؤساء المخابرات الأمريكية اقتراحهم لكنيدى وافق على الدعم الموسع للثوار وظن كنيدى وجهاز مخابراته أن الشعب سيبدأ ثورة عارمة على كاسترو وقامت عملية الثورة من قبل ألف وأربعمائة كوبى غير أنها باءت بالفشل ، وقامت قوات البوليس بالقبض على أعداء كاسترو ، ومن هنا بدأ كاسترو يعتبر أن هذا الصراع هو صراع بين الإشتراكية العالمية والامبريالية . خاصة أن بعض ماقام به كاسترو موجود فى النظرية الماركسية مثل التأميم ، والعمل من أجل المصلحة الإجتماعية ، بالإضافة إلى الحاجة

الماسة للدعم ضد الولايات المتحدة ، وكان الاتحاد السوفييتى هو القوة القادرة على الوقوف أمامها . وفى شهر ديسمبر من عام ١٩٦١م أعلن كاسترو بأنه (ماركسى لينينى وأنه سيبقى كذلك حتى يوم وفاته) ، ويعتبر هذا تأكيدا لمعتقداته وكذلك نداء واضحا للدولة الشيوعية الأولى (الاتحاد السوفييتى) لمساندة كوبا[١].

فازداد العداء حدة وخشيت كل دولة من الدولتين الكبريين أن تفقد السيطرة على هذه الدولة فتحرك الاتحاد السوفييتى ليتدخل عسكريا ويرهب الولايات المتحدة من الاستمرار فى محاولة السيطرة على كوبا فأرسل صواريخه عابرة القارات إليها .

---

(١) انظر العالم فى القرن العشرين (٤٥١-٤٥٥) .
وانظر التيارات السياسية المعاصرة (٤٧٥) .
وذكر أن العداء لأمريكا من قبل كوبا ازداد بسبب الحظر الإقتصادى .
موجز تاريخ الولايات المتحدة (٤٦١-٤٦٢) .
وذكر أن كوبا ازدادت قربا من الاتحاد السوفييتى حيث زار مكبويان نائب رئيس الوزراء السوفييتى كوبا فى فبراير سنة ١٩٦١م لتدبير معونة إقتصادية وعسكرية . وقال : (لقد منى الغزو بفشل شنيع ، وصار كاسترو - الذى اتهم الأمريكيين فى البداية بـ"عدوان جبان" - قادرا على المجاهرة بتفوقه على الأمريكيين . وقد قبل على الفور جائزة لينين للسلام التى منحه الاتحاد السوفييتى إياها ، وعرض تبادل حوالى ١٢٠٠ أسير وقعوا فى يده ، مقابل نقود سائلة وآلات زراعية . وقد اضطرت الولايات المتحدة تحت حكم الظروف إلى أن تدفع حوالى ٥٣ مليون دولار . وكانت طريقة غير كريمة لمنح معونة خارجية) . (٤٦٢) .
وانظر : تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (١٨٩-١٩١) ، (١٥٧) ، من الحرب الباردة حتى الوفاق (١١٦) ، فترة من الانفراج الدولى (٢٧٨) .
وكان سردهم للأحداث متشابه إلى درجة كبيرة ومتكرر .

صواريخ كوبا :

إن الذى فجر الأزمة الكوبية وجعلها تصل إلى درجة الغليان والتوتر الذى أصبح يرقبه العالم أجمع هى مشكلة الصواريخ السوفيتية التى أرسلت إلى كوبا حيث (اقترح خروشوف أن يضع صواريخ عابرة للقارات ذات المدى المتوسط فى كوبا وأن يتم تركيبها والإشراف عليها من قبل السوفييت وافق كاسترو على ذلك حيث إنه كان يعتقد بأن بلاده كانت تنال الحماية العسكرية فى صراعها ضد الإمبريالية العالمية)(١).

وبالفعل قام أسطول من مراكب الشحن السوفيتية بالاقتراب من جزيرة كوبا التى تبعد عن شواطىء أمريكا تسعين ميلا ، وكانت هذه المراكب تحمل أجزاء من قواعد الصواريخ والأطقم السوفيتية التى ستنصب فى الأرض الكوبية . وكان أحد أنواع القواعد يستطيع اطلاق الصواريخ البالستية متوسطة المدى بحيث يغطى قوسا من المدن الأمريكية يمتد من العاصمة (واشنطن) إلى هيوستون فى ولاية تكساس . وكان النوع الثانى يستطيع توجيه صواريخ متوسطة المدى على أهداف بعيدة تصل إلى ولاية مونتانا ، وشملت الصفقة أعدادا من الطائرات النفاثة تستطيع حمل الأسلحة النووية بالإضافة إلى أن المراكب كانت تحمل رؤوسا نووية . وقد استطاع الخبراء العسكريون الإبقاء على سرية هذه الخطة فترة قصيرة(٢).

اكتشاف قاعدة الصواريخ :

فى ١٤ أكتوبر قامت طائرةمن طراز (يو٢) (U2) فوق غرب كوبا قرب سان كريستوبال وأخذت صورا كشفت وجود بناء قاعدة صواريخ نووية . وفى ١٦ أكتوبر كشفت الرحلات الجوية أن عدد الصواريخ يتراوح بين

---

(١) العالم فى القرن العشرين (٤٥٥) .

(٢) انظر : تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (١٩٧) ، من الحرب الباردة حتى الوفاق (١١٨) .

١٦-٣٢ صاروخا . وازدادت طلعات (يو٢) وكان الرئيس الأمريكى يتابع نتائج تلك الطلعات ويعقد الإجتماعات المتكررة مع كبار المسئولين فى البيت الأبيض ، وفى هذه الاثناء أظهرت طائرة (يو٢) وجود قواعد لاطلاق الصواريخ يجرى بناؤها بالقرب من هافانا فى وسط كوبا[١].

وبعد أن تم التأكد من وجود هذه الصواريخ وخطورتها وافق الرئيس الأمريكى كينيدى وأعضاء اللجنة التى عقدت لمناقشة هذه الأزمة على وجوب إزالتها . وتم الإعلان فى ٢٢ تشرين الأول عن اكتشاف قواعد الصواريخ فى كوبا ، وكان غروميكو فى السادس عشر من نفس الشهر قال إنه ليس لدى السوفييت أى صواريخ هجومية فى كوبا ، فذعر كينيدى وقال (إنه مالم يوضح للسوفييت أن تهديدا كهذا وخداعا كهذا لايمكن احتمالهما ، فإن أمريكا لن تشعر بالأمان فى التفاوض مع روسيا مرة أخرى)[٢].

وبدأت تطرح الحلول التى من شأنها اجبار السوفييت على سحب صواريخهم من كوبا وكانت الآراء التى طرحت تصب فى هذه الخيارات الثلاثة .

أولا :العمل على حل الأزمة دبلوماسيا غير أن اللجنة التنفيذية لمجلس الأمن القومى رأت أن فى هذا كسبا للسوفييت من جهة الوقت حيث سيتمكنون من إقامة مواقع الصواريخ .

ثانيا : العمل العسكرى ، وكان ذا شعبتين :

(أ) القيام بضربة جوية تكون بمثابة العملية الجراحية .

(ب) رأى آخر فضل القيام بغزو كوبا .

ولكن خشى المجتمعون من ردود الفعل السوفيتية وتصعيد الوضع فى برلين وتركيا وربما وصل الأمر إلى حرب عالمية ثالثة شاملة .

---

(١) انظر : تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (١٩٧-١٩٨) ، من الحرب الباردة حتى الوفاق (١١٨) ، مابعد الحرب الباردة (٥٩) .

(٢) من الحرب الباردة حتى الوفاق (١١٧-١١٩) .

ثالثا : الأخذ بفكرة مكنمارا القائلة (بفرض حصار بحرى حول كوبا) وسمى هذا الحصار (الحجر الصحى)[١] لأنه سيتيح لخروشوف إعادة النظر فى الوضع .

وبعد الموافقة على رأى مكنمارا خشى الأمريكان من أن هذا الاختيار سيؤدى إلى منح السوفييت الوقت الكافى لنشر صواريخهم ولذلك صدرت الأوامر بإعداد الطائرات للاستعداد بضرب كوبا جويا فى أى وقت بعد ٢٣ تشرين الأول ، وقد كان الافتراض أن الصواريخ ستكون عاملة بحلول ٢٨ تشرين الأول ، وبدأت الاستعدادات لذلك الحصار فأرسلت البحرية ١٨٠ سفينة إلى البحر الكاريبى ، واستدعت وزارة الدفاع ٩٠ ألفا من مشاة البحرية واستمرت هذه العمليات السرية حتى يوم الاثنين ٢٢ أكتوبر . وفى مساء الاثنين ظهر كينيدى على التلفزيون ووصف التهديد السوفييتى وحذر منه ووعد بأن الهدف الذى لايغيب عنه هو تخليص نصف الكرة الغربى من التهديد النووى من خلال ذلك الحصار الصحى حول كوبا[٢].

ثم كان يوم ٢٣ أكتوبر ولم يصدر رد فعل من برلين أو كوبا بعد إعلان الرئيس الأمريكى الحصار وأنكرت حكومة السوفييت وضعها للصواريخ فى الأراضى الكوبية من أجل الأغراض العسكرية ، وقام سكرتير عام الأمم المتحدة حينها (يوثانت) بارسال الخطابات إلى كل من كينيدى وخروشوف يطالب بتأجيل شحنات السلاح من قبل السوفييت والحصار من قبل الولايات المتحدة ، ورد كينيدى بأنه لامجال لبحث القضية إذا لم يتم إزالة القواعد[٣].

---

(١) انظر : من الحرب الباردة حتى الوفاق (١١٩) ، تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (١٩٨) .

(٢) انظر : تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (١٩٨) ، من الحرب الباردة حتى الوفاق (١١٩) .

(٣) انظر : تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (١٩٩) ، من الحرب الباردة حتى الوفاق (١٢٠) .

وفى يوم ٢٤ أكتوبر بدأت قوة العمل الأمريكية فى سد الممرات أمام السفن السوفيتية من أجل منعها من دخول الكاريبى ، وكانت هناك سفينتان سوفيتيتان تجاريتان على بعد أميال قليلة من خط الحصار ثم مالبثت أن غيرت اتجاهها وانكسرت حدة التوتر ذلك اليوم ، وظل الخبراء السوفييت يعملون فى مواقع الصواريخ وقدمت بعض الحلول ولكن الولايات المتحدة رفضتها(١).

ثم جاء يوم ٢٥ تشرين الأول (ووصلت رسالة من خروشوف اتهمت كينيدى بأنه كان يلعب بالنار النووية بصورة متهورة ، واتهمه بالقرصنة (والعدوان) (وبالطبع ـ يمكن القول بأن الحصار فى عرض البحر أو الصعود إلى سفن أجنبية كان يشكل أعمالا حربية) . وبناء على أوامر كينيدى سمح لسفينة نفط سوفيتية اسمها (بوخارست) بعبور خط الحصار عندما نوديت وأجاب ربانها بأنها كانت تحمل نفطا فقط ...)(٢).

وفى هذا اليوم حصل مشادة كلامية بين سفيرى الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى لدى الأمم المتحدة حيث إن أمريكا تتهم السوفييت وتدينها لوضعها الصواريخ فى حين كان المسئول السوفييتى يرفض التسليم بوجود صواريخ على الأراضى الكوبية ، غير أن الأدلة والبراهين كانت ضد الاتحاد السوفييتى(٣).

ثم كان يوم ٢٦ أكتوبر ومنه بدأ التوتر يتسارع كما أن الانفراج فى الأزمة بدأ من هذا اليوم ، ونترك بيتر وكولن يتحدثان عن أحداث ذلك اليوم وماتبعه من التصعيد إلى الانفراج فى الأزمة فيقولان :

---

(١) انظر : تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٢٠٠) ، من الحرب الباردة حتى الوفاق (١٢١-١٢٢) .

(٢) من الحرب الباردة حتى الوفاق (١٢٢) .

(٣) انظر : تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٢٠١) ، من الحرب الباردة حتى الوفاق (١٢٢) .

(وفى يوم الجمعة الموافق ٢٦ تشرين الأول أمر كينيدى بتحليق الطائرات فوق مواقع الصواريخ مرة كل ساعتين على ارتفاع ٧٠٠ قدم وبالقاء ٥ ملايين نشرة ، باللغة الأسبانية (تفسر) أسباب غزو الولايات المتحدة لكوبا ولكن وصلت رسالة جديدة من خروشوف الساعة السادسة مساء وقد اقترح الزعيم السوفييتى الذى كان متوتر الأعصاب إن لم نقل مذعورا أن يتم سحب الصواريخ السوفيتية عن كوبا مقابل تعهد الولايات المتحدة بعدم غزو الجزيرة فى المستقبل ، وقد صمم كينيدى على اتخاذ جانب الحذر فطالب بتحليل لفحوى الرسالة فى الصباح التالى ولكن بما أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى يتبعان توقيتين مختلفين ، فإن هذا التأخير أعطى مجلس السوفييت الأعلى فرصة لاحلال عرض جديد محل مبادأة خروشوف الشخصية وقد تلقى كينيدى هذا العرض يوم السبت فى ١٠/٢٧ .

وطالبت الرسالة الثانية بإزالة صواريخ جوبتر الأمريكية (والتى كانت قد أصبحت متخلفة عن الزمن) من تركيا مقابل إزالة الصواريخ السوفياتية من كوبا ، وقد أوردت جريدة (التايمز) الصادرة فى ٢٩ تشرين الأول العرض : "إن صواريخكم موجودة فى ايطاليا ومصوبة ضدنا ، وصواريخكم موجودة أيضا فى تركيا ، وأنتم تقلقون من كوبا ، وتقولون أنها تقلقكم لأنها على بعد ٩٠ ميلا بحريا عن ساحل أمريكا ولكن تركيا محاذية لنا ، وحراسنا يتمشون جيئة وذهابا وينظرون إلى بعضهم البعض" .

واستشاط كيندى غضبا لعدة أسباب ، إذ كان قد أمر بإزالة صواريخ جوبتر منذ سنة ١٩٦١م ولأن تركيا وهى حليف قوى ، يجب أن لاتتعرض للخذلان . ولأنه أصبح لديه شكوك الآن حول من يحكم الاتحاد السوفييتى فعلا ، ولأن هجوما على كوبا سيؤدى بوضوح إلى مخاطر رد انتقامى سوفييتى ضد تركيا وبذلك يتورط حلف الأطلسى فى حرب أوروبية محتملة إن لم تكن حربا عالمية .

وكان يوما قاسيا ، ففى الساعة العاشرة والربع صباحا أسقطت طائرة (يو٢) التى كانت قد التقطت صورا فوتوغرافية يوم ١٤ تشرين الأول ، وفى

الساعة الثانية بعد الظهر (ضلت) طائرة (يو٢) أخرى طريقها فوق شبه جزيرة تشوكت (Chokut) الروسية مقابل الاسكا ، وكان كل من الزعيمين يحاول جاهدا السيطرة على الأمور والحيلولة دون أخطاء يرتكبها أتباعهما وقد تؤدى إلى كارثة لايمكن العودة عنها ، وقد أمر كينيدى بنزع الرؤوس عن الصواريخ الأمريكية وعدم إعادة تركيبها إلا بأمر محدد منه شخصيا ولكن سرت ثمة إشاعة تقول إن أفراد السفارة السوفيتية يحرقون سجلاتهم وهو عمل لايجرى فى العادة إلا عندما تكون الحرب وشيكة الوقوع ، وحوالى الساعة الثامنة مساء أقنع روبرت كينيدى الرئيس بتجاهل الرسالة التى بعث بها المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفييتى والإجابة على اقتراح خروشوف ، فوافق الرئيس كينيدى ولكنه قال إن الجواب الأمريكى يجب أن يحتوى على طلب رد سوفييتى بحلول يوم الأحد ٢٨ تشرين الأول . وحسبما جاء فى قول أحد المؤرخين الأمريكيين "لم تقصر الحكومة الأمريكية فى إعلام الروس أن ١٤٤ صاروخ بولاريس و١٠٣ صواريخ أطلس و١٠٥ صواريخ ثور وجوبتر و٥٤ صاروخ تيتان كانت جاهزة لتحويل الاتحاد السوفييتى إلى كومة من النفايات المشعة خلال ثلاثين دقيقة ، يضاف إلى ذلك وجود ٦٠٠ صاروخ متوسط المدى عابر للقارات و٢٥٠ صاروخ أخرى متوسط المدى و١٦٠٠ قاذفة بعيدة المدى و٣٧ حاملة طائرات لديها جميعا قوة نيران تعادل ٣-٤ أضعاف قوة النيران التى يمكن للسوفييت وضعها فى الجو".

وكان كينيدى عازما على أنه إذا لم يأت جواب الروس على رسالته ، فإنه سيجرى غزو كوبا يوم الاثنين فى ٢٩ تشرين الأول ، وسيصبح العالم أقرب بكثير إلى حرب عالمية ثالثة .

وفى الساعة التاسعة من صباح ٢٨ تشرين الأول أذاع راديو موسكو جواب خروشوف وجاء فيه "من أجل الإسراع فى تصفية الصراع الخطر وخدمة قضية السلام ... وتهدئة الشعب الأمريكى ، فقد صدرت الأوامر لتفكيك الأسلحة التى يصفونها بأنها هجومية وتعبئتها وإعادتها إلى الاتحاد

السوفييتى ، وسرت إشاعات مفادها الجنرال كيرتيس لى ماى من القيادة الجوية الاستراتيجية نصح الرئيس الأمريكى (بأن نهاجم يوم الاثنين على أية حال) .ولكن فى الساعة ١٢ ظهرا أذاع راديو صوت أمريكا أن كينيدى قبل عرض خروشوف الذى وصفه بأنه عرض (رجل دولة) ويروى عن وزير الخارجية الأمريكية دين رسك قوله (لقد نظرنا داخل فوهة المدفع فتراجع الروس) . وخلال شهرين لم يبق لصواريخ تشرين أى أثر وحرثت الأرض فوق مواقعها وعاشت الحرب الباردة أحمى أيامها . وفى آب سنة ١٩٦٣م وافق الروس والأمريكيون على معاهدة حظر جزئى للتجارب النووية ، وعلى إقامة خط تليفونى ساخن للاتصال بين واشنطن والكرملين ، وأصبح من الممكن رؤية أول علامة للوفاق ، ولكن قدر للأمريكيين أن يبددوا جزءا كبيرا من طاقاتهم خلال بقية الستينات فى عملية ضخمة لمكافحة العصيان والثورة فى فيتنام مما قد استنزف قواهم ولطخ ديمقراطيتهم وحال دون تطوير حوار مع الاتحاد السوفييتى)[١].

(١) من الحرب الباردة حتى الوفاق (١٢٠-١٢٥) بمراجعهما .
وانظر : تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٢٠١-٢٠٣) وذكرت فيه الأحداث كما جاءت عندكولن وبيتر ، النار والجليد (١٢٢) ، وانظر (١٢٣-١٢٤) ، موجز تاريخ الولايات المتحدة (٦٤٣-٦٤٤) ، وقال إن (الموقف الحازم من الرئيس ، لقن الاتحاد السوفييتى احتراما جديدا لقوة الولايات المتحدة وتصميمها ، كما أنه أدى إلى تصفية الجو وتحسين فرص السلام فى الوقت ذاته ونتيجة لذلك شاب الحرب الباردة شىء من الدفء الذى يصهر جليدها) . (٦٤٤) .
وانظر التيارات السياسية المعاصرة (٤٧٥-٤٧٦) وقال : (ومع تظاهر كل من الفريقين بالعمل على منع التصادم بين الشرق والغرب ، فإن الأزمات السياسية لاتزال تفرض نفسها على العلاقات بين الكتلتين) .
مابعد الحرب الباردة (٩٣-٩٤) وذكر المؤلف أن رد الخيار العسكرى لأنهم كانوا يعلمون عن طريق المخابرات أن فى كوبا ١٠,٠٠٠ عسكرى سوفييتى ثم عرفوا فيما بعد أنهم ٤٠,٠٠٠ وعرفوا فيما بعد أيضا أن هناك ٢٧٠,٠٠٠ جندى كوبى ، وكان تقدير الخسائر لهذه الحرب قد تصل إلى ١٠٠,٠٠٠ ضحية ثم إذا كان الحال =

وقد انتهت الأزمة بسحب الصواريخ السوفيتية من كوبا مقابل سحب الصواريخ الأمريكية من تركيا وكذلك ضمان عدم غزو كوبا من قبل الولايات المتحدة .

ولكن ماهى الأسباب التى أدت بالاتحاد السوفييتى إلى نشر صواريخه فى كوبا؟

الأسباب التى أدت إلى نشر الصواريخ فى كوبا :

هناك عدة أسباب دفعت السوفييت لذلك ومن أهمها :

أولا : الشك فى سياسة الولايات المتحدة ونيتها تجاه كوبا خاصة بعد أن بدأت الثورة تتخذ من الفكر الإشتراكى سبيلا لها .

يقول خروشوف : (كان موقف الولايات المتحدة طبيعيا من ناحية واحدة ، لم تستطع تقبل فكرة كوبا شيوعية أمام ساحلها ، تضرب مثلا ثوريا لبقية أمريكا اللاتينية ، تماما كما نفضل أن تكون جاراتنا دولا إشتراكية لأن ذلك يلائمنا . بيد أننا نعالج هذه المشكلة بتفهم ، نرى أن المشكلات أمثالها لاتحل بالحرب بل بالقوى الداخلية ، وبكلمة أدق بالشعب والطبقة العاملة[1]. أما الولايات المتحدة ، فى الطرف الآخر ، فقد كانت تميل إلى التدخل المباشر فى شؤون كوبا الداخلية .

أراد الأميريكيون أن يبعدوا كوبا بالقوة عن طريق الإشتراكية ، ويجروها وراء سياستهم تماما كما كانت الحال قبل الثورة الكوبية ...

= كذلك فإن الاتحاد السوفييتى لن يتردد فى الرد العسكرى فى أى مكان من العالم .
التاريخ العسكرى (١٤٦) .
وقال : (كانت هذه المجابهة المباشرة بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية الأولى من نوعها) .
الوصية الأخيرة (٣١٢) .

(١) انظر الاعتراف الصريح بأن هذا الأسلوب هو الذى تنتهجه الشيوعية للسيطرة على الدول التى ترغب فى التأثير عليها عقائديا وسياسيا .

وأما نحن فقد أردنا بقاء كوبا ثورية وإشتراكية ، وعرفنا أنها تحتاج إلى المساعدة... [و]لولا صواريخنا فى كوبا لكانت الجزيرة فى وضع رجل ضعيف يهدده رجل قوى . لاأقول أنه كان لدينا دليل ثابت على أن الأميريكيين يعدون لغزوة ثانية . ولم نكن بحاجة إلى ذلك الدليل لأننا نعرف تبنى الولايات المتحدة الطبقى ، وعماها الطبقى ، وذلك كاف لجعلنا نتوقع أسوأ الأمور)(١).

ثانيا : ازدياد عدد الصواريخ الأمريكية ورفع الميزانية الدفاعية مما جعل الولايات المتحدة متفوقة جدا على السوفييت ، فشعر خروشوف بالقلق خاصة أن مصاعب برنامج الصواريخ العابرة للقارات مكلف بينما يمكن وضع هذه الصواريخ فى كوبا وتكون قد ضاعفت من قدرتها الضاربة ضد الولايات المتحدة .

ثالثا : سيتمكن الاتحاد السوفييتى من القفز من فوق حلف الأطلسى وتكون الصواريخ السوفيتية بالقرب من الساحل الأمريكى(٢).

رابعا : تحقيق بعض المكاسب للسوفييت منها إرهاب الأمريكيين وخاصة حول قضية برلين بالإضافة إلى ازدياد الهيبة السوفيتية بالنسبة للصين(٣).

وبعد هذا العرض أصل إلى الحقائق التالية :

أولا : خرجت كوبا منتصرة فى صراعها مع الولايات المتحدة حيث بقيت على استقلالها . ويقول كاسترو عن هذه الحادثة : (إنه حدث فيها نوع من المساومة على الصعيد العالمى بين القوتين الكبيرتين ، فقد سحبت أمريكا صواريخها من تركيا تبعه التراجع السوفييتى فى كوبا... وتمكنت كوبا أن تقف مستقلة فى قرارها وسط العملاقين وحصلت على ضماناتها الخمس وهى : وقف الحصار الإقتصادى ، والنشاطات المخربة ، والهجمات القرصنية ، وعدم

---

(١) الوصية الأخيرة (٣١١) .

(٢) انظر من الحرب الباردة حتى الوفاق (١١٨) .

(٣) انظر المرجع السابق (١١٨) .

خرق الحرمة الجوية والبحرية الكوبية ، وتخلى أمريكا عن قاعدتها فى غوانتانامو)[١].

ثانيا : أن الاتحاد السوفييتى قد خسر فى مواجهة السوفييت النووية وسحب صواريخه تحت تهديد الحرب ، كما أن الولايات المتحدة بموافقتها على عدم غزو كوبا أو المساندة فيه تكون قد تنازلت تنازلا رئيسيا اعتبر هزيمة فى سياسة الحرب الباردة فى إبعاد الأحزاب الشيوعية والاتحاد السوفييتى عن أمريكا اللاتينية ، وبهذا تنتهى السيطرة الأمريكية على منطقة البحر الكاريبى[٢].

وساعد ذلك فيما بعد على الوفاق والتقارب .

ثالثا : أثرت الأزمة الكوبية على سمعة الولايات المتحدة حيث كانت الأقوى من الاتحاد السوفييتى ومع ذلك فقد بقيت كوبا على اتجاهها الإشتراكى ومن منطلق هذه القوة جاء الخيار الذى قال بضرب كوبا وغزوها عسكريا ، كما أن أمريكا أعلنت صراحة عدم غزوها لدولة أجنبية لأول مرة ، يقول خروشوف : (جاء حل الأزمة الكوبية نقطة تحول تاريخى . أول مرة فى التاريخ تعهد الأميركيون علنا ألا يغزو إحدى جاراتهم وألا يتدخلوا فى شؤونها الداخلية . كان ذلك قرصا مرا يصعب بلعه بل كان أسوأ من ذلك : اضطر الوحش الامبريالى الأمريكى إلى ابتلاع قنفذ بأشواكه الحادة ،و مازال ذلك القنفذ فى معدته ، لم يهضم ، ولن تزيله أى عملية جراحية مادامت الاتفاقية السوفيتية ـ الأميركية الخاصة بكوبا نافذة)[٣].

---

(١) فترة من الانفراج الدولى (٦) .
غير أن التوتر والمد والجزر بين كوبا والولايات المتحدة بقى مستمرا بعد ذلك إلى أن تم الانفتاح الشيوعى على البلدان الغربية .
انظر المرجع السابق (٨١) ومابعدها .

(٢) انظر العالم فى القرن العشرين (٤٥٦) .

(٣) الوصية الأخيرة (٣١٢) .

وقد افتخر خروشوف بهذه السياسة التى أرغمت الولايات المتحدة على الاعتراف بكوبا والتراجع عن غزوها[١].

رابعا : رغم نجاح الثورة الإشتراكية الكوبية فى السيطرة على كوبا إلا أن الشعب كان يرغب فى الانعتاق من جحيمها لأنها لم تحقق للشعب شيئا[٢].

خامسا : أن هذه الأزمة كانت أخطر الأزمات التى واجهتها الدولتان بعد الحرب العالمية الثانية (وأصبح العالم على شفا كارثة نووية)[٣].

ومع ذلك فقد كانت نهاية هذه الأزمة إيذانا ببدء عصر جديد بين الدولتين ، وأعلن كنيدى ذلك صراحة حيث قال : (التاريخ يعلمنا أن عداوة الشعوب وكذلك الأفراد لاتدوم للأبد .. ومهما بدا ثبات مانرغب ومانكره فحركة مد وجذر الزمن والأحداث تجلب معها تغيرات كثيرة مثيرة للدهشة فى علاقات الأمم وجيرانها ... كلانا يوجه من أجل التسليح قدرا هائلا من الأموال كان من الأفضل أن توجه لمجابهة الجهل والفقر والمرض .

وكلانا أصبح أسيرا لدائرة مفرغة خطرة ينمو فيها الشك على جانب لينتج عنه شكوك وأسلحة جديدة على الجانب الآخر لينجم عنها أسلحة مضادة ... إن اتفاقات الإنهاء لهذا (الحد من التسليح) ستكون فى صالح الاتحاد السوفييتى بنفس القدر الذى ستكون فيه لصالحنا ... وحتى أكثر الدول عدوانية يمكن الاعتماد على قبولها والتزامها بما فى تلك التعهدات - الإلتزام بالتعهدات فقط - إذا كانت فى صالحها .

لذلك نحن مطالبون بالمواظبة على البحث عن السلام ، على أمل حدوث تغيرات بناءة داخل الكتلة الشيوعية قد تجلب معها الوصول إلى حلول تبدو الآن بعيدة المنال .. وهكذا يجب أن نسوس أمورنا بشكل ما بحيث تصبح فى صالح الشيوعيين ليوافقوا على سلام حقيقى" .

---

(١) انظر الوصية الأخيرة (٣١٢) .

(٢) انظر عن ذلك : لا.. للرأسمالية ، لاللماركسية ، نعم للإسلام (١٠٩-١١١) ، وسقطت الماركسية (١٤١) ومابعدها .

(٣) مابعد الحرب الباردة (٩٢) .

بعد ستة أسابيع فقط من خطاب كينيدى وفى ٢٥ تموز/يوليـو - ١٩٦٣م وقـع كـل من الولايات المتحـدة والاتحاد السـوفييتى وبريطـانيا العظمـى على ميثـاق تحريم الاختبارات النـووية المحدودة واتفقوا على عـدم إجراء تجارب لأسلحة نووية فى الجو أو تحت الماء أو فى الفضاء ...)[١].

(١) مابعد الحرب الباردة (٦٠-٦١) .
وانظر العالم فى القرن العشرين (٤٥٦) .

سابعا : الاجتياح الروسى لأفغانستان

كانت هذه الأزمة فى وقت بدأت بوادر الانفراج واضحة بين المعسكرين . وقد حاولت أمريكا ألا تتدخل مباشرة فى الأزمة لتجنب المواجهة مع الاتحاد السوفييتى ، ولاستمرار التعايش السلمى ، وقد هبت الدول الإسلامية والعربية لمساعدة أفغانستان ومدها بالرجال والعتاد لمقاومة الاحتلال السوفييتى ، وسيأتى معنا الحديث تفصيلا عن الجهاد الافغانى وأثره فى سقوط الشيوعية .

وليست الأزمة الأفغانية هى خاتمة الأزمات كما أن ماذكرنا من أزمات ليست هى الوحيدة التى شهدتها الساحة الدولية بين القطبين ، وإن كانت أبرزها .

وبالعموم كانت مصالح الدولتين من أعظم الأسباب وراء هذه الحرب (الباردة) .

يقول ميشال جوبير : (إن مصالح القوى ذات السيادة تختلف عن مصالح الدول العادية . وهى محركات عامة ذات نزعة توسعية لاحدود لها)[١].

وقد تعددت حروب التدخل السوفيتية والأمريكية فى كثير من بلدان العالم سواء كان ذلك بعد الحرب العالمية الثانية أو فى فترات الحرب الباردة[٢] أو حتى بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط إحدى الدولتين الكبريين حيث بقيت الدولة التى ترى بأنها مسئولة عن قيادة العالم فى تدخلها ذلك!!!

ويكون تدخلها باسم هيئة الأمم المتحدة ، حتى ينخدع الناس ، كما يكون هذا التدخل بدعوى الحفاظ على الديمقراطية ، بينما الحقيقة هى

---

(١) الأمريكيون (٧) من مقدمة المؤلف للترجمة العربية .

(٢) انظر على سبيل المثال كتاب حروب التدخل الأمريكية فى العالم ، ريتشارد بارنت .

استغلال هذه الدول ، ونهب ثرواتها[١].

وبعد هذا العرض لأبرز الأزمات والتدخلات من قبل الطرفين لبعض دول العالم نصل إلى الحقائق التالية :

أولا : أن عدم الثقة بين الطرفين وتفسير تحركات بعضهم بعضا على أنها عداء وتحرك ضد مصالح الطرف الآخر فاقم من حدة الصراع بين الطرفين .

ثانيا : أن خروج أحد الطرفين من مواجهة باردة فى مكان ما منهزما جعله يفكر فى التدخل فى بقعة أخرى ليحقق فيها انتصارا ليعادل به ميزان القوى . وهكذا تعددت الأزمات والحروب التوسعية كردود أفعال بين الجانبين فى أغلب الأحيان .

ثالثا : أدى فشل المعاهدات والمؤتمرات التى وقعت بين الطرفين وكذلك ازدياد عدد المعاهدات بين كل طرف وحلفائه إلى التسارع فى ايجاد القوة الكافية التى يتمكن بها كل طرف وحلفائه من السيطرة أو الهجوم أو الردع وهذا بدوره أشعل فتيل التسابق فى مجال التسلح .

وهكذا غدت كل دولة توجه مواردها وثرواتها من أجل التصنيع العسكرى والتفوق فيه حتى أصبحت كل من الدولتين تعيش فى سباق مسلح مع الدولة الأخرى وكان ذلك على حساب إقتصادها وبالتالى على حساب شعبها فدخلت الدولتان فى سباق للتسلح بدأ الاندفاع فيه مع كثرة الأزمات والصراعات التى شهدتها الساحة الدولية .

واستمر هذا التسابق معها أو مع بعضها ونعرض الآن بشىء من التفصيل لهذا التسابق .

---

(١) انظر مانقله أبو الحسن الندوى فى كتابه ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (٢١٠-٢١١) من قول الأستاذ (جود) الانجليزى عن الأمم المتحدة .

سباق التسلح

بعد أن وصل الحال إلى ماذكرناه سابقا من احتدام الصراع بين الدولتين فى الحرب الباردة ، كان لابد والحال هذه أن تسعى كل دولة إلى التفوق على الدولة الأخرى . والتفوق الذى يكون معتبرا هنا ، هو التقدم فى المخترعات العسكرية ، وايجاد أكبر قدر من الرجال المدربين من أجل الحفاظ على الأمن المتعلق بالدولة أولا ، ثم الحفاظ على أمن الدول التى تسير فى دائرتها ، ومن ثم منع الدولة الأخرى من السيطرة على دول أخرى أو جرها إلى فلكها . إضافة إلى هذا مايحققه هذا الإعداد من ارهاب للعدو وتخويف له . فهناك ظروف الطوارىء والأزمات ، وهناك الظروف العادية ، ولكل واحدة منها أساليبها وماتحققه ، ويتحدث عن ذلك صبرى مقلد فيقول:

(لاخلاف على أن حماية الأمن القومى تعد بمثابة الهدف الاستراتيجى الأول فى السياسات القومية للدول ، ولذا تحاول كل دولة أن تخطط لنفسها الاستراتيجية التى تلائم مشكلاتها الأمنية ، وتتناسب من جهة أخرى مع طبيعة التحديات الخارجية التى تحس بتهديدها لمصالحها العليا)[١].

ثم يبين الأهداف التى ترمى من ورائها الدول لحماية أمنها والقيام بايجاد القوى النووية حال الطوارىء والأزمات ومنها :

((١) أن الهدف قد يتمثل فى العمل على ردع هجوم مباشر ، وهنا يتعين أن تكون الاستجابة فورية وعنيفة حتى يمكن احباط أهداف هذا الهجوم .

(٢) أن الهدف قد يتمثل فى ردع الاستفزازات العنيفة التى تصدر عن الخصم والتى تقف دون مستوى الهجوم المباشر ، ويتم ذلك أساسا عن

---

(١) العلاقات الأمريكية السوفيتية (٩) ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع ، الكويت .

طريق التهديد باستخدام القوات الاستراتيجية لوضع حد لمثل تلك الاستفزازات ...)[١].

وأما مسئولية التخطيط للأمن القومى فى غير الظروف والطوارىء فتشمل :

(أولا : الاحتفاظ بمقدرة عالية على القتال والردع .

ثانيا : الاحتفاظ بالقدرة على خوض حرب طويلة أو حرب ممتدة (Protracted war) .

ثالثا : العمل على توفير ذلك الحد الأدنى من المرونة اللازمة لإدارة الحرب ، ويكون ذلك بالتوصل إلى مجموعة من البدائل والخيارات (Options) التى يمكن تنفيذ أى منها فى اللحظات الأولى لوقوع الحرب ، وبالصورة التى تتيح تأمين رد فعل مناسب يتفق مع طبيعة وحجم الاستفزاز المعادى .

رابعا : إيجاد نظم موثوق بها (Reliable) من القيادة والسيطرة والمتابعة على تنفيذ الأوامر وسير العمليات ...)[٢].

---

(١) العلاقات الأمريكية السوفيتية (١٠) .
يقول توماس شيلنج : الردع هو (براعة تجنب استخدام القوة العسكرية) .
ويقول الجنرال اندريه بوفر : (إن هدف الردع هو عدم تمكين أى قوة معادية من اتخاذ القرار باستعمال القوة العسكرية) . نفس المرجع (١٩) .
وانظر مجلة كلية الملك خالد العسكرية العدد (١٦/٩٤-٩٥) موضوع بعنوان (عواقب انفلات الردع النووى من عقاله) بقلم الهادى أحمد خليفة ، ومما جاء فيه : (الردع فكرة استراتيجية تبناها كل من المعسكرين كوظيفة أساسية لقواته المسلحة وسياسته العسكرية ويهدف فى الأساس إلى ترهيب المعتدى المحتمل ، عسكريا كان أو سياسيا ، بأنه سيدفع الثمن غاليا إذا سولت له نفسه بالاعتداء) . (٩٤) .
ويرى أن الردع يحافظ على التوازن والسلام .

(٢) العلاقات الأمريكية السوفيتية (١١-١٢) .

وإذا كانت الحروب القديمة قد عرفت أنواعا عديدة من الأسلحة البدائية(١)، ثم أخذت فى التطور التدريجى إلى أن وصلت إلى أسلحة الدمار الشامل التى لايمكن أن يكون فيها منتصر نظرا لأنها ستودى بالجميع . وإذا كنا قد ركزنا على التاريخ الحديث ، فإنه من بداية القرن العشرين أخذ التسلح يتطور بصورة أكبر من ذى قبل ، ومن بعد الحرب العالمية الأولى كان الاهتمام بأمر التسلح أكثر من الزمن السابق لها ، وقد بلغ أوجه بعد الحرب العالمية الثانية حيث برزت القوة السوفيتية كمنافس حقيقى وقوى للولايات المتحدة بعد أن تراجعت القوة الألمانية والبريطانية والفرنسية ، ولم تعد المنافسة بين الدول على سطح الأرض بل تجاوزتها إلى الفضاء الخارجى ، وظهرت المسميات العديدة للتسلح الجديد . ولعلنا لانقصد هنا ذكر أسماء الأسلحة وأعدادها بقدر مانريد أن نثبت أن هذا التسابق كانت له آثاره الإقتصادية الكبيرة على الجانبين . كما أنه ليس مقصودنا استعراض التطور الذى وقع للأسلحة الحربية من الدرع ، والسيف ، والبندقية ، والسهم ، والمنجنيق ، إلى الدبابة ، والطائرة ، والصاروخ ، والقنبلة ، ولكن المقصود هو أنه مع تطور المخترعات كان نصيب السلاح من هذا التطور الشىء الكثير وكان القرن العشرين أشد القرون تسابقا فيه ، فكانت الحرب العالمية الأولى واستخدمت فيها الدبابة والطائرة وجعلت كثير من الدول تفكر فى إعدادا نفسها تحسبا لأى طارىء قد يحدث ، ومرت السنوات إلى أن بدأت شرارة الحرب العالمية الثانية وشهدت تسابقا فى التسلح فى سبيل الوصول إلى تحطيم العدو وإرهاقه ، وأفرزت هذه الحرب عدة إفرازات كان من أهمها

---

(١) انظر مجلة كلية الملك خالد العسكرية ، العدد التاسع ، السنة الثالثة ، النصف من شعبان ١٤٠٥هـ (١٧٩) .
وانظر اللقاء الذى أجرته المجلة مع سعد الجنيدل أحد المهتمين بالأسلحة القديمة حيث ذكر أنواعا عديدة من الأسلحة التى استخدمت فى أرض الجزيرة العربية (١٧٩-١٨٣) .

ظهـور القوة السوفيتية كقوة قـاهرة للقوات النازية الهتلـرية ، وتربعت على كرسى السيطرة على العالم مـع الـولايات المتحدة ، واختراع القنبلـة الـذرية واستخدامها فى الحرب ضد اليابان .

واختلفـت هاتان الدولتان فيما بينهما فى قضايا عـديدة وتفاقمت حدة التـوتر بينهمـا فى ازدياد ونشـاط الحرب البـاردة بينهمـا إلى أن وصلـت إلى تسابق محموم لإنتاج الأسلحة والابداع فى اختراعها .

فـأصبحت القوى العظمى تعتمـد (فى ضمان أمنها على ترسـانات هائلة من الأسلحة النووية ، التى تشمـل أنواعا عديدة من الصـواريخ البـالستية ، القاذفات ، والصواريخ الجوالة ...)[١].

وكـانت كل دولة من بعد الحرب العـالمية الأولى تعـد نفسها ، غير أن أوج هـذا الاعدادا كان مع نهـايات الحرب العالمية الثـانية ، وكانت القوات الألمانيـة قـد استخدمت أسلحتهـا الانتقـامية ضد أعدائهـا وأسقطـت صاروخ (V1) على بريطـانيا وبالتحديد على عـاصمتها ، ومن بعـد ذلك صاروخا آخر من نوع (V2) وكـان هذا القصف الصـاروخى دليلا على نجاح التكنـولوجيا الألمانية ، وكذلك تذليل الصعوبات والتغلب على الجاذبية الأرضية والانطلاق إلى الفضـاء الخارجى وتحويلـه إلى ميدان جديد للحرب إضـافة إلى الميـادين التقليـدية البرية والجوية والبحـرية ، ومع ذلك لم تغير هـذه الصـواريخ من

---

(١) حرب الفضاء (٩) .
وانظـر حرب المائة ثانية (١١) ، بيير غالوا ، ترجمةجبرائيـل بيطار ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق .
بل لقـد وصـل الحال إلى استخـدام الـدخان فى العصـر الحديث حتى غـدا أحد الأسلحة الكيميائية فى الحروب الحديثة .
انظـر ماكتبه الدكتور فكرى عطـا الله عبد المهدى بعنوان الـدخان أحد الأسلحـة الكيمـائية فى الحروب الحديثـة فى مجلـة كلية الملك خالد العسكـرية ، العـدد (١١) (ص٦٨-٧٣) ، وذكـر فيه وسائل إنتـاج الدخان واستخدامـه فى المعـارك الحربية ضد العدو .

نتائج الحرب شيئا[١].

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية برز فى الساحة الدولية قوتان عظميان هما الولايات التمحدة ، والاتحاد السوفييتى ، و(كانت الكتلة الأولى تحتكر سلاحين رهيبين هما (القنابل الذرية) و(القاصفات السوقيةالعملاقة) .. أما الكتلة الثانية المتمثلة بالاتحاد السوفييتى وحلفائه فكانت تمتلك أعظم قوة برية فى العالم يستطيع الاتحاد السوفييتى عن طريقها اكتساح أوروبا الغربية التى أنهكتها الحرب العالمية الثانية وأحالتها إلى هدف سهل ومستساغ لولا المظلة الذرية الحمايوية الأمريكية .

تجاه هذاالموقف العصيب اتخذت الولايات المتحدة ثلاث خطوات جبارة غيرت مجرى التاريخ فى العالم وحولته إلى الوجهة التى نراها عليها اليوم . كانت الأولى (مشروع مارشال) ، والثانية (مبدأ ترومان) والثالثة (التقدم التكنولوجى العسكرى) وعلى الأخص فى مجال تكنولوجيا الفضاء)[٢].

وأدركت الولايات المتحدة أهمية الصواريخ والأسلحة الفضائية فجلبت الفنيين والمهندسين من بين أسرى الحرب الألمان وعاملتهم معاملة حسنة وأسندت إليهم بعض المراكز المرموقة من أجل الاستفادة منهم ، وبحلول ١٩٤٧م تم نقل أكثر من ١٠٠٠ عالم ومهندس وخبير نازى إلى الولايات المتحدة وبجوازات سفر مزورة ، وكان الاتحاد السوفييتى بدوره قد اعترض على مشروع مارشال ، وواجه مبدأ ترومان بتعزيز قواته البرية والجوية وتحديثها وجعلها على استعداد دائم للعمل والتهديد باستخدامها لمنع الولايات المتحدة من ضرب الاتحاد السوفييتى بالقنابل الذرية ، واستخدم كذلك بعضا من موارده لتطوير تكنولوجيا الفضاء[٣].

---

(١) انظر : حرب النجوم تكنولوجيا وآفاق (١٢-١٣) ، مجلة الفيصل العدد (٦٥/١٣٧) ، حرب الفضاء (١٩) .

(٢) حرب النجوم تكنولوجيا وآفاق (١٣-١٤) .

(٣) انظر : المرجع السابق (١٤-١٨) ، مجلة الفيصل (٦٥/١٣٧) ، حرب الفضاء (١٥) وذكر أن السوفييت استفادوا من الألمان كحال الولايات المتحدة .

وهكذا اتجهت الدول إلى اكتشاف الجديد فى السلاح ، وعندما لم تنته الحرب العالمية الثانية ، إلا والقنبلة الذرية قد استخدمت ، فإن الدولتين العظميين بعد ذلك بدأتا فى الاتجاه إلى الفضاء ، ومحاولة السيطرة من أعلى ، ومن هنا بدأ الانفاق على التسلح يتصدر الأولويات لدى كل من الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة فدخلت الدولتان فى سباق للتسلح لم يتوقف إلا فى الآونة الأخيرة ، التى ذهبت فيها الدولة السوفيتية . وقد كان التسابق على أوجه فى الأسلحة الأرضية من دبابات ، وصواريخ أرض أرض ، ومدفعية ، وكذلك الأسلحة البحرية ، غير أن الذى طغى على الساحة هو التسابق فى الأسلحة التى تستطيع الدول من خلالها السيطرة على الفضاء والتحكم فى الأرض التىيريدون عن طريق الجو.

وقد اهتمت الولايات المتحدة اهتماما كبيرا بهذا التسابق ، وأدخلت كثيرا من التعديلات والتنظيمات فى سياستها الدفاعية والعسكرية . يقول ألان نيفينز وهنرى كوماجر :

(أظهرت الحرب الباردة أنه لابد من زيادة التسلح الأمريكى . بل إن الأمريكيين كانوا قد بدأوا قبل ذلك بتوجيه كثير من العناية إلى تحسين كفاءة تخطيط الدفاع وإدارة مخططاته . فلقد كشفت الحرب عن حاجة ماسة إلى توحيد القوات وأركان الحرب . وأيدت حكومة ترومان الدعوة إلى هذه الغاية ، فوافق الكونجرس عليها أخيرا .

وفى ٢٦ يوليو ١٩٤٧م ، وقع ترومان مرسوم ضم الجيش والأسطول والسلاح الجوى إلى وزارة دفاع جديدة ... كانت الأسلحة الذرية والطاقة الذرية من أعظم المشكلات إقتضاء للاهتمام القومى والدولى ...)[١].

كما (أقر الكونجرس قانونا يقضى (بإنشاء لجنة للطاقة الذرية من خمسة رجال ، كهيئة مستقلة لم يلبث عدد مستخدميها أن وصل إلى خمسة آلاف خلال عام واحد . وكان من واجباتها الإشراف على صناعة الأسلحة

---

(١) موجز تاريخ الولايات المتحدة (٥٤٩-٥٥٠) .

الذرية ، واستخدام القوة الذرية عمليا فى مجموعة كبيرة من الاستعمالات الأخرى ، كمحركات الغواصات ، ومحطات توليد الطاقة الكهربائية ، والطب والزراعة ، وفى صيف ذلك العام[١] فجرت الولايات المتحدة قنبلتها الذرية الرابعة فى جزيرة بيكينى المرجانية فى المحيط الهادى ، وقنبلتها الخامسة تحت ماء المحيط . وكانت للسلاحين طاقة تدميرية لم يسبقها مثيل)[٢].

وماكانت هذه التدابير لترضى الاتحاد السوفييتى فكان هو الآخر يقوم بإعداد نفسه والعمل على تطوير أسلحته والاهتمام بالسلاح النووى والذرى فوقع التسابق بينهما وزاد الوضع احتداما عندما تمكن الاتحاد السوفييتى من اطلاق القمر الصناعى سبتونيك[٣] فى عام ١٩٥٧م فكان الاتجاه إلى الفضاء والسيطرة عليه .

ولاشك أن هناك أسبابا أدت إلى هذا التسابق ومن أهمها :

(١) آثار الحرب العالمية الثانية ، والتى جعلت كلاً من الأطراف يفقد الثقة فى الطرف الآخر ، وأخذ كل طرف يفسر أفعال الطرف الآخر بأسوأ التفسيرات فكانت تلك الآثار من أهم الدوافع فى اللجوء إلى هذا التسابق .

(٢) ظهور القنبلة الذرية واستخدامها من قبل أمريكا الطرف الآخر الأقوى على الساحة الدولية حينها ، مما جعل السوفييت يبدأون فى العمل لإنتاجها وإنتاج غيرها .

(٣) الاحتياج الشديد للموارد الاقتصادية ، ومحاولة كل دولة منع الدولة الأخرى من الوصول إلى مناطق هذه الموارد والسيطرة عليها ، فأرادت

---

(١) سنة ١٩٤٦م .

(٢) موجز تاريخ الولايات المتحدة (٥٥١) .

(٣) بالروسية يعنى رفيق السفر وهو أول قمر يدور فى الفضاء حول الأرض .
من عسكرة الفضاء (١٧) ، بول بى . ستيرز ، ترجمة على موسى الكاظمى ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م ، دار الشئون الثقافية العامة .
والمعلومات السابقة من كلام المترجم .

كل دولة أن تبرهن للآخرى مقدرتها وقوتها حتى لاتسول لها رغباتها في الاقدام على شيء من ذلك .

(٤) زاد الأمر حدة بين الدولتين عندما أطلق الاتحاد السوفييتي القمر الصناعي (سبتونيك) مما جعل الولايات المتحدة تبدأ في العمل لحيازة قصب السبق الحقيقي في الفضاء . على أن الاهتمام بالفضاء بدأ قبل ذلك ، وعندما بدأ الاهتمام به كانت الأمم المتحدة قد أوجدت بعض القواعد والشروط المتعلقة باستخدام الفضاء ، فيما يتعلق بحدوده والأنواع التي تطلق فيه ، وهذا يجعلنا نصور موقفها في معرض حديثنا عن الفضاء وتعريفه .

الفضاء والأمم المتحدة

قلنا بأن التسلح اتجه من الأرض إلى الفضاء وأصبح التسابق فى أسلحته ومايتم اكتشافه ، مع الاستمرار فى التسابق للأسلحة الأرضية ولكنه - أعنى التسابق فى الفضاء الخارجى - كان الأبرز والأشهر فى العالم منذ نهايات الحرب العالمية الثانية ، وتحديدا منذ أن أطلق السوفييت قمرهم الأول .

ونبدأ بتعريف الفضاء .

يقول اللواء أركان حرب خضر الدهراوى :

(هناك من يرى تعريف الفضاء الجوى بأنه المجال أو الوسط أو الفراغ الذى يعلو إقليم الدولة والذى تستطيع الطائرة أن تطير فيه بقوة رد فعل الهواء ، وأن هذا الفضاء ينتهى عندما تنعدم الديناميكية الجوية ولاتستطيع الطائرة أن تطير بخاصية الهواء ، وأنه بعد هذه النهاية يبدأ الفضاء الخارجى إلى مالانهاية . وهناك من يرى أن الفضاء الذى يعلو إقليم الدولة بأنه الفضاء الذى تستطيع فيه الدولة أن تمنع أية دولة من استخدامه لأية أغراض عسكرية قد يكون فيه تهديد لأمنها كما أنها تستطيع أن تمنع أعمال التجسس حتى ولو تمت فى نهاية الفضاء الجوى وفى داخل الفضاء الخارجى الذى يعلوه بواسطة الأقمار الصناعية .

وبالنسبة لتحديد المدى الذى يمتد إليه كل من الفضاء الجوى والفضاء الخارجى ظهرت آراء تأخذ باقتراح البروفسور فون كارمان Von Karman الذى أطلق عليه خط "فون كارمان" كحد فاصل بين الفضاء الجوى والفضاء الخارجى بناء على دراسة التكوين الطبيعى وإمكانية الحياة فى الفضاء من الناحية البيولوجية والفسيولوجية. وقد انتهى فون كارمان من هذا التحديد إلى أن الفضاء الجوى ينتهى عند إرتفاع حوالى ٢٨٥٠٠٠ قدم (٨٦٨٨٨ متر) فوق الأرض وأنه بعد هذا الارتفاع يبدأ الفضاء الخارجى إلى مالانهاية . ولم يلق هذا الرأى تأييدا ولكن أغلب الآراء اتفقت على أن الفضاء الخارجى

يبدأ من حيث ينتهى الفضاء الجوى)[١].

وقد اختلفت الآراء فى المدى الذى يحق للدولة أن تسيطر عليه .

(* رأى ينادى بالحرية المطلقة للفضاء الذى يمتد من الأرض إلى مالانهاية ويشمل ذلك الفضاء الخارجى ، ولايحق لأى دولة فرض سيادتها عليه ، على أساس أن هذا الفضاء يخضع للسيادة المشتركة للدول جميعا..." .

"* رأى آخر ينادى باخضاع الفضاء الجوى للسيادة المطلقة للدولة ويطالب بحق كل دولة فى السيادة على الفضاء الجوى الذى يعلو إقليمها..." .

"ثم ظهر رأى ينادى بالجمع بين السيادة المطلقة للدولة فى جزء من الفضاء الجوى والحريةالمطلقة فى جزء آخر .

ويرى وأصحا بهذا الرأى تقسيم الفضاء إلى ثلاثة مناطق : المنطقة السفلى وتخضع خضوعا كاملا لسيادة دولة الإقليم ، ويعلو هذه المنطقة منطقة يكون للدولة فيها بعض مظاهر السيادة للتأكد من عدم استعمال الطائرات الأجنبية للإضرار بمصالحها وأمنها ، ويعلو ذلك منطقة يكون الطيران فيها حرا لطائرات جميع الدول شأنها فى ذلك شأن حرية أعالى البحار ولكن هذا الرأى لم يحظ بموافقة الدول نظرا لأنه لايحقق حماية كاملة لمصالح الدولة)[٢].

---

(١) الحرب فى الفضاء (١٩٥) ، دارالمريخ للنشر ، الرياض ، طبعة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م دون ذكر لرقمها .

(٢) المرجع السابق (١٩٦) ، وانظر (١٩٧-١٩٨) .

القانون الدولى للفضاء وتنظيم الأمم المتحدة لإستخدامه :

اهتمت الأمم المتحدة بالتطورات الجديدة التى شهدتها الساحة الدولية ، ومن ذلك استخدام الفضاء واطلاق الأقمار الصناعية إليه ، وعندما كانت الحدود السياسية الدولية موجودة فكان لابد من النظر فيما يعلو تلك الدولة فوضع القانون الدولى فارقا بين الفضاء الجوى والفضاء الخارجى .

(فالفضاء الجوى الذى يعلو اقليم الدولة يخضع لسيادتها ، ولها أن تمارس اختصاصات السيادة فيه ولها الحق فى منع الطائرات الحربية الأجنبية من التحليق فيه كماأن لها الحق فى منع المرور غير البرىء للطائرات فى هذا المجال بغرض تأمين أراضيها ضد أعمال التجسس والتصوير المعادية .

أما بالنسبة للفضاء الخارجى الذى يعلو الفضاء الجوى للدولة فليس لها الحق فى ممارسة اختصاصات السيادة فيه ، وليس لدولة ما أية سيادة على الفضاء الخارجى)[١].

وعملت الأمم المتحدة على إيجاد الأنظمة والمقترحات التى تخدم هذه العملية وتنظمها فقامت (بإنشاء اللجنة الخاصة بالاستخدامات السلمية للفضاء الخارجى فى دورتها الثالثة عشرة بموجب القرار رقم ١٣٤٨ فى ديسمبر سنة ١٩٥٨م وتشكلت هذه اللجنة من ممثلين لعدد ١٨ دولة . وفى الدورة الرابعة عشرة عام ١٩٥٩م أصدرت قرارها رقم ١٤٧٢ الذى شكلت بمقتضاه لجنة جديدة تتكون من ممثلين لأربعة وعشرين دولة تحل محل اللجنة الأولى .

ثم أصدرت هيئة الأمم المتحدة المبادىء التى تحكم استخدام الفضاء الخارجى وتتلخص هذه المبادىء فى النقط الآتية :

(١) مبدأ حرية الفضاء الخارجى والأجرام السماوية للاكتشاف والاستخدام من جانب الدول جميعا على أسس من المساواة واحترام القانون الدولى .

(٢) مبدأ عدم خضوع الفضاء الخارجى أو الأجرام السماوية للتملك من جانب دولة معينة .

---

(١) الحرب فى الفضاء (١٩٧) .

(٣) مبدأ احترام الدول عند قيامها بنشاط فى الفضاء الخارجى لقواعد القانون الدولى بما فيها ميثاق الأمم المتحدة مع المحافظة على السلم والأمن الدوليين وتدعيم التعاون والتفاهم الدولى الذى يمكن أن يطبق أيضا بالنسبة لإنقاذ ومساعدة رجال الفضاء والمركبات الفضائية عند الخطر فى أثناء ممارسة نشاطها فى الفضاء الخارجى .

(٤) اكتشاف الفضاء الخارجى واستخدامه يجب أن يكون لمصلحة الإنسانية وفائدتها .

(٥) تقرير مسئولية الدولة عن نشاطها فى الفضاء الخارجى .

(٦) تقرير حقوق الدولة على الأهداف التى تطلقها فى الفضاء الخارجى .

(٧) تقرير مبدأ مساعدة رواد الفضاء وإعادتهم إلى دولهم)[١].

ثم تتابعت اهتمامات الأمم المتحدة وآرائها تجاه هذه المسألة مع تطورها وتصاعدها فعقدت بعض المعاهدات التى من شأنها أن تنظم الفضاء واستخداماته[٢].

غير أن الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة لم يذعنا لتلك المعاهدات .

اهتمام الدولتين بالفضاء :

شكل الفضاء أهمية كبيرة لكل من الدولتين ، وكانت بداية استخدامه لأغراض علمية واستطلاعية ، ثم تحولت إلى أغراض عسكرية بالدرجة الأولى .

---

(١) الحرب فى الفضاء (١٩٩) ، وانظر (٢٠٥-٢٠٧) ، وانظر (١٥٨) وقال فيها : (وبتطبيق قواعد القانون الدولى بالنسبة للفضاء الخارجى نجد أنه لايحق لأية دولة أن تستخدم هذا الفضاء الخارجى فى توجيه الأسلحة أو الصواريخ التى تحمل الرؤوس المدمرة ضد دولة من أجل حل المنازعات معها أو التهديد بذلك باستخدام قدراتها العسكرية التى تستطيع أن توجهها من الفضاء الخارجى) .

(٢) انظر عن ذلك الحرب العالمية الثالثة (١٥٣-١٥٤) .

وكان لاطلاق الاتحاد السوفييتى قمره الصناعى (سبوتنيك-١) عام ١٩٥٧م أثره فى اهتمام الدولتين بالفضاء والعمل على محاولة السيطرة عليه . ومن هنا جرت الاطلاقات المختلفة من كل من الطرفين ومنها ماكتب له النجاح ومنها ماكان مصيره الفشل(١).

وكان الاتحاد السوفييتى يهدف إلى حماية أمنه وأمن الدول الإشتراكية بهذا التسابق . يقول الماريشال سوكولوفسكى : (إن من الواجب عمل هذا لضمان أمن بلدنا لصالح التعاون الإشتراكى الكلى للمحافظة على السلام فى العالم وسيكون من الخطأ السماح للمعسكر الإمبريالى أن يحقق تفوقا فى هذا المجال ...)(٢).

والولايات المتحدة هى الأخرى تحاول جاهدة فى الحفاظ على أمنها وأمن الدول التى تسير فى فلكها .

وقد كان إطلاق القمر السوفييتى (سبوتنيك-١) دافعا قويا بالنسبة للولايات المتحدة من أجل اللحاق بالاتحاد السوفييتى فى غزو الفضاء(٣)، كما أن الشعب الأمريكى قد طالب بمسايرة السوفييت فى مجال الفضاء(٤)، وقامت الولايات المتحدة بإنشاء الوكالة القومية لأبحاث الفضاء (ناسا) .

ووجهت كل من الدولتين مواردها فى سبيل التفوق على عدوتها حتى بلغت الاستثمارات لإسناد برامج الأقمار الصناعية بالنسبة للولايات المتحدة ٧٠ مليار دولار مابين ١٩٥٩-١٩٨٤م بينما لاتتوفر أرقام رسمية للاتحاد السوفييتى وكانت ميزانية الفضاء العسكرية للسنة المالية ١٩٨٤م ١٠,٥ مليار دولار والتى تقابل أكثر من نصف مجموع ميزانية الفضاء الأمريكية(٥).

---

(١) انظر عن ذلك : حرب الفضاء (١٤،١٦-١٧) ، عسكرة الفضاء (٢٢) ومابعدها ، تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (١٤٣) .
(٢) نقلا من كتاب عسكرة الفضاء (١٦٦) .
(٣) انظر المرجع السابق (٢٢) .
(٤) انظر المرجع السابق (٢١-٢٢) .
(٥) انظر المرجع السابق (١٢) .

إن الإنسان عندما علم أن القمر الصناعى أخذ يدور حول الأرض ، استبشر واعتبر ذلك انجازا علميا سيحقق من خلاله الكثير والكثير ، ولكن الصراع وحب الاستيلاء والسيطرة بدد تلك الأمانى ، وأصبحت تلك الأقمار تسير فى خدمة الأهداف العسكرية مع انكار كل من الدولتين ذلك أو اظهار جزء بسيط من حقيقة التوجه العسكرى لهذه الأقمار[١].

يقول الجنرال فيكتور فرنر :

(إن الاستعدادات للحرب الفضائية تجرى على قدم وساق . فسباق التسلح دخل مرحلة لم تعرف من قبل . وإذا ماكان هناك أدنى شك فى هذا الأمر ، فإن الكتمان الذى يحيط بالأبحاث الفضائية والمبالغ الضخمة التى تنفق على غزو الفضاء ، كافية لتثبت أن الأمر ليس بحثا علميا خالصا لمنفعة الانسانية جمعاء)[٢].

نعم لقد سخرت هذه المخترعات لإرهاب الناس لالحمايتهم .

يقول فيكتور فرنر : (هناك تداخل خطير بين البحث العلمى المدنى والبحث العلمى العسكرى . وتستخدم المكتشفات ، فى أغلب الأحيان ، من أجل تدمير الحياة أكثر من استخدامها من أجل حماية الحياة ، فهى تسمح بالقتل بطريقة تزداد سهولة أكثر فأكثر)[٣].

الصراع بين الدولتين :

بعد أن بدأت الأقمار الصناعية تستخدم فى الأغراض العسكرية وقد سبق للسوفييت أن أطلقوا (سبوتنيك) بدأت ردود الأفعال فى الأوساط الأمريكية ، ومن هنا كان التوتر والعمل على الدخول فى دوامة التسابق . يقول بول . بى : (جاء هذا الاهتمام المبكر بأسلحة الفضاء كنتيجة مباشرة

---

(١) انظر : عسكرة الفضاء (١٢) ، مجلة الفيصل العدد ١٣٧ (٦٣) .
(٢) الحرب العالمية الثالثة (الخوف الكبير) (١٨) .
(٣) المرجع السابق (٢٥٢) .

للمخاوف التي أججها اطلاق سبوتنيك .. فللكثيرين كان الانجاز السوفييتي يمثل تحديا لتفوق أمريكا التقني ولمصداقيتها في السياسة الدولية حول العالم . ووجد الآخرون فيه تهديدا أكثر لأمن أمريكا القومي المباشر ...)[١].

التوتر في الأعوام ١٩٥٨-١٩٦٠م :

يقول مكنمارا : (استمر تصاعد التوتر بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي اعتبارا من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٧م ، عندما أصبح الاتحاد السوفييتي أول دولة تستطيع اطلاق قمر صناعي . لقد كان الأمريكان يعتبرون ـ لفترة طويلة ـ أن الاتحاد السوفييتي متخلف في المجال التكنولوجي وغير قادر على تقديم أي انجازات هامة في العلوم والهندسة .

وجاء إطلاق سبوتنيك ليغير بين عشية وضحاها من هذا التحامل ، ويحل محله زيادة الخوف من نوايا السوفييت وقدراتهم .

لقد جرب السوفييت عام ١٩٤٩م أولى قنابلهم الذرية ، وبعد ذلك بأربع سنوات فجروا القنبلة الهيدروجينية .. فإذا كانوا اليوم قادرين على اطلاق قمر صناعي فمعنى هذا ـ في واشنطن ـ أنهم يستطيعون بنفس درجة السهولة اطلاق قذائف صاروخية عابرة للقارات من نوع (اى.سى.بى.ام) موجهة للولايات المتحدة)[٢].

وفي هذه الأثناء زاد الاتحاد السوفييتي من إنجازاته الفضائية[٣] مما أثار

---

(١) عسكرة الفضاء (١٧) ، وقد ذكر مجموعة من الانجازات التي تمت بسبب هذا التخوف من القمر السوفييتي.
وانظر تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (١٣٨-١٣٩) .

(٢) مابعد الحرب الباردة (٥٣) .

(٣) انظر عسكرة الفضاء (١٨) .
وانظر (٣٩-٤١) ، ونقل (ص٤٠) قول (جيمس كليان) عن تأثير سبوتنيك حيث قال : (خلق (سبوتنيك) عندما كان يطلق النبضات الصوتية في السماء أزمة ثقة اجتاحت القطر كحريق غابة في مهب الريح ، وبين عشية وضحاها تطور خوف =

قلق الأمريكيين ، وهنا زاد الصراع بين الدولتين خاصة وأن السوفييت قاموا باطلاق القمر الصناعى الثانى (سبوتنيك) وكان أكبر حجما مماجعل الناس يرون أن الانجاز ليس محض صدفة ، وزادت مخاوفهم بالتالى ولم تستطع الإدارة الأمريكية أن تتجاهل هذه المخاوف والمطالبة بإدراك السوفييت قبل أن يتمكنوا من السيطرة على الفضاء[١]. وبالفعل بدأ أيزنهاور فى توسيع برنامج الفضاء فأنشئت عام ١٩٥٨م (وكالة مشاريع خاصة ضمن البنتاغون للإشراف على جميع علماء البحث والتطوير المتقدمين لتقنية الفضاء ... أصبحت تعرف هذه رسميا بوكالة مشاريع البحث المتقدم (ARPA))[٢].

وقد طالب البعض بإنشاء وكالة فضاء منفصلة تعزز صورة الاستغلال السلمى للفضاء من قبل الولايات المتحدة ، ولكن ايزنهاور قاوم ذلك لأنه خشى من الإزدواجية[٣].

إلا أن الرئيس الأمريكى انحنى أمام الإصرار على هذا الفصل بين مايتعلق بالأغراض العسكرية والأغراض السلمية وتدعى الأخيرة (إدارة الملاحة الهوائية والفضاء القومية NASA)[٤].

أواخر الخمسينات والستينات :

تعتبر الفترة من ١٩٥٧م ومابعدها من أشد الفترات التى وقع فيها التنافس والصراع والتسابق فى مجال الفضاء ، ويمكن اعتبار الفترة التى أطلق

= واسع الانتشار من أن البلاد وقعت تحت رحمة الماكنة العسكرية الروسية وأن حكومتنا وذراعها العسكرى خسرا فجأة قدرة حماية أرض الوطن نفسها وأقل من ذلك كثيرا الحفاظ على هيبة وزعامة أمريكا فى الحلبة الدولية . لقد تبخرت فجأة الثقة بما هو أمريكى من علم وتقنية وتربية) .

(١) انظر عسكرة الفضاء (٤١-٤٢) .

(٢) المرجع السابق (٤٢) .

(٣) انظر المرجع السابق (٤٣) .

(٤) المرجع السابق (٤٣) .

فيها القمر السوفييتى (سبوتنيك) هى البداية للصراع فيما بين الجبارين ، وإن كانت الحدة زادت فى وقت متأخر عن الاطلاق الأول .

وكان الاعتقاد السائد لدى الجانبين وخاصة الولايات المتحدة أن السيطرة على الفضاء تعنى السيطرة على الأرض .

ومن هنا كان التسابق فى الستينات ومابعدها على أوجه فى هذا الجانب وجاءت التصريحات على ألسنة القادة بأهمية الفضاء والسيطرة عليه فقال كينيدى فى معركته الانتخابية فى ١٠ تشرين الأول ١٩٦٠م : (إننا فى سباق فضاء استراتيجى مع الروس ... إذا سيطر السوفييت على الفضاء فبإمكانهم السيطرة على الأرض ، كما فى القرون الماضية حيث كانت الدول التى تسيطر على البحار تتحكم بالقارات)(١).

وطالب كينيدى بعدة أمور لرفع إقتصاد البلاد وتخفيف البطالة ، ومساعدة العاطلين عن العمل وإصلاح النظام الضريبى لدفع عملية النمو الإقتصادى ، وكان للفضاء والعسكرة النصيب الأكبر من ذلك . و(وافق الكونجرس على تحويل أكثر من نصف توصيات الرئيس فى عام ١٩٦١ و١٩٦٢م إلى قوانين . وساعد المشرعون الصناعة مساعدة كبيرة بموافقتهم على زيادة نفقات الدفاع وبرنامج الفضاء . وفى عام ١٩٦١م وافق الكونجرس على زيادة اعتمادات الأسلحة بمقدار ٦ بلايين دولار كما وافق على انفاق بلايين إضافية من الدولارات على تكنولوجيا الفضاء . وفى عام ١٩٦٢م خصص الكونجرس أكثر من نصف الميزانية الفيدرالية لهذين القطاعين من قطاعات الإقتصاد)(٢).

---

(١) حرب الفضاء (١٩) ، وانظر الجزء المذكور من الخطاب فى عسكرة الفضاء (٧٧) ، وانظر مزيدا من الأقوال (٥١-٥٢) .

(٢) تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٢٠٧) ، وانظر عسكرة الفضاء (٦٣-٦٦) وذكر أن هذه الفترة اتسمت بحيرة جسيمة (حيرة حول استطاعة تثبيت مبدأ وممارسة الاستطلاع بالقمر الصناعى ، حيرة حول التوجيه المستقبلى لبرنامج الفضاء الأمريكى ، وبالأخص حيرة حول إمكانية تطور سباق للتسلح النووى فى الفضاء) . (٦٤) .

فكـانت هذه الفترة من أكثر الفترات اهتماما بالفضـاء واستخداما له فى الجانب العسكـرى مقـارنة بالجانب العلمـى للأقمـار الصنـاعية ، وقـام الاتحاد السـوفييتى باطلاق ١٠٠ قمر صناعى كل سنة ٧٠ منها لغـايات عسكرية ، و١٥ لغـايات عسكرية ومدنية معا ، وأما الولايات المتحدة فتطلـق بشكل عام أقل من ٢٠ قمرا لغايات عسكرية بالسنـة ، وهذا الفارق العــددى لايقدم الصورة الصحيحـة لأن الأقمار الأمـريكية تتفوق بعمر أطول وبتعـدد استعمـالاتها(١).

وهكذا كانت الدولتان فى تسابق محموم وصراع مستمر بشأن التسلح .

ومـن المعلوم أن القنبلة الذرية قد استخدمت فى نهـاية الحرب العالمية الثـانية ، وبدأت كـل دولـة مـن الـدول الكبرى (عنيــت أمـريكا والاتحاد السـوفييتى) فى التصنيـع بصـورة أكبر مـن ذى قبل لتحـاول كـل دولة بسط سلطـانها ، والحفاظ على مـاورثته من الحرب وفى هذا الخضـم كان من أخطر ماأنتجه الاتحاد السـوفييتى القنبلـة الهيدروجينية(٢). ثم تتابع التسابق فى هـذا

---

(١) انظر حرب الفضاء (٥) .
وانظر الحرب فى الفضاء (٢٠٠) .

(٢) كـان أول تفجير لها فى أغسطس/آب عام ١٩٥٣م وكان سخـاروف هو الذى قام باختراعها وعمره حينذاك ٣٢ سنة .
وقـد وقع نقاش بين خروشوف وسخاروف حيث كان يطلب الأخير عـدم تفجيرها نظرا لأضرارها وأخطارها على البشرية ، غير أن خروشـوف أصر على موقفه وقال (أيها الرفيق سخاروف ، يجب أن تفهم وضعى . إن مسئوليــاتى فى المنصب الذى أشغلـه لاتسمح لى بالغاء الاختبارات . لقد أوضح حزبنا وأوضحـت حكومتنا تماما أننـا لانود شيئا أفضل من وقـف الاختبار النووى إلى الأبد . أوقفـت قيـادتنا من جانب واحد الاختبـار النـووى ، ودعـت الـولايات المتحـدة والبلاد الأخرى إلى الاقتـداء بنـا لخير البشرية جمعـاء لكـن لم نتلق جوابا . لم يصـغ الأمـريكيون إلى اقتراحاتنـا . لاريب أنك تعرف ، كعالم ، أنهم استمروا فى الاختبـار ، فإذا لم نختبر قنابلنا كيف نعرف أنها صالحة أو غير صالحة؟
لم تغير حججى رأيه ، ولاحجته رأيى ...
واضـح أنه كان له رأيا : أراد مـن جهة أن يساعد بلده فى الـدفاع عن نفسه ضد العـدوان الامبريالى ، ومن جهـة أخرى خشى ، حين طور لنـا القنبلة ، أن يراها تستعمل . أظن أنه كان يخاف أن يرتبط اسمه باستعمالها ...

....

= وقررنا السير فى الاختبار . تفجرت القنبلة بقوة هائلة لم ير العالم أبدا متفجرة مثلها . حسب علماؤنا قوةالقنبلة سلفا وقدروها بما يعادل خمسين مليون طن من مادة (ت.ن.ت) كان هذا نظريا ، أما عمليا فقد بلغت قوة الانفجار مايعادل سبعة وخمسين مليون طن من (ت.ن.ت) . كانت جبارة ، شيئا لايصدق . وقد فسر لى خبراؤنا فيما بعد أننا إذا أدخلنا فى الحساب موجة الصدمة ، والتلوث الاشعاعى ، بلغت القوة المدمرة فى القنبلة مائة مليون طن ..) .

الوصية الأخيرة ، خروشوف (٦٩-٧١) .

ولاشك أن هذا يؤثر تأثيرا بليغا على إقتصاد الدولة ويجعل الاهتمام منصبا على سباق التسلح مع الولايات المتحدة على حساب أفراد الشعب مماكان للحرب الباردة أثره الكبير فى الإنهيار الإقتصادى للاتحاد السوفييتى .

وانظر تاريخ الولايات المتحدةمنذ ١٩٤٥ (١٠٥) ، وعن التسابق بين الدولتين فى تلك الفترة انظر (١٠٦-١٠٧) .

وعن الصواريخ التى قامت الدولتان بإنتاجها نضع هذه اللمحة :

(أ) أمريكا :

١ ـ (البرنامج الأمريكى لتحديث القذائف البالستيقية العابرة للقارات) .

حرب النجوم تكنولوجيا وآفاق (٦٢) .

وانظر شرحا مفصلا عنها وعن قدراتها ومداها (٦٢-٦٤) .

٢ ـ (قذائف منيوتمان البالستيقية العابرة للقارات العلامة ٢) .

حرب النجوم (٦٤) ويبلغ مداها (١١٢٥٠ كم) وسرعتها ٢٤٠٠٠ كيلو متر بالساعة ، وتحمل رأسا نوويا حراريا واحدا بقوة ٢ مليون طن .

٣ ـ (قذائف منيوتمان البالستيقية العابرة للقارات العلامة ٣) .

حرب النجوم (٦٤) ، وانظر مابعدها . ومدى القذيفة ١٣,٠٠٠ كم . وسرعتها ٢٤,٠٠٠ كيلو متر فى الساعة .

٤ ـ (قذائف تيتان البالستيقية العابرة للقارات العلامة ٢) .

نفسه (٦٤) ومداها ١٥,٠٠٠ كم وسرعتها ٢٤,٠٠٠ كم فى الساعة وقوة رأسها الحربى ٩ ملايين طن . =

....

= ٥ ـ (منظومة القذائف البالستيقية للأسطول نوع (بوسيدون س-٣) .
حرب النجوم (٦٧) ، ومدى القذيفة ٤٦٣٠ كيلو متر . وانظر (٦٨) .
٦ ـ (منظومة الأسلحة الاستراتيجية نوع (ترايدنت سى٤)) .
حرب النجوم (٦٨) ، ومدى القذيفة يزيد على ٧٤٠٠ كيلو متر .
(ب) **الاتحاد السوفييتى** :
١ ـ (القذائف البالستيقية العابرة للقارات نوع اس اس-١١) .
حرب النجوم(٦٩) مداها من ١٠,٠٠٠-١٣,٠٠٠كم .
٢ ـ القذائف البالستيقية العابرة للقارات نوع اس.اس.١٣" .
حرب النجوم (٦٩) دخلت الخدمة عام ١٩٦٥م ويبلغ مداها من ٨٠٠٠-١٠,٠٠٠كم تحمل رأسا نوويا واحدا بقوة مليون طن .
٣ ـ (القذائف البالستيقية العابرة للقارات نوع اس.اس١٧) .
حرب النجوم (٧٠) ومداها ١١,٠٠٠ دخلت الخدمة عام ١٩٧٥م .
٤ ـ (القذائف البالستيقية العابرة للقارات نوع اس.اس١٨) .
حرب النجوم (٧٠) وجد منها عام ١٩٨٣م أربعة أنواع أعلى مدى لنوع منها ١٦,٠٠٠كم .
٥ ـ (القذائف البالستيقية العابرة للقارات نوع اس.اس١٩) .
حرب النجوم (٧٣) مداها ١٠,٠٠٠كم .
٦ ـ (القذائف البالستيقية العابرة للقارات اس.اس٢٤) .
حرب النجوم (٧٣) دخلت الخدمة العملية ١٩٨٥م ومداها ١٢-١٦ ألف كيلو متر ولاتوجد تفاصيل وافية عن هذه المنظومة .
٧ ـ (القذائف البالستيقية العابرة للقارات اس.اس٢٥) .
حرب النجوم (٧٣) .
٨ ـ (القذائف البالستيقية التى تطلق من الغواصات نوع اس.اس.ان٥) .
حرب النوم (٧٣) ، انظر (٧٤) ومداها ١٢٠٠-٢٤٠٠كم .
٩ ـ (القذائف البالستيقية التى تطلق من الغواصات نوع اس.اس.ان٦) .
حرب النجوم (٧٤) وبمقدور هذا النوع إصابة الأهداف داخل الولايات المتحدة . ودخلت هذه المنظومة الخدمة العملية عام ١٩٧٣م .
١٠ ـ (القذائف البالستيقية التى تطلق من الغواصات نوع اس.اس.ان٨) .
حرب النجوم (٧٤) وانظر (٧٥) ومداها٨٠٠٠ كم ، ودخلت الخدمة العملية عام ١٩٧٣م . =

الجانب ووجدت الدبابات والمدفعية وغيرها من المخترعات الحربية ، إلا أنه فى أواخر الخمسينات بدأ الالتفات إلى السلاح الذى يمكن كل طرف من السيطرة على الفضاء ، واعتباره المفتاح للنصر فى المعركة القادمة بين الطرفين ومن هنا ارتبط فى الغالب سباق التسلح بما كان ينتجه كل من الطرفين من أجل تلك الغاية مع الابقاء بالطبع على التصنيع الآخر . على أن كثيرا من تكاليف تلك الأسلحة ، وكذا سياسات الدولتين تجاهها كانت من الأسرار التى لم يكشف عنها حتى هذه اللحظة . ومن أهم ماأنتجته الدولتان وآثار بعضهما ضد بعض اطلاق الأقمار الصناعية بداية ، وكانت كل دولة تتذرع بأنها لأغراض سلمية واكتشافات علمية ، غير أن كلا منهما قد استغلها لخدمة أغراضه العسكرية . ونعرض الآن باختصار لشىء من هذه المخترعات على أن (سبوتنيك) كان الإنطلاقة فيما بين الدولتين .

= ١١ ـ (القذائف البالستيقية التى تطلق من الغواصات نوع اس.اس.ان١٨) .
حرب النجوم (٧٥) ودخلت الخدمة أوائل عام ١٩٧٩م ومداها ٦٥٠٠كم .
١٢ ـ (القذائف البالستيقية التى تطلق من الغواصات نوع اس.اس.ان٢٠) .
حرب النجوم(٧٥) وانظر (٧٨) ودخلت الخدمة عام ١٩٨٤م ومداها ٨٣٠٠كم .
١٣ ـ (القذائف البالستيقية التى تطلق من الغواصات نوع اس.اس.ان٢٣) .
حرب النجوم (٧٨) ولايوجد عنها معلومات كافية .
وعن هذه الأسلحة بعينها وغيرها انظر ماجاء فى كتاب العلاقات الأمريكية السوفيتية (٨٢-٨٧) .
وللاستزادة انظر حرب النجوم تكنولوجيا وآفاق (٢١-٢٧) بشأن أسلحة الولايات المتحدة ، (٢٨-٣٠) بشأن أسلحة الاتحاد السوفييتى
وانظر عن الصواريخ البالستية من طراز ام.اكس وردود الأفعال تجاهها وقد تراوحت تكلفة المشروع المقدرة ٣٥ و٧٠ فى عهد الرئيس الأمريكى كارتر - كتاب العلاقات الأمريكية السوفيتية (٦٤-٦٩) .
وانظر عنها وعن غيرها كتاب حرب المائة ثانية (٤٥-٤٩) .

(أ) الأقمار الصناعية :

ومن السوفيتية : سبوتنيك ، (فوستوك ١) ، (فوستوك ٢) ، فوستوك (٦) ، (فوسكهود ١) ، (فوسكهود ٢) ، (سويوز ٦-٧-٨) .

ومن الأمريكية : كبسولة ميركورى ، (أبولو-١) ، (أبولو-٩) ، (أبولو-١٠) ، (أبولو-١١) ، (أبولو-١٢)(١).

(ب) الأسلحة المضادة للأقمار الصناعية :

ومن هنا وبعد أن رأى كل من الفريقين الأعداد الهائلة من الأقمار الصناعية لدى خصمه ، وكونه بدأ يستخدمها عسكريا فكر كل من الطرفين فى إيجاد السلاح المضاد لها . يقول بول بى : لقد (حفزت الاختبارات السوفيتية من دون شك البرنامج الأمريكى لمضادات الأقمار الصناعية ...)(٢).

فقامت كل من الدولتين باختراع الأقمار والأنظمة القادرة على تدمير أهداف العدو فى الجو والأرض ، ومن هذه الأنظمة :

(١) أقمار القصف المدارى (فوبز FOBS) السوفيتية(٣).

(٢) الأقمار الصناعية المضادة للأقمار الصناعية(٤).

(٣) إدخال الأسلحة النووية على الأقمار الصناعية(٥).

(٤) استخدام أجهزة الإنذار المبكر(٦).

(٥) أجهزة المراقبة والاستطلاع ، وتعرف بأقمار التجسس(٧).

---

(١) انظر : عسكرة الفضاء (٧٩-٨١) ، حرب الفضاء (١٨-٢٠،٢٢-٢٣) .

(٢) عسكرة الفضاء (١٩٢) .

(٣) انظر : الحرب فى الفضاء (٢١٩) ، عسكرة الفضاء (١٠٨-١٠٩) .

(٤) انظر الحرب فى الفضاء (٢٢٠) ، وعن بعض ماأطلقه الاتحاد السوفييتى فى هذا المجال انظر حرب الفضاء (٦٥-٦٦) .

(٥) انظر عن ذلك : حرب الفضاء (٢٤-٢٦،٦١-٦٢) ، الحرب فى الفضاء (٢٢٠) ، عسكرة الفضاء (٨٧-٨٨،١٢٣،١٠٢-١٠٤) .

(٦) انظر حرب الفضاء (٣٤-٣٦) ، وعن الأنظمة السوفيتية خاصة انظر (٥٨-٥٩) .

(٧) انظر المرجع السابق (٣٧) ، وتملك كل دولة عدة أقمار للتجسس ، انظر عن الولايات المتحدة (٣٨-٣٩) ، وعن الاتحاد السوفييتى (٤٠-٤١) .

(٦) أقمار التجسس الإلكترونى[١].
(٧) أقمار الاتصالات[٢].
(٨) استخدام الليز فى حرب الفضاء[٣].

وهكـذا غدت أسلحة الفضاء والسعى وراء السيطرة عليـه محط اهتمام الدولتين الكبريين منذ نهاية الخمسينات إلى الثمانينات . وقد وجدت فى هذه الفترة بعـض النـداءات مـن أجل إيقـاف هـذا التسابق الـذى لـن تجنى منـه الدولتان إلا الخسائر ، ولن يجلب للبشرية إلا الدمار ، إلا أن عدم الثقة بين الطرفين جعلهما يستمران فى هذا التسابق حتى جاءت الثمانينات وفجر ريغان الـوضع حينمـا أعلـن عن خطـة جديدة عـرفت بمبادرة الـدفاع الاستراتيجـى (حرب النجوم) ونعرض لها باختصار .

---

(١) انظـر حرب الفضـاء (٤٢) ، وتمتلـك كـل دولـة عدد منها . انظـر عـن الـولايات المتحـدة (٤٣) ، وعن الاتحاد السـوفييتى (٤٣-٤٤) ، وذكـر المؤلف أن المعلومات نادرة عن أجهزة السوفييت .

(٢) انظـر المرجع السـابق (٤٥-٤٦،٤٩-٥٠) ، بشـأن الـولايات المتحـدة ، وانظـر بشأن السـوفييت ومالديهم من أقمار إتصالات (٥٠-٥١) .

(٣) انظر حرب النجـوم تكنولوجيـا وآفـاق (١٢٩-١٣٠) ، وعـن استخـدام الليزر فى الفضاء انظر : حرب الفضاء (٦٧-٦٨) ، عسكرة الفضاء (١٢٢-١٢٣) ، الحرب فى الفضاء (٢٠٠-٢٠٢) .

(١٥٤٣)

مبادرة الدفاع الاستراتيجى

خرج ريجان عام ١٩٨٣م بمشروع عسكرى فاجأ العالم كله به . ويعد هذا المشروع خروجا على أهداف ومبادىء الفضاء الخارجى التى عقدت سنة ١٩٦٧م تحت إشراف الجمعية العامة للأمم المتحدة والتى تمنع استخدام الفضاء الخارجى للأغراض العسكرية .

وتقوم فكرة المشروع على استخدام أشعة الليزر المكثفة كسلاح مضاد للصواريخ النووية[١].

يقول بروسترك دينى : (بحلول الثمانينات بدأت الحرب الباردة تشتعل من جديد . فقد اندلع بلامبرر سباق التسلح إلى المستوى شديد الدمار ، وبدأ الرئيس الأمريكى مرة ثانية فى استخدام أسلوب خطابى عنيف ساعد على اتفاق كلا الحزبين مرة أخرى على الالتزام الأمريكى . واتبع الاتحاد السوفييتى نفس السياسات التى أعطت فى الماضى مصداقية لهذا الأسلوب الدعائى . وعادت مرة أخرى موجة الاختبارات الأيديولوجية بالنسبة للعاملين فى مجال السياسة الخارجية)[٢].

وتستهدف هذه الحرب (تقليل التأثيرات العسكرية للأسلحة النووية بتطوير منظومات أمريكية قادرة على اعتراض (القذائف البالستيقية العابرة للقارات) فى جميع مراحل طيرانها ابتداء من الاطلاق ومرورا بالطيران وانتهاء بالوصول إلى الأهداف وكذلك اعتراض وتدمير الأقمار الصناعية والمركبات الفضائية وقذائف الكروز ...) .

---

(١) انظر : العلاقات الأمريكية السوفيتية (٧١-٧٢) ، عسكرة الفضاء (٢٥٥-٢٥٦) . ودعا ريجان الوسط العلمى (لإعطائنا الوسائل الكفيلة بجعل السلاح النووى عقيمة ومهملة) . حرب الفضاء (٧) .

(٢) نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأمريكية (٢٢٣) .
وانظر حرب النجوم تكنولوجيا وآفاق (١٠٣) ومابعدها .

كما (تتألف حرب النجوم من كيان دفاعى متكامل يشتمل على وسائط (الكشف والإنذار) و(منظومات عالمية للقيادة والسيطرة والمواصلات والاستخبارات) و(أسلحة متطورة للغاية) يمكن أن تطلق من قواعد فضائية أو جوية أو أرضية أو بحرية أو من تحت الماء مع الوسائل المساعدة الاعتيادية لشن الحروب كالملاحة ورصد الأحوال الجوية وغير ذلك من الأمور)(١).

وهذا البرنامج (يمهد الطريق لسباق جديد فى التسلح ، ويرتكز على تقنيات حديثة متطورة - وهو سباق لايستطيع الإقتصاد السوفييتى تحمله)(٢).

إن هذا المشروع قد (أثار جدلا حاميا وأصبح أحد أبرز القضايا العالقة فى السياسة الدولية بين الشرق والغرب - قبل إنهيار المعسكر الشرقى وزعيمه الاتحاد السوفييتى)(٣).

ولكن ماهى الأسباب التى دفعت ريغان إلى الإعلان عن هذا المشروع؟

السبب فى هذه المبادرة :

إن العداء بين الدولتين الكبريين قد جعل كلاً منهما تبذل مافى وسعها من أجل إخافة العدو وإرهابه والعمل على تحجيمه وقد كان هناك دوافع عدة وراء هذه السياسة ، ومن أهمها :

(١) تعاظم القدرة السوفيتية الضاربة التى ذكر أنها أصبحت تتفوق على الولايات المتحدة فى جميع المجالات العسكرية ، وهو مايحمل معه مخاطر أمنية فادحة لاتقدر حكومة مسؤولة على تجاهلها أو التهوين منها.

(٢) تخلف بعض عناصر الترسانة النووية الأمريكية من الناحية التقنية .

---

(١) حرب النجوم تكنولوجيا وآفاق (٨-٩) .
وانظر : عسكرة الفضاء (٢٥٢) ، حرب النجوم أوهام وأخطار (٢٢) .

(٢) غورباتشوف صانع القرار وضحيته (٢٤٠) .

(٣) حرب الفضاء (٧) .

(٣) أن تنفيذ الخطة الجديدة لايعنى التراجع عن التزام الولايات المتحدة المعلن بالسعى إلى تحقيق خفض متبادل للقوات النووية ، والتقليدية مع الاتحاد السوفييتى .

(٤) أن خطة إدارته تقوم على إحلال السلام من خلال التحرك على خطين متوازيين فى ذات الوقت وهما : الردع وخفض التسلح باعتبار أن محصلتهما هى وحدها التى توفر فى النهاية الأمل الحقيقى فى إقامة سلم دولى دائم ومستقر)[١].

(٥) (رأى البعض أنها يمكن أن تؤدى بالنهاية إلى امتلاك وسيلة تلغى خطر الإبادة النووية)[٢].

ردود الفعل لحرب النجوم لدى السوفييت :

يقول صبرى مقلد : (لقد أدان الاتحاد السوفييتى بشدة هذا المشروع ، وكما أشار الزعيم السوفييتى يورى أندروبوف وقت إعلان ريجان عن مبادرته أن المشروع بشكله هذا يعتبر انتهاكا سافرا لاتفاقيات عام ١٩٧٢م التى تعترف بالعلاقة الوثيقة بين الصواريخ الاستراتيجية ونظام الصواريخ المضادة للصواريخ العابرة للقارات . كما ذكرت أوساط الحكومة السوفيتية أن المشروع الأمريكى يخلو من أية صفة دفاعية بل هو عدوانى وهجومى فى دوافعه لأنه يهدف إلى حرمان الاتحاد السوفييتى من حقه المشروع فى الرد الفعال والدفاع عن نفسه فى حالة تعرضه لهجوم يشن ضده بالصواريخ النووية .

ثم تلاحقت موجة الهجوم السوفييتى على نظام ريجان المقترح والتى وصلت إلى حد اتهام الرئيس الأمريكى بأنه كان يسعى باقتراحه هذا إلى نزع سلاح الاتحاد السوفييتى ، وأنه كان يفتح الأبواب على مصراعيها أمام

---

(١) العلاقات الأمريكية السوفيتية (٦٩-٧٠) .
(٢) حرب الفضاء (٨) .

مرحلة جديدة وبالغة الخطورة فى مضمار التسلح النووى ، ولم تتوان هذه التصريحات فى استخدام أقسى العبارات فى نقدها للإدارة الأمريكية التى وصمتها بالخداع والتضليل فيما تروج له من مزاعم وافتراءات حول قوة الاتحاد السوفييتى العسكرية ودوافعها وأهدافها ...الخ)(١).

وعن ردود الفعل الأوربية يقول اللواء جبرائيل بيطار :

(أما فى ظل المبادرة الجديدة فسوف تجد الدول الأوربية نفسها أمام أحد خيارين : إما المساهمة فى أبحاثها ورصد الأموال الطائلة لذلك ، أو المجازفة بتخلف تكنولوجى هائل .

المبادرة بالتالى هى الانتقام الأمريكى من الحلفاء الأوربيين الذين لم ينصاعوا للحليف الأكبر .

من جهة أخرى أدى سعى الولايات المتحدة لشحذ سيوفها النووية ، بنشر صواريخها على أراضى حلفائها الغربيين ، إلى موجة عارمة من المقاومة لدى الشعوب الأوربية التى ذاقت ، بخلاف أمريكا ، مرارة الحروب . ونحن نسمع ونشاهد مظاهر الاحتجاج الذى كثيرا مابلغ مرحلة العنف .

ثم كانت معارضة رجال الدين على التسلح النووى المستمر . وإدانته إنسانيا وأخلاقيا ، ودعوتهم إلى نزع شامل له . ومعارضة علماء الذرة وعلماء البيئة وعلماء الإجتماع وسواهم)(٢).

ولكن ماذا تود أمريكا من هذه الاستراتيجية؟

---

(١) العلاقات الأمريكية السوفيتية (٧٥) .
وانظر حرب النجوم تكنولوجيا وآفاق (٢٣٨-٢٣٩) ، وانظر (١٠٨) .

(٢) حرب المائة ثانية (١٤) من مقدمته للكتاب .

(تأمل استراتيجية حرب النجوم الأمريكية تحقيق الظروف المناسبة لتجنب أخطار الضربة المباغتة النووية أو الحد من تأثيراتها فهى تركز على :

(أ) تأمين مراقبة محكمة ودقيقة ومستمرة تسمح باكتشاف أى هجوم نووى فى الوقت المناسب سواء أكان هذا الهجوم صادرا عن قواعد إطلاق برية أو بحرية أو جوية .

(ب) اكتشاف وتمييز الهجمات الحقيقية عن الهجمات الكاذبة المضللة والتى تهدف إلى تشتيت الجهود الرامية إلى تدمير الأسلحة الهجومية قبل وصولها إلى أهدافها .

(ج) الحد من أخطار أى هجوم مباغت بتوجيه الإنذار المبكر إلى الأسلحة القادرة على معالجة وتدمير الأسلحة وهى لاتزال فى طريقها إلى أهدافها .

(د) الإبقاء على فاعلية القيادة والسيطرة والمواصلات والاستخبارات ضد أعمال التشويش الالكترونية وضمان الاستمرار بإدارة الحرب بصورة نشطة)[١].

إمكانية تنفيذ مشروع الدفاع الإستراتيجى وسلبياته :

لقد صرح العلماء والخبراء فى حقل تكنولوجيا أشعة الليزر وأبحاث الفضاء أنه مايزال أمام الولايات المتحدة شوطاً طويلاً حتى تستطيع إخراج مثل هذه الأفكار إلى الواقع .

ومن نماذج الآراء التى يسوقها هؤلاء على هذه الصعوبة :

أولا : (أن نظام قواعد الليزر الفضائية المضادة للصواريخ العابرة للقارات ينطوى على تعقيدات هائلة وبصورة تجعله متعذر التحقيق كنظام دفاعى موثوق فيه ...) .

---

(١) حرب النجوم تكنولوجيا وآفاق (١٠٧) .

ثانيا : (أن المحطات الفضائية نفسها والتى هى ركائز تنفيذ هذا النظام الدفاعى معرضة لأخطار كبيرة ومحققة وذلك إذا ماأخذنا فى الحسبان أن هناك أقمارا صناعية انتحارية يمكنها أن تقترب من أهدافها ثم تنفجر ، مما يعنى أن محطات أشعة الليزر المضادة للصواريخ العابرة للقارات يمكن أن تدمر تماما بواسطة هذه الألغام الفضائية ...) .

ثالثا : (تبقى ناحية فنية هامة أخرى يركز عليها منتقدو مشروع ريجان وهو أنه إذا كان تنفيذ هذا النظام الدفاعى يقوم طبقا للفكرة المطروحة على تمكين أجهزة الليزر ـ المكثفة من إطلاق أشعتها على مرايا ضخمة منصوبة فى الفضاء الخارجى ، ثم تقوم تلك المرايا بدورها بعكس هذه الأشعة إلى الصواريخ المهاجمة ، فإن المشكلة تبدو فى أن أشعة الليزر وأثناء اختراقها للغلاف الجوى ستعمل على تسخين الهواء الذى تمر فيه ، ولهذا التحول تأثيره فى مجال التخفيف من درجة تركيز الشعاع وبالتالى تقليل فاعليته التدميرية قبل وصوله إلى منطقة الهدف)(١).

رابعا : صرف الاهتمام عن التفاوض مع السوفييت بالإضافة إلى أن السوفييت سيقومون بانتاج أسلحة جديدة خاصة بهم كرد فعل لذلك .

خامسا : أن هذا يمكن أن يعجل بمحاولة السوفييت تسديد ضربة وقائية ضد أمريكا ومن ثم تبدأ الحرب النووية .

سادسا : التكاليف المالية الباهظة حتى قال وزير الدفاع الأمريكى هارولد براون زمن كارتر أن تنفيذه سيتكلف حوالى مائة مليار دولار .

---

(١) العلاقات الأمريكية السوفيتية (٧٢-٧٥) ، وانظر تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٤٣٠) .
وعن النقطة الأخيرة انظر حرب النجوم تكنولوجيا وآفاق (٢٢٥) ، وذكر أن أشعة الليزر التى استخدمت فى تفجير أحد الصواريخ (كان يبعد بضعة مئات من الأمتار عن الجهاز الذى أطلق الشعاع وهذا لايعنى إطلاقا صلاحية مثل هذا الشعاع فى الدفاع ضد صواريخ سريعة تبعد عن شبكة الدفاع آلاف الكيلو مترات) .

سابعا : الآثار السلبية على دول أوروبا إذ أن أمريكا إذا شعرت بأمنها من السوفييت سوف يقل اهتمامها بشأن القارة الأوربية وبالتالى تواجه الدول الأوربية القوة السوفيتية بمفردها(١).

وقد ذكر العلماء عددا من السلبيات لهذا المشروع . كما وجه العلماء السوفييت انتقادهم للبرنامج وصرحوا بأن الاتحاد السوفييتى قادر على انتاج ماهو أقدر وأجدر(٢).

ومع هذا الاحتدام والصراع وجدت بعض النداءات التى تطالب بإبعاد الفضاء عن الصراع العسكرى فقام الاتحاد السوفييتى وعن طريق الأمم المتحدة بالمطالبة بابعاد الفضاء عن الأسلحة النووية وأعلن اندروبوف فى لقاء مع مجموعة من الشيوخ الأمريكيين خلال زيارتهم لموسكو استعداد الاتحاد السوفييتى (بأن لايكون البادىء فى وضع أى نوع من أنواع الأسلحة المعتادة للأقمار الصناعية فى الفضاء الخارجى أى أنه يفرض إيقافا أحادى الجانب على اطلاقات كهذه لكل الفترة التى ستمتنع خلالها الدول الأخرى بما فى ذلك الولايات المتحدة عن وضع أسلحة مضادة للأقمار الصناعية من أى نوع فى الفضاء الخارجى)(٣).

ويقول غروميكو : (ترى الحكومة السوفيتية من الضرورى التوصل إلى إتفاقية مع حكومة الولايات المتحدة لحظر نصب أشياء فى المدار حاملة أسلحة نووية . إننا على إدراك بأن حكومة الولايات المتحدة أيضا تتخذ

---

(١) انظر العلاقات الأمريكية السوفيتية (٧٦-٧٨) .
وانظر حرب النجوم تكنولوجيا وآفاق (٢٢٥) .
وذكر أن الرئيس الأمريكى دعا إلى انفاق ٢٦ مليار دولار على الأبحاث من ١٩٨٥-١٩٩٠م بينما التقديرات تشير إلى أن التكلفة تتراوح بين ٦٠-١٠٠ مليار دولار .

(٢) انظر حرب النجوم تكنولوجيا وآفاق (٢٣٣-٢٣٤) وانظر (٢٢٥-٢٢٧) .
ولمعرفة مزيد من ثغرات المشروع انظر (٢٢٧) ومابعدها .

(٣) عسكرة الفضاء (٢٦٢) وانظر مابعدها . وعن بعض الاقتراحات التى تقدم بها الاتحاد السوفييتى انظر حرب النجوم أوهام وأخطار (١٢) ومابعدها .

وجهة نظر ايجابية بصدد الحل لهذه المسألة... سيكون شيئا حسنا جدا إذا صار ممكنـا التـوصل إلى تفـاهم وعقـد اتفـاقية حول هذه المسـألة الحيـوية . إن الحكومة السوفيتية مستعدة لذلك)[١].

وقـال الـرئيس كينيدى فى ٢٥ أيلـول ١٩٦١م من خطـاب أمـام الأمم المتحـدة : (يجب أن لاتصير تخوم الكـون البـاردة الحلبـةالجديدة حتى لحرب أبرد)[٢].

ولاشـك أن هنـاك أسبـابا دعـت إلى المطـالبة بانهـاء سبـاق التسلـح فى الفضاء ومنها :

أولا : الاستفادة من هذه الأقمار فى تحقيق المصالح للطرفين[٣].

ثانيا : الإلتقاء فى أمور كثيرة بين الطرفين .

ثالثا : أن العلاقـة السوفتييـة الأمريكية فى هذه الأثنـاء كانت متراجعة عن التوتر الذى وصلت إليـه كمـا فى أحداث كـوبا وأدركـت القـوتان أن التعاون أفضل من المواجهة[٤]، خاصة وأن كلا من الطرفين قادر على وضـع الأسلحة الحرارية النووية فى المدار فظهر من ذلك عدم وجود فوائد عسكرية حاسمة[٥].

رابعا : التكـاليف الباهظة التى أنفقتها كل من الـدولتين دون أن ترى المردود الحقيقـى والمتمثـل فى استسلام خصمهـاأو تراجعـه الـواضح الفعلى .

حتى قدرت السفن والمراكب الفضائية بـ٤٤٢١ تدور حول الأرض ألفان منها على الأقل لأغراض حربية بحتة[٦].

---

(١) عسكرة الفضاء (٩٦-٩٧) .
(٢) المرجع السابق (٢٦٧) .
(٣) المرجع السابق (٢٦٨) .
(٤) انظر المرجع السابق (٢٧٠) .
(٥) انظر المرجع السابق (٢٧١) .
(٦) انظر المجلة العربية ، العدد (٧٦/١٠٥) .

يقول ايزنهاور : (لقد اضطررت إلى إقامة صناعات عسكرية دائمة على نطاق واسع ... ونحن ننفق سنويا على الأمن العسكرى أكثر من الدخل الصافى للشركات الأمريكية" .

وأضاف : "نحن ندرك حتمية الحاجة إلى هذا التطور . ومع ذلك علينا أن ندرك نتائجه الخطيرة" .

ثم حذر قائلا : "علينا فى مجالس الحكومة أن نحتاط من حصول المجمع العسكرى ـ الصناعى على نفوذ غير مشروع ، سواء سعت إليه أو لم تسع ...)[١].

ومن الملاحظ أن الاتحاد السوفييتى كان البادى فى المطالبة بإنهاء سباق التسلح وعدم الاستمرار فيه وهذا يدل على إقرار واحساس القادةالسوفييت أن هذه الحرب الباردة التى يخوضونها ضد الولايات المتحدة كانت مؤثرة عليهم إقتصاديا . وبالتالى فهم لايقدرون على الاستمرار فيها هذا مع وضعنا فى الاعتبار أن الإقتصاد السوفييتى كان مترديا أصلا بسبب فساده ومخالفته للفطرة الإنسانية .

خامسا : النداءات المتكررة من الدول الغربية والتخوف من هذا التسابق الرهيب بين الدولتين[٢].

وبعد هذا العرض نصل إلى التالى :

أولا : مما لاشك فيه أن هناك نوعان من الأقمار الصناعية أحدهما العلمى والآخر العسكرى ودون شك أيضا أن الأقمار العلمية لها فوائدها التى تعود على المجتمع الانسانى بالخير إذا استغلت استغلالا حسنا فى صالح البشرية .

---

(١) تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥م (١٧٣) من خطاب ألقاه فى ١٧ يناير ١٩٦١م .

(٢) انظر بعض ماجاء عن الأحزاب السياسية فى بعض الدول الأوربية بشأن سياسة الولايات المتحدة تجاه سباق التسلح ـ العلاقات الأمريكية السوفيتية (٥٣) .

وقد استخدم بعض هذه الأقمار لمعرفة الأرض والشمس والأفلاك ومالي ذلك[١].

وعلى هذا الأساس وجب التفريق بين هذين النوعين[٢]، وخاصة فى المراحل الأولى من إطلاق تلك الأقمار .

ثانيا : أن هذا التسابق جعل الأطراف التى كانت خارجة عنه تدفع ثمنا لذلك إما إقتصاديا أو سياسيا فآثار سباق التسلح تجاوزت الدولتين إلى غيرهما .

ثالثا : أن هذا التسابق لم يؤد الغرض والهدف الذى من أجله قامت كل دولة باستنزاف ثرواتها وطاقاتها ، وإن كان قد حقق شيئامن التوازن مما جعل الطرفين يتخاوفان من الابتداء فى توجيه أى ضربة نووية ضد بعضهما بعضا أو ضد أى مصلحة من مصالح الدولة الأخرى .

رابعا : أن هذه الحرب التسابقية فى السلاح ونتيجة لكونها فى أغلب توجهاتها كانت سرية كان لابد والحال هذه من التصعيد فى جانب التجسس من أجل الحصول على معلومات أوفر وأدق عن ماتملكه كل دولة أو تحاول أن تفعله حتى ارتبطت الجاسوسية ارتباطا واضحا بالحرب الباردة وحان الوقت لنعطى إلماحه عن التجسس بين الطرفين . فقد كانت الحرب التجسسية قائمة بينهما على قدم وساق .

---

(١) انظر حرب الفضاء (٣١) .

(٢) انظر مجلة الدفاع السعودية العدد (٦٦/١١٩-١٢٠) السنة (٢٥) رجب ١٤١٧هـ/مارس ١٩٨٧م .

التجسس[1][حرب المخابرات]

إن معرفة مالدى العدو من قدرات فى العدد أو العدة من أهم الأسباب التى قد تؤدى إلى النصر ، ولأجل ذلك كان الترقب والترصد ومحاولة كشف الثغرات والخطط التى ينوى العدو القيام بها من الأولويات التى اهتم بها القادة والساسة فى التاريخ الإنسانى .

وعرف الإسلام استخدام هذا الأسلوب من أجل تحقيق النصر ويتم ذلك بإرسال العيون إلى تجمعات الأعداء أو جيوشهم من أجل تقصى الأخبار وأخذ الحقائق ثم إبلاغها إلى قائد الجيش ليتصرف بناء عليها ... وعندما كان القرن العشرون قد شهد حربين عالميتين لم يشهد التاريخ مثلهما ، فإن هذه الحرب أعنى (حرب الجاسوسية) كان لها نصيبا كبيرا من الاهتمام وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية التى كان من إفرازاتها وجود دولتين كبريين تنظر كل منهما إلى الأخرى بالارتياب والشك .

فكانت الحرب الجاسوسية على أوجها بين الطرفين[2]، وعملت كل دولة على إيجاد العملاء لها داخل الدولة الأخرى ، من أجل الوصول إلى معرفة آخر المبتكرات حول الأسلحة ، وكذا ماتنويه الدولة الأخرى وترغب فى تطويره لقواتها .

إن كلا الدولتين تعتبران العدو الأكبر لها من حيث محاولة فضح أسراره وكشفها هى الدولة الأخرى ، فلعبت حرب المخابرات دورا كبيرا فى جعل كل دولة على أهبة الاستعداد لملاقاة العدو ، وكذا لعبت دورا بارزا فى

---

(١) (التجسس مجموعة من الحيل الخبيثة والطرق الخفية للحصول على المعلومات) . الجاسوسية والجاسوسية المضادة (١٩١) ، بليدو فسكاوبلوخ ، ترجمة حكمت البعينى ، الطبعة الثانية ١٩٩٢م ، منشورات البحر المتوسط ، بيروت ، لبنان .

(٢) انظر حرب المخابرات بين المخابرات الأمريكية والروسية (٨/١) ، سيلينا بليدوسكا وجوناثان بلوتش ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م ، دار الرشيد ، دمشق .

توجيـه الأحداث لصالح دولتهـا فى كثير من بلاد العـالم . ومـن هنا تزامنت الجاسوسية مع التوسع ومع محاولة كل دولة صد الدولـة الأخرى أو إبعادها عن مناطق نفوذها أو المناطق التى ترغب فى السيطرة عليها .

وباختصار شديد يمكن القول بأن الأزمات والصراعـات التى مرت معنا كان للمخابرات التابعة لكل من الدولتين أكبر الأثر فيها(١).

وأختم هذه اللمحة بهذه الحقائق :

أولا : أن حجـم المخابرات فى الدولتين يدل دلالـة واضحة على أهمية هذا الجهاز ، واعتماد كل من الدولتين عليه فى كثير من سياساتها الإقتصادية والحربية .

ثانيا : أن الانفـاق على المخـابرات من قبل الدولتين قـد كلفهمـا كثيراً سواء من الناحية الإقتصادية ، أو مـن ناحيـة تذمر الشعـب داخليـا . خاصة حين فشل المخابرات فى مهماتها .

فـالانفاق السوفييتى تقدره الـدول الغربية بمليارى دولار سنـويا . وهذه القلـة فى التكلفة تعود إلى أن رجال من الاستخبارات يأخذون رواتبهـم من مؤسسات حكومية(٢).

---

(١) فعـن دور المخـابرات فى أحداث كـوبا انظر : الاستخبـارات السـوفيتية فى العـالم (٥٣٣) ، كـريستوفر اندرو ، اوليـغ غورديسكى ، ترجمة هنـادى السمـرا ، رينا شربل ، نادر عسيران ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م ، دار الحقيقة للطباعة والنشر ، بيروت ، حرب المخـابرات بين المخـابرات الأمريكية والـروسية (١٠٩-١١٢،١١٧) ، نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأمريكية (١٤٢-١٤٤) .
وعـن دورها فى فيتنام انظر : حرب المخـابرات بين المخابرات الأمـريكية الـروسية (١٩٢-١٩٣) .
وعن دورها فى لاوس وكمبوديا (٢٠٦-٢١٣) .
وعـن دورهـا فى أفغـانستان انظـر : المخـابرات السوفيتيـة مـن الـداخل (٢٣٥) ، الاستخبارات السوفيتية فى العالم (٦٥١-٦٥٥) .
وعـن دورها فى دول أمريكا الـوسطى والجنوبية انظر : عـالم الجاسـوسية (١٤٩) ، مجموعة من المؤلفين ، الطبعة الأولى ١٩٩١م ، دار الحسام للطباعة والنشر والتوزيع حرب المخابرات (٧٣) .

(٢) انظر عالم الجاسوسية (١٨٧) .

أما الولايات المتحدة فإن (الموازنة السنوية تتراوح بين مليار ومليارين دولار ... وتزداد هذه الموازنة لتصل إلى خمسة مليارات دولار حسب أهمية عملياتها)[١].

ثالثا : أثر سقوط الشيوعية على المؤسسات العسكرية تأثيراكبيرا بما فى ذلك الK.G.B فأضحى المئات من رجالها (يتدافعون على أبواب السفارات الأجنبية فى أوروبا ليقدموا كل مالديهم من معلومات وسرد كل المهام التى كلفوا بها سابقا أو لعرض الجديد من خدمات ، وللإجابة عن كثير من الاستفسارات والتساؤلات عن عمليات مخابراتية سابقة تورطوا بها أو إيجاد حلول لألغازها"[٢].

وذلك نظير حفنة من الدولارات ، أو الطمع فى وظيفة مخابراتية له فى الغرب الأمريكى[٣]، ومع ذلك التراجع فإن روسيا لم تقف عن تطوير وتحسين أداء مخابراتها (فقامت بانشاء شبكة ريكلوم الروسية (انترنت روسيا) ويجزم الخبراء بأن الريكلوم الروسية ليست سوى واحدة من الشبكات المتفرعة من وكالة الاستخبارات السوفيتية السابقة الK.G.B وبالتحديد الشعبة الثامنة المكلفة بأمن الاتصالات والشيفرة)[٤].

وذكر بعض المسئولين عن هذه الشبكات أهميتها وخاصة عندما حدث الانقلاب عام ١٩٩١م حيث تسربت المعلومات الدقيقة إلى العالم الخارجى

---

(١) عالم الجاسوسية (١٤٨) على أن أقرب الأقوال أنها سرا وأن الكونجرس لايمانع ولايحاسب هذه الوكالة فى انفاقها .
وانظر نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأمريكية (١٣٨) بشأن تذمر الشعب الأمريكى من مخابراته .

(٢) عالم الجاسوسية (٢٠٧-٢٠٨) .

(٣) انظر المرجع السابق (٢٠٨) .

(٤) صحيفة المدينة المنورة ، العدد (١١٩٣٦) (٩) الأحد ١٨ رجب ١٤١٦هـ الموافق ١٠ ديسمبر ١٩٩٥م .

لمتابعة الحدث أولا بأول[١].

رابعا : أنه لايمكــن بحال مــن الأحوال استبعـاد مشــاركة المخـابرات الأمريكية فى الأحداث التى شهدها الاتحاد السوفييتى .

وبهذا نصل إلى الحديث عن آثار الحرب الباردة .

---

(١) انظر صحيفة المدينة المنورة ، العدد (٩/١١٩٣٦) .
ولعل هذا يعرفنا لماذا لم تكن الشيوعية ترغب فى التكنولوجيـا الحديثة وذلك حتى لايعرف الشعب السوفييتى العالم الخارجى فيطالب بحقوقه .

المبحث الثالث
آثار الحرب الباردة

أولا : التعجيل بسقوط الاتحاد السوفييتى وانهياره .

إن من أعظم الآثار التى خلفتها الحرب الباردة هو التعجيل بإنهيار الاتحاد السوفييتى وسقوطه ، ذلك أنه عمل على مجاراة الغرب فى سياسته التوسعية .

كما قام بتوجيه الموارد فى سبيل التغلب على الولايات المتحدة من حيث القوة الدفاعية ، ثم قام بالتسابق معها فى إنتاج الأسلحة النووية والعمل على استغلال الفضاء والسيطرة عليه ، وزد على هذا ماكان ينفقه على الاستخبارات التى كانت تمثل عصبا ممتدا بين موسكو وأكثر الدول التى يرغب السوفييت فى بسط نفوذه عليها . لقد كان الأثر الأكبر للحرب الباردة يكمن فى تردى إقتصاد البلدين وخاصة الاتحاد السوفييتى الذى كان يعانى من ضعف شديد نتيجة لفساد النظرية ، والمفارقة الكبيرة بينها وبين الواقع ، بالإضافة إلى الحروب التى خاضها السوفييت ... ومن قبلها الحروب الأهلية فى بداية قيام الثورة البلشفية . غير أن الإقتصاد الروسى كان يعانى من الضعف الشديد أيام القياصرة ، وعلى هذا كان الأثر الإقتصادى هو الأثر الأبرز للحرب الباردة ، وبالتالى كان تأثيره على الاتحاد السوفييتى وذلك بالإسراع به نحو النهاية .

ويمكن إبراز ذلك الأثر فى النقاط التالية :

(أ) أدت الحرب الباردة بكل أشكالها وأساليبها إلى تردى الوضع الاقتصادى للدولتين ، وإن كانت أكثر أثرا فى الاتحاد السوفييتى ذلك أن الاقتصاد كان منهارا فى الأساس لفساد البناء الذى قام عليه ، ولاشك أن الاقتصاد الرأسمالى أقوى من الاقتصاد الاشتراكى وهذا حق لاثناء لأن النظام الرأسمالى نظام كافر كذلك إلا أن سبب قوته أخذه عن الاسلام إقرار الملكية الفردية التى فطر عليها الخلق .

ويرى كينان (أن الاتحاد السوفييتى أكثر ضعفا من الولايات المتحدة وأن (المجتمع السوفييتى يضم داخله أسباب القصور التى ستضعف - مع مرور الزمن - كامل طاقته الكامنة) . وهو قد توقع - عن حق - سقوط الإقتصاد السوفييتى فى النهاية مقابل الصحة والحيوية التى تتوفر للدول الرأسمالية .. وأن هذا الأمر قد يقود الاتحاد السوفييتى تجاه التغيير ... كما ناقش أيضا أهمية أن يطور السوفييت إقتصادهم على الأقل ليقدموا للعالم النامى مثالا أفضل . "من الصعب رؤية الطريقة التى يمكن أن يصحح بها شعب مرهق مذل يعمل تحت مظلة الخوف والاكراه أسباب القصور هذه فى زمن مبكر . ومالم تهزم روسيا سيظل إقتصادها معلولا ، وستظل أمة واهنة وأن كانت بشكل معين - قادرة على تصدير حميتها واشعاع سحر غريب لحيوية سياستها البدائية .. فى نفس الوقت لاتستطيع أن تدعم سلعها المصدرة هذه بأدلة حقيقية تعبر عن القوة المادية والرفاهية" .

أسباب القصور الإقتصادى كما أشار كينان "أن سلطة السوفييت تحمل داخلها بذور فنائها ... هذه البذور فى حالة تفريخ متقدم للغاية" . وأن قوة إقتصاد الدول الرأسمالية النسبى قد يقدم للعالم مثالا يمكن أن يسبب اضمحلال نفوذ الشيوعية ، بالرغم مما تنبأ به غربان الميدان الأحمر بثقة مهذبة وكان له صدى عميق ذو أهمية فى طول العالم الشيوعى وعرضه عن الفشل الذى على الولايات المتحدة أن تتجرعه ككساد للإقتصاد المبكر)[١].

(ب) أن هذه الحرب قد كلفت الطرفين كثيرا وإذا كان الاقتصاد الأمريكى أقوى من السوفييتى حينها على الأقل[٢]فإنه سيكون أكثر استمرارا فى

---

(١) نقلا من كتاب مابعد الحرب الباردة (٣٤-٣٥) .

(٢) يظن كثير من الناس أن الاقتصاد الأمريكى من القوة بحيث لايمكن التقليل من شأنه أو القول بأن أمريكا منهارة إقتصاديا ، ونسى هؤلاء أن ديون الولايات المتحدة كبيرة حيث كانت عام ١٩٤٠م ٤٣ بليون دولار ، وفى عام ١٩٥٠م وبسبب تكاليف الحروب ارتفع الرقم إلى ٢٥٦ بليون دولار ، وبحلول عام ١٩٨٠م بلغت ديونها ٩٠٨ بلايين دولار ، وبلغت الديون من عام ١٩٨٠-١٩٨٦م ٢,٦ تريليون =

البقـاء ، أما الاقتصاد السوفييتى فقد أرهقته هذه التكـاليف حتى جعلت القادة والسياسيين يندوون بالحال الذى وصلت إليه دولتهم .

يقول مكنمارا : (إننا نقر بأن الخط الفاصل بين الإثنين يصعب التحرك عليه ، فضلا عن أن الفن الذى يمكنه تحديد هذا الخط فى حد ذاته لم يكتمل بعـد .. ولكننا مقتنعون على الأقل أن الولايات المتحـدة قد شردت بعيدا عن هذا الخط وشردت فى اتجاه أن عمل الكثير أفضل من القليـل . نحن مقتنعون أن مـن الممكـن أن نمتلك بالتسـاوى قدرة عسكرية إقتصـادية أكبر بإنفـاقات دفاعية أقل .

ولكن التخفيضات التى أوصينا بها لم تحدث .

فى فترة الثمـانى سنوات ١٩٨١-١٩٨٨م كـان إجمالى النفقـات الدفاعية تقريبا حوالى ٢,٤ ترليون دولار ، ولقد اتفق وزيران سابقان للدفاع على أنه كان من الممكن الحصول على اجراءات أمـن مساوية بتكلفـة تقل بحوالى من ٢٠٠-٢٥٠ بليون دولار .

وبالمقـابل كان الموقف فى الاتحاد السـوفييتى مختلفـا تماما عن ذلك الذى حدث فى الـولايات المتحدة .. وهناك كما سبق أن قلـت يمكن أن نطبق حقا منطـق بول كنيـدى . الأزمـة الاقتصـادية فى الاتحاد الســوفييتى أكثر حدة بما لايمكن لعديد منا فى الغرب التسليم به .

قـدر معدل زيادة الانتاج القومى فى الستينات بنسبـة ٦٪ سنويا ، وفى السبعينات ٤٪ سنويا ، وفى بداية الثمانينات ٢٪ سنويا ، ثم أصبحت خامدة خلال السنوات الماضية .

= وفى عـام ١٩٩٢م قـاربت ديون الـولايات المتحـدة مـاجمـوعه ٤ تريليـونات ، وإذامـااستمر الحال على هـذا الـوضع فـإن ديون الـولايات المتحـدة ستصـل إلى ماجموعه ١٠,٢ تريليون دولار قبـل عـام ٢٠٢٠م مما سيجعلهـا دولـة ضعيفة هزيلة أمام الدول الإقتصادية القوية .

انظر السقوط من الداخل (٨٩-٩١) ، محمد البشر .

تأثيرات هذا الإقتصاد الخامد أصبح لها انعكاسها الواضح على المعايير الأساسية للرفاهية الإجتماعية . لقد إنهار الأمل فى المستقبل وارتفعت نسبة الوفيات بين الأطفال وزاد الإدمان الكحولى .

فى البريستوريكا تكلم غورباتشيف عن مجتمع فى أزمة . وهو قد سلم بأنه قد يكون من الصعب ، إذا لم يكن مستحيلا ، أن يجد تمويلا للاستثمارات المطلوبة لتوسيع الإنتاجية وجعل الاتحاد السوفييتى منافسا قويا فى السوق العالمى فى القرن الحادى والعشرين بدون تخفيض المستوى غير الطبيعى لارتفاع نفقات الدفاع .

على النقيض من نسبة ال٦٪ من مجمل الإنتاج القومى التى توجهها الولايات المتحدة لأغراض الدفاع نجد أن السوفييت يوجهون - حسب تقديرات وكالة المخابرات المركزية - مايزيد عن ١٦٪ .. وبذلك يجسدون القوة العظمى التى تعانى من اختلال إتزان قدراتها الإقتصادية ومتطلبات أمنها .

فإذا كان هدف السوفييت تقوية إقتصادهم وإعداده للقرن الحادى والعشرين فإنه من المنطقى أن يحاولوا تخفيض نفقات الدفاع للحد الذى يتناسب مع مجمل إنتاجهم القومى ... وهو مايأمل فيه غورباتشيف بوضوح ويتحرك باتجاهه .

وهكذا فبتسليمه بأنهم فى حاجة إلى هذا التخفيض ورغبته فى تحقيق أهدافه دون الإخلال بأمنه تكونت لديه - كما أعتقد - الأسباب الرئيسية التى دفعته لأن يعيد تقديره لسياسة السوفييت الخارجية)[١].

وأما عن تكاليف هذه الحرب (رقميا) فإنه من المعروف أن الحرب الباردة قد اتسمت فى الإعداد لها والتخطيط للقيام بها بالسرية التامة وماظهر من المعلومات عنها إلا اليسير ، ولربما كان هذا اليسير ليس هو عين الحقيقة فقد كانت موازنة بعض القطاعات التى عملت فى الحرب تتسم بالسرية وعدم

---

(١) مابعد الحرب الباردة (٨٥-٨٧) .

التحديد أصلا[١].

(ج) اعتراف القادة السوفييت بأثر الانغماس فى التسلح وبناء الدفاع وأنه كان على حساب الإقتصاد واطعام الشعب وتوفير الغذاء والكساء ، ولاشك أن هذا من أعظم الآثار التى خلفتها الحرب الباردة وسباق التسلح مع الولايات المتحدة الأمريكية . وهذا الاعتراف هو الذى طبقه خروشوف عمليا حيث قام بتخفيض عدد الجيش وسحب كثيراً من الفرق التى كانت تعسكر فى دول أوروبا الشرقية .

يقول خروشوف[٢]:

---

(١) وقد كان الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة مقارنة بالدول الأخرى أكثر انفاقا فى سبيل التسلح والدفاع . فعن الدولتين الكبريين يقول روبرت مكنمارا :
(تسببت هذه الحرب فى أن تنفق الولايات المتحدة مبالغ طائلة على تجهيزات الدفاع ، زادت خلال السنوات الثمانى من ١٩٨٠-١٩٨٨ عن ٢,٠٠٠٠٠٠,٠٠٠٠٠٠ دولار ، بحيث شتت انتباهنا بعيدا عن مشاكلنا الداخلية وشوهت علاقتنا بالأمم الأخرى وأبعدتنا عن قيمنا التقليدية .
وعلى الجانب الآخر ، صرح السكرتير العام ميخائيل غورباتشيف فى خطاب عام ، أن تكلفة هذه الحرب بالنسبة للاتحاد السوفييتى وصلت - على الأقل - إلى نفس القدر من الضخامة ، وقد أبدى رغبته فى العديد من المناسبات فى انهاء هذا الصراع ، وقال إن الحرب بين (القوتين العظميين لم تعد تمثل الوسيلة المقبولة اليوم لإحداث التعديلات السياسية) . وكرر مرارا بأن المشاكل اليومية بين الشرق والغرب يجب أن تحل من خلال القنوات السياسية) .
مابعد الحرب الباردة (١٣) .
ولمزيد عن الاحصائيات انظر : مجلة كلية الملك خالد العسكرية العدد (٢٥/١٦) ١٩٨٧م ، حرب المائة ثانية (٩٩،٥٠) ، الحرب العالمية الثالثة (٢٥-٢٧) ، عسكرة الفضاء (٢٢٦،٢٣٧،٢٣٩) .

(٢) ينبغى لنا ملاحظة الأصل وهو أن عدد الجيش والتسابق فى التسلح أنهك الإقتصاد السوفييتى أما مايذكره من ثناء بعد ذلك على الاتحاد السوفييتى فذاك شأن آخر يتحمل مسئوليته خروشوف لوحده إذ أن التاريخ قد قال قولته .

(أود أولا أن أشرح خلفية قرارنا العام خفض قواتنا المسلحة ، ثم كيفية تنفيذ ذلك القرار بالنسبة إلى كل بلد بمفرده .

مضت فترة قبل أن وصلنا إلى نقطة شعرنا فيها أننا مستعدون لإجراء أى خفض . شعرنا بعد موت ستالين أننا معرضون لخطر شديد . ذلك بأن الولايات المتحدة كانت تتبع سياسة عدوانية رعناء نحونا ، لم تترك فرصة إلا وعرضت فيها تفوقها ، وأحاطت الاتحاد السوفييتى بقواعد عسكرية ، وظلت ترسل طائرات الاستطلاع إلى أعماق أرضنا فتصل أحيانا إلى كييف . كنا ننتظر هجوما عاما يوما ما ، لذلك لم يكن لناخيار سوى تخصيص موارد هائلة للدفاع كى نتفادى حربا عالمية ثالثة . كانت ذكرى الحرب العالمية الثانية لاتزال حية فى نفوس شعبنا ، ولم يكن فى مقدورنا التفكير فى تحويل شىء من أموال الدفاع إلى حقول أخرى حتى نتم تجهيز قواتنا المسلحة بأسلحة حديثة استغرق تجديد جيشنا سنوات من العمل وبلايين من الكلفة ، لكن حين جهزنا أنفسنا بالصواريخ والطائرات والغواصات والرؤوس النووية اللازمة لدفاعنا أمكننا أن نعيد النظر فى ميزانيتنا العسكرية)[١].

ويقول : (بعد تشكيل حلف وارسو شعرت أن الوقت قد حان للتفكير فى خفض قواتنا المسلحة . عرفت أن علينا ، حتى لو رفض الجانب الآخر توقيع إتفاقية لنزع السلاح ، أن نجد طريقة ما لخفض جيشنا دون أن نعرض دفاعنا للخطر طبعا . لماذا فعلنا ذلك من جانب واحد؟ لأننا أردنا ألانعطى عدونا فرصة ارهاقنا إقتصاديا دون حرب بحملنا على منافسته فى سباق التسلح الذى لانهاية له . حتى لو عجزنا عن اقناع أعدائنا بنزع سلاحهم ، ونبذ فكرة الحرب كوسيلة للضغط السياسى ، نستطيع على الأقل أن نظهر نوايانا السلمية ونحرر فى الوقت نفسه بعض مواردنا لتنمية صناعتنا ، وإنتاج بضائع الاستهلاك ، وتحسين مستويات المعيشة .

---

(١) الوصية الأخيرة (١٣٨-١٣٩) .

كان الحقل الاول الذى قررنا إجراء التخفيض فيه هو حقل الموظفين .
إن قوة الجيش العصرى لاتقرر بعدد أفراده بل بقوة النار التى يطلقها ، وخصوصا قوة الصواريخ ، وقد حزنا كمية كبيرة من الأسلحة النووية فزادت قوتنا الضاربة أضعافا كثيرة واستطعنا أن نخفض عدد الجيوش الأرضية فنقص جيشنا تدريجيا من نحو خمسة ملايين إلى مليونين ونصف مليون)[١].

وعمل خروشوف على انقاص رواتب الجيش لأنه رأى أنها تصل إلى درجة الإسراف[٢].

كما عمل خروشوف على سحب كثير من جيوش الاتحاد السوفييتى من دول أوروبا الشرقية من أجل تخفيف النفقات فقال :
(كان علينا أن نقتصد فى نفقات جيشنا فى الخارج أيضا . إن إعالة فرقة فى الخارج - أى على أرض البلاد الإشتراكية - تكلف ضعف إعالة فرقة على أرضنا .

كانت هناك ، علاوة على الاعتبارات الإقتصادية ، أسباب سياسية ملحة حملتنا على سحب جيوشنا من البلاد الشقيقة . أردنا ألايظن أحد أننا لانثق بحلفائنا . كانوا يبنون الإشتراكية فى بلادهم لأن مصلحتهم اقتضت ذلك لالأن الجيوش السوفيتية مرابطة بينهم . كانت الماركسية - اللينينية الدولية الجاذب الرئيسى والقوةالموحدة بين شعوب البلاد الإشتراكية الأخرى . لايمكنكم أن تسوقوا الناس إلى الفردوس بالتهديد ثم تضعوا حراسا على الأبواب . على الناس أن يختاروا الأفضل لحياتهم الخاصة ، وإذا أعطوا الفرصة اختاروا . لذلك أردنا أن نزيل ورقة رابحة من يد دعاية العدو . أردنا أن نكذب قول العدو إن الهنغاريين والبولونيين والرومانيين وغيرهم

---

(١) الوصية الأخيرة (١٣٩) .
(٢) انظر المرجع السابق (١٣٩) .
ونسلم لخروشوف أن ذلك إسرافا بالنسبة لإقتصاد الاتحاد السوفييتى ، ولكن لايمكن مقارنة مايتقاضاه الجندى والضابط فى جيشه بما يأخذه نظيره فى دولة ثانية فالفارق لصالح الأخير .

من الشعوب الشقيقة إنما يساقون على طريق الإشتراكية برؤوس الحراب السوفيتية)[١].

ويبين خروشوف أثر هذه الحرب والتسابق مع الولايات المتحدة فيقول إن (الحرب قد أنهكت شعبنا ، فأصبح جائعا وبحاجة ماسة إلى الكساء...)[٢].

كما أن اتجاه الاتحاد السوفييتى إلى التصنيع وبتلك الصورة المذهلة قد كان له أثره على أفراد الشعب فى عدم وجود متطلبات حياتهم[٣]. كذلك كان لحرب الفضاء دور فى هذا الإنفاق[٤].

ويبين خروشوف أن الاتحاد السوفيتى كان يطالب بتخفيض الجيوش من البلاد الأجنبية وبالتالى الغاء القواعد العسكرية وهو الأمر الذى يعنى حل حلف الناتو ووارسو ، غير أن الولايات المتحدة كانت مصرة على الاستمرار فى طريق التوسع والتسلح فكان لابد من الاستمرار فى بناء القوة السوفيتية[٥].

يقول خروشوف : (ومما زادنى أسفا أن ماجرى لم يوجد أحوالا ملائمة لتحسين العلاقات بل زاد خطر الحرب الباردة ، فأزعجنى ذلك لأننا نحن الذين سنتأثر بالعودة إلى الحرب الباردة . سيبدأ الأميركيون انفاق المال فى السلاح فنضطر إلى مجاراتهم ، ويبدأ سباق تسلح جديد يفقر ميزانيتنا ،

---

(١) الوصية الأخيرة (١٣٩-١٤٠) .
وانظر (١٤١-١٤٢) عن توقيع المعاهدة مع فنلندا وسحب الجيش السوفييتى منها .

(٢) المرجع السابق (٢١) .

(٣) انظر بعضا مما ذكره خروشوف عن تلك الصناعات وتكاليفها الباهظة سواء ماديا أم بشريا وذلك نتيجة اجراء التجارب (٤٧) ومابعدها .
غير أن خروشوف قال : (بيد أنه لامفر من أخطاء وتضحيات كهذه فى تقدم التكنولوجيا) . (٥٠) .

(٤) انظر المرجع السابق (٥٦-٥٩) .

(٥) انظر ذلك فى المرجع السابق (٢٦٩-٢٧٠) .

ويضعف قدرتنا الإقتصادية ، ويخفض مستوى معيشة شعبنا)[١].

لقد اعترف خروشوف بأن الاتحاد السوفييتى قدم مسألة الدفاع والتسلح عن حاجات الشعب سواء الغذائية أم السكنية ، واعتبر أن الغرب كان يقصد زعزعة الإقتصاد السوفييتى من جره وراء سباق التسلح والحرب الباردة[٢].

فقال : (إن مستوى المعيشة فى بلدنا ينحط حين تحمل الميزانية مخصصات لفروع من الاستهلاك غير منتجة ، وأكثر النفقات غير المنتجة ، أمس واليوم ، هى نفقات القوات المسلحة)[٣].

ونظرا للظروف التى كان يعانى منها الاتحاد السوفييتى إقتصاديا بسبب التسابق فى النواحى الدفاعية كانت موسكو البادية فى الدعوة إلى إحلال السلام وكذلك تخفيض أعداد الجيوش وأيضا وضع رقابة على التسلح ، فيقول خروشوف : (إن قوى السلام أكثر من قوى الحرب ، فإذا استطعنا أن نشجع حركة السلام بالموافقة على المراقبة المتبادلة للتسلح ، حتى - إذا اقتضى الأمر - بخفض قواتنا المسلحة من جانب واحد . يجب أن يكون هدفنا النهائى التوصل إلى اتفاقية مع البلاد الأخرى لتحطيم كل الأسلحة ، ونزع السلاح كليا ، وحل الأحلاف العسكرية . أى قيادة تتبع سياسة الرقابة على التسلح ونزع السلاح تكون جريئة وحكيمة ...)[٤].

وهذا غورباتشوف يقول :

(لقد قام الاتحاد السوفييتى فعلا بجهود كبيرة ليلعب دور (القوة العظمى) . وقد أفلح فى ذلك من ناحية واحدة ، الناحية العسكرية . وكانت

---

(١) الوصية الأخيرة (٣٠٦) .
وذكر ذلك بعد فشل المحادثات بينه وبين كينيدى فى فيينا عن الأزمات القائمة حينذاك ومنها سباق التسلح .
(٢) انظر المرجع السابق (٣٢٥-٣٢٧) .
(٣) المرجع السابق (٣٣٠) .
(٤) المرجع السابق (٣٢٩-٣٣٠) .

هيبتنا الخوف والتهديد . وكانت القوات السوفيتية تعسكر فى أوروبا الشرقية ومنغوليا ، وكان شبابنا يموتون فى أفغانستان . وفى الوقت ذاته راحت الآلة العسكرية التى أنشأناها تضعف إقتصادنا وحكمت على فروع الإقتصاد غير العسكرية بالركود الخانق ، وعلى مستويات المعيشة بالتحدر . وبالإضافة إلى كل هذا ، بدأت قدرتنا العسكرية بالانحسار تدريجيا مع ازدياد تخلفنا التقنى وتعاظم الإنفاق . وفى النهاية كنا سنجد أنفسنا أمام خيارين : إما أن ننظر إلى العالم كله من خلال ماسورة مدفع أو الموافقة على التخلف من الناحية العسكرية . لقد كنا قوة عظمى بإقتصاد غير كفؤ وصرنا لانعدو كوننا شيئا ثانويا يجهز الدول المتقدمة بالمواد الخام ، فى حين تدنى مستوى العيش لدينا قياسا إلى تلك الدول . وهل من الوطنية فى شىء أن يحن المواطنون إلى كل هذا؟

لقد وضعنا حدا للسياسة الخارجية التى كرست لخدمة الهدف الحالم فى نشر الأفكار الشيوعية حول العالم وهى السياسة التى أوقفتنا عند نهاية طريق (الحرب الباردة) المغلق وألقت على عاتق الشعب العبء الذى لايطاق .. عبء الانفاق العسكرى ، وهى التى جرتنا إلى مغامرات مثل مغامرة أفغانستان . وللمرة الأولى فى عدة سنين وعقود لدينا سياسة خارجية تخدم مصالحنا الوطنية وتعمل لصالح تطورنا داخليا ...

إن الاتحاد السوفييتى كان وسيظل قوة عظيمة لايمكن بدونه اتخاذ قرار بشأن المسائل الدولية . لكن علينا أن نصبح أعضاء عاديين فى المجتمع العالمى وأن نتحد مع التيار العام للحضارة العالمية على أساس المساواة)(١).

(د) كثرة قوات وجيوش كل من الطرفين ، مع وجود القواعد العسكرية المنتشرة لهما فى مناطق متعددة من العالم ـ وقد كان وجود هذه

---

(١) الإنقلاب (٨٠-٨١) .

القواعد من أسباب التوتر بين الدولتين[١]. وكذلك قيام الأحلاف العسكرية الناتو ووارسو وهذه القواعد والأحلاف كان لها تبعات بالإضافة إلى مايلزم الدولة من تأمينه وتحقيقه لجيشها الأساسى .

فـ(فى نهاية عام ١٩٨٤م كان أكثر من أربعة ملايين ونصف بين رجل وامرأة تحت السلاح فى الاتحاد السوفييتى)[٢].

(هـ) مما جعل إقتصاد البلدين وخاصة الاتحاد السوفييتى يتأثر ويؤثر بالتالى فى ردود أفعال الشعوب الحروب التى خاضتها الدولتان ضد بعضهما فى بقاع مختلفة من العالم من أجل بسط النفوذ والتوسع واستغلال الموارد وكذا منع سيطرة الطرف الآخر ولاشك أن هذه الحروب كانت مرهقة للطرفين من الناحية الإقتصادية إرهاقا كبيرا . فهناك النفقات على الجيوش ، وهناك الامداد بالسلاح ، وهناك الاغراء بالمال للعملاء ، وهناك الحرص فى حيازة قصب السبق فى إنتاج الأسلحة الحديثة وكل هذا يدفع ثمنه الشعب فى الداخل ، وعندما كان الإقتصاد السوفييتى هو الأضعف فإن أثر هذه الحروب وجراحها به كانت أعمق .

---

(١) يقول خروشوف : (إن بقاء القواعد العسكرية فى البلاد الأجنبية لن يساعد إلا على تصعيد سباق التسلح ، وتقوية انفعالات الحرب الباردة) .
الوصية الأخيرة (١٤٦) .

(٢) الحرب العالمية الثالثة (٢٢٩) ، الجنرال جون هاكيت ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر .
وانظر نفس الكتاب عن قوات الاتحاد السوفييتى وأسلحته ومايتعلق بقدراته الدفاعية (٢٣٠-٢٣٤) ، (٢٣٩-٢٤٢) ، (٢٤٤-٢٥٠) ، وانظر إنهيار الإمبراطورية الشيوعية (٣٣٩) .
وعن بعض القواعد العسكرية للقوتين الكبريين . انظر الروس قادمون (٣٩-٤٧).
وانظر محاضرات فى الندوة الدبلوماسية الثامنة (٢٢١-٢٢٣) ، وكان الحديث عن الأسطول البحرى السوفييتى .

(و) ومن الأمور التى فاقمت الكارثة بالإقتصاد السوفييتى إعلان الولايات المتحدة الأمريكية عن برنامج الدفاع الاستراتيجى والذى أرهق الاتحاد السوفييتى وجعله فى رعب من هذه المبادرة ، وهذا دعا السوفييت إلى الحفاظ والاستمرار على إنتاج بعض الصواريخ وخاصة العابرة للقارات مما أدى إلى زيادة الجراح بالإقتصاد السوفييتى ، وقد اعترف المسئولون الأمريكيون بتكاليف هذا المشروع وأثره الإقتصادى وزيادة التوتر بسببه بين البلدين ، فإذا كانت هذه الدولة المصنعة فإن الدولة الأخرى التى خافت من المشروع سيتطلب وضعها ماهو أقدر وأجدر منه .

ويرى الإشتراكيون أن الحرب الباردة (أرغمت الثورة على نفقات عسكرية هائلة بهدف إبطال احتكار الولايات المتحدة وبريطانيا للأسلحة النووية ؛ وأخيرا استمرار سباق الأسلحة الذى يقتضى تكاليف إجتماعية هائلة)[١].

وكان المنطق يدعو (القيادة السوفيتية إلى تقليص الانفاق العسكرى من أجل ايجاد حل نهائى للأزمة الإقتصادية التى تزداد تفاقما . ولكن لم يحدث أبدا ، أن إنقاد النظام السوفييتى لمنطق حاجات الفرد ، وبقى منطق السلطة هو السائد)[٢].

يقول فرانز فانون : (إن علينا أن نقول ونشرح للبلدان الرأسمالية أن المشكلة الأساسية فى عهدنا الراهن ليست الحرب بين النظام الإشتراكى وبينها . ينبغى وضع حد لتلك (الحرب الباردة) التى لاتؤدى إلى شىء ، وينبغى توقيف التسابق النووى فى العالم ، والإنفاق بسخاء وتقديم المساعدات التقنية للمناطق المتخلفة . ومصير العالم يرتبط بالجواب الذى سيعطى على هذا السؤال)[٣].

---

(١) الاشتراكية على مشارف القرن الواحد والعشرين (٢٢٣) .
(٢) نشوء وإنهيار الإمبراطورية الشيوعية (٣٤٢) .
(٣) نقلا من كتاب التحدى العالمى (١٥١) ، وانظر الإسلام وأزمة الغرب (١٤) .

ثانيا : الآثار السياسية للحرب الباردة :

لقد تمخضت الحرب الباردة عن زيادة الانقسام بين دول العالم ، فأصبحت بعض الدول شرقية والأخرى غربية ، بل أصبحت كثير من الدول يوجد فيها الاتجاهين وكل اتجاه يعاكس الآخر تماما وقد يصل إلى درجة الانقسام كما حدث ذلك فى فيتنام ، وكوريا ، والصين ، وإذا لم يصل حال الدولة إلى ذلك فتعيش فى صراع دائم بين الاتجاهين التابعين للدولتين ، وعلى أثر ذلك تقع الحروب والصراعات بين طوائف الشعب الواحد ، ويزكى نار هذه الصراعات الدولتان الكبريان .

ثالثا : تشوية القيم والأخلاق :

ويحدثنا مكنمارا عن ذلك فيقول :

(ماقدمناه نحن فى الولايات المتحدة من أسبقيات منهكة لأعمال كان هدفها مواجهة مارأيناه كعدوان سوفييتى .. شوه قيمنا فى المجالات الإقتصادية والإجتماعية ، كما شوه سياستنا الخارجية . وكذلك فى الاتحاد السوفييتى بتركيزهم على الإعداد للحرب الباردة ودعمها يبدو أنه قد حدث هناك - بنفس القدر - نفس التأثير . لم يكن التأثير فى الولايات المتحدة محصورا فى نفقات دفاع زائدة أو مسرفة ، ولكن ماهو أكثر أهمية أنه جعلنا نغمض أعيننا عن عمل الإجراءات المطلوبة لمواجهة العديد من مشاكلنا الداخلية الخطيرة بفاعلية . وهكذا أصبحنا فى مواجهة مستويات عالية غير مقبولة للبطالة وبالتحديد بين السود والمراهقين .. ونمو سريع (للسقوط الطبقى) .. إذ أصبح ٥٢٪ من مواليد أغنى عاصمة فى العالم أبناء غير شرعيين .. مع تزايد لمعدلات الإفراط فى استخدام العقاقير المخدرة والجرائم المتصلة بالمخدرات ، وفشل فى التوصل لصيغة مناسبة لتقدير مشاكل الفقراء والبنية التحتية الطبيعية الفاسدة الضارة ... وتشوه حاد فى نماذج نمو الأحياء أو الأقاليم ، وسياسات اقتصادية طائشة تجاه الأمم الأخرى فى كل من العالمين

المتقدم والنامى ...)[١].

وهكذا أدت الحرب الباردة إلى آثار إقتصادية عانت منها الدولتان وإن كان الاتحاد السوفييتى أكثر تضررا بها من الولايات المتحدة ، نظرا لتردى الحال الإقتصادى للبلاد لكونه يقوم أساسا على نظرية إقتصادية تتعارض مع الفطرة البشرية ، فكان الفرد يعانى من الجوع والدولة تريد تحقيق الانتصار فى الفضاء!!! إن المواطن لن يلتفت ولن يخلص لهذه الدولة مادام الحال كذلك ، وبالفعل كان للجوع الذى أصاب الشعب أثره الكبير فى الخروج على الشيوعية وتحطيم تماثيل قادتها ودوسها بالأقدام .

رابعا : من آثارها ونتائجها (الوفاق الدولى) :

تلك السياسة التى كانت هى الأخرى أحد الأسباب فى التعجيل بانهيار الشيوعية[٢].

وهكذا نرى أن هذه الأسباب متداخلة فيما بينها وبعضها مكمل لبعض.

وكان الوفاق إيذانا وإعلاما أنه بالإمكان التعايش دون حرب بين الدولتين ، وهذا يدعونا إلى الحديث عن نهاية الحرب الباردة .

---

(١) مابعد الحرب الباردة (٨٨-٨٩) ، وانظر (٩٥-٩٦) .
(٢) سيأتى الحديث عن ذلك تفصيلا إن شاء الله تعالى .

المبحث الرابع
إنهاء الحرب الباردة

قلنا عند حديثنا عن مصطلح الحرب الباردة بأن هناك خلافا فى مسألة نهايتها فقول يقول إنها انتهت ، وقول لم تنته ، وقول لم تنته ولكن خفت حدة التوتر بين الجبارين . ونحن بدورنا ونظرا لاعتبارنا أن الحرب الباردة كانت سببا من الأسباب الخارجية التى أدت إلى إنهيار الشيوعية فإن زوال القوة أو الطرف الذى كان يتسابق مع الولايات المتحدة جعل الحرب الباردة تتلاشى من الساحة الدولية .

وهناك مؤشرات تدل على هذا الرأى .

أولا : أن الاتحاد السوفييتى لم يكن قادرا على المواصلة والاستمرار فى هذه الحرب التى أنهكته وجعلته يعانى على المستوى الداخلى والخارجى ، ومن هنا وعندما كان جورباتشوف على قمة السلطة بدأ بالتفاوض مع الغرب والتقرب إليهم واستعداده بالتنازل ولو من طرف واحد ولأجل ذلك جاء ببعض المبادرات التى تعتبر أحادية الجانب . ورأى أنه لابد من التنازل من أجل الاستمرار فى تحقيق سياسته الاصلاحية[١].

ثانيا : تصريحات غورباتشوف الداعية إلى إيقاف سباق التسلح ، ونزع السلاح النووى الموجود ، والدعوة إلى العيش فى سلام وأمن وهذه دعوة من رئيس الاتحاد السوفييتى تلك الدولة التى كانت تنافس الولايات المتحدة.

حيث قال غورباتشوف : (على البشرية فى عصر الذرة أن تتبع تفكيرا سياسيا جديدا وتتبنى مفهوما جديدا للعالم يعطى ضمانا يركن إليه فى الحفاظ على البشرية . يريد الناس العيش فى عالم أكثر أمنا وعدلا . والبشرية جديرة

---

(١) انظر عن ذلك ميخائيل غورباتشوف ، سيرة ذاتية مفصلة (١٩-٢٢) .
وانظر (٢٢-٢٥) ، وذكر مؤلفوا الكتاب أن مرونة غورباتشوف جعلت الكونجرس يفكر بوضع القيود على مبادرة الدفاع الاستراتيجى .

بكل ماهو أفضل بدل أن تظل أسيرة الرعب النووى وآلامه . فلابد من تغيير الوضع القائم على الصعيد الدولى وبناء عالم خال من السلاح النووى ومن العنف والكراهية والرعب والشك)[(١)].

ويقول : (نريد لكل شعب ، ولكل بلد أن ينعم بالكفاية والإزدهار والسعادة . وليس سوى عالم خال من السلاح والعنف ، طريقا إلى هذا كله لقد سلكنا هذا الدرب ، وهانحن نناشد سائر شعوب العالم ودوله كى تسلك الدرب نفسه)[(٢)].

ويقول جورباتشوف فى معرض تحديده وتقويمه للعلاقات الأمريكية السوفيتية :

(إما سباق التسلح فى المجالات كافة وبالتالى تفاقم خطر الحرب ، وإما وقف سباق التسلح وبالتالى تعزيز السلامة العامة وسلام أوطد للجميع)[(٣)].

ويذكر للشعب الأمريكى قناعته تلك فيقول :

(لايسع بلدينا إيصال الأمر إلى حد المجابهة . وفى ذلك مصلحة الشعب السوفييتى والشعب الأميركى الحقيقية ، ولابد من التعبير عنه بلغة السياسة الفعلية ، ولابد من وقف سباق التسلح ومباشرة نزع السلاح توجيه العلاقات السوفيتية ـ الأميركية إلى المجرى الطبيعى . وأقولها كلمة حق إنه آن الأوان لجعل هذه العلاقات بين شعبين عظيمين جديرين بدورهما التاريخى إذ تتوقف على العلاقات بيننا فعلا مصائر العالم ومصائر الحضارة العالمية . ونحن على استعداد للعمل فى هذا الاتجاه)[(٤)].

---

(١) وكان هذا التصريح فى اعلان دلهى بشأن (عالم خال من السلاح النووى والعنف) والذى وقعه مع راجيف غاندى عام ١٩٨٦م خلال زيارة غورباتشوف للهند وذكر ذلك فى كتابه عملية إعادة البناء (١٤٨) ، وانظر : غورباتشوف ونهج التحول الكبير (١٨٠) ، إنهيار إمبراطورية شيوعية (٨٨-٨٩) .

(٢) عملية اعادة البناء (٢٦٨) من الخاتمة .

(٣) من حديث غورباتشوف لجريدة (البرافدا) فى ١٩٨٥/٤/٨م نقلا من كتاب غورباتشوف ونهج التحول الكبير (١٧١) .

(٤) غورباتشوف ونهج التحول الكبير (١٧٦-١٧٧) .

إن غورباتشوف أدرك أنه لايمكن أن يحقق شيئا كبيرا من سياسته دون أن تكون الولايات المتحدة من ورائه ، ومن هنا قام بالعمل على فتح الجبهات السلمية كلها معها حتى تقدم بالتنازلات من طرف واحد فى سبيل الاستمرار فى تحقيق هذه السياسة الجديدة[١].

وقد تم بالفعل إعلان نهاية الحرب الباردة بين الطرفين عندما التقى بوش وغورباتشوف فى مالطا فى كانون الأول ١٩٨٩م[٢].

ثالثا : الواقع الدولى الذى أصبح يتحكم فيه قوة واحدة هى الولايات المتحدة بينما أضحت روسيا الوريثة الكبرى للاتحاد السوفييتى لاتقوى على مجابهة الولايات المتحدة لاسياسيا ولاإقتصاديا ولاعسكريا بل لو شئنا لقلنا إن الأحداث الروسية وكثيراً من شئونها تسير حسب ماتريده الولايات المتحدة ويحقق مصلحتها - لكان ذلك حقا - كما تشير وتدل الوقائع على الساحة الدولية.

رابعا : إنهيار حلف وارسو وكان ذلك عام ١٩٨٥م فى حين مازال حلف الناتو محافظا على قوته .

بل وبدأت بعض الدول التى كانت تشكل حلف وارسو تنوى الدخول فى هذا الحلف مما يدل على أن الأحلاف التى كانت إحدى الأساليب فى الحرب بين الطرفين قد زالت وبالتالى أثر ذهابها فى ذهاب الحرب الباردة .

يقول هاكيت : (ويمكن القول على كل حال ، إن الحرب العالمية الثالثة قد انتهت بإنهيار حلف وارسو فى أواخر شهر آب عام ١٩٨٥م)[٣].

---

(١) وقد كثرت تصريحاته ، ودعواته ، واقتراحاته من أجل العمل على انهاء سباق التسلح .
انظر مثلا : غورباتشوف ونهج التحول الكبير (١٧١-١٧٤) ، وانظر إنهيار إمبراطورية شيوعية (١٨١-١٨٣) ، (١٨٧-١٨٩) .

(٢) انظر نشوء وإنهيار الإمبراطورية الشيوعية (٤٠٣) .

(٣) الحرب العالمية الثالثة (٥٨٧) (هاكيت) .

خامسا : أن سقوط الاتحاد السوفييتى من أكبر الأدلة على نهاية الحرب الباردة .

يقول هاكيت : (بعد كل حرب عالمية ، وعلى مدى القرن العشرين . برزت ظاهرة تاريخية واضحة ، ألا وهى فى نهاية كل حرب عالمية كبرى تختفى امبراطورية كبيرة . ففى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨ اختفت الإمبراطورية الهنغارية - النمساوية ، وفى نهاية حرب ١٩٣٩-١٩٤٥ اندثرت الإمبراطورية المنتصرة فيها وهى بريطانيا العظمى ، وأخيرا بعد حرب ١٩٨٥ خسر الاتحاد السوفييتى الحرب)(١).

سادسا : الإنسحاب من أفغانستان .

كذلك كان هناك عدة دوافع لإنهاء الحرب الباردة ، ومنها :

(١) قناعة الدولتين بخطورة التسابق فيما بينهما فى التسلح .

إن ماوصلت إليه الدولتان من انتاج للاسلحة جعلهما يقتنعان بضرورة الحد منها وخاصة الاتحاد السوفييتى الذى أرهقه هذا التسابق ، بينما بقيت الولايات المتحدة تسير فى هذا التسابق المحموم إلى أن سقطت الدولة العدوة .

(٢) ومن الدوافع لإنهاء الحرب الباردة احساس الدولتين أن الحرب النووية لن يكون فيها منتصر لأنها ستأتى على الكل فإما البقاء معا وإما الهلاك معا ، ومن هذه القناعة انطلق الطرفان فى سبيل الوصول إلى انهاء أو توقيف هذا التسابق المحموم والتصارع على دول العالم(٢).

---

(١) الحرب العالمية الثالثة (٦٢٦) ، (هاكيت) .
ويورد روبرت مكنمارا اعتراضات القائلين بعدم امكانية انتهائها أو الانتقادات التى توجه ضد إنهائها ويرد ذلك التصور ويبين إمكانية إنتهائها وأن الأحداث تدعم الرأى القائل بإنتهائها . انظر مابعد الحرب الباردة (١٦٩-١٧٤) .

(٢) انظر : نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأمريكية (٩٦-٩٧) ، غورباتشوف ونهج التحول الكبير (١٧٥-١٧٦) .
وعن أخطار الحرب النووية وآثارها انظر الشتاء النووى (١٣-١٤) ، مارك أهارول ، دار الرق ، بيروت ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها .

إن (الحقائق المرعبة حول الخطر الرهيب الذى يهدد البشرية بأسرها جراء ماوصل إليه مخزون السلاح النووى من قدرات كمية ونوعية هائلة ، هى التى كانت الدافع الأساسى وراء توجه غورباتشوف شطر الولايات المتحدة الأميركية بتفكيره السياسى الجديد سعيا وراء حالة نوعية جديدة فى علاقات البلدين ترتكز إلى اتفاقهما على وقف سباق التسلح النووى وإزالة هذا السلاح من الوجود ...)(١).

(٣) وجود التفكير الجاد من قبل رؤساء الدولتين ـ خاصة من بعد الفترة الستالينية بالنسبة للسوفييت ـ فى تخفيف التسابق ، وعدم الإسراف فى إنتاج السلاح النووى ، وتحقيق التوازن بين الدولتين ووردت هذه الدعوات على ألسنة الزعماء الأمريكيين والسوفييت(٢).

هذا بالإضافة إلى نداءات القادة والساسة والمفكرين ، وكذا تذمر الشعوب من حالة الفزع التى يعيشونها بسبب الحرب .

وبعد هذا العرض أصل إلى التالى :

(١) أن الحرب الباردة ساعدت على إنهيار الشيوعية حيث فاقمت من تردى الإقتصاد السوفييتى

(٢) أن الحرب الباردة وهى تمثل عقيدة عسكرية لدى القادة الشيوعيين وخاصة ستالين جعلت الشعب ينفر من ذلك الفكر حيث كانت هذه العقيدة على حساب غذائه وتوفير حاجياته .

(٣) أن الحرب الباردة ـ بالوضع العالمى الحالى ـ قد زالت وأصبحت الولايات المتحدة بهذا الاعتبار هى الدولة الأولى فى العالم وهذا ماتثبته الأحداث الجارية على الساحة الدولية .

---

(١) غورباتشوف ونهج التحول الكبير (٢١٨) ، وانظر (٢١٩) .
وانظر عملية إعادة البناء (٢٢٧) ، وانظر (١٣٤-١٣٥) .

(٢) انظر محاضرات فى الندوة الدبلوماسية الثامنة (٢٠٧-٢٠٨) .

وهكذا غدت الحرب الباردة سببا من أسباب سقوط الشيوعية حيث استنزفت اقتصادها وجعلت كل اهتمام الدولة منصبا على ملاحقة الولايات المتحدة مما جعل الشعب يعيش أسوأ حالات الجوع والفقر ، وأصبح لايجد أبسط مقومات الحياة من غذاء أو كساء ورأى القادة أن الأمر إذا استمر على هذا الحال فإنه لامحالة سينعكس على حزبهم وطبقتهم فأعلنوا تراجعهم عن كثير من مبادئهم وأهدافهم أملا فى كسب الناس داخليا والدول خارجيا.

وأعلنوا أن نظامهم يؤيد التعايش ، ويرفض الحروب والقتال وأسلحة الدمار ، وابتدعوا سياسة التعايش السلمى مع الرأسمالية على خلاف ماتقول به النظرية الأم (الماركسية) وهذا يدعونا إلى الحديث عن ذلك التعايش والتقارب والتوافق بين الشيوعيين وأعدائهم (الرأسماليين) لنرى أثر ذلك التقارب فى تراجع الشيوعيين عن كثير من مبادئهم مما ساعد على سقوط فكرهم ودولتهم .

الفصل الثانى
الوفاق الدولى

ويشتمل على تمهيد وعدة مباحث .

التمهيد .

المبحث الأول : بداية الوفاق وفكرته .

المبحث الثانى : أهدافه ونتائجه .

المبحث الثالث : أثر الوفاق فى تنازل الاتحاد السوفييتى عن كثير من مبادئه .

المبحث الرابع : الموقف من الوفاق .

الفصل الثانى
الوفاق الدولى

تمهيد :

إن من حكمة الله تعالى خلقه للخير والشر ، ومن ثم الصراع بينهما ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث نكدا .

والحق واحد ولايتعدد ، أما أصحاب الضلال والانحراف والباطل فهم طرق شتى ، ومذاهب عدة . وقد يعادى بعضها بعضا ، ويقاتل بعضها بعضا ، ولكن يجمعها العداء المستحكم للحق وأهله ، فسرعان ماتزول العداوة ، وتذهب الخلافات إذا كان العدو هو الحق ، ومن هنا يجتمع الأعداء فى خندق واحد يحدوهم أمل واحد وهو القضاء على هذا العدو الذى أقض مضاجعهم ، وعلموا أنه لو انتصر وتمكن أهله أو ظهروا عليهم لما قامت لهم قائمة ، والحق الذى نعنيه هو اتباع ماجاء عن الله تعالى وأمر به رسله عليهم الصلاة والسلام ، وآخرهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ودون الدخول فى تفصيل العداء بين الحق والباطل ، نجد أن اليهود والنصارى أصحاب الديانات المحرفة ، يعادون دين الله تعالى ، ويتربصون بأهله الدوائر ، على أن هؤلاء القوم قد يقع بينهم الخلاف ويعادى بعضهم بعضا إلا أنهم يد واحدة إذا كان العدو هو المسلمين وإسلامهم ، وينبغى أن لاينخدع المرء بما يسمع أحيانا أو يشاهده أحيانا أخرى من وجود الخلاف والفرقة بين اليهود والنصارى فإن تاريخهم يشهد باتفاقهم ، وكذا وقوفهم إلى جانب بعضهم بعضا ، وقد أخبر المولى جل وعلا بذلك .

وعلى هذا الأساس فلاغرابة من تقارب المعسكرين اليهودى والنصرانى واتفاقهم على الوقوف ضد العدو الوحيد لهم وهو الإسلام والمسلمين ، وإذاكان الغرب يمثل اليهودية ، والشرق (روسيا) وماتابعها تمثل النصرانية ، فإن اليهود وراء الأحداث فيهما ، وكلاهما يعملان ضد الإسلام والمسلمين .

وأعود وأقول ولاغرابة فى ذلك ، وأضع فى هذا التمهيد هذه الحقائق.

أولا : قال الله تعالى :

{ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض}(١).

وقال جل وعلا : **{ولن ترضى عنك اليهود ولاالنصارى حتى تتبع ملتهم}**(٢).

وقال سبحانه وتعالى : **{ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم}**(٣).

ثانيا : أن مواقف اليهود والنصارى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت مليئة بالحقد والحسد . ولأجل ذلك وقفوا فى طريق نشر الدعوة وحاولوا قتله صلى الله عليه وسلم ، وإدخال الفرقة بين أصحابه رضى الله عنهم ، وبثوا الفتن وأشاعوا الفرقة بين المسلمين ، وكل ذلك يعطى مؤشرا حقيقيا على نفسية اليهود والنصارى تجاه المسلمين ، ورسول الإسلام عليه الصلاة والسلام ، وكذلك كان حالهم مع أنبيائهم عليهم السلام ففريقا قتلوا ، وفريقا كذبوا .

ثالثا : لو تتبعنا التاريخ فى العصر الحديث لوجدنا أن هؤلاء الأعداء يدا واحدة فى حرب المسلمين ، وإبعادهم عن دينهم فى كل بقاع الأرض . فهم وإن اختلفوا فى بعض قضايا - غير ذات بال - إلا أنهم سرعان مايتناسون ذلك الخلاف إذا كان الأمر يتعلق بالمسلمين وقضاياهم ، حيث يكونون جميعا وقلوبهم شتى من أجل حرب المسلمين . والقضايا الدولية التى واجهت المسلمين تدل على ذلك ومن آخر الأحداث وأكثرها دلالة ماحدث فى البوسنة والهرسك حيث حدث من المهاترات فى مجالس الأمم

---

(١) سورة المائدة : (٥١) .

(٢) سورة البقرة : (١٢٠) .

(٣) سورة البقرة : (١٠٩) .

المتحدة مايندى له الجبين ، فكم من تصويت على قضية ضد مصالح المسلمين فإذا أقر أمر من قبلها ، وأيدته إحدى الدولتين الكبريين ، فإذا بالأخرى وبناء على رغبة الطرف الآخر تستخدم حق النقض (الفيتو) .

ولاحجة حين ذلك لأحد لأن الدولة العظمى استخدمت حق النقض .

رابعا : إذا كانت هيئة الأمم المتحدة يهودية وفى خدمة مصالح اليهود فإن مايفعله الصليبيون بالمسلمين فى بقاع الأرض واضحاً للعيان ، وعلى مرأى ومسمع من هيئة الأمم المتحدة ، ومع ذلك فلم تحرك ساكنا فى سبيل نصرة المسلمين أو قضاياهم بحكم أنها أصبحت هى الحكم!!

وعلى هذا فإن الشرق والغرب بعضه أولياء بعض وإن كانت هناك بعض الخلافات التى قد توجد بينهما[1]. وغالبا ماتكون خلافات من أجل اقتسام بلدان العالم لاستغلال ثرواتها ، إن التقارب بين الأعداء لحرب المسلمين أكبر بكثير من الاختلاف الذى بينهما وخاصة إذا ماأحس الأعداء بأن المسلمين أخذوا فى العودة إلى دينهم ، والعمل بأوامر ربهم وكان من الالتقاء الذى تم بين الأعداء هو قرب الرأسمالية مع الإشتراكية وهما على طرفى نقيض من حيث الأيديولوجية إلا أنه تم التضحية بواحدة منهما من أجل الالتفات للخطر القادم والذى ربما كان القرن الواحد والعشرون لصالحه دون غيره ، ومن هنا كان لابد من الحديث عن هذا التقارب بين قوتين متصارعتين فى الظاهر لنلتمس تنازل إحداهما عن مبادئها من أجل العمل مع الطرف الآخر فى الوقوف فى وجه الخطر الذى أخذ يهددهم فى عقر دارهم .

إن العلاقة بين الشرق والغرب قد مرت بمراحل عديدة ، وتراوحت مابين توتر وإنفراج ، ولاغرابة فى ذلك خاصة مع تعدد العقائد والتوجهات

---

(١) انظر عن ذلك الاختلاف : أفغانستان والاجتياح الروسى (١٦٠) ومابعدها ، محمود المرداوى ، شركة الشعاع للنشر ، الكويت ، بدون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها ، دراسات متميزة فى العلاقات بين الشرق والغرب على مر العصور (١٣) ، د. يوسف بن على الثقفى ، الطبعة الثانية ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م ، من المقدمة .

وتصادم المصالح حينا ، وتوافقها أحيانا أخرى ، وهذا ليس فى العصر الحديث فقط بل منذ القدم ، طالما أن المصالح أحيانا مختلفة ، وكذلك العقائد متباينة فلابد من التوتر والخلاف ، ثم إن الحال كذلك فيه مايقع فى دائرة الاتفاق وبالتالى تخف حدة التوتر ، وتلوح فى الأفق فكرة السلم وتغليبها على جانب الحرب والمواجهة .

وهذا ماحدث بين الشرق والغرب فى العصر الحديث فتارة كانت الحروب وأخرى كان السلم والرغبة فيه . وقد عرفت هذه الفترات بعدة مصطلحات اشتهر بعضها فى فترات محددة أكثر من غيره ، ومنها :

* التعايش السلمى .
* الانفراج الدولى .
* الوفاق الدولى .

وبامكاننا نظرا لما تعنيه هذه المصطلحات وخاصة الأخيرين منهما أن نقول عصر مابعد الحرب الباردة .

وهنا حقيقة لابد من التنبيه عليها وهى أن هذه المصطلحات ترمى إلى شىء واحد وهو التقارب بين الأنظمة المختلفة والتعايش فيما بينها رغم الخلاف الذى قد يسبب حالة من المواجهة فيما بينها . وإذا كانت أمريكا والاتحاد السوفييتى هما الدولتان الأبرز خاصة فيما بعد الحرب العالمية الثانية فإن هذه المصطلحات تنصرف بداية إليهما ، وماسبق ذلك فيمكن اعتباره منصرفا إلى الاتحاد السوفييتى حيث أن نظامه يرفض فكرة التعايش مع الأنظمة غير الشيوعية منذ تفجير الثورة البلشفية عمليا ، ومنذ أن أعلن ماركس ذلك نظريا ، ثم ينصرف إلى الجهة التى يرغب الاتحاد السوفييتى التعايش معها . ونصل الآن إلى اعطاء صورة مختصرة عن كل مصطلح .

أولا : التعايش السلمى :

إن هذا المصطلح فى أساسه مصطلح شيوعى ، وفى إعتقادنا أن لينين هو أول من جاء بهذه السياسة ، وذلك لأن الواقع الذى عجز لينين عن

تطبيق الشيوعية فيه ، قد أجبره على التراجع عن الأفكار الماركسية النظرية ، وذلك بعد أن رأى أن الخطر يداهم دولته وفكره فى آن واحد ، فتبين له أن الفكر الإشتراكى ليس من القوة بحيث تصبح دول العالم كلها إشتراكية ، وأقر الدول الأخرى على بقائها على فكرها كى تتركه على فكره فى دولته وهذا يخالف ماجاء عن ماركس من حتمية انتصار الإشتراكية ، وزوال الرأسمالية(١).

وكانت البداية التى أطلقها لينين هى الصلح مع المانيا صلح (بريست ليتومنسك)(٢).

وقد اعترف لينين بهذه السياسة التراجعية مع الأنظمة الأخرى فقال :

(لقد عقدت معاهدة الصلح مع استونيا بشكل اضطررنا فيه أن نقبل بسلسلة من التنازلات عن أراض كانت تابعة لبلادنا ، تنازلات لم تكن تنسجم تماما مع حق الأمم فى تقرير مصيرها . ولكننا برهنا بالفعل أن قضية الحدود هى ثانوية بالنسبة لنا ، فى حين أن قضية العلاقات السلمية والمهارة فى انتظار تطور أوضاع العيش عند كل شعب هى أهم القضايا كافة ، لابل هى التى مكنتنا من كسب ثقة الأمم المعادية لنا ...)(٣).

ويقول فى بيان الاعتماد على إقتصاديات الدول الأخرى :

(يستحيل علينا أن نركز إقتصادنا على أسس متينة إذا لم ننشىء بعض العلاقات مع الدول الرأسمالية . وقد أثبتت الأحداث أن مانقوله عن بلادنا ينطبق أيضا على تلك الدول .

---

(١) راجع البيان الشيوعى (٥٥) ومابعدها .

(٢) وعن الصلح وبعض آثاره على المسار الدولى انظر الصراع على السيادة فى أوروبا ١٨٤٨-١٩١٨م ، تأليف تايلير ، ترجمة د. كاظم هاشم نعمة والدكتور يونيل يوسف عزيز ، راجع النص العربى عبد الوهاب العدوانى ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها .

(٣) نقلا من كتاب الإشتراكية والحرب (٨٢) ، ادوارد كارول ، نقله إلى العربية موريس صقر ، الطبعة الأولى ١٩٦١م ، دار العلم للملايين ، بيروت .

ولكن هل يمكن ، بصورة عامة ، أن تقوم جمهورية اشتراكية وسط عالم رأسمالى يطوقها من كل صوب؟ هذا ماكان يبدو محالا سواء من الناحية السياسية أو من الناحية العسكرية . وهاإننا نعطى الدليل على أن هذا الشىء ممكن من الناحيتين معا . وهذا الشىء هو واقع . ولكن فى حقل التجارة؟ وفى حقل المبادلات الإقتصادية؟ وفى حقل العلاقات والمعونة وتبادل الخدمات بين روسيا المتخلفة ، روسيا الزراعية التى اجتاحها الخراب ، وبين مجموعة من الدول الفنية والمتقدمة صناعيا ، هل هذا ممكن؟ ألم يهددوا بتطويقنا بالأسلاك الشائكة حتى لانتمكن من إقامة أية علاقة اقتصادية مع الخارج ؟)[١].

تقول د. دعد : (إن البحث عن أصل المصطلح يدل على أن عبارة (التعايش السلمى) هى ذات أصل سوفييتى على الأخص ، لكن التعميم الرسمى مصدره صينى . إن هذا يعنى أن المصطلح وتعميمه ماركسى وإشتراكى الأصل)[٢]

وإن كان قد ورد بعبارات أخرى زمن لينين ومن ذلك (المساكنة) بين النظامين الخصمين[٣]إلا أن مؤداه واحد ، وأول من تكلم عن هذا المصطلح بتلك العبارة هو ستالين .

ونأتى الآن لتعريف التعايش السلمى .

من حيث العموم تعرفه د. دعد بالتالى :

(ظاهرة قديمة فى العلاقات بين الشعوب والدول ، ويصبح عندها أقرب إلى السلم منه إلى ماهو عليه التعايش السلمى المعاصر)[٤].

ويعرفه الشيوعيون بقولهم : (شكل من أشكال الصراع بين النظامين الاجتماعيين المتضادين فى المسرح العالمى)[٥].

---

(١) نقلا من كتاب الإشتراكية والحرب (٨٣) وانظر مابعدها .

(٢) الثنائية الدولية (١٩١) .

(٣) انظر المرجع السابق (١٩١) .

(٤) المرجع السابق (١٩١) .

(٥) المعجم (١٤٤) .

وعلى هـذا الأساس فالتعـايش عندهم يمثل مرحلـة من مراحل الصراع بين الشيوعية والرأسمالية التى يرون حتمية زوالها .

و(الكلمة الروسية للانفراج Razriadka تعنى تخفيف التسلح أو تنقية الأجواء . وهنا يقترب تعبير الانفراج لها حيث غالبا ماتستعمل ضمن مجالات مباحثات نزع السلاح أو تحديده وتعنى بشكل عام تهدئة العلاقـات السياسية والعسكـرية المتوترة بين الدول أو الشعوب ، وذلك عـن طريق عقد مواثيق عدم الاعتداء وحظر التجارب النـووية ، وعقد مؤتمرات القمـة ومـاشابه)[١].

يقول خروشوف :

(مـاذا يعنى التعـايش السلمـى بين البلـدان الـرأسمـالية وبين البلـدان الإشتراكيـة؟ إنه يعنى الاحترام المتبـادل لـوحدة أراضـى كـل دولة وللسيادة المطلقـة ، وعـدم الإعتداء ، وعـدم التـدخل فى الشـؤون الـداخلية لأسبـاب إقتصادية ، سياسية وأيديولوجية ، ومساواة ومنفعة متبادلة ، وتعايش . وقد لاقت مبادىء التعايش السلمى استحسانا دوليا كبيرا)[٢].

إن المفهـوم لهـذا المصطلـح بين القوتين كان يعنى أن يعيـش كـل من النظـامين بدون حرب لأن النظـام الرأسمالى يحمل بين جنبـاته ، وفى أفكاره أسباب زواله وإنهياره كما ذكر ذلك كارل ماركس فى فلسفته .

وإذا كـان لينين هـو المطبـق لهـذه الفلسفة والأفكـار الماركسيـة ، فإنه وبعـد عجزه بدأ افتتاح تلك السيـاسة بعد أن أعلن أن الشيـوعية ثورة على الأفكـار الـرجعية من رأسماليـة وغيرها ، فقد عقد مـع النـازية صلحا أجبره عليـه الـواقع ، وقيل بأن المانيـا عنـدما احتضنت لينين وأعـادته إلى روسيـا اشترطت عليه عقد مثل هذا الصلح معها .

---

(١) القوى العظمى بين شريعة الغاب وصراع الفيلة (٢٤) ، د. حسـن البزاز ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م ، دار الشئون الثقافية العامة .

(٢) نقلا مـن كتاب الإشتراكية والحرب (١٥٣) مـن خطاب ألقـى فى اجتمـاع موسكو الخاص بالصداقة السوفيتية التشيكوسلوفاكية فى ١٢ تموز ١٩٥٨م .

فالواقع أجبر لينين على التراجع فى السياسة الثورية ، وعندما رأى أنه ليس بالإمكان مقارعة الرأسمالية والانتصار عليها عدل عن هذه السياسة إلى سياسة المساكنة والتعايش مع الأنظمة الأخرى وأقر العمل إلى حد ما بمبدأ الإقتصاد الرأسمالى (رأسمالية الدولة) فأدى ذلك إلى الاعتراف بأن التعامل الإقتصادى ممكن مع الرأسمالية ثم مالبث أن رأى إمكانية التعايش السياسى أيضا .

لقد كان لهذا المصطلح وقع على نفوس القادة من بعد لينين وقد اضطرت الأحداث الدولية - والقضايا المطروحة على ساحتها - ستالين إلى الاستمرار فى هذه السياسة والدعوة إليها .

وإذا كانت الفترة الستالينية فى التغيير والتراجع كانت أشد من السابق رغم الدكتاتورية ، فإنه من البدهى أن تكون سياسته تجاه الدول الرأسمالية كذلك .

حيث كان يتحتم على ستالين هذا التعايش ، ليتجه للإصلاح الداخلى أو بتعبير أدق إلى تكميم الأفواه ، ومصادرة العقول التى بدأت تتذمر من الفكر الشيوعى الذى زاد البلاد جوعا ، ومن هنا فإن ستالين قد أعلن التراجع عن كثير من المبادىء الشيوعية سواء داخليا أم خارجيا ، وعلى رأسها التعايش مع النظام الرجعى ، الرأسمالى ذلك النظام الذى كان لابد أن يدفن فى مزابل التاريخ كما قرر انجلز وماركس ذلك من قبل . ثم جاء من بعد ستالين خروشوف .

خروشوف والتعايش السلمى :

كان خروشوف أكثر الزعماء الشيوعيين السابقين انفتاحا على الغرب ، وحدث فى فترة حكمه تغيير كبير فى السياسة السوفيتية داخليا وخارجيا ، ويعتبر هو مرسى دعائم هذه السياسة . وقد حقق من ورائها المصالح ذات الجانبين ، له وللغرب .

يقول خروشوف : (التعايش السلمى ... ليس عملا تكتيكيا ،بل المبدأ الأساسى للسياسة الخارجية السوفيتية ...

وإذا قلنا أن النظام الاشتراكى هو الذى سينتصر فى المنافسة بين النظامين - الراسمالى والاشتراكى - فهذا لايعنى قط أن النصر سيحرز عن طريق التدخل المسلح للبلدان الاشتراكية فى القضايا الداخلية للبلدان الرأسمالية ...

إن مبدأ التعايش السلمى يحظى بمنزلة دولية تنمو باستمرار ، وهذا أمر سديد ، لأن مامن منفذ آخر فى الأوضاع العصرية . وفى الواقع ، ليس هناك غير طريقين : إما التعايش السلمى ، وإما أفظع حرب مدمرة فى التاريخ . وليس هناك طريق ثالث)(١)

وهكذا كان خروشوف مرسى دعائم هذا المصطلح ومفهومه بسياسته ، ثم سار على طريقه زعماء الشيوعية من بعده . على أن ذلك لايمنع من وجود التأزم والتوتر بين القوتين العظميين فى بعض الفترات .

الشيوعيون المتشددون والتعايش السلمى :

إن التعايش السلمى بين الشيوعية والرأسمالية ، يتعارض صراحة مع العقيدة الشيوعية القائلة بالثورة الدموية ، وتحطيم القوى الرجعية الرأسمالية ولأجل ذلك انتقد لينين فى توقيع الصلح مع المانيا واتهم بالتراجع عن مبادىء ماركس ، ثم كان الأمر كذلك زمن ستالين وحصلت الفرقة بين الدولتين الشيوعيتين الاتحاد السوفييتى والصين بسبب اتهام الأخيرة للاتحاد السوفييتى بأنه تراجع عن مبادىء الشيوعية بإقرار سياسة التعايش السلمى مع الرأسمالية ، وهكذا غدت هذه السياسة فى التعايش مع المعسكر الرأسمالى دليلا على التراجع فى تطبيق الفكر الماركسى الشيوعى .

ولكون هذه السياسة تتعارض مع الفكر الشيوعى فقد واجهت النقد الشديد من قبل الشيوعيين المتشددين فمثلا وجه الشيوعيون المتشددون فى

---

(١) نقلا من كتاب الإشتراكية والحرب (١٥٢) ، وانظر مابعدها .

الصين اللوم الشديد ليوغسلافيا وقالوا عنهم بأنهم تحريفيون "وتحريفهم صادر عن خوفهم من الامبريالية والحرب . وهذا الجبن هو الذى دفعهم إلى اتباع سياسة انتهازية ، سياسة تسويات مع البرجوازية والامبريالية . لذلك فإنهم هبطوا من موقف تصفية الرأسمالية بالطرق الثورية ، إلى موقف الإصلاح واعتنقوا نظرية الانتقال السلمى من الرأسمالية إلى الإشتراكية)[١].

ونظرا لوجود الاعتراض على هذه السياسة من قبل الشيوعيين أنفسهم (المتشددين) ماكان من الشيوعيين الذين هم دونهم أو الذين يريدون الدفاع عن فكرهم إلا أن أوجدوا المبررات لهذه السياسة[٢].

ومهما قال الشيوعيون أو نافحوا عن هذه السياسة (التعايش السلمى) فإن القبول بها يعد خرقا للفكر الماركسى وإعلانا لفساده وعدم تحققه . حيث أقر هؤلاء الشيوعيون عمليا بقاء الرأسمالية والتعايش معها وهذا يناقض الفكر الماركسى من أساسه .

الأسباب التى أدت لقبول سياسة التعايش :

أولا : الإقرار من قبل الطرفين بعدم إمكانية أحدهما فى القضاء على الخصم على الأقل فى هذه الفترة ، ومن هنا فـ(لابد من الانتظار لتحقيق هذا الهدف ، أو على الأقل ، لجعل الآخر يتأقلم بشكل ثابت مع السلم القائم على اختلاف الأيديولوجيات والأنظمة)[٣].

ثانيا : تحقيق التوازن بين الدولتين مما أدى إلى التفاعل والتجاوب مع مفهوم التعايش السلمى ، واعتبر هو الحل الوحيد للحرب ، ومن هنا اعتبر التوازن فى القوى هو المقوم الحقيقى للتعايش السلمى[٤].

---

(١) الإشتراكية والحرب (١٢) .
وانظر : المعجم (١٤٦) ، الثنائية الدولية (١٩٦) .
(٢) انظر عن ذلك : المعجم (١٤٥-١٤٧) ، الإشتراكية والحرب (٧٠) .
(٣) الثنائية الدولية (١٩٩) .
(٤) انظر المرجع السابق (٢٠٠) .

ثالثا : النيـة فى تفادى الحرب (إنطلاقا من اعتبارها غير حتمية . طالما أن العـداء مستمر وكذلك المنـافسة ، وطالما أن الحرب قـد استبعـدت ، إذن لابد مـن أن يكـون التعبير عـن الخلافـات والمنـافسة سيـاسيا وليـس عسكريا...)(١).

رابعا : ماحدث للدولتين من ضعف إقتصادى بسبب الحروب ، وخاصة الاتحاد السـوفييتى منذ قيام الثـورة البلشفية حيث عـانت الدولة من الحروب الأهلية مضافا لها الحرب العالمية الأولى .

خامسا : مصـادمة النظـرية الماركسيـة للواقع حيث عجـز قـادة الثورة البلشفيـة من تطبيقها ، فكـان لزاما القبول بهذه السيـاسة رغـم تعارضها مع الفكر الماركسى .

أهم ميزات التعايش السلمى :

كان للتعايش السلمى ميزات عدة ومن أهمها :

(١) (محاولة التفاهم وحل المشاكل سلميا .

(٢) عدم التعرض لمصالح الآخر الحيوية .

(٣) التقبل الضمنى للحروب الاقليمية والمحدودة .

(٤) التحادث والتفاوض .

(٥) الإنفراج)(٢).

ونختم الحديث عن التعايش السلمى بالآتى :

أولا : إذا اعتبرنا التعايش السلمى مبدأ أو عقيدة فـإنه يعنى بالضرورة بعـده الإشتراكى ، فهذا المبـدأ سوفييتى لأن التعايش السلمـى مع الرأسمالية غير وارد . ولأجل هـذا كـانت القطيعـة بين موسكو وبكين إلى أن قبلـت به

---

(١) الثنائية الدولية (٢٠٠) .

(٢) المرجع السابق (٢٠٤) .

الأخيرة وعلى طريقتها . فالتعايش استمر بحسب الحاجات والشروط الإشتراكية(١).

ثانيا : أن التعايش السلمى يشكل فى الغرب حلقة أو مرحلة تمر بها العلاقات بين النظامين الرأسمالى والإشتراكى ، وإن العمل به لمصلحة الليبرالية إجمالا .

وظهرت عدةنظريات تدعو إلى التعايش السلمى ليحل محل سياسة الصد للمد الشيوعى ومنها (التساتل ، التآكل ، الجسر) .

التساتل : تعنى أن التعامل الإقتصادى والتقنى بين الشرق والغرب ، والتلاقى الحضارى والثقافى مؤهل لأن يقرب بين الأنظمة الإجتماعية والإقتصادية وحتى السياسية ، إلى أن ينتهى النظامان إلى الالتقاء فى ظل ثقافة عالمية .

التآكل : وهى تعنى أن الإشتراكية لاتحترم مبادئها الأساسية وهى قيد الخروج عنها ، وبالتالى خسارة بعض ميزاتها الأصلية ، والنتيجة تلاقى النظامين .

الجسر : أى مد الجسور بين الدول الرأسمالية والدول الإشتراكية وترى أن الاتصال بالدول الإشتراكية سيدخل الأفكار الغربية إلى مجتمعاتها . وبالتالى التأثير عليها ، وبالتالى جعلها تضعف أو تنهار من الداخل لمصلحة الغرب(٢).

ثالثا : أن التعايش السلمى لايمكن اعتباره السلم الحقيقى الشامل ولكنه يغطى مرحلة من التاريخ الإنسانى فى القرن العشرين . ولاشك أنه حقق نوعا من الوئام بين الأعداء(٣).

رابعا : أن القبول بسياسة التعايش السلمى يعد قطيعة وتراجعا عن الأخذ بالفكر الماركسى .

---

(١) انظر الثنائية الدولية (٢٠٥) .

(٢) انظر المرجع السابق (٢٠٥-٢٠٦) .

(٣) انظر مجلة الفيصل العدد (١٢٧/١٩٤) شعبان ١٤١٣هـ/فبراير ١٩٩٣م ، مقال بعنوان (التعايش السلمى) بقلم الأستاذ عبد العزيز السالم .

الإنفراج الدولى

من المصطلحات التى عرفت بها العلاقات الدولية فى القرن العشرين الإنفراج ، وقد يكون مرادفا للتعايش السلمى ، وإن كان يقصد به زوال حدة التوتر ، أو خفة حدته .

ويعرف الشيوعيون الإنفراج بأنه :

(مرحلة جديدة نوعيا فى تطور العلاقات بين الشعوب والدول التى تستند إلى مبدأ التعايش السلمى بين الدول على اختلاف أنظمتها الإجتماعية)[١].

ويعتبر باتريك واجمان أن الإنفراج :

(مجرد تخفيف للتأزم الذى كان سائدا بين الشرق والغرب فى الحرب الباردة)[٢].

وعند الشيوعيين أيضا أن الإنفراج يعنى (الانتقال فى العلاقات بين الدول ذات الأنظمة المختلفة من فترة (الحرب الباردة) ومايرافقها من تشديد للتوتر والضغط بالقوة والمجابهة إلى علاقات أهدأ بين البلدان وإلى توازن القوى والأمن المتساوى للطرفين والانتقال من العزلة إلى الاتصالات والمباحثات والتبادل ومراعاة التكافؤ فى الشؤون الدولية ، والبحث عن اتفاقيات وسط فى المسائل المختلف عليها)[٣].

وتقول د. دعد :

"بدأ استعمال المصطلح والتعامل مع المفهوم من قبل المسؤولين السياسيين منذ أوائل الستينات . إن الإنفراج ، مثل مفهومى الحرب الباردة والتعايش السلمى ، لم يفرض على العلاقات الدولية فكرا ودراسة وممارسة

(١) المعجم (٧٩) .
(٢) نقلا من كتاب الثنائية الدولية (٢٠٩) .
(٣) المعجم (٨٠) .

بإعلان عن ظهوره أو نشأته أوحلوله ، بل فرضته تطورات معينة فى هذه العلاقات ، إضافة إلى نظرة لحال هذه العلاقات ، وحتى لتحول نوعى ، أو على الأقل لحاجة ولو مؤقتة إلى هكذا تحول . وربما كان الحافز إليه بالأخص الحاجة إلى هكذا تطور فى العلاقات الدولية)[١].

ويرى الشيوعيون أن التعادل فى القوى هو الذى سيعزز من مسألة الإنفراج ويجعله شاملا ولأجل ذلك فإن التوصل إلى الحد من سباق التسلح سيوسع الإنفراج ويعزه فى الواقع .. ولهذا فهم يرون أنه لابد من التخفيف من حدة المجابهة مع الرأسمالية لأنهم يرون أن السياسة الحكيمة بين الدولتين أصبحت ضرورة للبشرية جمعاء[٢].

وعلى هذا الأساس فالإنفراج هو التخفيف من حدة التأزم بين الدولتين نظرا لما كانت تعانيه كل منهما من تذمر داخلى وتدهور إقتصادى وتسابق فى التسلح لم يحقق لهما شيئا إلا التوازن ومزيدا من الخوف والهلع لاندلاع حرب عالمية ثالثة ، ومن هنا ونتيجة لهذه الأوضاع كان لابد من الاهتمام بهذه السياسة والعمل لها .

التحديد الزمنى لفترة الإنفراج الدولى :

اضطربت الأقوال فى تحديد الفترة الزمنية لهذه الفترة ولاغرابة فى ذلك نظرا لتداخل المصطلح مع التعايش ولكون الحرب الباردة استمرت من الأربعينات إلى نهاية الثمانينات . ويمكن القول بأن الساحة الدولية وجدت عدة فترات من الإنفراج بعد التأزم ويمكن إبرازها فى التالى :

أولا : الإنفراج الدولى بعد موت ستالين .

ثانيا : يرى البعض أن الإنفراج حدث بعد نهاية أزمة كوبا وذلك عندما سحب السوفييت صواريخهم منها .

---

(١) الثنائية الدولية (٢٠٨) .

(٢) انظر المعجم (٨٢) .

ثالثا : ويحدد البعض فترة الإنفراج من أواخر الستينات وتحديدا سنة ١٩٦٩م إلى سنة ١٩٧٥م حيث عقدت بعض المعاهدات والمؤتمرات فى تلك الفترة(١).

والذى يترجح من خلال العرض السابق للحرب الباردة والأزمات التى شهدتها الساحة الدولية أن الرأى الثالث هو أقرب الآراء فى تحديد فترة الإنفراج الدولى ، حيث شهدت تلك الفترة توقيع المعاهدات بشأن عدم استخدام الأسلحة النووية .

ولأجل ذلك كان الإنفراج الدولى أكثرماينصرف إلى تخفيف حدة التوتر بين الدولتين فى الجانب العسكرى بل لانبالغ إذا قلنا بأن من الأسباب القوية الدافعة إلى هذه السياسة ، هو وصول القوتين الكبريين إلى امتلاك الأسلحة النووية والذرية والكيماوية .

وفى نهاية حديثنا عن الإنفراج نضع الحقائق التالية :

أولا : أن اقتناع كل من الدولتين بفشل سياسته التوسعية والقمعية ، وتسابقه فى التسلح ضد الطرف الآخر قد جعل كل منهما يرغب فى إبعاد التوتر عن الساحة الدولية .

ثانيا : أن فشل الدولتين فى السيطرة على بعض بلدان العالم أثناء صراعهما ضد بعضهما فى الحرب الباردة قد جعل كلاً منهما يرغب فى حصول الاتفاق بشأن تلك النزاعات ويود ذلك الإنفراج والابتعاد عن أسلوب المواجهة .

ثالثا : لقد كان للتوازن الذى حققه التسابق فى التسلح دوره البارز فى إحلال الإنفراج مكان التأزم .

رابعا : أن تردى الإقتصاد فى الدولتين بسبب التسابق المحموم فى السلاح ، والسيطرة على الدول الأخرى قد جعل كلاً منهما تؤيد هذه السياسة .

---

(١) انظر عن ذلك : الثنائية الدولية (٢١٤-٢١٧) ، من الحرب الباردة حتى الوفاق (٢١٤) ، المعجم (٨١-٨٢) .

خامسا : من الحقائق أن الشعوب وخاصة داخل الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي سئمت الحال الذى كانت تعيشه وهى ترى مئات الآلاف من شعوبها يزج بهم فى دول شتى من أجل المواجهة غير المباشرة مع الدولة الأخرى . ولأجل ذلك ورغم الصعوبات التى كانت تواجه سياسة الإنفراج إلا أنها قد أوجدت لها مكانا وآثاراً واضحة فى العلاقات الدولية(١).

وقد كانت هذه الإنفراجات التى حصلت فى أوقات متفرقة من الأسباب التى دعمت فكرة الوفاق وخاصة الإنفراجات السابقة عليه كموت ستالين ، وانفراج الأزمة الكوبية . ونتحدث الآن عن مصطلح الوفاق .

---

(١) جاء فى المعجم (الشيوعية العلمية) : (إن الإنفراج يواجه منذ بداية الثمانينات صعوبات كبيرة فإن جذوره فى العالم الحديث عميقة لدرجة كافية . وإن بالإمكان ومن الضرورى صيانة ومضاعفة مكتسبات الإنفراج . ويتلخص الأمر الرئيسى فى أن أنصار الإنفراج عموما أكثر من خصومه الذين يعوزهم الأهداف البناءة بخصوص المستقبل . إن القوى المنادية بالإنفراج ، رغم تنوعها ، موحدة بعدم وجود بديل معقول غير الإنفراج ، وبأن السلام والتقدم الاجتماعى لاينفصلان عن بعضهما البعض) .

الوفاق الدولى

من المصطلحات التى عرفت فى الفترة التى شهدت تنافسا دوليا بين المعسكرين (الوفاق الدولى) ، وقد اعتبره البعض من الإنفراج والتقارب بين الجبارين ، ولاشك فى وجودهما مع بعضهما البعض إلا أن استخدام مصطلح الوفاق شاع فى فترة السبعينات وأصبح أكثر شهرة من غيره[١].

ونأتى لتعريف الوفاق .

وردت عدة تعاريف ومفاهيم للوفاق الدولى بدءا من القادة والساسة والمفكرين فى الدولتين ، ومن ذلك ماجاء عن نيكسون حيث قال : (إن الوفاق هو محاولة لتوسيع عنصر التعاون لوضع بعض الحدود على المنافسة بين الدولتين) .

ويقول هنرى كيسنجر : (بأن الوفاق هو بناء هيكل للسلام يدوم بدوام المصالح المشتركة لجميع أطرافه) .

ويعرفه جورجى ارباتوف[٢] فيقول : (بأنه عملية انتقال من علاقات التوتر المحملة بخطر المواجهة إلى علاقات التعايش السلمى والتعاون)[٣].

ويمكن تعريف الوفاق بأنه :

---

(١) انظر الثنائية الدولية عن مسألة التداخل بين الوفاق والإنفراج (٢١٨-٢١٩) وذكرت المؤلفة أن الطرفين لم يعتبرا الإنفراج من الوفاق . ولعلها هى ترى ذلك أيضا .

والذى يظهر لى من خلال عرض الأحداث أن المصطلحين قد وجدا فى فترة من الفترات مع بعضهما فبداية كان الإنفراج فى بعض التوترات القائمة ، ثم بعد أن تم الوفاق حدثت بعض الأزمات وبناء على اتفاقهما حصل الإنفراج فيها . كما دلت عليه الأحداث اللاحقة فى فترة السبعينات ومابعدها .

(٢) مدير معهد الولايات المتحدة وكندا بموسكو .

(٣) نقلا من كتاب القوى العظمى (٢٦-٢٧) .

(التخفيف من حدة التوتر الدولى ، والسعى لخلق إمكانيات الوصول إلى إتفاقيات فهم بين الأطراف المعنية ، وبالتالى حصول حالة الاسترخاء فى العلاقات)[١].

أو (التخفيف من حدة التوتر الدولى لإمكانية الوصول إلى اتفاقات فهم بين الأطراف المعنية ، والتى بالنتيجة تقود إلى تجنب الصدام العسكرى الذى يمكن حدوثه بين القوتين العظميين)[٢].

أو (الاعتراف بالحقيقة القائلة بأن الاتحاد السوفييتى ونظامه قائم ، كما هو الحال بالنسبة للولايات المتحدة ونظامها . وليس لأى منهما الإمكانية فى الهيمنة على الأخرى عسكريا أو فكريا . وأصبح الوفاق الحقيقة المجردة فى السياسة بين الدول التى تحمل معها دلالة التسمية ذاتها)[٣].

وعلى هذا الأساس فإن الإنفراج يعنى الوفاق عند من يأخذ بهذا التعريف . وبناء على ذلك يمكن القول إن المصطلح عرف بصورة شائعة فى السبعينات وربما ينصرف على هذا الأساس إلى المحادثات التى جرت بين الطرفين من أجل ابعاد شبح الحرب النووية على الساحة الدولية[٤]، وكذلك الاتفاق على مجموعة من المبادىء الاقتصادية والسياسية التى تخدم الطرفين .

وبحديثنا عن بداية الوفاق وفكرته فى المبحث التالى سيزداد الأمر وضوحا .

---

(١) القوى العظمى (٢١) .

(٢) المرجع السابق (٢٣) .

(٣) المرجع السابق (٢٣-٢٤) .

(٤) يقول بريجنسكى عن الوفاق : (بأنه من الأولويات الأساسية فى السياسة الخارجية الأمريكية لضمان ضرورة الحد من الأسلحة الاستراتيجية مع ربط ذلك بتحديات الاتحاد السوفييتى فى مناطق أخرى من العالم كافريقيا وأفغانستان مثلا) . القوى العظمى (٢٦) .

المبحث الأول
بداية الوفاق وفكرته

لقد عاش عالم مابعد الحرب العالمية الثانية فى أزمات عديدة منها الإقتصادى ، ومنها العسكرى ، ومنها السياسى ، وقد كان للدولتين الكبريين الدور الأبرز فى هذه الأحداث وزيادة التوتر فيها ، وذلك سعيا وراء استغلال الدول ونهب ثرواتها ، أو من أجل العمل على منع زيادة نفوذ كل منهما على حساب الأخرى ، وهكذا كانت سنوات مابعد الحرب العالمية الثانية سنوات صراع وتوتر ، ورغم هذا إلا أنها لم تخل من نداءات تدعو إلى إيقاف هذا الصراع والعمل من أجل إحلال السلام وإدخال الإنفراج على قضايا التأزم(١). وبالفعل تم توقيع عدة معاهدات ، وتم الاتفاق بشأن بعض القضايا القائمة وأدت إلى تخفيف حدة ماكان بين الطرفين ولكون الأمر الذى سيطر على الدولتين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية هو التنافس فى المجال العسكرى ومحاولة التفوق فى التسلح فإن الوفاق قد عنى كثيرا بنزع السلاح بالإضافة إلى الاتفاق بشأن بعض القضايا التى كانت من الأسباب الرئيسية فى الخلاف والتوتر ، ومنذ بداية الأربعينات وجدت المطالبة بإبعاد العالم عن شبح الحروب وويلات السلاح ، فهذا روزفلت يقول فى الثامن عشر من حزيران سنة ١٩٤٢م : (ليست أرضنا غير نجمة صغيرة فى الكون . إن فى وسعنا ، إذا أردنا ذلك ، أن نجعل منها كوكبا لاتقتله الحرب ، ولايضنيه الجوع والخوف ، والمنازعات بين العناصر والأديان وألوان البشرة لتكن لنا الجرأة الكافية بحيث نبدأ هذه المهمة منذ اليوم وليكون فى مكنة أطفالنا وأحفادنا أن يعتزوا باسم الإنسان)(٢).

---

(١) انظر موجز تاريخ الولايات المتحدة (٦٠٨-٦٠٩) ، ورغبة الأطراف فى الاتفاق بشأن المانيا ، ونزع السلاح منذ عام ١٩٥٥م .

(٢) الحرب العالمية الثانية (٥٨٧) .

إلا أن هذه النداءات كانت ضعيفة أمام قوة الصراع القائم بين الدولتين وكثرة الأحداث التى كانت على الساحة الدولية حينذاك ، وكانت الستينات رغم استمرار الأزمات والصراعات قد شهدت التوجه الجاد من الطرفين فى إنهاء التوتر والحد من التسابق فى مجال التسلح ، فبعد عملية خليج الخنازير فى ابريل ١٩٦١م أرسل خروشوف رسالة إلى كينيدى جاء فيها إن (أعمال قطاع الطرق هذه لايمكنها انقاذ نظامك) .

وفى الوقت ذاته وفى رسالته تلك يقول :

(نحن نرجو أن نبنى مع الولايات المتحدة علاقة على أساس أن الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة - أكبر قوتين عظميين فى العالم - يجب أن يوقفا صلصلة السيوف ويضعا فى المقدمة صالح قوتهماالعسكرية والاقتصادية)(١).

ويمكن القول بأن هناك مجموعة من الأعمال تحققت فى هذه الفترة كانت بمثابة الارهاصات والمقدمات للوفاق فى الفترة اللاحقة ومن بينها :

<u>أولا</u> : (تم توقيع كل من الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفييتى وبريطانيا العظمى فى موسكو بتاريخ ٥ آب عام ١٩٦٣م على معاهدة تمنع التجارب النووية فى الفضاء الخارجى ، أو بواسطة الغواصات تحت الماء ، وبقيت التجارب تحت الأرض مسموحا بها ، نظرا لقلة الوسائل التى تسمح بالكشف عن خرق محتمل لتلك المعاهدة ، فى هذه النقطة ، من أجل الالتزام بها ، وقد انضمت مائة من مجموع (١٠٢) بلدا للمعاهدة . ورفضت فرنسا والصين الشعبية ، التوقيع على نص المعاهدة)(٢).

<u>ثانيا</u> : نجاح بعض الأعمال التى تمت بين الطرفين ومن ذلك :

(أ) حياد لاوس عام ١٩٦٢م .

(٢) انشاء الخط المباشر مابين موسكو وواشنطن عام ١٩٦٣م .

---

(١) نقلا من كتاب مابعد الحرب الباردة (٥٧) .

(٢) فترة من الإنفراج الدولى (٢٤٦) ، وانظر (٢٤) .

(ج) عقد المعاهدات بين الدولتين[١].

ثالثا : عقد معاهدة بين الدولتين تمتنع الدولتان بموجبها عن وضع أسلحة نووية فى الفضاء وذلك فى الواحد والعشرين من كانون الثانى عام ١٩٦٧م .

وفى نفس العام جرى التوقيع على معاهدة أخرى فى (تلاتيلوكو Tlateloco)[٢] وتنص على جعل أمريكا اللاتينية خالية من الأسلحة النووية ورفضت فرنسا وكوبا المعاهدة ، وتضمن المعاهدة نوعين من الالتزام :

(أ) على القوى المالكة للأسلحة النووية عدم تزويد من لايملكها .

(ب) القوى التى لاتملك هذه الأسلحة لاتسعى للحصول عليها[٣].

رابعا : أن عملية الحد من الأسلحة الاستراتيجية قد بدأ التفكير فيها والدعوة إليها من كانون الأول/ يناير ١٩٦٧م خلال رئاسة جونسون الذى كتب (لرئيس الوزراء السوفييتى كوسيجين يقترح اجراء لقاء ثنائى لمناقشة مسألة الحد من أسلحة الهجوم الاستراتيجية وأنظمة الدفاع .

وفى ٢ آذار/مارس أعلن جونسون أن كوسيجين قد أجاب على خطابه ووافق على عقد محادثات أمريكية سوفيتية لتحديد (طرق الحد من سباق التسليح بالنسبة للصواريخ الهجومية والدفاعية النووية) . وبعد بدايات صورية عديدة أشار وزير الخارجية السوفييتى جروميكو فى حزيران/يونيو ١٩٦٨م عن رغبة السوفييت فى بدء المفاوضات . ففى خطاب له أمام جمع من كبار السوفييت قال جروميكو :

واحدة من المسائل غير المطروقة فى موضوع نزع السلاح هى البحث عن فهم موحد لحدود متبادلة وخطوات تخفيض حجم العبوات الاستراتيجية لنقل الأسلحة النووية ـ هجومية ودفاعية ـ بما فى ذلك مضادات الصواريخ

---

(١) انظر مابعد الحرب الباردة (٦١-٦٢) .
وانظر فترة من الإنفراج الدولى (٧) .

(٢) أحد أحياء مدينة مكسيكو حيث توجد وزارة الخارجية .

(٣) انظر فترة من الإنفراج الدولى (٢٤٧-٢٤٨) .

والحكومة السوفيتية مستعدة لتبادل وجهات النظر حول هذا الموضوع)[١].

ورغم أن السوفييت قد قاموا بغزو تشيكوسلوفاكيا (فقد اقترح جونسون على موسكو عقد مؤتمر فى كانون الأول عام ١٩٦٨م فى جنيف لهذا الغرض . ولكن السوفييت فضلوا التعامل مع الإدارة الجديدة . ولم تبدأ بالمفاوضات التى أطلق عليها فيما بعد اسم "SALT أى محادثات الحد من انتشار الأسلحة الاستراتيجية" إلا بعد شهر تشرين الثانى عام ١٩٦٩م فى هلسنكى)[٢].

خامسا : ظهور بوادر تدل على أن الطرفين بدأ فى القبول بوضع المانيا منفصلة تلك المشكلة التى عانت أوروبا منها فترة طويلة ، فالمانيا ترغب فى الوحدة وخاصة من جانب بون إلا أن الدولتين الكبريين ولرغبتهما فى تخفيف حدة التوتر فيهما بدأ القبول الفعلى بوضعها على التقسيم إلى المانيا الشرقية والمانيا الغربية ، ورفض جونسون أن يكون توحيد المانيا شرطا للوفاق بل يكون نتيجة له فقال فى ٧ تشرين الأول سنة ١٩٦٦م (إن إعادة توحيد المانيا وأوروبا يجب أن تكون نتيجة للوفاق بين الشرق والغرب وليس شرطا مسبقا لذلك الوفاق)[٣].

(وقد أثار خطاب جونسون فى بون المخاوف الموجودة دائما وإن كانت نائمة فى العادة ـ من أن الولايات المتحدة قد تقع تحت إغراء عقد صفقة مع الاتحاد السوفييتى من وراء ظهر المانيا الغربية وربما على حسابها . وكان لهذا الخوف مايبرره إلى حد ما لأن أى تخفيف متبادل لحدة التوتر بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى قد يتضمن مزيدا من الاعتراف ـ وإن كان ضمنيا ـ بالوضع الراهن)[٤].

(١) مابعد الحرب الباردة (٦٢) .
وانظر فترة من الإنفراج الدولى (٢٤٩) .
(٢) فترة من الإنفراج الدولى (٢٤٩) .
(٣) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٢٠٢) .
(٤) المرجع السابق (٢٠٢) .

وزاد الأمر صعوبة أن (بون) رأت أنها ربما تعيش فى عزلة دبلوماسية بتقارب الولايات المتحدة مع السوفييت خاصة و(أن فرنسا الشريكة الكبرى لألمانيا فى الجماعة الإقتصادية الأوروبية كانت منهمكة فى البحث عن تفاهم أوثق مع الاتحاد السوفييتى . إذن كان هناك إمكانية سنة ١٩٦٧م لأن تجد ألمانيا الغربية نفسها معزولة دبلوماسيا نتيجة وفاق يحدث بين حليفيها الكبيرين إذا لم تحاول تحسين علاقاتها مع أوروبا الشرقية)(١).

سادسا : قام الاتحاد السوفييتى بتحسين علاقاته مع بعض دول أوروبا الغربية وقام بعقد عدة اتفاقيات إقتصادية معها فـ(إضافة إلى المفاوضات مع الولايات المتحدة حول القضايا النووية فقد أبرم إتفاقا تجاريا كبيرا مع ايطاليا . ووقع عقد بين الاتحاد السوفييتى وشركة اينى الايطالية لبناء خط أنابيب بين أوكرانيا وتريستا لنقل الغاز الطبيعى السوفييتى لايطاليا لمدة ٢٥ عاما مقابل تكاليف مقدارها ٤١٣ مليون دولار . كذلك فقد أوصى الاتحاد السوفييتى على صناعة سفن فى عدد من أحواض السفن الأوربية الغربية)(٢).

سابعا : تراجع المانيا الغربية فى سياستها ، ومحاولاتها التفاوض مع الاتحاد السوفييتى .

يقول كولن وبيتر : (وفى شباط سنة ١٩٦٨م افتتحت المانيا الغربية مركزا لبعثة تجارية فى تشيكوسلوفاكيا . وفى ذات الشهر بعثت بمذكرة إلى الاتحاد السوفييتى عبرت فيها بون عن رغبة فى تحسين العلاقات بين شطرى المانيا ...

وفى أيلول سنة ١٩٦٨م ، رفعت بون الحظر عن الحزب الشيوعى الألمانى الذى كان ممنوعا قانونا منذ سنة ١٩٥٥م .

وفى أثناء سنة ١٩٦٨م سمحت حكومة المانيا الشرقية لمزيد من المواطنين الألمان الشرقيين بزيارة المانيا الغربية ـ وكان عددهم يقارب ١,٥

(١) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٢٠٢-٢٠٣) .
(٢) المرجع السابق (٢٠٤-٢٠٥) .

مليونا وكلهم تقريبا من المتقاعدين كبار السن ـ كما سمحت للألمان الغربيين بزيارة المانيا الديمقراطية بأعداد أكبر من السنوات الماضية .

وفى كانون ١٩٦٩م استأنفت موسكو وبون مفاوضاتهما الثنائية)[١].

كما وافقت المانيا فى ٢٨ تشرين الثانى ١٩٦٩م على توقيع معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية وجاء التوقيع دليلا على جدية بون فى دبلوماسيتها وأن نواياها كانت سليمة .

وفى أوائل عام ١٩٦٩م عقد مؤتمر قمة لحلف وارسو فى موسكو لتقرير موقف مشترك نحو سياسة بون الشرقية . وكان هدف قائد المانيا الشرقية (البرخت) الحصول على اعتراف دبلوماسى بالمانيا الشرقية قبل أن يكون هناك وفاق حقيقى . ورغم التنديد من قبله بالمانيا الغربية فيما بعد حيث وصفها بأنها (دولة رأسمالية من دول حلف الأطلسى ذات سيادة محدودة) .

إلا أنه أبدى تنازلا حيث أكد أن بلاده مستعدة للتفاوض مع بون . وقامت المانيا الشرقية بوضع الحواجز فى الطرق المؤدية إلى المانيا الغربية ولعلهم كانوا يريدون القول بأنهم لايرغبون فى التفاوض لأنهم ضعفاء . إلا أن رئيس الوزراء ولى شتوف وجه فى ١١ شباط الدعوة إلى ويلى براندت للاجتماع به .

وقبل ذلك بيوم واحد قبل السوفييت بالشروع فى محادثات للدول الأربع حول برلين .

وتم الاجتماع التاريخى بين رئيس الحكومتين فى ارفورت بالمانيا الشرقية فى ١٩ آذار . وقد تفاجأ الألمان الغربيين ، وأحرج الشرقيين حيث قامت الجماهير الغفيرة من الألمان الشرقيين تحي براندت بالهتاف والحماس وتخطت حواجز الشرطة بالقوة تحييه[٢]ولم يتمخض هذا الاجتماع عن شيء

(١) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٢٠٥-٢٠٦) .

(٢) لقد كانت شعوب دول المنظومة الإشتراكية تعانى من الاضطهاد وكبت الحريات ، وعزلها عن العالم الخارجى إلا أنها بدأت ترفض الخنوع والذل الذى فرضته عليها الأفكار الشيوعية مما أدى إلى الخروج عليها فى جميع دول أوروبا وخاصة بعد الإنفتاح على الدول الغربية .

سوى الاتفاق على عقد اجتماع بالمانيا الغربية فى ٢١ أيار ، وكانت أهمية الإجتماعات تكمن فى مجرد حدوثها فقد دلت على استعداد المانيا الشرقية للحديث ، وإن كان الإعتقاد السائد فى الغرب أن ذلك كان نتيجة لضغط السوفييت[١].

وقد أدت هذه السياسة إلى آثار حسنة لدى موسكو مما كان له أكبر الأثر فى الاستمرار فى طريق الوفاق .

ثامنا : مما ساعد على هذا التقارب رغبة نيكسون فى مواصلة التفاهم مع السوفييت والعمل معهم على التفاوض السلمى ، وقال بمناسبة تسلمه مهامه بتاريخ ٢٠ كانون الثانى ١٩٦٩م : (إننا سننتقل من عصر المجابهة إلى عصر المفاوضات)[٢].

إن هذه المفاوضات والمعاهدات قد أدت نتائجها فيما بعد حتى قال ريشيلو : (نتفاوض دون توقف سرا وعلانية فى كل مكان ، دون أن نتلقى ثمارا فى الوقت الحاضر ، ويمكننا توقعها فى المستقبل ، وتلك مسألة ضرورية وهامة لمصلحة الدول)[٣].

تاسعا : وقعت المانيا الاتحادية فى ١٢ آب سنة ١٩٧٠م مع الاتحاد السوفييتى فى موسكو معاهدة عدم اعتداء وقد سر بريجنيف بهذه المعاهدة لكونها فتحت مسالك جديدة للتجارة مع الغرب وحلت بعض مشكلات السياسة الخارجية للكرملين فى أوروبا .

وبالنسبة لألمانيا الاتحادية كانت المعاهدة بمثابة إذن بموافقة السوفييت على السياسة الشرقية[٤](أى ماحدث بين المانيا الغربية والشرقية من تقارب ولقاءات) .

---

(١) انظر من الحرب الباردة حتى الوفاق (٢٠٦-٢٠٨) .

(٢) نقلا من كتاب فترة من الإنفراج الدولى (٢٤٥) ، وانظر مابعد الحرب الباردة (٦٥) وذكر أن السوفييت بادلوه الرد بحماس .

(٣) فترة من الإنفراج الدولى (٢٤٥) .

(٤) انظر من الحرب الباردة حتى الوفاق (٢٠٨) .

عاشرا : كان من أهم الاتفاقات وأكثرها أهمية توصل الدول الأربع إلى اتفاق بشأن برلين وذلك فى ٣ أيلول ١٩٧١م (والذى اعترف فيه بالحقوق والمسؤوليات الفردية والمشتركة لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى وبريطانيا وفرنسا دون أن يجرى أى تغيير فى هذه الحقوق والمسؤوليات . وتقرر بقاء الروابط بين برلين الغربية والجمهورية الاتحادية كما أعطى أهل برلين الغربية مزيدا من حرية الوصول إلى برلين الشرقية وإلى المانيا الديمقراطية ... وقد ضحى الاتحاد السوفييتى بما اعتبره الألمان الشرقيون إحدى مصالحهم الأساسية وذلك من أجل المصالح الوطنية السوفيتية الخاصة)[١].

الحادى عشر : القيام بتخفيض عدد الجيوش والصواريخ التى تملكها كل دولة وتنشرها فى أوربا حيث عمل خروشوف على إنقاص الجيوش والتخفيض من الإنفاق على الدفاع وشئونه ، وكذا كان حال الولايات المتحدة ، وقد وجد توجه كبير فى الرأى العام للكونجرس يحبذ سحب القوات الأمريكية من أوروبا وكان كل جانب يطالب التساوى فى هذا التخفيض ، وفى أثناء المطالبة بالتخفيض من الجانبين قام المستشار براندت فى أواسط أيلول سنة ١٩٧١م بزيارة للقرم وأجرى محادثات مع الرئيس بريجينيف ومما جاء فيها بشأن التخفيض المتوازن بين الجانبين للسلاح والرجال الآتى :

(أ) (يجب أن تتوافق التخفيضات فى القوات مع المصالح الأمنية الحيوية للتحالف ، ويجب أن لاتسبب أية أوضاع عسكرية غير ملائمة لأى من الجانبين مع الأخذ فى الحسبان الفروق الناشئة عن الاعتبارات الجغرافية والاعتبارات العسكرية الأخرى .

(ب) يجب أن تتم التخفيضات على أساس متبادل وأن تجرى على مراحل وبصورة متوازنة من حيث مجالها وتوقيتها .

(ج) يجب أن تحوى التخفيضات القوات المتمركزة وقوات البلاد المحلية (الوطنية) وأنظمة أسلحتها فى المنطقة المعنية .

---

(١) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٢١٠) ، وانظر مابعد الحرب الباردة (٦٤) .

(د) يجب اجراء تدقيق ومراقبة كافيين لضمان مراعاة الاتفاقيات حول التخفيضات المتبادلة والمتوازنة للقوات)[١].

ودخلت هذه المعاهدات حيز الجدية حينما وقع نيكسون فى ٢٦ أيار عام ١٩٧٢م مع بريجنيف معاهدة فى موسكو حول :

("تحديد منظومات الصواريخ البالستية المضادة"

La Limitation des Systemes de Missiles antibalistigues

"واتفاقية مؤقتة بخصوص" بعض الاجراءات الخاصة بتحديد الأسلحة الاستراتيجية الهجومية" فى وقت واحد)[٢].

(لقد كانت المرة الأولى التى يوقع فيها الأمين العام للحزب الشيوعى السوفييتى ورئيس الولايات المتحدة شخصيا معاهدة ثنائية . كذلك كانت المرة الأولى التى يتم بها التوصل إلى اتفاقات حقيقية حول تحديد الأسلحة النووية .

وليست هذه الاتفاقات وحدها التى وجدت فقط ، فقد أدلى كل من نيكسون وبرجينيف فى ٢٩ أيار ، فى موسكو بتصريح حول (المبادىء الاساسية للعلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى) وأعلنا عن قناعتهما المشتركة أنه (فى العصر النووى) مامن حل سوى إقامة علاقتهما المشتركة على أساس التعايش السلمى . وأكدا أنهما يقدران (الأهمية الرئيسية لتدارك رد الفعل لأوضاع قابلة لتعريض علاقتهما للخطر) ، وقد اعترف الطرفان أن كل جهد يبذل من قبل أحدهما من وجهات النظر بينهما وعن اتفاقهما ، وتعاونهما ، فى جميع المجالات)[٣].

---

(١) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٢١٢-٢١٣) .
وانظر فترة من الإنفراج الدولى (٢٥١) ومابعدها ، وقال : (يجب القول أن روح المسالمة فى تلك الفترة كانت مسيطرة على الكونجرس والرأى العام) .
وانظر : القوى العظمى (٣٢) ، ميخائيل جورباتشوف سيرة ذاتية مفصلة (٣٨٠) .

(٢) فترة من الإنفراج الدولى (٢٥٢) .

(٣) المرجع السابق (٢٥٤) ، وانظر من الحرب الباردة حتى الوفاق (٢١٣) .

ولايفوتنا هنا التنبيه على زيارة نيكسون للصين عام ١٩٧٢م وذلك قبل توقيع المعاهدة مع الاتحاد السوفييتى وحققت هذه الزيارة آثارا كبيرة على مستوى التقارب بين الدولتين (الاتحاد السوفييتى - وأمريكا) ويحدثنا عن هذه الزيارة وبعض آثارها الداخلية والخارجية بالنسبة للولايات المتحدة ألان وكوماجر فيقولان :

(فى زمن الحرب الباردة شجب نيكسون كل مساوىء الشيوعية ، ومع ذلك نادى بتجميد العداء مع الصين والاعتراف بنظام شيانج كاى - شيك فى تايوان وتأييده ، وحث الأمم المتحدة للاعتراف بتايوان على أساس أنها أرض الصين الأصلية . وقد بدت هذه السياسة غير قابلة للتنفيذ .. لكن اتباعا لما شاع فى ذلك الوقت حين تهادن دى فاليرا مع بريطانيا ، وأنهى أيزنهاور حرب كوريا ، وانسحب ديجول من الجزائر ، فقد قرر نيكسون التخلص عن تأييده لتايوان وبدأ سياسة التقارب مع الصين . ونحن لانعلم بالضبط إلى أى مدى اعتمد نيكسون على مستشاره الذكى الداهية المثابر هنرى كيسنجر فيما يتلعق بتغيير سياسته . عرف عن كيسنجر اتباعه لسياسة الوفاق معتمدا على وضوح الرؤية أمامه وقوة علاقاته . فقد عرف بدءا أنه لايمكن بالطبع زحزحة الصين وروسيا عن الخط الشيوعى ، ومن ثم فقد حان الوقت لتدرك الولايات المتحدة هذه الحقائق وتسعى إلى تسويات تحقق لها التوازن الكلاسيكى لتتبوأ مكانة أفضل . وقد أعلن نيكسون فى خطابه للعالم فى ٢٥ فبراير ١٩٧٣م أن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت مهيأة الآن لكى تقوم جمهورية الصين الشعبية بدور بناء فى المجتمع الإنسانى . بعدها تلاحقت الأحداث بسرعة . فقد أوقفت الولايات المتحدة أعمالها التخريبية فى مضيق فورموزا ، وطار كيسنجر سرا إلى بكين لتحديد موعد ، ثم يعلن الرئيس أنه سيزور الصين قبل مايو ١٩٧٢م . وفى نوفمبر ١٩٧٢م وبعد أن أصبح جليا أن هناك أغلبية داخل الأمم المتحدة تسعى لعزل وفد تايوان وتحويل مقعدها إلى بكين ، أظهرت الولايات المتحدة مقاومة مظهرية لهذا الاتجاه وإن كانت فى حقيقة الأمر قد قبلت هذه الحقيقة المؤلمة .

كان لهذا الإنقلاب فى سياسة نيكسون جوانبه المثيرة أيضا . فقد أنهكت سياسة الدعم المستمر لنظام ثيو الفاسد قوى الحزب الجمهورى ومن ثم فإن رحلة سلام إلى بكين ستكون مفيدة جدا لإصلاح الأوضاع فى الداخل . هذه الرحلة كانت مجرد جزء من مخططات كيسنجر العالمية . فكان يسعى إلى تخفيف حدةالتوتر مع روسيا لإنعاش التبادل التجارى مع هذه الدول التى تنمو بسرعة ، مع تخفيف حدة سباق التسليح النووى . وفى سعيه من أجل تحقيق أهداف دولية عامة لإيجاد نوع من الاستقرار الدولى استطاع كيسنجر إقناع الرئيس بأنه يمكن تخفيف حدة التوتر مع الصين وروسيا بإظهار العطف عليهما بالتلويح بالإغراءات التجارية ، ثم التخلص من حصار هايفونج والقصف العنيف لهانوى ومحاولات سحق الخصوم فى آسيا .

وإلى جانب جدية المناورة التى تحققت لأمريكا . فإن هذا الإنقلاب فى السياسة كانت له مزايا أخرى .. فقد ساعد إلى حد كبير فى تخفيف حدة التوتر الدولى ، وتم التفاوض بين روسيا والولايات المتحدة بشأن التوسع فى تجارة القمح ، وضمنت كل منهما للأخرى حق عدم الاعتداء النووى طبقا لاتفاقية سولت المجددة . وتدفق رجال الأعمال الأمريكيون على موسكو بحثا عن مزيد من اتفاقيات الأعمال . أما الصين ، التى كانت يوما، جزءا من المخطط الشيوعى الشيطانى ، أصبحت الآن ينظر إليها كدولة صالحة لما تحققه من إنجازات إجتماعية وإقتصادية)[١].

---

(١) موجز تاريخ الولايات المتحدة (٦٥٦-٦٥٧) ، وانظر (٦٩٧) ومابعدها .
وقال : (ساعدت هذه السياسة تجاه الصين فى رأب الجراح المتقيحة وبالتالى ساهمت فى احتمال انحسار التدخل الصينى فى شؤون كوريا ، كما ساعدت فى زيادة معدلات تصدير الحبوب والميكنة والتكنولوجيا بما يوحى بزيادة معدلات بيعها إلى السوق العالمى . لكنها فى نفس الوقت أنهت حدة توتر العلاقات مع الاتحاد السوفييتى وقضت على خطر أن تلعب الحكومة الأمريكية بورقة الصين) . (ص ٦٩٧) .

ومن هنا يمكن اعتبار عام ١٩٧٢م الانطلاقة الحقيقية الواضحة للوفاق ، ولاينفي ذلك ماذكرناه من تقارب واتفاق منذ بداية الستينات حيث كانت الارهاصات لما سيعقبها من معاهدات واتفاقيات أخرى . لقد كان لزيارة بكين من قبل رئيس الولايات المتحدة ، وكذا الذهاب إلى موسكو لتوقيع معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية أكبر الأثر فى اعلان سياسة الوفاق يقول دانييل :

(شكلت زيارة الرئيس الأمريكى لبكين عام ١٩٧٢م حدثا دبلوماسيا رئيسيا فى شرق آسيا ، ولم يماثل هذا الحدث فى أهميته أى شىء حتى الرحيل الأمريكى عن فيتنام أدى اهتمام الاتحاد السوفييتى بالعلاقات الصينية ـ الأمريكية إلى توقيع القادة الشيوعيين لمعاهدات جديدة مع الغرب (بما فى ذلك معاهدة برلين ومعاهدة الحد من الأسلحة النووية) وفتحت بذلك فترة جديدة من العلاقات الأمريكية ـ السوفيتية أطلق عليها (الوفاق) رغم أن التنافس بين الطرفين استمر ، إلا أنهما استطاعتا فى غضون بضع سنوات من تحسين علاقاتهما لدرجة أنه أصبح بالإمكان القول بأن فترة الحرب الباردة قد انتهت)(١).

ويقول مكنمارا : (مأأن هل عقد السبعينات حتى دخله السوفييت وهم شركاء متعاونون مع الولايات المتحدة وأوروبا الغربية فيما اصطلح على تسميته فورا بالوفاق Detente)(٢).

وبعد هذا العرض نصل إلى التالى :

أولا : أن هذه الفترة التى بدأ فيها الوفاق يظهر على الساحة لم تخل من المجابهة بين الطرفين حيث بقيت مسألة التسابق فى التسلح قائمة رغم المعاهدات كما بقيت الخلافات قائمة على بعض القضايا وخاصة حول بلدان العالم الثالث .

---

(١) العالم فى القرن العشرين (٤٦٤) .
(٢) مابعد الحرب الباردة (٦٤) .

ثانيا : أن هذا الوفاق وخاصة فى بدايته وكما لاحظنا من خلال عرضنا السابق كان منصبا على الساحة الأوربية ، ومسألة الأسلحة التى يمتلكها كل من الطرفين وكانت مسألة المانيا من أهم القضايا التى حقق التفاهم عليها تقدما فى التقارب بين الدولتين ، ولولا الاتفاق بشأنها لما جرت الاتفاقيات الأخرى من بعدها(١).

ثالثا : من المسلم به أن هذه الاتفاقيات والمعاهدات كان لها أثر كبير على الأحداث اللاحقة والتقارب الأكثر بين الدولتين والذى كانت تطمح كل واحدة منهما فى تحقيق أهدافهما من ورائه وهذا يوصلنا للحديث عن أهداف الوفاق ونتائجه .

---

(١) انظر من الحرب الباردة حتى الوفاق (٢٠١) .

المبحث الثانى
أهدافه ونتائجه

لاشك أن هناك أهدافا عديدة كانت ترغب كل دولة فى تحقيقها ودون شك أن هذه الأهداف مرتبطة هنا بالدوافع التى جعلت الطرفين يوافقان على التقارب فيما بينهما . وفى اعتقادنا أن أهم هذه الدوافع هى :

أولا : وجود القوة النووية عند الدولتين حيث أصبحت كل دولة تنظر إلى الأخرى على أنها أقوى منها ، وأخذت تسابقها فى التسلح وبعد الاقتناع من الطرفين بفساد هذه السياسة اتجها إلى سياسة المهادنة والمصالحة ، حيث يرى الإشتراكيون أن قوة فكرهم وكذلك وجود التناسب بين القوى فى النظامين العالميين كان لصالح الإشتراكية ، وفى هذه الظروف لم يعد البرجوازيون يؤملون فى حل الخلاف التاريخى مع الإشتراكية بقوة السلاح[(١)].

ولأجل امتلاك هذه القوة الهائلة من الأسلحة المدمرة التى قد تحكم على الطرفين بالهلاك كان لابد من تخفيف حدة التوتر والتقارب ومحاولة

---

(١) انظر المعجم (٨٠) ، وانظر فترة من الإنفراج الدولى (٢٥٤) ، وانظر القوى العظمى (٣٧) وفيه :

(إن علاقات كل من الدولتين العظميين تجاه بعضهما البعض وتجاه بقية العالم ، كانت قد أخذت أشكالا وطفرات واسعة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وليومنا هذا . والتقارب أو التفاهم بين العملاقين ماهو إلا نتيجة طبيعية لعلاقة قوتين منفردتين ومتساويتين إلى حد ما . وأن كلا منهما يمتلك صفات متشابهة بعض الشىء لكونهما دولتين من طراز واحد . فقد أصبح مايجمع بين هاتين الدولتين هو أكثر بكثير مما يفرق بينهما ، وكما وصفها سترلينج Sterling بالقول ، يمكن لهما أن يكونا قوتين ومطمئنتين بدون الحاجة إلى الحصول على القوة الكاملة والمطلقة ، وأن كلا منهما يمتلك المقدرة غير المحدودة . وبما أن كلا منهما لايمكنه انهاء الطرف المقابل وكل منهما يمتلك الضمانات التى تؤكد عدم احتلاله من قبل الطرف الآخر . فإن هذا التوازن قادهم لإمداد سياساتهم بقبول بعضهم البعض وأيضا أطلق أيديهم إلى التحرك بعلاقات مقبولة فيما بينهم ، ومع القوى الأصغر فى السياسة الدولية) .

التنازل وجاءت الدعوات الكثيرة التى تطالب بالحد من سباق التسلح ، وعقدت كثير من المفاوضات بهذا الشأن حظر فيها استخدام الأسلحة الكيمائية والجرثومية .

وجماع القول أنه بعد أن أدرك الطرفان خطورة الحرب النووية وآثارها المدمرة بدأ كل منهما فى التفكير الجاد فى التوصل إلى الإتفاق بشأنها.

ثانيا : الفشل الذريع الذى منيت به الشيوعية من الداخل فأصبح القادة يفكرون فى تحجيم الخطر الخارجى ، وذلك بالتقارب معه ومحاولة أن يكون جانبه مأمونا خاصة وأن العداء معه قد كلف الاتحاد السوفييتى الإنهيار التام فى إقتصاده حيث وجه ستالين موارد البلاد للتصنيع الحربى من أجل مقاومة الرأسمالية الغربية .

وهذا لايعنى أن الولايات المتحدة كانت بمنأى عن هذه الأوضاع بل اشتركت مع الاتحاد السوفيتى فيها . يقول أندريه فونتين :

(ولعبت الأوضاع الاقتصادية دورا بارزا كمساعد على الإنفراج . فبعد ٤٧ سنة من ثورة أكتوبر بقى الإنتاج الزراعى فى الاتحاد السوفييتى ضعيفا نتيجة عدة عوامل منها طبيعية وفنية ، فلم تنجح إلى المستوى المطلوب عمليات استصلاح الأراضى فى كازاخستان ، لتكون مع أوكرانيا أضخم مخازن الحبوب فى العالم . ولم يلتفت خروتشوف لنصائح المهندسين الزراعيين السوفييت ، الذين قاموا بدراسة الآفات التى أصابت الزراعة الأمريكية لاتباعها نظام عمليات الزراعة الخفيفة ، وبهذا وجد الاتحاد السوفييتى نفسه مضطرا لشراء الحبوب من البلدان الأجنبية ، أمريكا وكندا ، واللجوء إلى الزراعة الكثيفة ومضاعفة إنتاجه من الأسمدة الكيماوية بمعدل ثمانية أضعاف ولتطبيق هذا البرنامج ألغى الاتحاد السوفييتى أبحاثا عديدة فى مجال الفضاء ، ونفقات التسلح ، وحذت أميركا حذو الاتحاد السوفييتى فأعلنت من جانبها عدة إجراءات إقتصادية بتخفيض الإنفاق العسكرى ، وإغلاق بعض معامل

إغناء الأورانيوم ...)[١].

ثالثا : اتفاق مصالح القوتين فى بعض الجوانب على الساحة الدولية مما جعلهما يفكران جديا فى التقارب والتعايش والوفاق من أجل مواجهة الأحداث العالمية ، وقد أعلن آرباتوف[٢]فيما بعد ذلك الأمر صراحة فقال : (نريد أن نرى فى الولايات المتحدة الأميركية شريكا ، على الرغم من كل الاختلافات القائمة بيننا ، ورغم كل ماينفرنا (كذا) فى هذا البلد وهذا المجتمع ، لسنا بحاجة على الإطلاق لولايات متحدة أميركية عدوة (...) ولاإلى أن نسجل نقاطا فى الصراع الدعاوى ، ولاإلى أن نهزم الطرف الآخر فى ساحة المعركة ، بل إننا بحاجة إلى أن نحل ، بالتعاون معه ، القضايا التى وضعها التاريخ على جدول أعمالنا . على هذه الشاكلة ننظر للوضع فى موسكو)[٣].

وبالفعل تم الإتفاق بينهما على عدد من القضايا القائمة على الساحة الدولية حينذاك[٤].

رابعا : تنامى الصحوة الإسلامية وانتشارها ، وخوف الغرب والشرق معا من الأصولية الإسلامية كما زعموا . فكان لابد من توحيد الجهود من أجل مقاومتها ومحاولة القضاء عليها . وقد اهتموا بدراسة هذه الصحوة ، وآثارها وتوجهها وكل ذلك من أجل القضاء عليها أو التقليل من آثارها ، ولاأدل على أن هذه الصحوة قد جذبت القطبين بعضهما إلى بعض مما جاء ، عن نيكسون فى كتابه (الفرصة السانحة) الذى رأى أن الخطر الحقيقى ليس فى الشيوعية بل فى الإسلام[٥].

---

(١) فترة من الإنفراج الدولى (٢٥) .
(٢) الناطق الرسمى بلسان فريق جورباتشوف .
(٣) الاتحاد السوفييتى فى ظل غورباتشوف (١٩٣) .
(٤) انظر فترة من الإنفراج الدولى (٢٥) .
(٥) سيأتى شىء من أقواله وتقسيمه للعالم الإسلامى عند حديثنا عن الأهداف من الوفاق .

خامسا : رغبة اليهود فى وجود قوة واحدة تسيطر على العالم ، وتتحكم فى ثرواته ومقدراته ، بعد أن أدت الشيوعية الغرض المطلوب منها فى خدمة اليهود . فأرادوا التمهيد لإسقاط المعسكر الشرقى لينتقلوا إلى الخطوة الأخرى فى جعل العالم كله يدور فى فلك الولايات المتحدة الأمريكية اليهودية .

وبعد ذكر أهم الأسباب الدافعة لهذا الوفاق نأتى لنتبين أهم أهدافه .

أهدافه :

لاشك أن الطرفين كانا يهدفان إلى تحقيق عدة مصالح من وراء هذا الوفاق ، يشتركان فى بعضها وينفرد كل منهما بمصلحة وهدف يرمى إلى تحقيقه . ويمكن إبراز أهم الأهداف فى الآتى :

أولا : التخفيف من حدة التوتر فى سباق التسلح بين الدولتين والذى كلفهما موارد إقتصادية هائلة . وبالفعل كانت المعاهدات التى وقعت بين الطرفين كثيرة ومتنوعة بشأن الحد من انتشار الأسلحة . بل لانبالغ لو قلنا أن الوفاق أول ماينصب على مسألة التسلح والحد من انتشاره(١). ولاشك أن هذا يعتبر ضربا للأيديولوجية الشيوعية والتى ترى أنه لابد من الثورة ، ولابد من الصراع ضد الأنظمة الرجعية وعلى رأسها الرأسمالية ، هذا مع التنازلات التى قدمت من قبل السوفييت للغرب عامة وللولايات المتحدة الزعيمة الأولى للرأسمالية خاصة .

ثانيا : تحقيق مصلحة اليهود على المستوى العالمى من قبل الطرفين كل بطريقته إلى أن يصلوا فى نهاية المطاف إلى السلام الذى كانوا ينشدونه فى أرض فلسطين المسلمة . وإذا كانت ردود الفعل اليهودية فى بداية الأمر معارضة للوفاق الدولى فإنها سرعان ماقتنعت بما جاء عن كيسنجر فى عرضه للمصالح التى سيجنيها اليهود من وراء هذا الوفاق .

---

(١) ذكر كولن وبيتر قسمين للوفاق (العسكرى ، والسياسى) .

فعداء اليهود للسوفييت له أسباب عديدة وأهمها :

(١) تزويد العرب بالسلاح .

(٢) وقوفهم فى بعض القضايا مع العرب فى فلسطين (على الأقل ظاهرا) .

(٣) فرض القيود على الهجرة اليهودية إلى إسرائيل[١].

ولأجل (هذه الأسباب وغيرها ، هاجمت الجالية اليهودية الأمريكية سياسة الوفاق مع الاتحاد السوفييتى . وقد اجتمع هنرى كيسنجر مرات عديدة مع زعماء يهود أمريكا ، واستعرض معهم الأسباب القوية التى أدت إلى سياسة الوفاق .. ولعب كيسنجر دورا كبيرا فى محاولة اقناع هؤلاء الزعماء بأن الوفاق هو فى صالح إسرائيل قبل أن يكون فى صالح الولايات المتحدة الأمريكية!

وتتلخص وجهة نظر دكتور هنرى كيسنجر فى النقاط التالية :

* الاتحاد السوفييتى هو المصدر الوحيد - وقتذاك - لأسلحة القوات المسلحة المصرية . وإسرائيل تحصل على احتياجاتها من الأسلحة من الولايات المتحدة . ومصر فى حاجة إلى المزيد من الأسلحة الحديثة لمواجهة ماحصلت - وماستحصل - عليه إسرائيل . ومعنى عدم حصول مصر على المزيد من الأسلحة السوفيتية ، هو الإبقاء عليها عاجزة عن شن حرب جديدة ضد إسرائيل . وبالتالى يمكن تجميد الموقف فى الشرق الأوسط إلى أجل غير مسمى!

* فى مباحثات القمة بين الرئيس الأمريكى والزعيم السوفييتى ، تم الاتفاق على إتباع سياسة ثنائية تحقق عدم تدخل أية دولة من الدولتين فى أزمة الشرق الأوسط ، تدخلا يساعد على تجدد الاشتباكات العسكرية . أو بمعنى آخر وافق الاتحاد السوفييتى على عدم تزويد مصر بالأسلحة التى تحتاج إليها لشن الحرب الهجومية ضد إسرائيل!

---

(١) انظر الروس قادمون (٢٧١) .

* الاتحاد السوفييتى لايوافق على أن الحل العسكرى هو الحل الطبيعى لحل أزمة الشرق الأوسط . وفى هذا كسب كبير للولايات المتحدة ولإسرائيل فى نفس الوقت . لأن المطلوب هو الإبقاء على الحالة الراهنة بأية وسيلة . وكلما طالت الأزمة بلاحل ، رسخت أقدام الاحتلال الإسرائيلى ، ونسى العالم المشكلة ذاتها!

* لولا سياسة الوفاق بين موسكو وواشنطن ، لما وافقت الحكومة السوفيتية على إلغاء القيود المفروضة على هجرة اليهود السوفييت إلى إسرائيل . لقد بذل كيسنجر - شخصيا - جهودا ضخمة لدى السلطات السوفيتية ، خلال زياراته المتعددة لموسكو ، حتى نجح فى اقناعها بفتح أبواب الهجرة أمام طلابها من اليهود . ليس هذا فقط ، بل إن كيسنجر حصل من القادة السوفييت على موافقتهم بخروج أعداد كبيرة من كبار العلماء اليهود ، الذين كانت موسكو ترفض هجرتهم لشدة احتياجها إلى علمهم وخبراتهم ، وبسبب المناصب الرئيسية والحساسة التى يشغلونها فى المصانع والمعامل والجامعات السوفيتية .

بهذه المبررات استطاع هنرى كيسنجر أن يقنع زعماء يهود الولايات المتحدة - من حيث المبدأ وانتظارا للتنفيذ - بسياسة الوفاق مع الاتحاد السوفييتى .

واتفق زعماء يهود أمريكا على عدم القيام بحملة عنيفة ضد سياسة الوفاق مع الاتحاد السوفييتى انتظارا لما سيحدث مستقبلا بالنسبة لموقف السوفييت من مشكلة الشرق الأوسط ، من جهة ، وموقفها من هجرة اليهود إلى إسرائيل ، من جهة ثانية)[1].

وبالفعل حقق اليهود من وراء الوفاق الشىء الكثير ولو لم يكن إلا هجرة اليهود السوفييت وأكثرهم مفكرون ومخترعون مما سيكون له أثره على الدولة الإسرائيلية اليهودية ونموها الإقتصادى .

---

(١) [illegible]

ثالثا : العمل على التصدى للتيار الإسلامى (الأصولى!) الذى أخذ يهدد الوجود اليهودى والنصرانى حيث أصبح الخطر الأكبر الذى يجب أن تتجه الجهود لمقاومته والعمل على إزالته . وإذا كانت سياسة الوفاق قد برزت فى عهد الرئيس نيكسون فلاغرابة أن يصرح أو يلمح بذلك الخطر فى كتابه (الفرصة السانحة بعد نهاية الحرب الباردة هل الإسلام هو الخطر) .

وهذا هدف يشترك فيه الأعداء مهما كانت انتماءاتهم أو توجهاتهم .

إن ماصرح به نيكسون فى كتابه لهو شديد الصلة بكونه الطرف الذى فجر الوفاق من جانب الولايات المتحدة وننقل بعض ماجاء عنه .

يرى نيكسون أن العالم الإسلامى ينقسم إلى ثلاثة أقسام من حيث الحركات السياسية فيه :

(١) الأصوليون :

ويرى نيكسون أن هؤلاء هم (الذين يحركهم حقدهم الشديد ضد الغرب ، وهم مصممون على استرجاع الحضارة الإسلامية السابقة عن طريق بعث الماضى ، ويهدفون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ، وينادون بأن الإسلام دين ودولة ...) .

(٢) الرجعيون :

ويقول عنهم : (هؤلاء هم الدكتاتوريون الذين يؤمنون بالحزب الواحد ، ويسبغون الشرعية على تصرفاتهم من خلال الأيديولوجية القومية المتعصبة ، وهم يسيطرون على بعض الدول الإسلامية ... وهم معادون للغرب كالأصوليين . وشعار الرجعيين هو محاربة الإمبريالية ، وذلك لكى يكسبوا تأييد الجماهير الشعبية ، وكانت تجمعهم مع الاتحاد السوفييتى الكراهية لأمريكا وحلفائها) .

(٣) التقدميون :

ويقول عنهم : (هذه المجموعة نشاطها محسوس ، ولكن قل أن تشعر بوجودها ، وهى تسعى إلى ربط المسلمين بالعالم المتحضر من الناحية السياسية والإقتصادية ، وتتميز هذه المجموعة بالمرونة ، ولاينعتون الغرب

بأنه (ملحد) ولكن يطلقون عليهم اسم (أهل الكتاب) وبعض الدول التى يسودها التقدميون هى دول ديمقراطية ، كتركيا ، وباكستان ، وبعضها مثل مصر واندونيسيا ، بلاد مفتوحة ولكنها لاتصل فى ديموقراطيتها إلى المستوى الغربى ، وإن كان صندوق الانتخابات هو الطريق للشرعية السياسية فيها ، وهدف الزعماء التقدميين السياسى هو أن تستعين الدولة بأحدث تكنولوجيا غربية ، مع الاحتفاظ بعراقة وأصالة البلاد وتقاليدها الإجتماعية)[١].

وبعد أن حدد هذه الاتجاهات الثلاثة أخذ يبين أيها ينبغى على الولايات المتحدة أن تدعم فقال :

(يجب علينا أن نعاون التقدميين فى العالم العربى ، ففى ذلك مصلحتهم ومصلحتنا ، فهم محتاجون لأن يعطوا أنصارهم بديلا لأيديولوجية الأصوليين المتطرفين ، وانغلاق الرجعيين)[١].

ويقول : (إن مفتاح السياسة الأمريكية يكمن فى التهاون الاستراتيجى مع المسلمين التقدميين فقط ، ويقصر التعاون مع الأصوليين المتطرفين والرجعيين على الناحية التكنيكية فقط ، ولما كنا نشارك التقدميين فى أهدافنا فيجب أن يغطى تعاوننا جميع المجالات الإقتصادية والأمنية ، ونظرا لأننا نختلف مع الأصوليين والرجعيين فى قيمهم فيجب ألا تتعدى روابطنا معهم الاحتياجات العاجلة الوقتية ، علينا أن نعمل معهم ماداموا فى السلطة ، ولكن لاندخل معهم فى مشاركة واسعة المجال ، لاضرورة لأن نفرض عليهم ـ الأصوليين والرجعيين ـ حظرا شاملا للتجارة ، أو غير ذلك من الإجراءات الحادة ، ولكن علينا أن نبتعد عن التبريرات "المائعة" لتصرفاتهم ، أو عدم التدخل فى صراعاتهم مع جيرانهم . يجب ألا نسقطهم من حساباتنا ، ولكن بالقطع لايجب علينا ألا نساهم فى تقدمهم ، وعلينا أن نلتزم بسياسة العين بالعين والسن بالسن فى كل حالة معهم)[٣].

---

(١) الفرصة السانحة (١٤٠) .

(٢) المرجع السابق (١٤١) .

(٣) المرجع السابق (١٤٢)

ثم يبين نيكسون أن هناك من يحذر من تنامى الصحوة وزيادة عدد سكان المسلمين ويطالب هؤلاء بالاتحاد مع السوفييت لمواجهة المد الإسلامى إلا أنه يبين أن المسلمين من الخلاف بحيث لايمكنهم ذلك من فعل أى شىء يذكر(١).

ومع ذلك فهو لايهدف إلى أن الإسلام لاخطر منه ، أو إلى أنه لايجب الوفاق مع الاتحاد السوفييتى فقد ذكر تخوفه من زيادة عدد المسلمين فى الاتحاد السوفييتى ، وذكر أنهم يبلغون ٥٠ مليونا وقال : (وإذا استمر معدل تزايد السكان كما هو ، فسوف يزيد عدد السكان المسلمين فى روسيا على الروس أنفسهم فى القرن القادم)(٢).

وذكر أن الإسلام وقف فى وجه المد الشيوعى وأنه هو الذى منع الشيوعية من التغلغل فى العالم الإسلامى فقال :

(وقف الإسلام بصلابة ضد الشيوعية أقوى مما وقفت المسيحية ضدها وباستثناء اليمن الجنوبية ، سابقا ، فقد كان ترحيب العالم الإسلامى بالسوفييت راجعا إلى رغبتهم فى شراء السلاح منهم ، وليس لحبهم للشيوعية وقد كان للوازع الدينى فى الدول الإسلامية أكبر أثر فى عدم تغلغل السوفييت فى العالم الإسلامى)(٣).

ومن هنا يرى نيكسون توجيه العالم الإسلامى الوجهة الصحيحة ورسم السياسة طويلة المدى التى تؤدى لذلك التوجيه وقال : (وعلى الولايات المتحدة أن تساعده فى ذلك بطريقة بناءة)(٤).

لقد أصبح الغرب والشرق يتخوف من الصحوة الإسلامية ، ويرون امتدادها داخل دولهم ، ومن هنا فلابد من مقاومتها والعمل على منع

---

(١) الفرصة السانحة (١٣٥) .

(٢) المرجع السابق (١٣٦) .

(٣) المرجع السابق (١٣٨) .

(٤) المرجع السابق (١٣٩) .

انتشارها ورواجها[١].

وإذا أردنا معرفة بعضا من الأهداف التى ترغب كل من الدولتين تحقيقها فيمكن ابرازها فى الآتى :

(أ) **الولايات المتحدة الأمريكية :**

أولا : أن من المسلم به أن الولايات المتحدة أرادت تحقيق أهداف عديدة من وراء سياسة الوفاق خاصة إذا وضعنا فى اعتبارنا أن اليهود هم وراء سياستها الداخلية والخارجية . ولاشك أن الشعب الأمريكى قد أعلن تخوفه من هذه السياسة خشية أن ينتشر الفكر الشيوعى والدعاية الشيوعية فى بلادهم وتسيطر الشيوعية بقيادة الإمبراطورية الشريرة على العالم . ولكن هذه المخاوف والاعتراضات التى صدرت لم تكن لتمنع الرئيس نيكسون من المضى فى سياسة الوفاق ، فالولايات المتحدة هدفت إلى تحقيق عدة مطالب سياسية : منها إبعاد موسكو عن التدخل فى فيتنام لتتمكن الولايات المتحدة من تحقيق أهدافها هناك ، جعل الاتحاد السوفييتى يقبل بالسياسة التى تريدها

---

(١) يقول صبحى محمد جبر إن (الأمر الذى لاجدال فيه أن "اليقظة الإسلامية" التى يقف المسلمون على أعتابها اليوم ، والتى شقت طريقها فى قلب وفى عقل كل مسلم بعد سنوات المعاناة التى عاشتها المجتمعات الإسلامية ، حقيقة لاينكرها أحد هذا الواقع يدل على أن الإسلام قوة لاتقهر ، وأن كل المخططات التى وضعت للقضاء عليه قد ذهبت أدراج الرياح وظهر خبثها للعيان ، وقد يظن بعضنا عن حسن نية أن المعركة بين الإسلام وأعدائه قد انتهت بانتصار الإسلام أو توقفت ، كلا . فالحقيقة أن أعداء الإسلام الذين يقول الله عنهم {ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا} ـ سورة البقرة : ٢١٧ ـ لم يكلوا ولن يملوا ، وكلما سقطت لهم راية رفعوا غيرها ، وكلما انكشفت وسيلة استبدلوا بها سواها وكلما خسروا معركة تحرفوا لموقع آخر يقاتلون فيه) .
مجلة الفيصل ، العدد (٩٦/١٩٤) من مقال بعنوان (الصحوة الإسلامية بين مخاوفة الغرب وطموحات الشرق) ، وقد ذكر عداء الغرب للمسلمين ومايبثه المستشرقون من سموم ، وأبان أنه لامجال للخوف من الإسلام لأن البشرية ماعرفت دينا مثله فى تسامحه مع الأعداء بشهادة الأعداء أنفسهم . انظر (١٩٥) .

الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط . السماح لليهود السوفييت بالهجرة إلى إسرائيل . وهذا بدعم من اليهود المسيطرين على سياسة الولايات المتحدة .

وقد (علقت صحيفة واشنطن بوست ـ الواسعة الانتشار والتأثير فى الولايات المتحدة ـ على هذا كله فقالت أن مكاسب أمريكا السياسية والاستراتيجية تفوق بكثير مكاسبها الإقتصادية إذا ماتحققت أهداف هنرى كيسنجر من وراء سياسة الوفاق الأمريكى السوفييتى . فكيسنجر يريد أن يبعد موسكو عن التدخل فى فيتنام . ويريد أن يجمد الموقف السوفييتى فى الشرق الأوسط . ويريد ـ أخيرا ـ أن يفتح أبواب الهجرة إلى إسرائيل أمام آلاف اليهود السوفييت . وهذه المكاسب السياسية كلها مقابل حفنة قليلة من المكاسب الإقتصادية تحصل عليها الحكومةالسوفيتية ..

وبالفعل تحققت أهداف هنرى كيسنجر .

..فقد توقف الدعم السوفييتى عن فيتنام الشمالية! وأصبحت موسكو أقل تأييدا وأكثر اعتدالا تجاه هانوى!

كما أن الاتحاد السوفييتى أعلن ـ صراحة ـ أنه لايحبذ أبدا الحل العسكرى بالنسبة لأزمة الشرق الأوسط! وأكد هذا الرأى بشكل قاطع عندما أوقف إرسال الأسلحة إلى مصر فى وقت ضاقت فيه جميع أبواب الحلول السلمية والسياسية فى وجه أنور السادات ولم يعد أمامه سوى الحل العسكرى وحده!)(١).

ولم يستمع نيكسون للاعتراضات التى واجهته فى سياسة الوفاق ومضى قدما فيها نظرا لما ستحققه للولايات المتحدة من أهداف .

يقول ابراهيم سعدة : (وكل هذه الاعتراضات الأمريكية ، لم ترجع الرئيس الأمريكى السابق نيكسون عن المضى فى تنفيذ سياسة الوفاق مع الاتحاد السوفييتى .فقد آمن بأن الوفاق سيكون فى صالح بلاده ، وفى صالح الدول الحليفة مع الولايات المتحدة ، قبل أن يكون فى صالح الاتحاد

---

(١)

السوفييتى أو فى صالح الدول الصديقة والحليفة للاتحاد السوفييتى!

كما آمن هنرى كيسنجر أن التنازلات التى ستقدمها الولايات المتحدة ، من أجل تحقيق سياسة الوفاق ، أقل بكثير جدا من التنازلات التى سيقدم عليها الاتحاد السوفييتى . فحاجة السوفييت إلى الانفتاح على الغرب ، تفوق حاجة الولايات المتحدة إلى الانفتاح على الشرق!

وصدقت تنبؤات نيكسون وكيسنجر!

وقدمت الحكومة السوفيتية الكثير من التنازلات ، أهمها مايتعلق بموقفها من قضية الشرق الأوسط بصفة عامة ، وموقفها من هجرة اليهود السوفييت إلى إسرائيل ، بصفة خاصة!)[١].

ثانيا : رغبة الولايات المتحدة فى الالتفات إلى بعض القضايا الداخلية التى كانت تهدد الإقتصاد الأمريكى كالتضخم والانفاق على سباق التسلح ، وكذلك الابتعاد عن العداء الأيديولوجى مع الشيوعية ، يقول دانييل :

(فى الولايات المتحدة ، بدأت حكومة نيكسون الجديدة فى عام ١٩٦٦م أكبر عملية فى السياسة السوفيتية منذ بدء الحرب الباردة . ترجع أسباب بعض هذه التغييرات إلى الاعتراف بأن حدوداً خطيرة ظهرت للسيطرة الأمريكية فى العالم والتى سببتها مشاكل سياسية وإقتصادية فى الولايات المتحدة - التضخم وحرب فيتنام - وسبب الاتجاهات الجديدة فى العلاقات الدولية . ظهرت مراكز جديدة للقوة السياسية والإقتصادية بما فى ذلك غرب أوروبا ، اليابان والصين ، إضافة إلى ذلك ، كانت الولايات المتحدة على استعداد للاعتراف بالمصالح السياسية الضرورية للدول الشيوعية والتفاوض معهم على هذا الأساس . وقد جعل هنرى كسينجر (مستشار نيكسون الأمنى ، وفى وقت لاحق سكرتير الدولة) ذلك واضحا عندما ناقش عام ١٩٦٩م بقوله "ليس لدينا أى أعداء دائمين . سوف نقوم بالحكم على الدول الاخرى ، بما

---

(١) الروس قادمون (٢٧٦) .

فيهم الدول الشيوعية ، على أساس أعمالهم وليس على أساس الأيديولوجية المحلية ...)[١].

ثالثا : محاولة الولايات المتحدة الأمريكية استرداد هيبتها ، وتحقيق أكبر قدر من التأثير على الدول التى تتبعها خاصة دول العالم الثالث . فالولايات المتحدة منيت بهزيمة نكراء فى حربها ضد فيتنام وكذلك لم تستطع حسم النزاع فى كوبا لصالحها ، وأحداث الشرق الاوسط مازالت قائمة وعملية السلام فيها شائكة ، ومن هنا رأت أنه لابد من التقارب مع السوفييت ، ومحاولة الضغط عليهم ببعض مالديها من أجل فرض بعض القيود والشروط على السوفييت ليرى الرأى العام أن الولايات المتحدة مازالت هى القوة التى لاتقهر ولأجل ذلك كان القادة الأمريكان يهتمون بإعادة سمعة الولايات المتحدة إلى مكانتها وتحقيق الحياة التى ينشدها المواطن الأمريكى[٢].

لقد كانت مسألة الخروج من مأزق فيتنام من أبرز أهداف الولايات المتحدة من سياسة الوفاق . يقول مكنمارا : (كان هدف الولايات المتحدة الأساسى هو تشجيع السوفييت على دعم - أو على الأقل القبول السلبى - لجهود الولايات المتحدة لتخليص القوات الأمريكية من فيتنام ...) .

ويقول : (الهدف الإضافى الذى فكر نيكسون وكيسنجر فى تحقيقه كان خلق "شبكة علاقات" يمكن أن تكبح من خلالها تصرفات السوفييت ، والتى أشارا لها على أساس أنها تمثل "بنية السلام" . لقد كانا يأملان فى إمكان تكثيف إشراك الاتحاد السوفييتى فى أمور السياسة اليومية وضمه لإقتصاديات عالم حر متنام ، وبذلك سوف تتناقض بجدة دوافعهم لتعطيل آليات النظام العالمى)[٣].

---

(١) العالم فى القرن العشرين (٤٨٩-٤٩٠) .

(٢) انظر فى ذلك بعض الاتجاهات السياسية لبعض رؤساء الولايات المتحدة ، كتاب موجز تاريخ الولايات المتحدة (فورد ٦٨٤-٦٨٥) ، كارتر (٦٨٧) .

(٣) مابعد الحرب الباردة (٦٤-٦٦) .

رابعا : العمل على الوقوف ضد المد الشيوعى سواء الأيديولوجى أو العسكرى ، وهذا يتطلب التقارب مع السوفييت ، وكذلك محاولة مد الجسور مع دول أوروبا الشرقية وجعلها أكثر انفتاحا على الغرب[١].

(ب) الاتحاد السوفييتى والوفاق :

كان الاتحاد السوفييتى يرمى إلى تحقيق عدة أهداف من وراء الوفاق ومن أهمها :

أولا : (الخوف من الحرب النووية الحرارية Ther Mohauclear وتجنب أى حدث يقود إلى صدام ومواجهة مع الولايات المتحدة ، والتى يمكن أن تقود إلى الفناء الدولى)[٢].

ثانيا : الاهتمام بالأحداث الداخلية ، ومحاولة تحقيق النمو الاقتصادى للبلاد والذى كان منهارا ومن هنا كان لابد من تحقيق التقارب مع الولايات المتحدة خاصة وأن الاتحاد السوفييتى يرغب فى تأمين الحبوب التى تصله عن طريق الولايات المتحدة .

وقد قال خروشوف : (إنه عندما توجد كمية كافية من الحبوب فى مخازن بلادك ، عندها يكون بامكانك وبسهولة التكلم مع الأصدقاء والجدال مع الأعداء)[٣].

ثالثا : من المسلم به أن الاتحاد السوفييتى كان متأخرا تكنولوجيا عن الولايات المتحدة بمراحل عديدة فكان لابد من الاستفادة من التكنولوجيا الأمريكية . ويقرر هارى جيلمان أن أحد أهداف السوفييت من الوفاق :

---

(١) انظر القوى العظمى (٣٠-٣١) .

(٢) المرجع السابق (٣٧-٣٨) .
وانظر العالم فى القرن العشرين (٤٨٩) .

(٣) القوى العظمى (٣٧) ، وانظر (٣٨) الفقرة رقم ٤ .
وانظر العالم فى القرن العشرين (٤٨٩) .

(هو الاحتياج الملح للإقتصاد السوفييتى للضخ الغربى فى شرايينه وخصوصا مايخص التكنولوجيا الأمريكية)[١].

رابعا : الحد من التسابق فى التسلح مع الولايات المتحدة من أجل تخفيف الضغوط على الإقتصاد السوفييتى وذلك بـ(وضع ضوابط على التكلفة المتزايدة لسباق التسلح مع الولايات المتحدة)[٢].

أو محاولة (البحث للوصول إلى التساوى العسكرى)[٣]معها .

خامسا : ومن أهم الأهداف التى يرغب الاتحاد السوفيتى فى تحقيقها من وراء الوفاق تخفيف حدة العداء مع الصين وجعلها تسير فى فلكه خاصة وأن الولايات المتحدة أخذت توليها الاهتمام .

فـ(فكروا فى تجنيد تعاون الولايات المتحدة معهم لصالح صراعهم مع الصين)[٤].

سادسا : من الأهداف التى يرغب الاتحاد السوفييتى فى الوصول إليها من وراء سياسة الوفاق أن تكون له فى منطقة الشرق الأوسط مكانة كالتى لأمريكا - ويلزم من ذلك إعادة العلاقة مع إسرائيل - وكذلك إقناع الولايات المتحدة بالتراجع قليلا فى ميلها مع إسرائيل ضد العرب . يقول إبراهيم سعدة :

(احتلت منطقة الشرق الأوسط جانبا كبيرا من مباحثات سياسة الوفاق السوفييتى الأمريكى . فبمقتضى هذا الوفاق ، تحاول كل دولة من الدولتين أن تضع لها سياسة جديدة تثبت بها أقدامها فوق منطقة الشرق الاوسط!

سمعنا الكثير جدا من أسباب ومبررات دفعت الاتحاد السوفييتى إلى مد يده ليصادق ويصافح اليد الأمريكية .

---

(١) مابعد الحرب الباردة (٦٥) .
وانظر : القوى العظمى (٣٨) ، العالم فى القرن العشرين (٤٨٩) .
(٢) مابعد الحرب الباردة (٦٥) ، وانظر العالم فى القرن العشرين (٤٨٩) .
(٣) القوى العظمى (٣٨) .

قالوا إن الأسباب إقتصادية . فالاتحاد السوفييتى يمر بأزمات زراعية ، وصناعية ، وتكنولوجية .

وقالوا إن الأسباب ليست إقتصادية فقط ، وإنما هى سياسية من الدرجة الأولى . فالاتحاد السوفييتى يريد أن يضع نهاية للحرب الباردة التى أرهقت المعسكرين معا : الشيوعى والرأسمالى .

ولكن أغرب تلك الأسباب ، تلك التى ذكرها الكاتب الفرنسى فرانسوا أونتى - فى صحيفة لوموند ديبلوماتيك الشهرية - وكيف أن الاتحاد السوفييتى يريد أن يحقق نجاحا سياسيا عالميا ،بعد سلسلة متصلة من الفشل ، والتراجع ، والانكسارات ، التى ميزت السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتى طوال السنوات الطويلة الماضية!)[١]، وخاصة فى منطقة الشرق الأوسط[٢].

سابعا : يرى بعض أصحاب التوجهات الشيوعية أن هذه السياسة من قبل السوفييت ، إنما هى استراتيجية لإضعاف الولايات المتحدة خاصة والغرب عامة .

يقول ايتو : (إن الاتحاد السوفييتى يطالب بالوفاق ولكن كثيرا من القطاعات ترى أن هذه المطالبة مجرد استراتيجية الهدف منها هو إضعاف الولايات المتحدة وأوروبا الغربية عسكريا ويصر بعض المحللين على أن الاتحاد السوفييتى ماض فى تطوير سلاحه مهما كان الثمن فإذا كانت الحالة هكذا فلابد من الحذر)[٣].

غير أن الواقع يرفض ماذكره ايتو حتى وإن كان القادة السوفييت يرغبون فى ذلك ، إذ أن آثار الوفاق كانت أكبر من التفكير فى الإبقاء على الفكر الإشتراكى .

---

(١) الروس قادمون (٢٧٧) .

(٢) انظر عن ذلك المرجع السابق (٢٧٨) ومابعدها .

(٣) محاضرات فى الندوة الدبلوماسية الثامنة (٢٣٣) .

ومع أن هذه الأهداف منها ماهو مشترك ومنها ماهو خاص إلا أنها ترمى إلى ابعاد الفكر الشيوعى عن الحياة الواقعية ، وكذلك خدمة التوجهات اليهودية . ولايفهم من ذلك أن الوفاق قد قضى نهائيا على الصراع بل أن الصراع والوفاق كانا يسيران مع بعضهما البعض . يقول البزاز :

(ومع ذلك نجد أن سمعة العلاقة الراهنة بينهما ، تتسم بتزاوج الوفاق والصراع فى آن واحد ، وكلاهما يعتبر الصراع هو الأصل والأساس ، وأن الوفاق هو صيغة ما من صيغ خوض الصراع . وبذلك يجب عدم وضع اللوم على أى من الطرفين ، حيث يجب الاعتراف ـ كما يرى البعض ـ بأن ليس الوفاق هو الذى يخلق السلام بل الموازنة النووية هى التى تدفع إلى الوفاق والسلام معا . ورغم غياب الفهم الكامل الأمريكى للنظرية ـ الماركسية ـ اللينينة من تصدير الثورات والأفكار ، إلا أنها أدركت من جانب آخر ، بأن السوفييت ، كلما زاد شأنهم الدولى كلما تخلوا عن مواقفهم الأيديولوجية ، وقد ظهرت هذه الحالة منذ زمن طويل عندما رفض ستالين دعم النظام الشيوعى اليونانى فى حينها . وأدركت الولايات المتحدة بأن بامكانها الحصول على دعم سياسى واقتصادى من خلال الوفاق أكثر مما تحصل عليه عن طريق سياسة الاحتواء Containment)[١].

وبعد عرضنا لأهم الأهداف التى يرغب الطرفان فى تحقيقها من وراء الوفاق يمكن أن نصل إلى الحقائق التالية :

أولا : أن اجتماع أعداء الإسلام تحت لواء واحد إذا كان عدوهم المسلمين حقيقة مسلمة لالبس فيها ولاتقبل الشك أو التردد ذلك أن الله تعالى أخبر عنهم حيث قال تعالى : {**ولن ترضى عنك اليهود ولاالنصارى حتى تتبع ملتهم**}[٢].

---

(١) القوى العظمى (٣٨) .

(٢) سورة البقرة : (١٢٠)

فلاغـــرابة أن تتحـد الـولايات المتحـــدة والاتحاد الســـوفييتى فى حرب المسلمين .

ثانيا : أن التسابق فى التسلح والتوتر الذى وصل إليـه حال الدولتين قد دفعا بهما أيضا إلى التقارب والاتفاق من أجل تخفيـف العبء على إقتصاد بلديهما .

ثالثا : أن تسـارع الأحداث التى تلـت الوفاق ينبىء عـن ترتيب دقيق لهذه المرحلة من التاريخ الإنسانى .

رابعا : لاشـك أن نتائج الوفـاق لم تكن واضحة منذ اللحظـة الأولى ، فقـد تأخرت وظهرت فى فترات لاحقـة عنه وكان الوفـاق المنطلـق لكثير من الأحداث التى وجدت فى السنوات اللاحقة له .

ونعرض الآن لبعض هذه النتائج .

أولا : الاستمـرار فى عقد المعـاهدات والمؤتمرات بين الطـرفين من أجل التخفيف من التسابق العسكرى . ونذكر بعضا من هذه المعـاهدات واللقاءات على أن هـدفنا ليس استعراض أحداثها بقدر مانود أن نبرهـن أن هذا الوفاق ومـن ثم هـذه المعـاهدات التى كـان لـه أكبر الأثر فى وجودهـا قـد أجبرت الســوفييت على التنـازل عن كثير مـن مبـادئهم سواء مـايتعلق بالإقتصـاد أو السياسة ، أو مايعود فى آثاره على سياسة الدولة الداخلية تجاه رعاياها . لقد كانت المعاهدات التى وقعت كثيرة ومتعـددة وكان يطغـى عليهـا محاولة إيجاد اتفــاق حول نزع السلاح ، وترك التســابق فيــه ، والـــدعوة إلى السلم ، والتحـذير من الحرب وبيان أخطارها . وهذه الدعوة إلى السلم ونبـذ السلاح كانت قديمة وربما استطاعت القـوة المنتصرة أن تحد من تسلم الفئـة المغلـوبة ، أو أن تصادر مالديها مـن سلاح[١]. إلا أنها اتخذت فى العصر الحديث طـابعا

---

(١) انظـر عن ذلك : نظرة شاملة على السيـاسة الخارجية الأمـريكية (١٧٥) ومابعدها ، وانظر معاهدة عدم إنتشار الأسلحة النووية الجائز والمستحيـل (٢١) ومابعدها ، د. عبد الرحمن مليبارى ، ١٤١٤هـ ، بدون ذكر لرقم الطبعة ، مطبعـة سفير ، الرياض.

آخر من حيث التنظيم وخضوعها لاعتبارات أخرى حيث إن دول السيادة قد امتلكت السلاح الذى يمكنها من تدمير عدوها ، وأصبحت القوى العسكرية إن لم تكن متساوية بينها فهى جد متقاربة فكان لابد والحال هذه أن تولى قضية السلاح الاهتمام من تلك الأطراف وخاصة الدولتين الكبريين اللتين تستطيعان تدمير العالم بل إن إحداهما تستطيع ذلك ، وبعد أن رأوا خطورة تلك الأسلحة واهدار موارد البلاد فى سبيلها اتجها إلى التفاوض بشأنها ، وعلى وجه الخصوص بعد أن دخلا مرحلة الوفاق .

وقد كانت معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية فى موسكو بداية فعلية للوفاق بين القوتين العظميين . يقول مكنمارا :

(بالرغم من اختلاف المدخل الفكرى السوفييتى والأمريكى لمسببات الوفاق وأهدافه ، إلا أن القوتين العظميين استطاعتا تحقيق إنجازات عديدة من خلال الالتزام الضيق بالوفاق .

أكثر هذه الإنجازات أهمية خصوصا على المدى البعيد كان توقيع اتفاقية الحد من إنتاج الصواريخ المضادة للصواريخ ABM فى اجتماع قمة أيار/ مايو - ١٩٧٢م .

أغلقت اتفاقية ABM باب التنافس على صناعة نظم مواجهة الصواريخ ، وبالتالى خفضت من نمو دوافع السلوك العدائى .. إن عالما تطلق فيه تكنولوجيا الدفاع الاستراتيجى كان ينتظره سباق تسلح محموم ومكلف لتطوير الأنظمة الدفاعية والهجومية)[١].

ومن أهم هذه المعاهدات بدءا معاهدة (سولت ١ . SALT 1)

وعقدت هذه المعاهدة فى موسكو فى ٢٦ مايو ١٩٧٢م .

وقد كان الوضع الدولى حينها يحتاج إلى مثل هذه المعاهدة نظرا لما وصل إليه حال الدولتين من سباق فى التسلح حيث ظهرت تطورات خطيرة من أبرزها :

---

(١) مابعد الحرب الباردة (٦٨) .
وانظر حرب الفضاء(٨٥-٨٨) ، العالم فى القرن العشرين (٤٩٠) .

(١) تقدم التكنولوجيا الخاصة باستخدام الصواريخ وذلك من حيث كفاءة التشغيل وتقليل احتمال الخطأ ، وضمانة أعلى درجة من الدقة فى اصابة الهدف .

(٢) قيام الاتحاد السوفييتى باختبار نظم اطلاق الصواريخ التى تصوب بأسلوب القصف المدارى الجزىء (FOBS) التى بمقدورها أن تطير على ارتفاعات منخفضة ، كما أنها أقل من غيرها من حيث التعرض للرصد والإصابة .

(٣) إنتاج كل من الطرفين الصواريخ ذات الرؤوس النووية المتعددة أو الصواريخ المعروفة بميرف (MIRV) والتى تشكل عاملا مهددا لعلاقات التوازن بين الطرفين ، لقوتها التدميرية والتى قد تجعل أحد الطرفين يشعر بتفوقه مما يجعله يبادىء بالحرب النووية[١].

وقال الرئيس نيكسون : (لدى كل منا القدرة على تدمير البشرية بكاملها . هذا الأمر والمصالح العالمية قد أوجدت نظرة مشتركة ونوعا من الاعتماد المتبادل من أجل البقاء)[٢].

يقول مكنمارا عن هذه المعاهدة :

(كان توقيع اتفاق SALT 1 انجازا آخر حد من إنشاء نظم إطلاق الصواريخ الهجومية وتسبب فى توقف الاتحاد السوفييتى عند مستوى إنتاج النظام ICBM . ومن المحتمل أن يكون قد حفز السوفييت أيضا على إنهاء

---

(١) انظر العلاقات الأمريكية السوفيتية (٢٦-٢٧) ، وانظر مابعدها .
وقال : (إن السبب الذى حدا بالولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى إلى الدخول فى حوار مكثف ومتواصل حول تنظيم سباق الأسلحة الاستراتيجية بينهما كان يتركز فى محاولة تجنب أى خلل قد يطرأ على معادلات الردع المتوازن والمتبادل مما ستكون نتيجته الحتمية تصعيد احتمالات الحرب النووية وتهيئة الظروف التى قد تغرى على المبادأة بها) . (٢٩) .
وانظر العالم فى القرن العشرين (٤٩٠-٤٩١) .

(٢) من الحرب الباردة حتى الوفاق (٢٤٣) .

خدمة الطراز الأقدم من هذا النظام والتى كان من الممكن تحت ظروف أخرى تطويره .

إتفاق SALT 1 أوجد أيضا الوكالة الاستشارية الدائمة ، ذلك المنبر الذى جعل بإمكان الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى رفع أى شكوى حول القبول أو الرفض للموضوعات المختصة بالرقابة على التسليح أمامه . على أى حال ثمة أمل بسيط بأن يكون بإمكان الوفاق تحقيق أكثر مما تم تحقيقه)[١].

وكان لهذه المحادثات أثرها على الاتفاقيات التى أعقبتها . يقول صبرى مقلد :

(كانت النتائج التى أحرزها الطرفان فى الجولات الأولى من هذا الحوار التاريخى هامة بكل المقاييس . فاتفاقية موسكو للحد من الأسلحة الاستراتيجية التى هى إحدى ثمرات هذا الحوار والتى وقعها الطرفان فى عام ١٩٧٢م خلال زيارة الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون للاتحاد السوفييتى ، أكدت بشكل خاص أن تقييد سباق التسلح فى قطاع الدفاع بالصواريخ المضادة يمثل تقدما هاما نحو التخفيف من حدة سباق التسلح الاستراتيجى بمفهومه الشامل ، وأن الإجراءات التى تتضمنها هذه الاتفاقية ، وكذلك التدابير الأخرى الخاصة بتقييد سباق الأسلحة الاستراتيجية الهجومية ، هى مجرد خطوة أولى باتجاه خلق ظروف أفضل تساعد على استئناف المفاوضات المتعلقة بحل مشكلة الأسلحة الاستراتيجية التى تواجهها الدولتان وتحسان بخطورتها على أمنهما ، الأمر الذى قد يؤدى بدوره فى النهاية إلى نزع السلاح النووى ، بل وإلى النزع الشامل للأسلحة على الجانبين)[٢].

---

(١) مابعد الحرب الباردة (٦٨-٦٩) .

(٢) العلاقات الأمريكية السوفيتية (٢٩-٣٠) .

وانظر موجز تاريخ الولايات المتحدة (٦٩٧) وقال أن هذه المعاهدة (ختمت بالشمع الأحمر على تصنيع بعض أنواع الأسلحة النووية) . =

ومن هذه المعاهدات والمفاوضات :

سولت (٢) :

وقد جرت بين الدولتين فى ١٨ يونيو عام ١٩٧٩م ووقع عليها الرئيس كارتر وليونيد بريجنيف فى فيينا بشأن الحد من الأسلحة الاستراتيجية ، وقد تعهد الطرفان فيها بالعمل على تخفيف أسلحتهما الاستراتيجية الهجومية كما وكيفا[١].

ستارت : وهى امتداد لسولت .

وعقدت الجولة الأولى منها فى جنيف وكان الهدف منها تخفيض عدد الصواريخ النووية المتوسطة المدى فى أوروبا ، خاصة بعد أن قررت الولايات المتحدة نشر صواريخ بيرشنج ـ٢ وكروز ، وقرر السوفييت نشر صواريخ اس ـ اس ـ ٢٠ .

= ورحبت البرافدا بهذه الاتفاقية وجاء فيها : (تبين محادثات سالت (وهى معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية) بصورة مقنعة أنه رغم الاختلاف بين الأنظمة الإجتماعية لكل من الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية ، ورغم التمايز فى العقائديات ، والاختلاف المشهور بل والمتعاكس فى تناول بعض المشكلات فى السياسة العالمية ، تبين هذه المحادثات أن تحسنا فى العلاقات بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة لمصلحة كل من الدولتين ولدعم السلام والأمن الدولى أمر ممكن . ويجب أن تدعم الاتفاقيات حول الأسلحة الحد من الاندفاع نحو التسلح الذى يخلق نوعا من التهديد بالقتال الصاروخى النووى ، ويحول الكثير من الموارد عن أهدافها المنتجة الخلاقة ، وتقوم هذه الاتفاقيات على الاعتراف بالأمن المتكافىء فى الجانبين ولايعطى ميزة عسكرية لأى منهما) .

من الحرب الباردة حتى الوفاق (٢٣٢) .

وانظر مجلة كلية الملك خالد العسكرية العدد (٨٨/١١) .

(١) انظر عن هذه المعاهدة : العلاقات الأمريكية السوفيتية (٣٠-٣١) ، من الحرب الباردة حتى الوفاق (٢٣٤) ، العالم فى القرن العشرين (٤٩١) ، موجز تاريخ الولايات المتحدة (٦٩٧) ، مجلة كلية الملك خالد العسكرية (٨٨/١١) ، وعن أهميتها انظر عملية إعادة البناء (٢٢٠) .

وتقدم ريجان باقتراح أسماه خيار الصفر Zero Option ومضمونه أن تصرف الولايات المتحدة النظر عن نصب الصواريخ فى دول حلف الناتو وعددها ٥٧٢ صاروخا فى مقابل أن يقوم السوفييت بتفكيك عدد مماثل من صواريخهم من طراز اس ـ اس ـ ٢٠ ، اس ـ اس ـ ٥ ، اس ـ اس ـ ٤ . وعلى هذا الأساس لو تم الاتفاق فسوف يصل عدد الصواريخ متوسطة المدى المنصوبة على كلا الجانبين إلى الصفر[١]. يقول مكنمارا : (يحقق برنامج المفاوضات على "ستارت" محدود الأهداف توازنا للقوى التقليدية فى أوروبا .. ويخفض من عدد الأسلحة النووية التكتيكية .. ويقوى من تدابير بناء الثقة وسيحسن لدرجة كبيرة من إتزان الأزمات ...)[٢].

مؤتمر جنيف فى ٢٠ نوفمبر ١٩٨٥م :

وعقد بين غورباتشوف وريغن حيث كان يرى غورباتشوف عقد مثل هذا المؤتمر خاصة فى ظروف إصرار الولايات المتحدة الأمريكية على برنامج مبادرة الدفاع الاستراتيجى .

يقول غورباتشوف : (إن عدد اللقاءات بلغ خمسة ، هذا عدا اللقاء القصير المكرس للوداع ، وخلال اللقاءات ، جرت حوارات صريحة ، متواصلة ، وحادة ، وفى بعض الأحيان حادة بدرجة كبيرة . وجدنا ، كما يخيل إلى ، أن هناك شيئا مشتركا يصلح كنقطة إنطلاق نحو تحسين العلاقات السوفيتية ـ الأمريكية ، وهذا الشىء هو الإدراك المشترك بأن الحرب النووية غير مسموح بها بتاتا ...)[٣].

---

(١) انظر : العلاقات الأمريكية السوفيتية (١٠٣-١٠٤) .
وعن هذه السياسة وردود الأفعال تجاهها انظر (١٠٧-١١٣) .
وعن المعاهدة انظر نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأمريكية (١٧٩-١٨١) .
وانظر : مابعد الحرب الباردة (١٥٢) ومابعدها ، مجلة كلية الملك خالد العسكرية العدد (١١/٨٨-٨٩) .

(٢) مابعد الحرب الباردة (١٦٠-١٦١) .

(٣) عملية إعادة البناء (٢٣٦) ، ولمزيد انظر مابعدها .

وقد أظهر غورباتشوف فى هذه المحادثات مرونة كبيرة حتى وصل الأمر إلى أن كانت التنازلات من طرف الاتحاد السوفييتى فى أغلب الأحيان إن لم يكن فيها كلها .

لقد كان غورباتشوف على استعداد بتقديم أكبر قدر من التنازلات ، وكذلك البدء فى التراجع عن سباق التسلح من أجل القضاء على الشيوعية ، وفسح المجال أمام الإمبريالية للسيطرة العالمية ، وهذا بدوره يعزز ماقلناه سابقا من أن غورباتشوف كان خادما لليهود فى تحقيق مآربهم . ولأجل ذلك تقدم بعد محادثات جنيف بمبادرة سلمية دعا فيها إلى تصفية السلاح النووى ويتحدث عن هذه المبادرة فيقول : (فى ١٥ كانون الثانى ١٩٨٦م ، تقدمنا ببرنامج لتصفية الأسلحة النووية على مراحل تمتد لمدة خمسة عشر عاما ، وتنتهى بنهاية القرن الحالى . وقد أعددنا هذا البرنامج بعناية ، وسعينا ، فى كل مرحلة ، إلى مراعاة المصالح المتبادلة المتوازنة ، بغية عدم الاخلال ، فى أية مرحلة ، بالمصالح الأمنية لأى بلد . وببساطة ، فإن أى توجه خلاف ذلك لن يتسم بالواقعية . وعلى قاعدة هذا البرنامج تقدم ممثلونا فى مباحثات جنيف بطائفة واسعة من مقترحات الحلول الوسط . وتطرقت هذه المقترحات إلى الصواريخ متوسطة المدى ، والأسلحة الاستراتيجية الهجومية ، والحيلولة دون عسكرة الفضاء .

اتسم البيان الصادر فى ١٥ كانون الثانى ١٩٨٦م بمزايا برنامجية . لقد أردنا ابراز الخطر الرئيسى الماثل أمام الحضارة الانسانية ، المرتبط بالأسلحة النووية ، وبالتفجيرات النووية مع عدم تجاهل مسائل حظر وتصفية الأسلحة الكيماوية ، والتقليص الكبير للأسلحة التقليدية . أن هذا البرنامج بمثابة جملة من الاجراءات التى لاتتناول التفاصيل . أن المبدأ الأساسى الذى يتمثله هذا البرنامج ، وعلى كافة مراحله ، فهو الحفاظ على التوازن الضرورى . هنا ، ليس اللعبة السياسية ولاالدهاء ، بل المسؤولية السياسية والفهم الواضح بأن أحدا ما لن يخدع الآخر ، وخاصة عندما يدور الحديث

حول موضوع هام كأمن الدولة ...)[١].

لقد (قمنا فى المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى بصياغة مفهوم نظام عالمى شامل للأمن . وتقدمنا به اقتراحا للعالم أجمع ، إلى جميع الحكومات والأحزاب والمنظمات والحركات الاجتماعية القلقة فعلا على مصير السلام فى عالمنا . وفى تصورنا يقوم نظام عالمى شامل للأمن على أسس رئيسية هى :

(١) فى المجال العسكرى :

* امتناع جميع الدول الذرية عن شن الحرب ضد بعضها البعض أو ضد دولة ثالثة سواء أكانت دولة ذرية أم غير ذلك .

* عدم السماح بنقل سباق التسلح إلى الفضاء ، وحظر كافة التجارب على الأسلحة النووية ، والقضاء على هذه الأسلحة وحظر إنتاج الأسلحة الكيماوية وتدميرها ، والتوقف عن إنتاج أسلحة جديدة ذات التدمير الجماعى .

* تقليص حاد ، تحت مراقبة صارمة ، لمستوى القدرات العسكرية للدول لايصالها إلى المستوى المقبول .

* حل التكتلات العسكرية ، وكخطوة تمهيدية ، التوقف عن توسيع هذه الأحلاف ، أو إنشاء أحلاف جديدة .

* تقليص الميزانيات العسكرية بشكل متناسب ومتناسق .

(٢) فى المجال السياسى :

* الاحترام المطلق لحق كل شعب فى السيادة واختيار طرق تطوره وأشكالها ، وذلك ضمن الممارسة العملية للنشاط الدولى .

* التسوية السلمية العادلة للنزاعات الإقليمية والأزمات الدولية .

* وضع جملة من الإجراءات الهادفة لتعزيز الثقة بين الدول وإرساء ضمانات حقيقية لمنع أى عدوان خارجى ، والتأكيد على عدم المساس بالحدود المعترف بها .

---

(١) عملية إعادة البناء (٢٤٠) .

* القيام بإجراءات فعالة للقضاء على الإرهاب الدولى ، وضمان الأمن لوسائل النقل البرى والجوى والبحرى الدولية .

(٣) فى المجال الإقتصادى :

* القضاء على كافة أشكال التمييز فى الحياة العملية الدولية ، والامتناع عن سياسة الحصار الإقتصادى ، وفرض العقوبات إذا لم يكن قد نص عليها بتوجيهات مباشرة من المجتمع الدولى .

* البحث المشترك عن طرق لتسوية عادلة لقضايا الديون .

* بناء نظام إقتصادى عالمى جديد يضمن أمنا إقتصاديا متكافئا لجميع الدول .

* وضع المبادىء والأسس التى تبين كيفية استخدام الأموال التى يوفرها تقليص الميزانيات العسكرية بما يخدم خير المجتمع الدولى ، وقبل كل شىء مصلحة الدول النامية .

* توحيد الجهود فى سبيل استكشاف واستخدام الفضاء للأغراض السلمية ومن أجل حل القضايا الكونية والتى يعتمد على حلها مصير الحضارة.

(٤) فى المجال الإنسانى :

* التعاون فى مجال نشر أفكار السلام ونزع السلاح ، والأمن الدولى ورفع مستوى الإعلام الجماعى (الجماهيرى) الموضوعى ، وتعريف الشعوب بحياة بعضها البعض ، وتوطيد روح التفاهم والوفاق فيما بين الشعوب .

* تحريم إبادة الجنس ، والأبرتهيد ، وأشكال الفاشية وغيرها من أساليب التمييز العنصرى والقومى والدينى ، وأى تمييز بين البشر طبقا لتلك الأسس .

* توسيع التعاون الدولى فى سبيل إقرار حقوق الإنسان الفردية والسياسية والاجتماعية ضمن نطاق احترام قوانين كل بلد .

* حل قضايا لم شمل الأسر بشكل إنسانى وموضوعى وكذلك قضايا الزواج وتطوير الاتصال بين البشر والمنظمات .

* التوطيد والبحث عن أشكال جديدة للتعاون فى مجالات الثقافة والفن والعلم والتعليم والطب .

إننا لم نتراجع ، قيد أنملة ، عن أى من المقترحات التى تضمنها هذا البرنامج الذى أقره مؤتمرنا الحزبى . ونعلن أننا سندرس ، بعناية ، كل الأفكار التى تنسجم مع إقرار مبدأ التعايش السلمى باعتباره مبدأ ساميا وشاملا فى العلاقات بين الدول .

وتطرق المؤتمر كذلك إلى العلاقات السوفيتية - الأمريكية . وأود التذكير بما قلناه حول هذا الموضوع : "إن الاتحاد السوفييتى عاقد العزم ، وبقوة على تبرير أمانى شعبى بلدينا ، وجميع شعوب العالم ، التى تنتظر من قادة الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية خطوات عملية محددة ، واتفاقيات واقعية ترمى إلى محاصرة سباق التسلح . ويمكن تلخيص جوهر موقف المؤتمر من العلاقات السوفيتية - الأمريكية بكلمات معدودة : نعيش نحن والولايات المتحدة على كوكب واحد ، ودون مشاركتها لن يكون بمقدورنا
صيانة السلام على الأرض)[١].

لقد قام جورباتشوف بعدة تنازلات لم تكن متوقعة من دولة تملك قوة بامكانها تدمير العالم ، لقد تنازل ، ثم تنازل ، ثم تنازل ومن طرف واحد ، إن هذه التنازلات لايكفى فى تبريرها رغبة غورباتشوف فى السلام ، بل إن وراءها تدبيرا دقيقا وسوف تكشف السنوات القادمة ذلك التدبير .

---

(١) عملية إعادة البناء (٢٤١-٢٤٤) .
وانظر : العلاقات الأمريكية السوفيتية (١٣٤-١٣٥) ، غورباتشوف ونهج التحول الكبير (١٨٥-١٨٦)
ولمزيد من المعلومات عن هذه المعاهدات انظر : غورباتشوف ونهج التحول الكبير (١٨٣-١٨٥) ، (١٨٩-١٩٠) ، مجلة كلية الملك خالد العسكرية (٨٩/١١) .

وواصل غورباتشوف تقديم تنازلاته ومبادراته السلمية

فكان مؤتمر ركيافيك[١]:

وعقد هذا المؤتمر فى ١١-١٢ تشرين الأول عام ١٩٨٦م وكان عبارة عن مبادرة سلمية تقدم بها غورباتشوف . ولكنها لم تؤت ثمارها لإصرار ريغان على مبادرة الدفاع الاستراتيجى[٢].

قمة موسكو :

وعقدت فى ٢٩ مايو ١٩٨٨م بين الرئيسين ريغان وغورباتشوف .

وكرست هذه القمة لبحث مسألة الحد من الأسلحة ، ومسألة حقوق الإنسان والمسائل المتعلقة بالمجال الإنسانى وتسوية النزاعات الإقليمية والعلاقات الثنائية بين البلدين . وأكد الطرفان الحيلولة دون وقوع أى حرب بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة[٣].

قمة مالطا (لقاء العاصفة)[٤]:

وكانت أحداث أوروبا الشرقية هى الدافعة وراء عقد هذه القمة فى كانون الأول ١٩٨٩م . وعقدت على متن الباخرة السوفيتية (ماكسيم جوركى) . وقال غورباتشوف فى ختام اللقاء : (بودى القول أن الحرب الباردة قد انتهت)[٥].

قمة واشنطن ١٩٩٠م :

وعقدت فى شهر يونيو ١٩٩٠م بين كل من غورباتشوف وبوش وقال عنها بأنها (بداية عهد جديد)[٦].

---

(١) عاصمة ايسلندا .

(٢) انظر ماذكره غورباتشوف عن ذلك المؤتمر مفصلا فى كتابه عملية إعادة البناء (٢٤٩-٢٥٠) .

(٣) انظر عن هذه القمة : عملية إعادة البناء (٢٥٨) ومابعدها ، غورباتشوف ونهج التحول الكبير (٢٠٩-٢١١) .

(٤) سميت كذلك لمجىء عاصفة شديدة أخرت اللقاء بين الطرفين عدة ساعات .

(٥) نقلا من كتاب غورباتشوف ونهج التحول الكبير (٢٢١) .

(٦) نقلا من المرجع السابق (٢٢٨) وانظر مابعدها .

ولم تكن هذه الاتفاقيات والمؤتمرات والمعاهدات هى الوحيدة بين الطرفين بل لقد تعددت وتنوعت سواء قبل الوفاق أم بعده . غير أن ماذكرناه يكاد يكون الأكثر شهرة وتحقيقا للنتائج(١).

وبالنظر فى هذه المعاهدات واللقاءات نجد أن غورباتشوف قد قدم تنازلات كثيرة فى المجالات السياسية والعسكرية ، والتى تتطلب أساسا تنازلا فى الفكر خاصة وأن هاتين المسألتين (السياسية والعسكرية) تنبع من الفكر فإذا حدث فيها تراجعا فمعنى ذلك أنه سبقها تراجعا فى المبادىء الفكرية التى تحكم تلك المجالات .

ثانيا : أظهر الوفاق الدولى من خلال هذه المعاهدات والاتفاقيات ضعف المعسكر الإشتراكى ، سواء من الناحية الفكرية أو السياسية ، أو العسكرية ، أو الإقتصادية ، وبالتالى كان من نتائجه التعجيل بإنهيار المعسكر الشيوعى وفكره أى أصبح الوفاق سببامن أسباب سقوط الشيوعية ولو شئنا لقلنا (التعجيل بسقوطها) .

ثالثا : من أهم النتائج التى تمخض عنها الوفاق الدولى إعلان النظام العالمى الجديد فى هذه الفترة .

وقد أعلن جورج بوش فى لقائه مع الكونجرس الأمريكى بتاريخ ١١ أيلول ١٩٩٠م أى عشية حرب الخليج الثانية (إننا نتطلع إلى نظام عالمى جديد يصبح أكثر تحررا إزاء التهديد بالإرهاب ، وأكثر مناعة فى إقرار العدالة ، وأكثر أمنا فى السعى من أجل السلام ، إننا نتطلع إلى عالم جديد يسوده القانون بدلا من شريعة الغاب ، وتعترف فيه الأمم بمسؤولياتها المشتركة فى تحقيق الحرية والعدالة ...)(٢).

---

(١) ولمزيد عن معرفة هذه المؤتمرات والمعاهدات انظر : من الحرب الباردة حتى الوفاق (٢٢٩-٢٣٠) ، غورباتشوف ونهج التحول الكبير (٢٢٢-٢٢٣) .

(٢) International Affairs, v.76 No.3, July 1991 .
نقلا من كتاب النظام العالمى الجديد ملامح وأخطار (٦٥) د. شفيق المصرى ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان .

وفى ١٣ يناير ١٩٩١م حدد بوش هذا النظام فقال : (إن النظام العالمى الجديد لايعنى تنازلا عن سيادتنا الوطنية أو تخليا عن مصالحنا . إنه ينم عن مسؤولية أملتها علينا نجاحاتنا . وهو يعبر عن وسائل جديدة للعمل مع الأمم الأخرى من أجل ردع العدوان ، وتحقيق الاستقرار والإزدهار ، وفوق كل شيء تحقيق السلام . إنه ينبع من التطلع إلى عالم مبنى على التزام مشترك بين الأمم ، كبراها وصغراها ، بمجموعة من المبادىء التى ترسو عليها علاقاتنا : التسوية السلمية للنزاعات ، والتضامن فى وجه العدوان ، وتخفيض ترسانات الأسلحة ومراقبتها ، والتعامل العادل مع الشعوب)[١].

هكذا حدد بوش النظام العالمى الجديد ، وقد حدده فى حين أن القوة العظمى الأخرى قد أفل نجمها وأصبحت الولايات المتحدة القوة الأولى فى العالم عسكريا ولكون هذا النظام نتيجة من نتائج الوفاق فقد اعتبر بعض الكتاب والمفكرين أن بعض الأحداث التى وقعت فى بداية التسعينات تمثل الاختبار الحقيقى لهذا الوفاق . وضرب بحرب الخليج الثانية مثلا لذلك .

لقد فتح الوفاق الباب ـ وعلى المدى الأبعد من سنواته الأولى ـ لإسقاط الشيوعية ثم الإعلان عن هذا النظام[٢]رغم الارهاصات السابقة التى مهدت له . وقد أعلن عن هذا النظام عقب غزو العراق للكويت وليس الأمر هنا هو للتتبع مقدمات وتطورات ذلك النظام بقدر مانريد أن نبرهن أن هذا الوفاق والذى أدى إلى التعجيل بإنهيار الشيوعية ، قد أدى أيضا إلى اعلان النظام العالمى الجديد والذى غدت فيه الدولتان تتجهان اتجاها واحدا فى معالجة أكثر القضايا التى استجدت على الساحة الدولية ، بل والمشاركة فى تحقيق مايخدم مصلحتيهما سويا .

---

(١) نقلا من كتاب النظام العالمى الجديد ملامح وأخطار (٦٥-٦٦) .

(٢) انظر صحيفة الحياة العدد (١١٠٢٠/١٨) الخميس ١٥ نيسان/ابريل ١٩٩٣م الموافق ٢٣ شوال ١٤١٣هـ ، مقال لعبد الحميد البلوشى بعنوان (نحو نظام عالمى جديد مرحلة الحمل انتهت أو تكاد) .

وهكذا كان من نتائج الوفاق الدولى الإعلان عن النظام العالمى الجديد والذى تكون الخريطة السياسية فيه كالتالى :

سقوط الشيوعية ، وزوال الاتحاد السوفييتى ، وإنفراد أمريكا بالهيمنة وتبعية موسكو لها ، وقد وجدت الأحداث التى تدعم ماذكرناه من رأى ، على أنه بالإمكان ـ ومن خلال النظر فى الأحداث التالية التى شهدتها الساحة الدولية ـ القول بأن ذلك كان فى القضايا التى يكون المقصود منها المسلمين أما إذا كان المسلمون طرفا مع عدو يهودى أو صليبى فإن الوفاق والنظام العالمى يفقد مصداقيته وذلك بالاختلاف فى وجهات النظر واستخدام الحقوق داخل مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة حتى يظهر أن الوفاق والنظام العالمى الجديد فى رد المعتدى إنما يطبق على المسلمين فيما بينهم أما ماعدا ذلك فلا وأقرب مثال لذلك المسلمون فى يوغوسلافيا السابقة (البوسنة والهرسك) حتى ذهب البعض إلى أن أحداث يوغسلافيا هى الاختبار الحقيقى للنظام العالمى الجديد[١] حيث لم يتم الاتفاق بشأنها، ولكن الجواب على عدم الاتفاق هذا يكمن فى أن الصراع هنا فيه الطرف الإسلامى والذى لايملك أحيانا إلا الاسم من الإسلام ، بالإضافة إلى أن يوغسلافيا كانت تابعة للاتحاد السوفييتى وبالتالى لن تتخلى روسيا عنها أو توافق على ضربها فهى مدعومة بالقوة الروسية[٢].

---

(١) انظر صحيفة الشرق الأوسط العدد (٢١/٥١٣٥) السبت ١٩٩٢/١٢/١٩م مقالا بعنوان (الامتحان الحقيقى للنظام العالمى الجديد ليس الصومال بل يوغسلافيا) بقلم باسم الجسر .

(٢) انظر صحيفة المدينة المنورة العدد (١٥/١١٣٥١) الجمعة ١٨ ذو القعدة ١٤١٤هـ الموافق ٢٩ ابريل ١٩٩٤م ، مقال للدكتور محمد خضر عريف (النظام العالمى منطق الحق أم منطق القوة؟) وضرب مثالا بتمنع كوريا الشمالية من السماح للمفتشين الدوليين بالتفتيش على ترساناتها النووية فتحالف عليها الغرب من أجل ارغامها على ذلك ولو بالقوة ، فماكان من الصين إلا أن صرحت بالوقوف معها (وتعطل الحق والعدل اللذان نادى بهما الغرب لمجرد أن ظهر شريك قوى ذى شوكة) .

إن مما تجدر الإشارة إليه أن هذا النظام العالمى لم يأت بجديد فى قضايا المسلمين[١] إن لم يكن زادها جراحا باتفاق الجبارين فى الوقوف أمام الأصولية الإسلامية التى أخذت تهدد الغرب والشرق!!

رابعا : بوادر نهاية الحرب الباردة بين الطرفين حيث كان الوفاق الارهاص الأقوى فى الأحداث التى تلته وأدت بدورها إلى إنهاء الحرب الباردة وذلك بحل حلف وارسو ، وتفكك الاتحاد السوفييتى . وقد أعلن عن ذلك غورباتشوف فى مبادرته التى طرحها وصرح بحل الأحلاف العسكرية ومنع قيام أحلاف جديدة ولمح بترك الحرية لكل أحد فى أن يختار النظام الذى يريده ـ ولايغيب عن بالنا بأن الاتحاد السوفييتى كان فى أغلب الأحيان هو المبادر فى الدعوة إلى السلم ـ بينما كانت الولايات المتحدة مستمرة فيها من أجل الضغط على السوفييت ليقدموا أكبر قدر من التنازلات فأصبح إنهاء الحرب الباردة مشروطا بالتنازل . يقول طلال سلمان : (لكأنما كان "التحاق" الاتحاد السوفييتى بالغرب ، وتنازله عن نظامه السياسى وعن أيديولوجيته وحزبها القائد وعن استراتيجيته وعن دوره الكونى كقوة عظمى ثانية ، هو الشرط الغربى الفعلى لوقف الحرب الباردة ضده ،

ولكأنما لامكان فى النظام العالمى الجديد لمن لايأخذ بالرأسمالية والديموقراطية الغربية وباقتصاد السوق ولايسلم بعالم وحيد القطب معقود اللواء للقيادة الأميركية)[٢].

= ومن الأمثلة قضية البوسنة (حيث أن مجلس الأمن والنظام الدولى الجديد تراجع عن ضرب الصرب لتهديد روسيا بالوقوف معها فأصبح منطق القوة يرد الحق والعدل الذى إدعاه النظام العالمى الجديد فلايملك المرء إلا أن يرى ظلاما داما يحيق بالبشرية جمعاء فى ظل النظام العالمى الجديد الظالم!!) .
وانظر صحيفة عكاظ العدد (٩/١٠٣٨٧) الأحد ١٤ شعبان ١٤١٥هـ الموافق ١٥ يناير ١٩٩٥م مقال (هل هناك نظام عالمى جديد) بقلم نزار عبيد مدنى .

(١) انظر ماذكره محمد الأسعد فى صحيفة المدينة المنورة العدد (١١/١١٣١٤) الأربعاء شوال ١٤١٤هـ الموافق ٢٣ مارس ١٩٩٤م .

(٢) على الطريق (٤٧٨) .

خامسا : من نتائج الوفاق غياب الصراع الأيديولوجي (من سلوك القوتين العظميين كرد فعل تلقائي ومنطقي للتصاعد المستمر في أخطار الحروب والمجابهات النووية)(١).

يقول حسين صبرا إن (تنازلات الاتحاد السوفييتي أدت إلى إنهاء ماسمي بعد الحرب العالمية الثانية بـ"الحرب الباردة" ، تلك التي نجمت عن الصراع بين مصالح الجبارين ومسحها الحزب الشيوعي السوفييتي بطابع أيديولوجي استنادا إلى مقولة صاحب النظرية الشيوعية كارل ماركس ، ومفادها : إن الصراع بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي سينطلق في تصاعد لايعرف المسالمة ولاالمهاودة ، ومسحها المعسكر الرأسمالي بطابع "إيماني" وهو مكافحة الإلحاد! فكان أن جاءت البيريسترويكا برئاسة غورباتشوف لتشن الصداقة على المعسكر الرأسمالي ، فاتحة كل أبواب التحالف والتعاون والتنسيق المشترك مع العالم الغربي وأميركا في المقدمة ، مطيحة بأهم ركائز الماركسية ورامية بعرض الحائط كل التنظيرات التي ملأت الجدران وصفحات الكتب والصحف والخطب الملقاة على "الجماهير الكادحة" طوال عقود سبعة ، محرضة إياها ضد "الامبريالية .. عدو البروليتاريا اللدود"!)(٢).

ويقول آرنست ماندل : (لم يعد يتكلم غورباتشوف .. على دفن الرأسمالية ، ولو عن طريق المنافسة الإقتصادية السلمية . لابل إن البرنامج الجديد للحزب الشيوعي السوفييتي لم يعد يذكر زوال الرأسمالية)(٣).

سادسا : طالب الوفاق وعن طريق الدول الغربية بمزيد من الحريات الفردية إذا أريد له أن يكون وفاقا حقيقيا ، ولاغرابة في هذه المطالبة إذ أن الاتحاد السوفييتي كان يقيد الحريات إلى درجة كبيرة حتى إن الفرد فيه لايتعلم

(١) القوى العظمى (٤٠) ، وانظر الثنائية الدولية (٤٢٥) .
(٢) سادات الماركسية (٤٧) .
(٣) الاتحاد السوفييتي إلى أين في ظل غورباتشوف (٢٤٦) .

إلا ماتقرره الحكومة ، كما تحرم عليه الانتقال[١] إلى مكان آخر إلا بإذنها ، فكان الوفاق وعلى المدى المتأخر عنه محققا كثيرا من الحريات للفرد داخل الاتحاد السوفييتى .

سابعا : أدى الوفاق إلى ظهور قوى وتكتلات جديدة خاصة من الناحية الإقتصادية[٢]، وانتهت فترة الحروب الاستعمارية والثورات الوطنية[٣].

ثامنا : تجاوزت الدولتان بشكل كبير مرحلة التوتر التى شهدتها الأربعينات إلى نهاية الستينات وأصبح بالإمكان جلوس الطرفين للمفاوضات والتفاهم بشأن القضايا التى تطرأ على المجتمع الدولى . لقد حقق الوفاق مرحلة التفهم المشترك بين الطرفين على كثير من القضايا وإن كان ظهور ذلك كان متأخرا بعض الشىء .

تاسعا : حقق الاتحاد السوفييتى مكاسب عدة من وراء هذه السياسة ومن ذلك الإنفتاح على الغرب والإستفادة منه تكنولوجيا وإقتصاديا[٤].

عاشرا : قيام كل من الطرفين بالتخفيض من عدد جيوشه وأسلحته وإن كان هذا الأمر وخاصة من جانب السوفييت قد بدأ قبل ذلك فهو ارهاص للوفاق وماحدث بعده كان نتيجة طبيعية له .

كما قللت كل منهما التزاماتها الخارجية[٥] نظرا لتفاهم القوتين واتفاقهم على كثير من الحلول للصراعات الدولية ، وتحقيق كثير من التسويات عبر بوابة النظام العالمى الجديد .

---

(١) انظر من الحرب الباردة حتى الوفاق (٢١٤) .

(٢) انظر القوى العظمى (٤٠) ، وانظر صحيفة الشرق الأوسط العدد (٥٦٠١/١١) الأربعاء ١٩٩٤/٣/٣٠م مقال بعنوان (قضايا مرحلة الانتقال إلى نظام عالمى جديد) بقلم أحمد حمروش .

(٣) انظر العالم فى القرن العشرين (٤٦٤) .

(٤) انظر : القوى العظمى (٤٠) ، من الحرب الباردة حتى الوفاق (٢٤٢) .

(٥) انظر : مابعد الحرب الباردة (٦٦-٦٧) ، النظام العالمى الجديد ملامح وأخطار (٤٠-٤١) .

وهكـذا غـدت نتـائج الـوفاق بين الطـرفين مـن عقـد المؤتمرات ، إلى تنازلات غورباتشوف ، إلى إعلان النظام العالمى الجديد والـذى بمقتضاه يتفق الجبـاران على سياسة واحدة يواجهـون بها الأحداث التى تطـرأ على السـاحة الدولية .

وبعد هذا العرض نصل إلى الحقائق التالية :

أولا : لقد كانت فترة الوفاق وماتلاها فترة تحضيرية لإسقـاط الشيوعية (السقوط النهائى) .

ثانيا : أن آثار هـذا الوفاق أصبحـت ظاهرة واضحة فى الأحداث التى تلته حتى وقتنا الحاضر .

ثالثا : أن تلاشـى الاتحاد السـوفييتى من على خارطة العـالم ليدل دلالة واضحة على أن هذا الوضع قد رتب له من قبل إذ أن قوة فى مستوى القوة السـوفيتية (وهى إمبراطورية) لايمكـن أن يعلن عن نهايتهـا ، وأقول نهايتها (لاسقـوطها) بهذه الصورة ، وهـذا يجعلنا نبين آثار هـذا الوفاق فى التعجيل بإسقـاط الشيـوعية وتلاشـى الاتحاد السـوفييتى مـن على الخارطـة السيـاسية .

المبحث الثالث
أثر الوفاق في تنازل الاتحاد السوفييتي عن كثير من مبادئه

إن سقوط الفكر الشيوعى وفساده ظهر للعيان منذ بدىء بتطبيقه على يد لينين ، وأخذ فى التراجع عن تطبيقه وهكذا دواليك من جاء من بعده من قادة الكرملين ، فأدخلت الإصلاحات على الفكر داخليا ، ثم مالبث القادة السوفييت أن أدخلوا الإصلاح والتغيير على المستوى الخارجى ، فكانت الأحداث على الساحة الدولية خارجيا بالنسبة للسوفييت تتطلب التراجع والتغيير حتى يتمكن هؤلاء من العيش بسلام فى وقت أخذت الجبهة الداخلية تنذر بثورة عارمة ضد النظام الشيوعى ، فأراد السوفييت العدول عن سياستهم الخارجية من أجل التفرغ للإصلاح الداخلى ، لكى لايواجهون جبهتين فى آن واحد . وقد بدأ هذا الانفتاح على الغرب والتفاهم معهم من فترة مبكرة على مستوى عال بين وخاصة بعد وفاة ستالين ، وكان أكبر قدر من الإنفتاح والتفاهم مع الغرب قد وقع بعد إعلان الوفاق بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، والذى كان من شروط استمراره تنازل السوفييت وتراجعهم عن كثير من توجهاتهم السياسية والفكرية داخليا وخارجيا ، وهذا ماأثبتته الأحداث التى جاءت من بعد ، رغم أن السوفييت وعلى مستوى القيادة يرون أن الوفاق لايمس فكرهم بشىء .

يقول بريجنيف (إن الاتفاق لن يلغى ولو بأدنى قدر - بل ليس بالإمكان إلغاء أو تعديل - قانون الصراع الطبقى .. نحن لانخفى حقيقة رؤيتنا للوفاق كطريق لخلق ظروف أفضل من أجل الكيانات الإشتراكية الشيوعية المسالمة)[١].

---

(١) مابعد الحرب الباردة (٦٨) ، وانظر القوى العظمى (٣٩) حيث اعتبر الروس أن الوفاق عمل إيجابى فى صالح الإشتراكية .

ولأجل ذلك فإن السوفييت يعتقدون أن هذا الوفاق ماتم إلا لأن الولايات المتحدة لم تعد قادرة على مجابهة القوة المتنامية للاشتراكية(١).

غير أن هذا الموقف وكذا القول والتوجه لايدعمه دليل ولاتسنده حجة بل إن الأحداث التى ظهرت على الساحة ، وواقع الاتحاد السوفييتى ذاته دلل على أن الوفاق كان من شروطه تراجع السوفييت عن كثير من مبادئهم .

لقد شكل الوفاق الدولى أحد الأسباب الخارجية التى عجلت بإنهيار الشيوعية وتنازلها عن مبادئها وحتمياتها إذ أنه (فى سبيل الوفاق السوفييتى الأمريكى ، يمكن التنازل عن الكثير)(٢).

ومن هنا فقد أثر الوفاق على الفكر الشيوعى سلبا (بالنسبة لهم) كما أثر على حياة الشعب السوفييتى إيجابا ونتلمس ذلك التأثير الذى أحدثه الوفاق والتقارب مع الرأسمالية ويمكن إبراز أهم آثاره على الفكر الشيوعى فى التالى :

أولا : أن هذا التراجع والوفاق والتعايش مع الرأسمالية يعتبر ضربة موجهة فى صميم الفكر الماركسى الذى قام أساسا على محاربة الرأسمالية ، والنظر إليها على أنها نظام فاسد رجعى لابد من الثورة والقضاء عليه بالقوة.

وبهذا يكون الوفاق والتعايش السلمى مع الرأسمالية قد نقض فكرة حتمية انتصار الإشتراكية التى أعلنها ماركس ومن بعده لينين الذى قال إن مسألة انتصارها قضية مسلمة ، وإنما المسألة مسألة وقت .

لقد أعلن الوفاق فشل النظرية الماركسية ، فسقطت الإشتراكية وبقيت الرأسمالية كقوة مادية أولى فى العالم ، وسلمت الإشتراكية مقاليد الأمور

---

(١) انظر القوى العظمى (٢٥) ، وانظر مابعد الحرب الباردة (٦٧) .
(٢) الروس قادمون (٣٢٨) .

للدول الرأسمالية[١].

ثانيا : من آثار الوفاق على المبادىء الشيوعية التراجع فى مبدأ الدكتاتورية ، وفرض الفكر الإشتراكى على الآخرين بالقوة ، ويظهر ذلك فيما قام به خروشوف من سحب للقوات ، وتخفيض من الجيوش الموجودة فى دول أوروبا الشرقية ، هذا بالإضافة إلى مامنحته هذه السياسة للفرد الشيوعى من حرية وانفتاح على الغرب حينها . على أن القضاء على هذا المبدأ نهائيا حدث فى الفترة الغورباتشوفية .

ثالثا : من آثار الوفاق على الاتحاد السوفييتى وفكره هو الاعتراف بالرأسمالية وأهمية الاستفادة منها فى حين أن الإشتراكية ترفض فكريا هذا الالتقاء وترى أن الرأسمالية وفكرها هو سبب الشقاء للناس ، فكان الوفاق فاتحا للباب على مصراعيه للاستفادة من الرأسمالية ، ولم يقتصر الأمر على هذا الحد بل ذهب بريجنيف إلى الإعلان بأن الاتحاد السوفييتى لم يعد قادرا على السير دون الاستفادة منها تكنولوجيا وإقتصاديا وقام باضطهاد المتشددين الذين لايرون هذا الرأى[٢].

---

(١) يقول روتسكوى : (الدولار قد أصبح الآن عملة روسيا القوية ، والروبل أصبح مثل أوراق التبغ ، لقد أعطينا سيفنا لأمريكا ...) .
عن مجلة النيوزويك نقلا من صحيفة المدينة المنورة العدد (١١/١١٣٥٣) الأحد ٢٠ ذى القعدة ١٤١٤هـ الموافق ١ مايو ١٩٩٤م .

(٢) ولنا أن نتذكر أن لينين وستالين قد أجبرا الناس وأرغموهم على قبول الفكر الشيوعى بالقوة .
يقول خروشوف : (وضع لينين نفسه مبدأ التعايش السلمى بين الدول . ألم يكن هو الذى قال إنه يجب أن تكون هناك صلات متبادلة وتبادل فى الرأى بين الاتحاد السوفييتى وبين البلاد الرأسمالية؟ ألم يكن هو الذى قال أن الثورة ليست للتصدير؟ لذلك نقاوم تصدير الثورة المضادة كما نقاوم تصدير الثورة . علينا أن نتمسك بتوجيه لينين ونترك مهمة اسقاط الرأسمالية لشعب كل بلد . علينا أن نجعل عدم التدخل إلزاما) . الوصية الأخيرة (٣٢٤) .

وهـذا اعتراف صـريح بالتراجع العقـدى لدى الشيـوعيين حيـث انتقد بعـض المفكرين السوفييت هذا التقارب ومنهم شيليســت ومن رأيه (أن على الشعـب السوفييتى أن يتنبه إلى مـاوراء هذا الوفاق الـذى تلوح به الحكومة الأمـريكية . فالعدو اللدود لايمكـن أن يصبح صديقا أليفـا فى يوم وليلة)[1].

ولم يكن شيليست الوحيد الذى انتقد سياسة الوفـاق وخشى منها على الأيديولـوجية الشيوعية ، بل (بدأ العقائديون من السـوفييت يكتبون بشكل مكثـف عـن الخطر الأيديولوجى لسيـاسة الإنفـراج . وبدأ التحـذير مـن أن النمـو فى الاتصالات الدولية المرافقة لسياسة الإنفتـاح سوف يؤدى إلى زيادة احتمـالية تسـرب الأفكـار الغـربية والآراء والتعصـب القــومى إلى المواقـع الشيـوعية . واستمرت هذه المحـاولات خصوصا بالتــأكيد على موضوع خطر تأثر الشبـاب السوفييتى بهذا الانفتاح وانحرافهم عن التقليـد السائد خصوصا الأفكار البرجوازية فى ظل الإنفتاح .

وللتـأكيد على ذلك يقولـون بأنه : (ليس من باب الصـدفة بأن يكون ٧٠٪ مـن البرامج الإذاعيـة لكـل مـن صــوت أمـريكا Voice Of America والإذاعـة البريطـانية BBC والألمانيـة Detltsehe مـوجها بصورة مبـاشرة إلى الشبـاب والشـابات فى المعسكـر الشيـوعى وهـذا قـد يسبـب اختلافـا فكـريا داخليا)[2].

ويرى هـؤلاء المعـارضون أن الـرأسمالية ، هـى العـدو اللـدود للفكر الشيوعى فكيف يحدث بينهما هذا الالتقاء ، إن ذلك يعتبر هـزة عنيفة للفكر الشيـوعى فى نفوس معتنقيه . و(أكـدوا أن هذا الوفاق مـع قمـم الرأسمالية البورجوازية لن يزعزع الثقة فى المذهب الشيوعى فحسب ، وإنما سيهزه هزا عنيفا داخل المجتمعات الإشتراكية ، والصديقة الأخرى)[3].

---

(١) الروس قادمون (٢٤٥-٢٤٦) .
(٢) القوى العظمى (٣٢-٣٣) .
(٣) الروس قادمون (٢٤٩) ، وانظر (٢٥١) .

وهكذا كان الوفاق مؤثرا على الفكر الشيوعى حيث تم استبدال الثورة على الرأسمالية بالقرب منها ، والعمل معها ، والاعتراف بتفوقها بل واعترفوا ببقائها ، وهذا ماسيغضب ماركس فى قبره!!!

رابعا : اعترف قادة السوفييت بفشل نظامهم الإقتصادى القائم على مبدأ الملكية العامة ، حيث اتجهوا إلى دولة الإقتصاد صاحبة الملكية الخاصة للاستفادة منها وطلب معونتها مما يدل على فشل فكرهم الإقتصادى .

فقد نص الوفاق على التعامل الإقتصادى الذى لاحدود له وبمجرد عودة نيكسون إلى بلاده أرسل وزير التجارة الأمريكى[١]وقتذاك إلى موسكو وحاول الامريكان أن يحيطوا هذه الزيارة بالسرية وذلك باهمال الرحلة وعدم متابعتها من قبل الإعلاميين ولكن الذى لفت الانتباه وجود رجال سياسة ضمن هذه البعثة متخصصين فى العلاقات الأمريكية السوفيتية ، ومن هنا وجدت التساؤلات عن مهام هذه البعثة إلا أنهاكانت تعمل من أجل تنفيذ الاتفاقيات التجارية بين البلدين[٢]. وقد رغبت موسكو أن يكون سفير الولايات المتحدة لديها من رجال المال المعروفين ليتسنى لهم الاستفادة منه ووقع الاختيار على ديفيد روكفلر[٣]وقام بافتتاح عدة بنوك فى الاتحاد السوفييتى لكى تتولى إعمار السوفييت[٤].

وقد أدى هذا التعاون الإقتصادى إلى وجود المعارضة من قبل رجال الإقتصاد والتجارة نظرا لمخاوفهم .

حتى قال أحدهم : (هناك فى الاتحاد السوفييتى من يريد أن يقترض منا ذهبا ودولارات ، ثم يسدده لنا بالكافيار وبصناديق الفودكا!)[٥].

وكذلك كان أصحاب شركات البترول الأمريكية يأتون فى مقدمة

---

(١) بيتر بيترسون .
(٢) انظر الروس قادمون (٣٠٧-٣٠٩) .
(٣) وهو من رجال الأعمال الكبار وصاحب بنك تشيس مانهاتن .
(٤) انظر الروس قادمون (٢٣٠) ومابعدها .
(٥) نقلا من المرجع السابق (٣١٠) وانظر مابعدها .

عناصر المعارضة إلا أن الولايات المتحدة ولكونها ستحقق مكاسب سياسية من وراء هذا الدعم الإقتصادى لم تبال بهذه الاعتراضات وأعلن وزير التجارة استمرار الولايات المتحدة فى ذلك وقال : (إن هذا كله لايمنع قيام الرئيس الأمريكى باصدار أمر بمنح الاتحاد السوفييتى استثناء لايتمتع به أقرب الدول الأخرى الحليفة . فرئيس الولايات المتحدة من حقه إصدار مثل هذا القرار . فهو يوازن بين المكاسب الإقتصادية والمكاسب السياسية الاستراتيجية فإذا وجد أن المكاسب الأخيرة أكثر أهمية وأثقل وزنا من المكاسب الاولى ، فعليه ـ فى هذه الحالة ـ أن يتجاهل وجهة النظر الإقتصادية ، ويمنح الاتحاد السوفيتى التسهيلات المطلوبة ، ويرفع عن بضائعه الأعباء والقيود الجمركية الثقيلة!)[١].

ونصل بهذا إلى حقيقتين :

أولهما : أنه يستحيل أن تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بهذا الدعم الإقتصادى ، دون أن يكون لها من وراء ذلك مصالح .

ثانيهما : أن الاتحاد السوفييتى بموافقته على هذا الدعم والتنازل للولايات المتحدة بفتح أراضيها أمام رجال الرأسمالية دليل على أن الفكرة الإشتراكية أضحت فكرة باهتة لم يعد أصحابها الأصليون يرون حتمية بقاءها أو حتمية زوال خصمها وبالتالى ضربت الأفكار الشيوعية فى صميمها .

خامسا : حقق الوفاق والانفتاح على الغرب بعض الانعكاسات على حياة الفرد داخل الاتحاد السوفييتى ، هذا بالإضافة إلى ماقد حصل عليه من جراء تراجع القادة عن تطبيق بعض المبادىء الشيوعية . وقد جرت بعض المقارنات بين الشيوعى السوفييتى قبل الوفاق وبعده فكانت المحصلة أن (الشيوعى السوفييتى فى أوائل السبعينات لايمت بصلة للشيوعى السوفييتى القديم!

---

(١) نقلا من كتاب الروس قادمون (٣١٤) .

الشيوعى السوفييتى سنة ١٩٧٥م تغيرت مواصفاته . لم يعد الآلة التى تدور فى المصنع البشرى! لم يعد الكائن الذى يعبر عن المجموع! ولم يعد المخلوق الذى يردد مايقال له فقط ، ويؤمن بما يفرض عليه من مبادىء ، وآراء ، ومذاهب!

صورته تغيرت كثيرا ..

فالمواطن السوفييتى الجديد بدأ يهتم بنفسه . بأسرته . بحوافزه . بأحلامه برأيه الخاص فى سياسة بلاده الخارجية والداخلية . الرأى الذى يقرؤه فى "برافدا" ليس بالضرورة هو رأيه الشخصى أو الذى يجب أن يكون رأيه الشخصى أيضا! السياسة التى يعلنها مجلس السوفييت الأعلى بشأن مشكلة من مشكلات المجتمع السوفييتى ، لاتلزمه أبدا بتأييدها أو التهليل لها! الدول الصغيرة التى يستقبل قادتها استقبال الفاتحين فى موسكو ، يعتقد المواطن السوفييتى الجديد أن من حقه أن ينتقد هذه الدول . ومن حقه ألا يفتح ذراعيه لاستقبال قادتها . ومن حقه أن يطالب حكومته بقطع مساعداتها الإقتصادية والعسكرية عن عواصمها!)[١].

لقد فتح بريجنيف أبوابا كانت مغلقة من قبله رغم الجمود الذى تميزت به فترة حكمه .

لقد استبدل القيادة الفردية بالحكم الجماعى ، وظهر عليه التغير فى أموره الخاصة ، وأصبح يستقبل الضيوف فى غير صالونات قصر الكرملين .. وعلل ذلك بأن الزوار يكونون أكثر طلاقة فى أحاديثهم . وأصبح يتخذ القرارات دون الرجوع إلى موافقة المكتب السياسى الأعلى ، بل ودون الرجوع إلى النقاط التى كان يختارها المكتب لمناقشتها[٢]، هذا على مستوى القيادة ، وكذلك كان تأثير الوفاق على الفرد من حيث المطالبة بالملكية ، والتعلم ، ومعرفة الوسائل الحديثة والتكنولوجيا[٣].

---

(١) الروس قادمون (٢٣٣-٢٣٤) .

(٢) انظر المرجع السابق (٢٣٤-٢٣٦) .

(٣) انظر عن ذلك ماذكره إبراهيم سعدة فى كتابه الروس قادمون (٢٣٨-٢٤١) .

سادسا : حقق الوفاق ضربة أخرى للفكر الشيوعى الإقتصادى من خلال إعلان بريجنيف أن الإقتصاد السوفييتى لايمكن أن ينمو إلا عن طريق الولايات المتحدة ، فلم يكتف بالمساعدة ، بل إن الإقتصاد السوفييتى لن يسير قدما إلا من خلال الاستفادة المباشرة من الإقتصاد الرأسمالى!!

وفى هذا اعتراف بأن الإقتصاد القائم على الملكية الفردية أفضل من إقتصادهم الإشتراكى ، وبالتالى فإن فكرة ماركس عن الرأسمالية وكذا الملكية تعتبر من الأفكار الرجعية التى لابد من طرحها فى مزبلة التاريخ لعدم صلاحيتها!! لقد فتح الوفاق الباب أمام إقرار الملكية الفردية ، وإعطاء الحافز الفردى لتحقيق النمو الإقتصادى ، هذا فى حين أن الاتحاد السوفييتى سيحصل على كميات كبيرة من المحاصيل الزراعية عن طريق الولايات المتحدة الزعيمة الرأسمالية!!!

يقول ابراهيم سعدة : (فى أغسطس ١٩٧٢م فقد الفلاحون والمشرفون الزراعيون البقية الباقية من أملهم الكبير . وصدرت "برافدا" لتعلن قرار الحكومة السوفيتية بتعبئة السكان العامة لانقاذ البلاد من الكارثة التى تتربص بها . ووعدت الصحيفة بحسن استقبال المتطوع لانقاذ المحصول . وتقديم وجبة ساخنة مجانية له ، طوال الأيام التى يشارك فيها فى انقاذ المحصول من الخراب الذى ينتظره .

.. وبدأ الزحف العظيم .

جمعوا ٦٠ ألف عربة نقل ، و٦ آلاف آلة حصد ، و١٢ ألف خبير . و١٨ ألفا من طلبة المدارس الفنية المتوسطة ، واتجهوا جميعا إلى كازاخستان للمساهمة فى انقاذ محصول الغلال .

وتقدم ليونيد بريجنيف ـ سكرتير عام الحزب الشيوعى وأقوى رجل فى الاتحاد السوفييتى الآن ـ هذا الزحف المقدس!

ونزل بريجنيف إلى الحقول ، وجلس بين الفلاحين ، وألقى عشرات الكلمات وقدم الوعود الجميلة ، البراقة . واعترف بوقوع أخطاء فاحشة . وأكد أن الأخطاء لن تتكرر بعد اليوم . وأن العقاب ينتظر المخطىء ، والثواب ينتظر المخلص .

وصارحهم بأن الوضع خطير .. خطير . ولايهم - الآن - أن الخطة الخمسية الزراعية لن تحقق المطلوب منها فى الزمن المحدد لها ، ولكن الأهم من الخطة الخمسية - فى الوقت الحاضر - هو أن توجه كافة الجهود لتوفير الخبز لكل فم .

وقال أن الأخطاء التى ارتكبها البعض ، بالاضافةإلى سوء الأحوال الجوية ، قد أحدث عجزا لايقل عن ٢٠ مليون طن فى احتياجات البلاد من القمح والذرة والشعير .

والعجز كبير ومخيف . ولابد من تغطيته وإلا أشرفت البلاد - فجأة - على حافة المجاعة!

وضرب بريجنيف ضربته المنتظرة ، التى أحسن اعدادها من قبل وأعلن أن إنقاذ البلاد لابد أن يمر عبر الولايات المتحدة الأمريكية! فقد نجحت الزراعة الأمريكية هذه السنة وقدمت محصولا هائلا من الغلال . فالقمح وحده حقق أكثر من ٥٠٠ مليون طن .

.. وبالتالى فإن الولايات المتحدة هى وحدها القادرة على ابعاد شبح المجاعة عن حدود الشعب السوفييتى! ...) .

ومن هنا (أعلن سكرتير عام الحزب الشيوعى السوفييتى استمرار الأخذ بسياسة الانفتاح على الغرب بصفة عامة ، وعلى الولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة ، حتى ولو اضطر إلى سحق كل من يعارضه أو يقف ضد سياسته!)(١).

ولاشك أن الاتحاد السوفييتى كان يعجز عن تحقيق الرفاهية الداخلية للشعب ، وفى نفس الوقت يساير أمريكا فى التسلح فكان لابد من التراجع والتقيد وكذلك التنكر للمبادىء الشيوعية ، القائمة على معاداة الرأسمالية . يقول ماندل : (يستحيل ماديا على الاتحاد السوفييتى أن يحسن ، مستوى معيشة الجماهير ، وأن يحسن مستوى الصناعة والبنية التحتية الإجتماعية - الإقتصادية وأن يضاهى القدرة العسكرية للامبريالية فى وقت واحد)(٢).

---

(١) الروس قادمون (٢٥٨-٢٦٠) ، وانظر (٢٥٤) .
(٢) الاتحاد السوفييتى فى ظل غورباتشيف (٤٠٥) .

وهكذا يظهر لنا أن الوفاق قد عمل على إبعاد القادة عن الفكر الشيوعى كما عمل على جعل الفرد أكثر جرأة ، وأشد الحاحا فى المطالبة بالتغيير ، والحصول على ضروريات الحياة . واستمرت آثار الوفاق فى عهد بريجنيف ، وكانت التنازلات تقدم من المعسكر الشرقى للغربى فى سبيل الحصول على الدعم الإقتصادى بكافة أشكاله إلى أن جاء غورباتشوف أو (جىء به بتعبير أدق) فكانت الآثار أكثر وضوحا ، والتنازلات أشد أثرا فى البعد عن مبادىء الشيوعية . ونظرا للوضع الذى كان يعيشه الاتحاد السوفييتى فإن غورباتشوف قدم (المزيد من التنازلات للامبريالية التى يأمل بالحصول مقابلها على ابطاء عملية سباق التسلح وزيادة القروض الغربية بغية تضييق الهوة التكنولوجية . وهو مستعد للتضحية ليس بالحركات الثورية عبر العالم فحسب ، بل بزبائنه وبحلفائه الخاصين فى أوروبا الشرقية (بالطبع كان ستالين وخروتشيف مستعدين أيضا للقيام بالشىء نفسه ، ولكن بطريقة أكثر لؤما وضمن ظروف مماثلة . فلو أن ترومان لم يتهور فى خوض مغامرة فرض احتكار الولايات المتحدة للسلاح النووى على المدى الطويل ، وضمن بالتالى القروض الهائلة التى طلبها ستالين لعامى ١٩٤٥-١٩٤٦م بغية إعمار الاتحاد السوفييتى بعد مرحلة سياسة الأرض المحروقة فى الحرب مع النازية ، لما كان "الجدار الحديدى" ليقوم بين أوروبا الغربية وأوروبا الشرقية)[١].

لقدكان غورباتشوف يمثل (اختلافا عميقا مع ماضى السوفييت . فبالرغم من المشاكل المزمنة التى واجهها قادة السوفييت المتعاقبون لعقود عديدة ، والناجمة عن انخفاض الكفاءة الإقتصادية وعقم السياسة الخارجية وماصاحبها من مخاطر نجد أن غورباتشيف تصدى لإدخال تعديلات واسعة وعميقة على سياسات السوفييت الداخلية والخارجية)[٢].

---

(١) الاتحاد السوفييتى فى ظل غورباتشوف (٤٠٥) .
(٢) مابعد الحرب الباردة (٩٩) .

لقد كانت المصاعب التى تواجه غورباتشوف كثيرة ومتعـددة سواء على المستوى الداخلى أم الخارجي ، وكان يتوجب عليه إذا مـاأراد الاستمرار فى سيـاسته الداخلية الإصلاحية ، أن يغير من سياسته الخارجيـة ليمضن النجاح الداخلى ، ومن هنا فقد جاءت سياسته معلنة التقارب مع الولايات المتحدة ، ونبـذ الخلافـات ، والسير فى طـريق الـوفاق والتفـاهـم ، فقـدم العـديد من التنازلات وضحى بالكثير من المبادىء والآراء الماركسيـة فى سبيل القرب من الـرأسمالية ، والاستفـادة منهـا إلى أن أعلـن عن نهـاية الشيـوعية وسقوطها الأخير . ويمكـن إبراز أهم التـأثيرات التى أحدثتها سيـاسة الوفاق والتقارب مع الرأسمالية زمن غورباتشوف فى التالى :

أولا : ابطال مبدأ القضاء على الرأسمالية بالقوة .

كان فكر ماركس وانجلز يقوم على أنه لابد من (تنظيم البروليتاريين فى طبقة وهدم سيادة البرجوازية واستيلاء البروليتاريا على السلطة السياسية)[١].

أمـا قـواد الكرملين فتراجعـوا عـن ذلـك شيئـا فشيئـا إلى أن جاء غورباتشوف واستبدل هذا الأسلوب بآخر .

يقـول غـورباتشوف : (نحن لاندعـى لأنفسنـا دور المعلم الـذى يلقـى الـدروس على الآخرين . فنحـن ، إذ سمعنا من الغير دروسـا لاتنتهى ، فقد توصلنـا إلى الإستنتـاج بأن هـذا أسلـوب لاطـائل مـن ورائه . فـالحياة تعلم التفكير بنمـط جديد . ونحن توصلنا إليه بالتدريج ، وبالتـدريج استوعبناه ، وأخذنا نعيد التفكير بشكل جديد فى تصوراتنا السابقـة لقضايا الحرب والسلم وبصدد العلاقات بين النظامين ، والتأمل فى القضايا الكونية .

كان الطريق طويلا . فمنذ أكثر من ثلاثين عاما ، وفى المؤتمر العشرين للحـزب الشيوعى السوفييتى خرجنـا باستنتاج جوهرى بصـدد انعدام حتمية الحرب العـالمية وإمكـانية تفـاديها . ولم يدر الحديث ببسـاطة آنذاك حول تأجيـل اندلاع الصراع المقبل أو تمديد الفترة السلميـة "لالتقـاط الأنفـاس" ،

---

(١) البيان الشيوعى (٥٦) .

كما لم يدر حول إمكانية التغلب على هذه الأزمة الدولية أو تلك بصورة سلمية . وأعلن حزبنا عن قناعته بإمكانية بل بضرورة القضاء على خطر الحرب ، وإلغاء الحروب من حياة البشرية . وخلال المؤتمر تم الإعلان بأن الحرب لاتشكل بتاتا ، شرطا لابد منه لإحداث الثورة الإجتماعية . وتم تطوير مبدأ التعايش السلمى بالاستناد إلى التغييرات التى حصلت نتيجة الحرب العالمية الثانية .

وفى سنوات الإنفراج بذلنا محاولات لإغناء هذا المبدأ بمضامين محسوسة ، على أساس التكافؤ فى الحوار الدولى والتعاون . وتميزت هذه الفترة بتوقيع العديد من المعاهدات الهامة ، والتى وضع توقيعها فى الحقيقة نهاية لفترة مابعد الحرب فى أوروبا ، وأسهم فى تحسين العلاقات السوفيتية ـ الأمريكية ، الأمر الذى انعكس على الوضع الدولى بصورة عامة .

إن منطق الإنفراج ذاته قد أملاه تزايد الوعى بعدم إمكانية الانتصار فى الحرب العالمية الثالثة . وانطلاقا من هذه الحقيقة بالذات ، وقبل خمس سنوات أعلنا على العالم أجمع بأننا لن نكون البادئين باستخدام السلاح النووى ضد طرف آخر)[١].

ويقول : (نحن أقوياء بما يكفى لمجابهة كل محاولات التطاول على أمن شعبنا وعلى عمله السلمى بالردع الماحق . ولكننا نعتقد أن البرهان على صحة الأيديولوجية وأفضليات النظام الذى اختاره كل شعب بارادته ينبغى ألا يحصل بقوة السلاح بل بقوة المثل وحدها ، ذلكم هو يقيننا الراسخ)[٢].

ثانيا : أبطل غورباتشوف فكرة الصراع بين النظامين والتى قال بها ماركس من قبل .

يقول مكنمارا إن (فكر غورباتشوف الجديد خالف كلاسيكيات الماركسية ـ اللينينية عندما أعلن أن (من الضرورى عدم اعتبار الصراع

(١) عملية إعادة البناء (١٤٩) .
(٢) نقلا من كتاب غورباتشوف ونهج التحول الكبير (١٧٨-١٧٩) .

قاعدة فى النظام العالمى) . وأبطل مقولات ماركس ولينين عن تعارض مصالح الدول الرأسمالية والإشتراكية .. ففى نيسان/ابريل - ١٩٨٥م قال : (المواجهة لاتمثل قصورا خلقيا فى علاقاتنا ، إنها بالأحرى شذوذ واستكمالها ليس حتميا على الإطلاق)(١).

ثالثا : القضاء على مبدأ الدكتاتورية .

وظهر ذلك فى عدة أمور منها :

(أ) خفة حدة التسلط على الشعب داخليا والسماح لهم بما كان محرما عليهم من قبل قادة الكرملين باسم الفكر الشيوعى .

(ب) الدعوة إلى نزع السلاح والعمل باحلال السلام مكان الحرب ، وبيان خطورة التسلح ....

(ج) تخفيض أعداد الجيش والآليات العسكرية ، سواء من الاتحاد السوفييتى أو من دول أوروبا الشرقية . والتراجع فى سياسة السوفييت تجاه دول العالم الثالث حفاظا على إقتصاد الدولة السوفيتية(٢).

رابعا : إعلان نهاية الصراع الأيديولوجى مع الولايات المتحدة ، أى لاصراع بين الدولتين على أساس أيديولوجى .

يقول غورباتشوف : (لقد ورث ، جيلنا عن الماضى ، علاقات المجابهة بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة . فهل هو قدرنا أن نستمر فى حمل راية العداء فى المستقبل كذلك؟

صحيح أننا ننعم بالسلام منذ سنوات بعيدة وبوجه عام . ولكن من الصعب أن نصف الوضع الدولى الراهن بأنه وضع مرض . فسباق التسلح ، وخاصة النووى يتواصل ، والنزاعات الإقليمية لم تخمد بعد ، وخطر الحرب يتعاظم ، ولامخرج من كل هذا إلا فى أنسنة العلاقات الدولية . حقا ، إنها

---

(١) نقلا من كتاب مابعد الحرب الباردة (١١٧-١١٨) .

(٢) انظر عن ذلك : عملية إعادة البناء (٢٢٤) ، مابعد الحرب الباردة (١٠٧-١١١) ، الاتحاد السوفييتى إلى أين فى ظل غورباتشوف (٢٥٦) .

قضيــة شائكة ، ونطرحها على النحـو التالى : ينبغى الارتفـاع فـوق الخلافات الأيديولوجية . ولنترك لكل منا حرية الاختيار وأخذ ذلـك بالاعتبار . وهذا يفـرض علينا ضرورة الالتزام بالتفكير السياسى الجديد ، التفكير الصـادر عن فهم لشبكة علاقات الاعتماد المتبادل والقائم على قاعـدة الحفاظ على الحضارة الإنسانية . ويعنى نجاحنا فى الاتفاق على معايير هذا التفكير ، أن نتـوصل إلى حلـول متوازنة للمشاكل القائمة فى المجتمـع الدولى . فـإذا أدرك السيـاسيون هذا الأمر وطبقوه فى الواقع فسيعنى ذلك انتصار العقل .

فى غمـرة سعينا الدؤوب من أجل وضع دولى سليم نلاحظ أن هنـالك سمتين تميزان السياسة الخارجية الواقعية وهما :

* إعتبار المصالح القومية الذاتية .

* إحترام مصالح الدول الأخرى .

هـذا هو الموقف القوى السـديد الواجب الدفاع عنـه بثبـات ... هكذا نفكر ، وفى هذا الاتجاه نريد أن نعمل)[١].

وبين غـورباتشوف أن أمريكا الرأسمالية حرة فى اختيـار ماينـاسبها من وضـع إجتماعى وسياسى فيقول : (النظـام السياسى والإجتمـاعى للـولايات المتحدة ، قضية خاصة بالشعب الأمريكى نفسه . فهو الذى يقرر الطريقة التى تدار بها بلاده وتنتخب بها قيادته وحكومته نحن نحترم هذا الحق فى السيادة . ولـو رحنـا نشكـك فى طريقة اختيـار الشعـب الأمريكى ، فـإلى أى النتـائج سنصل ؟)[٢]

ويقول أيضا : (لايمكن التوجه نحو بناء علاقات منسجمة بين بلدينا إذا بقينا ، فى الوقت ذاته فريسة الهواجس الأيديولوجية)[٣].

---

(١) عملية إعادة البناء (٢٣١) .
ومما يدل على أن الـوفاق كـان له آثار واضحة تخوف الشعـب الأمـريكى منه .

(٢) المرجع السابق (٢٢٤) .
وانظر الاتحاد السوفييتى إلى أين فى ظل غورباتشوف (٢٥٠) .

(٣) عملية إعادة البناء (٢١٩) .

خامسا : إعلان زوال مبدأ حتمية سيادة الإشتراكية ، نظرا لأن الوفاق قد أفرز التفوق الرأسمالى وجعل الفكر الإشتراكى يتراجع فى أهميته حتى فى نفوس أصحابه .

سادسا : العمل مع الرأسمالية على تحقيق الأمن وأن هذا الأمن لن يتحقق إلا بذلك أى مشاركة الطرف الرأسمالى .

يقول غورباتشوف : (إن بلدينا لايمكنهما أن ينجرا ، ببساطة ، إلى المجابهة . ففى هذا تكمن المصلحة الحقيقية لشعبينا . وهذا مايجب أن ينعكس بلغة السياسة الواقعية . ومن الضرورى وقف سباق التسلح والشروع بنزع السلاح ، وتطبيع العلاقات السوفيتية الأمريكية . أقول بصدق أن الوقت قد حان لجعل العلاقات بين الشعبين العظيمين منسجمة مع دورهما التاريخى . فعلى علاقتنا يعتمد مصير العالم ، ومصير الحضارة العالمية . ونحن على استعداد للسير فى هذا الاتجاه)(١).

ويقول : (الولايات المتحدة دولة محكوم علينا العيش ونسج العلاقات معها . هذه حقيقة . ورغم كل التناقض فى علاقتنا فمن البديهى أننا بدون الولايات المتحدة لانستطيع عمل أى شىء لضمان السلام ، كما أنها بدوننا لن تستطيع عمل شىء . لامناص من التعامل مع الولايات المتحدة ولامفر للولايات المتحدة من التعامل معنا . لذا يصبح من الضرورى قيام العلاقات وإجراء الحوار فيما بيننا ، والبحث المشترك عن سبل لتحسين العلاقات)(٢).

سابعا : التعاون فى حل الاشكالات الإقليمية والعالمية .

---

(١) عملية إعادة البناء (٢٢٠) . وكان ذلك فى معرض الإجابة عن تساؤلات (مجلة التايم) الأمريكية سنة ١٩٨٥م .
وانظر غورباتشوف ونهج التحول الكبير (١٧٦-١٧٧) .

(٢) عملية إعادة البناء (٢٢٤) .
وعن رغبة الولايات المتحدة فى هذا العمل المشترك مع السوفييت انظر نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأمريكية (١٦٣-١٦٤) .

كان الاتحاد السوفييتى يرى أنه لايمكن تحقيق السلام والأمن فى هذا العالم إلا بمشاركته ، ثم مالبث أن أقر وطالب بمشاركة الولايات المتحدة ، ثم فى نهاية المطاف أعلن أنه ليس بالإمكان عمل شىء دون الرجوع إلى الولايات المتحدة الرأسمالية .

يقول غورباتشوف : (علينا أن نتعلم العيش فى العالم الواقعى ، العالم الذى فيه مصالح للاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا الاتحادية . كما توجد مصالح للهند والصين واستراليا وباكستان وتنزانيا وأنغولا والأرجنتين وغيرها من الدول ، وكذلك لكل من بولندا وفيتنام وكوبا . إن إنكار ذلك يعنى عدم الاعتراف بحق الشعوب فى حرية الاختيار ، حقها فى اختيار النظام الإجتماعى الذى تريد . وحتى إذا ماأخطأ الشعب فى اختياره ، فعليه هو نفسه إيجاد المخرج . نعم هذا من حقه .

تحدثنا حول هذا الأمر ، مرارا ، مع العديد من الأمريكيين بمن فيهم جورج شولتز . جرى ذلك فى ربيع ١٩٨٧م فى موسكو . وقد شمل الحديث مواضيع كثيرة ، ولكننى كنت دائما أمضى به إلى فكرة واحدة : دعنا نحاول العيش . فى عالم حقيقى ، دعنا نأخذ بعين الاعتبار مصالح الدولتين . وهذا غير ممكن دون مراعاة مصالح الأعضاء الآخرين فى المجتمع الدولى . فلن تتشكل العلاقات الدولية إذا استرشدنا بمصالح الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة فقط . إذن يجب إيجاد نوع من الموازنة .

فى كل مرحلة تاريخية تمثل هذه المهمة بشكل جديد . تتبدل المصالح فيتبدل التوازن . هنا ، يتوجب إيجاد مداخل جديدة . أكرر بأنه سيكون خطرا ومضرا فى نهاية القرن العشرين ، انتهاج سياسة مبنية على خطاب تشرشل فى فولتون أو على مبدأ ترومان . فقد حان الوقت ومنذ زمن بعيد للعمل بشكل جاد على إعادة بناء العلاقات السوفيتية الأمريكية . وإذا ماتم الاعتراف بذلك ، فلابد من نبذ سياسة إصدار الأوامر . إذ ليس بمقدور أى بلد ، سواء أكان الاتحاد السوفييتى أم الولايات المتحدة أو غيرهما من الدول النظر إلى العالم أو أى جزء منه كمادة للاستغلال ، ولو حتى بذريعة "المصالح القومية" .

بات الآن من الصعب تمرير محاولات بناء العلاقات على أسس الاملاء والعنف وإصدار الأوامر ، ومع مرور الوقت سيصبح ذلك مستحيلا . إن استيعاب الحقائق الجديدة عملية ليست بالبسيطة ، وهى تحتاج إلى وقت الجميع وجهودهم . ومادامت هذه العملية قد بدأت فستستمر . علينا أن نتعلم الإصغاء إلى بعضنا البعض وفهم بعضنا البعض . أثناء حديثى مع شولتز قلت له : نحن نساند التعاون المتبادل مع الولايات المتحدة ، التعاون البناء . وليس بمقدور أحد غيرنا تحمل المسؤولية الملقاة على عاتق بلدينا)[١].

ثامنا : أكثر من ذلك فإن غورباتشوف يرى أنه لم يعد هناك حاجة لتصوير الولايات المتحدة بأنها العدو اللدود للاتحاد السوفييتى .

ـ وأين هذا التفكير من نظريات ماركس التى مابنيت إلا على أساس القضاء على العدو اللدود لها (الرأسمالية) ـ حيث يقول غورباتشوف : (إننا لانحتاج إطلاقا إلى رسم وجه الولايات المتحدة على "صورة عدو" فلااحتياجاتنا الداخلية ولامصالحنا السياسية الخارجية تستدعى ابتكار هذه الصورة .

عادة، تبرز الحاجة إلى عدو مزعوم ، أو حقيقى ، عندما يكون هنالك إعداد لحالات من التوتر والمجابهة بدافع أهداف بعيدة المرمى . وأضيف أن مثل هذه الحالة محفوفة بمصاعب خطرة يصعب التنبؤ بها . أما نحن فإننا نهيىء أنفسنا لحالة مختلفة تماما .

وفيما يتعلق بنا فإن الاتحاد السوفييتى لاينشر دعاية الكراهية ولايروج لعدم الاحترام إزاء الولايات المتحدة . وهذا غير موجود فى سياستنا أو فى التعليم ، أو فى أى مجال آخر . نحن ننتقد السياسة التى لانتفق معها . ولكن هذه قضية أخرى وهى لاتعنى أننا لانكن مشاعر الاحترام تجاه الشعب الأمريكى)[٢].

---

(١) عملية إعادة البناء (٢٢٠-٢٢١) .
(٢) المرجع السابق (٢٢٥) .

تاسعا : التغير فى مجال الإقتصاد .

إن من نتائج الوفاق الدولى التغيير الإقتصادى الذى أدخل إلى البلاد وذلك من أجل الاتجاه نحو السوق الحرة واخراج السوفييت من العزلة الإقتصادية التى كانت مفروضة عليهم ، ولاننسى أن للفكر الشيوعى الذى يقوم على الملكية الجماعية دوراً فى هذه العزلة .

يقول غورباتشوف أن التحول التجارى بين أمريكا والسوفييت (تحول الآن إلى عامل مهم فى التطور السياسى الداخلى فى الاتحاد السوفييتى ، وهو العامل الذى يساعد على تحقيق التغييرات الإقتصادية الجذرية فى بلدنا . وكلما تعلق أحدنا بالآخر على صعيد العلاقات الإقتصادية كلما أصبحت علاقاتنا السياسية أكثر أهمية ومسؤولية)(١).

رغبة موسكو فى زيادة مشاركتها فى إقتصاد العالم .

(والسوفييت بالإضافة لفكرهم الجديد فى السياسة الخارجية والدفاعية يقومون بعمل تعديلات رئيسية - أيضا - فى سياستهم الإقتصادية العالمية .

إنهم يسلمون بوضوح بأن القرن الحادى والعشرين سيكون زمن تغير درامى للتكنولوجيا التى سوف تنتشر بسرعة بين الشعوب المشاركة فى اقتصاد العالم ، الذى ينضوون تحت لوائه حاليا . لذلك فكر غورباتشيف فى تطوير فرص السوفييت التجارية وتكامل الإقتصاد السوفييتى داخل إقتصاد العالم بأربعة طرق :

(١) إعادة توجيه جهاز التجارة السوفييتى ليسبح مع التيار .
(٢) تشجيع إنشاء شركات مشتركة مع رجال الأعمال الغربيين .
(٣) فتح طرق الإتصال مع المؤسسات المالية الغربية .
(٤) تواجد السوفييت فى عضوية المنظمات الإقتصادية العالمية بما فى ذلك التوقيع على الإتفاق العام للتعرفة والتجارة والإنضمام للبنك الدولى وصندوق النقد الدولى .

---

(١) نقلا من كتاب سادات الماركسية (١٢٨) .

فى اجتمــاع قمــة واشنطــن فى كــانون الأول/ديسمبر ١٩٨٧م أدلى غورباتشيف بالتصريحات الآتية :

أمـا عن العلاقات الإقتصادية مـع أمريكا .. فأنا ببسـاطة لاأعرف كيف نصبر على هـذه الحالة التى أصبحـت عليها ارتباطاتنا الإقتصـادية والتجارية . يمكننا أن يصبح كل منا مفيدا للآخر ، نحن مقتنعون أنه من الممكن أن تبدأ الأعمـال الأمـريكية صفقات مفيـدة لهـا فى الاتحاد السـوفييتى . إذا عـزم أى شخـص على الانضمام لنا ليسـاعدنا ويستفيد فى نفس الـوقت ، فنحـن ندعوه لأن يفعـل هذا .. نحن ننتظـر المبادرات ونخلق الظروف الضـرورية لمثـل هذا التعاون .

كـل من يرغب فى المشاركة سيجد دعما من كل من الحكـومة والقيادة السياسية)[١].

عاشرا : **حصل الفرد فى الاتحاد السوفييتى على كثير من حقوقه فى ظل سياسة غورباتشوف الإصلاحية والانفتاحية** . يقول مكنمارا :

(إضـافة إلى تطبيـق فكـر غـورباتشوف الجديد على التعـاون السيـاسى والإقتصـادى نجد أنه قـد بدأ أيضـا فى تطبيقه على مجالات حقـوق الإنسـان .

وقـد تم تغطية بعض الحالات الرئيسية إعلاميا بشكـل واسع مثل إنهاء نفـى داعيـة حقوق الانسان المعـروف جيـدا أندريه زاخاروف والسمـاح لـه بالسفر للغرب . ولكن هناك أيضا تحركات على جبهات أخرى يجب طرحها .. فلقد تم الإفراج عن أكثر من ستمائة سجين (رأى) خلال العامين المنصرمين .. وتعهـد السوفييت على الملأ بوقـف المزاولة الوحشيـة بتعريض المخالفين فى الرأى للعلاج النفسى .

وبدأ تخفيف الحظر على تعلم الدين وأداء طقوسه .. وتم طرح أكثر من مائة ألف كتاب مقدس للبيع بين المواطنين السـوفييـت ، وفى نهـاية ١٩٨٨م أنهـت موسكو المنع السوفييتى لتعليم اليهـودية . ويتم الآن مـراجعة الـدستور

---

(١) نقلا من كتاب مابعد الحرب الباردة (١١٣-١١٤) .

السوفييتى لتنقيته من المواد التى تحظر مختلف النشاطات السياسية والأنشطة الأخرى .. ومراجعة القوانين التى تجرم "السلوك المضاد للسوفييت" والتى استخدمت فى الماضى للقضاء على المخالفين .. كما التزم الاتحاد السوفييتى بأحكام محكمة العدل الدولية فيما يخص تفسيرات وملابسات إتفاقيات حقوق الإنسان . وفى عام ١٩٨٧م زادت هجرة اليهود السوفييت لتصل إلى أكثر من تسعة أضعاف ١٩٨٦م (فى ١٩٨٦ كانت ٩١٤ حالة زادت فى ١٩٨٧م إلى ٨١٤٩ حالة) وفى عام ١٩٨٨م أصبحت ١٩٢٠٠ حالة ، أى أكثر من ضعف حالات ١٩٨٧م . ويقدر مسؤول إسرائيلى عدد اليهود الذين سيهاجرون من الاتحاد السوفييتى خلال ١٩٨٩م بأنه سيصل إلى أربعين ألفا .

وقد تعهد غورباتشيف فى خطابه أمام الأمم المتحدة فى كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٨م بأن يضاف إلى دستور الاتحاد السوفييتى عام ١٩٨٩م قوانين تضمن حرية التعبير وحرية العقيدة الدينية ، مضيفا بأن القانون الذى يمنع هجرة المواطن الذى لديه معلومات عن أسرار البلد سوف يعدل ليشمل على بند يحدد بدقة "زمن المنع" . من الصحيح أن نقول أن المواطنين السوفييت لازالوا يعيشون تحت عبء عدد ضخم من الموانع والقيود الثقيلة ، ولكن الخطوات الاولى لتخفيف هذه القيود أصبحت ذات مغزى خصوصا لو قورنت بعدم اعتبار السوفييت السابق لموضوعات حقوق الإنسان)[1].

الحادى عشر : كان من آثار الوفاق التى ظهرت زمن الحقبة الغورباتشوفية ، فرض البيريسترويكا بالقوة من قبل الجبارين على دول أوروبا الشرقية .

يقول حسين صبرا : (إن ماحصل من تغييرات ليس فى الاتحاد السوفييتى فحسب وإنما فى العالم قاطبة ، تم خلالها قلب الموازين والمعايير فى السياسة العالمية رأسا على عقب ، جدير بأن يدرج تحت لقب "بيريسترويكا دولية" ، وذلك بعد شيوع البيريسترويكا داخل أول بلد إشتراكى فى العالم

---

(١) مابعد الحرب الباردة (١١٤-١١٦) .

ومن ثم محاولة تعميمها فى معظم دول المنظومة الإشتراكية وغالبية دول العالم الثالث ، ضمن حملة تنازلات يقدمها "الجبار" السوفييتى لعدوه القديم صديقه الجديد الجبار الأميركى ، وهو الشىء الذى بدأ برسم خارطة جديدة للعالم تختلف أيما اختلاف عن الذى عهدناه فى العقود السابقة)(١).

ويقول : (والصداقة المستجدة بين الاتحاد السوفييتى وأميركا أدت إلى التحالف بين الطرفين فى العمل على قدم وساق لفرض "بيريسترويكا دولية" يكون نموذجها بيرويسترويكا غورباتشوف وذلك فى مختلف أنحاء العالم ، سواء منها مايخص هذا المعسكر أو ذاك . وبالنتيجة سعى الاتحاد السوفييتى بكل جهده لتعميم البيرويسترويكا فى دول المنظومة الإشتراكية إضافة إلى الدول الصديقة ، وأميركا من جهتها قامت بالدور نفسه فى مايخص الدول التابعة لها ، وهو الشىء الذى يعتبر "التنازل" المقابل للتنازلات التى يقدمها غريمها دون أن ننسى الإشارة إلى الدور الذى لايستهان به والذى لعبه أيضا المعسكر الرأسمالى فى الضغط على دول المعسكر الإشتراكى نفسها خصوصا تلك التى كانت رافضة أساسا لـ"البيرويسترويكا")(٢).

<u>الثانى عشر</u> : <u>حقق الاتحاد السوفييتى شيئا من المصالح الإقتصادية نتيجة الوفاق زمن غورباتشوف</u> فقدمت الولايات المتحدة المساعدات ولكنها المساعدات المشروطة بالتنازلات . وكانت جل الطلبات التى تقدم بها غورباتشوف تهدف إلى الإنماء الإقتصادى . ولكن كانت تلبية هذه المطالب مقرونة بالتنازلات من الطرف الذى تقدم بالطلب . يقول ممدوح لطفى :

(على الساحة الدولية انتهى عهد "جورباتشوف" بالانجازات الباهرة وأصبح يواجه صعوبات حقيقية فى علاقاته مع كبرى دول العالم .. فى واشنطن واجه الرئيس الأمريكى "جورج بوش" ضغوطا قوية من أجل رفض الطلب العاجل الذى تقدم به إليه الزعيم السوفييتى "ميخائيل جورباتشوف"

---

(١) سادات الماركسية (٤٧) .

(٢) المرجع السابق (٥٠) .

للحصول على مساعدات مالية .. وكان "جورباتشوف" قد بعث برسالة خطية فى مارس ١٩٩١م يطلب فيها الحصول على تسهيلات ائتمانية إضافية قدرها بليون ونصف البليون دولار لشراء الحبوب من الولايات المتحدة وأوضح "جورباتشوف" فى رسالته أن هذه الضمانات الإئتمانية ضرورية لمواجهة النقص الحاد والمزمن فى امدادات الغذاء فى الاتحاد السوفييتي ونصح كبار المسئولين فى وزارة الخارجية الأمريكية الرئيس "جورج بوش" بعدم تقديم أية تسهيلات ائتمانية أخرى إلى موسكو إلى أن يوافق "جورباتشوف" على فرض مزيد من الاصلاحات الإقتصادية)[١].

ولاشك أن غورباتشوف كان يهدف إلى الحصول على مساعدات إقتصادية ليدفع بها العملية الإصلاحية داخليا . ولاشك أن التأخر التكنولوجى والتردى الإقتصادى قد شجعا غورباتشوف على الإقدام على هذه السياسة[٢].

وهكذا يظهر جليا أن الوفاق الدولى قد عجل بإنهيار الشيوعية . حيث كان الفرد داخل النظام يتطلع إلى حياة أفضل وتتوق نفسه إلى الإنعتاق من النظام الشيوعى سواء سياسيا أو فكريا .

كما أن الزعماء الشيوعيين رأوا أنه ليس بالإمكان الاستمرار فى الحفاظ على المبادىء الماركسية ومعالجة الأزمات الداخلية ومن هنا حدث التراجع عن تطبيق الأفكار الماركسية نظرا للتذمر الشعبى ومطالباته ، والتردى الإقتصادى وتأخره ، فعملوا على التقارب مع الدول الرأسمالية الأكثر نماء للاستفادة منها ، وكانت هذه الاستفادة على حساب التخلى عن العقيدة الماركسية التى لم يجن منها الاتحاد السوفييتى إلا الويلات خلال العقود الماضية .

وإذا كان الوفاق قد حقق المصالح المشتركة لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، فإن ثماره كانت فى الأعم الأغلب منحصرة عليهم ، وكان المسلمون هم الأكثر ضررا من جراء توافق الشرق والغرب . وهذا يدعونا إلى الحديث عن الموقف من الوفاق .

---

(١) إنهيار إمبراطورية شيوعية (١٥٩) .
(٢) انظر الاتحاد السوفييتى فى ظل غورباتشوف (١٩٩) ومابعدها .

المبحث الرابع
الموقف من الوفاق

إن مسألة التقارب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى قد أدخلت السرور فى نفوس كثير من الناس سواء من المسلمين أم من غيرهم لأنهم نظروا إليها بمنظار واحد هو زوال الخطر النووى عن المجتمع البشرى ولو إلى حد ما ، بالإضافة إلى دخول الدولتين عالم التقارب والتفاهم والتفاوض ولكن تظل هناك حقائق ينبغى أن لاتغيب عن أذهان المسلمين خاصة ومن هنا وجب الحديث عن موقفنا من الوفاق .

ودون النظر فى بعض ماحققه الوفاق للدولتين من مصالح فإن العالم الإسلامى ودول العالم الثالث كانت متضررة من وراء هذا الوفاق ولو شئت لقلت "التوافق" . فبالنسبة لدول العالم الثالث اتفقوا على مصادرة مصالحها وإنهاكها ونهب ثرواتها ، وبالنسبة للعالم الإسلامى اتفقوا على الوقوف ضد التيار الإسلامى أى الأصولية الإسلامية كما يزعمون ، ويمكننا وضع هذه النقاط لنتبين مقدار ماحققه الوفاق من ويلات على العالم الإسلامى ، وغيره من دول العالم الثالث .

أولا : اشعال نار الحروب الصغيرة والمحدودة فى أجزاء متفرقة من العالم .

ولعل هذا الأمر غير موجود بالنص فى الوفاق ولكن الأحداث أثبتت صحته (فأحداث تيمور فى جنوب شرق آسيا والمعارك الطاحنة التى شهدتها لبنان ، والحرب المشتعلة فى أنجولا فى الجزء الغربى من أفريقيا ، والحرب بين الجزائر والمغرب حول الصحراء المغربية ، هذه الظواهر لايمكن أن تكون كلها عفوية .. بل إن الأمور تحمل الإنسان العادى على القناعة التامة بأن وراء اشتعال هذه الحروب تقف "سياسة الوفاق" الأمريكى السوفييتى .. بمعنى أن اشعال هذه الحروب للسوفييت ولأمريكا مصالح فيها)(١).

---

(١) أخبار العالم الإسلامى ، العدد (٣/٤٦٣) الاثنين ١٣٩٦/٢/٢هـ ، مقال بعنوان (هذه الحروب الاقليمية لمصلحة من؟) بقلم محمد محمود حافظ .

ثانيا : أن الولايات المتحدة ترغب فى الاستفادة من هذا الوفاق ومن آثاره ونتائجه لصالحها وخاصة ماعرف بالنظام الدولى . ومن هنا بدأت الولايات المتحدة أكثر تدخلا فى كثير من القضايا التى شهدتها الساحة الدولية ، وذلك من أجل تحقيق المصالح الاستراتيجية والإقتصادية وقد أعلن بوش ملامح تلك السياسة فى خطابه الذى ألقاه فى الثانى من أغسطس عام ١٩٩٠م حيث قال : ("مع عزم الولايات المتحدة تخفيض حجم قواتها خلال السنوات المقبلة ، فإنها ستركز على الاستعداد لمواجهة التهديدات الإقليمية فى أى مكان تقع فيه من العالم ، وسوف تتخلى عن اهتمامها التقليدى باحتمال وقوع هجوم سوفييتى فى أوروبا" هذا ماأعلنه بوش قبل عام من حدوث الإنهيار الشامل والنهائى فى السلطة السوفيتية وسقوط الاتحاد السوفييتى كدولة)(١).

فـ(بدأت الإدارة الأمريكية تعكف على وضع استراتيجية جديدة تقوم على أساس الاحتفاظ بقوات أمريكية كبيرة لمواجهة مايصفه مسؤولو البنتاجون بـ"الأوضاع الإقليمية الطارئة")(٢).

ويقول : (إن ماتخطط له الآن يأخذ بعين الاعتبار وضعنا كقوة عظمى وكلاعب رئيس على المسرح العالمى ، له مسؤوليات ومصالح فى كل مكان من العالم)(٣).

ولو أردنا تتبع هذه السياسة لوجدنا أن الواقع يصدقها ويشهد بها ، ومثالا على هذه التدخلات :

---

(١) العالم الإسلامى والنظام الدولى (١٣٨) ، نبيل زكى سلسلة الدراسات السياسية والاستراتيجية (٨) ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م ، منشورات مركز دراسات العالم الإسلامى .

(٢) المرجع السابق (١٣٨) ، وانظر النظام العالمى الجديد ملامح ومخاطر (٤٥) .

(٣) العالم الإسلامى والنظام الدولى (١٣٩) ، وانظر صحيفة عكاظ العدد (١١/٩٦٧٠) الاثنين ٢٥ رجب ١٤١٣هـ الموافق ١٨ يناير ١٩٩٣م ندوة شارك فيها مجموعة من الأساتذة .

التهجم على هاييتى[١]، التصدر لموضوع البوسنة والهرسك ، تهديد كوريا الشمالية ، وهى ثلاث قضايا أرهقت الرئيس كلينتون وترك ملفاتها مفتوحة[٢].

كذلك الصومال ، أحداث الخليج ، الشرق الأوسط (قضية فلسطين والسلام) ، وهكذا .

ثالثا : أن أكثر المناطق التى عانت من الغطرسة الأمريكية ، والتدخل فى شئونها هى منطقة الشرق الأوسط .

ومن أهم أهداف السياسة الأمريكية تجاهها (العمل على ضرب الصحوة الإسلامية والتيارات القومية والوطنية التى مازالت تتمسك بالثوابت العروبية والوطنية وترفض الاستسلام للنظام الدولى الجديد وفقا للمنظور الأمريكى)[٣].

---

(١) إحدى جزر البحر الكاريبى ، ويرى البعض أن التدخل فيها من قبل الولايات المتحدة لتحقيق مصالح سياسية ، وتكريس التوجه فى حل النزاعات الإقليمية ، وكذا لفت انتباه كوبا إلى ضرورة التوقف عن إثارة المتاعب ضد الولايات المتحدة الأمريكية فى هذه المنطقة .

انظر صحيفة عكاظ العدد (٦/١٠٢٧٦) الاثنين ٢١ ربيع الآخرة ١٤١٥هـ الموافق ٢٦ سبتمبر ١٩٩٤م .

(٢) انظر صحيفة المدينة المنورة العدد (١٣/١١٤٠٢) الأحد ١٠ محرم ١٤١٥هـ الموافق ١٩ يونيو ١٩٩٤م عن التايم الاسبوعية .

وانظر بشأن كوريا الشمالية صحيفة الشرق الأوسط العدد (١١/٥٦٩٢) الاربعاء ١٩٩٤/٦/٢٩م .

(٣) العالم الإسلامى والنظام الدولى (١٥٣-١٥٥) ، وانظر (١٥٣-١٥٤) ، وانظر مجلة الإصلاح العدد (٣٥/٢٥٧-٣٦) الخميس ٢١ ربيع الآخر ١٤١٤هـ الموافق ٧-١٣ اكتوبر ١٩٩٣م وفيها أن الغرب يهدف من وراء هذه السياسة الجديدة :

أ ـ التجزئية ، حتى للقطر الواحد .

ب ـ تحريم امتلاك التكنولوجيا على عامة العالم الإسلامى .

ج ـ الهجرة اليهودية والتشجيع عليها .

د ـ المحاصرة الإقتصادية .

هـ ـ ممارسة الاعتراض ضد الحركات الإسلامية حتى لاتصل إلى السلطة . =

رابعا : أن الوفاق الدولى والنظام العالمى الجديد لايمكن بحال من الأحوال أن يكون خادما لمصالح المسلمين أو قضاياهم ، وقد أثبتت الأحداث مصداقية ذلك ، وفشل هذه السياسة مع قضايا المسلمين وأبرز الأمثلة على ذلك :

(أ) أحداث البوسنة والهرسك . (ب) الشيشان .

ونسجل الموقف الدولى من هذين الحدثين فى نقاط .

(أ) البوسنة والهرسك :

(١) أن الطرف الإسلامى يمثل العقبة فى اتخاذ الحل السريع لهذه المشكلة ، فالمسلمون هناك يمثلون الخطر الأكبر على أوروبا ومن هنا اتفقت الأهداف الشرقية والغربية فى ضرب المسلمين والتضييق عليهم وجعلهم فريسة سهلة أمام الحاقدين الصليبيين .

(٢) ونتيجة لذلك كان حظ القضية من المجتمع الدولى الشجب والإدانة ، وكل مايتخذ من قرارات توضع العراقيل أمام تنفيذه ، وإذا لزم الأمر استخدمت روسيا ضده حق النقض الفيتو . إن ماحدث فى البوسنة والهرسك ، وما(تقوم به القوات الصربية ينطوى على انتهاك صارخ لأحكام القانون الدولى وميثاق الأمم المتحدة ، واعلان حقوق الإنسان ، واتفاقيات جنيف ، والبروتوكولات الملحقة بها)(١).

= وانظر صحيفة المدينة المنورة العدد (٧/٩٤٢٣) الأربعاء ١٠ رمضان ١٤١٣هـ ، وفيها تصريحات وزير الخارجية الأمريكى كريستوفر (إن إدارة الرئيس كلينتون تولى قضية الشرق الأوسط أهمية خاصة .. فهذا الاهتمام الأمريكى لايجب أن يؤخذ فقط على أنه معبر عن مكانتها الدولية وموقعها كدولة عظمى تنفرد الآن به على الساحة الدولية ، ولكنه نابع أساسا من أن للولايات المتحدة دورا لابد وأن تمارسه فى المساهمة فى حل مشاكل المنطقة) .

(١) صحيفة عكاظ (الأمة الإسلامية) العدد (٢/٧٢) الجمعة ٦ ربيع الآخر ١٤١٣هـ الموافق ٢ أكتوبر ١٩٩٢م مقال بعنوان الموقف الدولى من محنة البوسنة والهرسك ثمانية أشهر بيانات شجب وادانة!! بقلم أحمد أبو الحسن زرد . =

ومع ذلك فلاغرابة لأن المتضررين هنا من المسلمين ..

(٣) ظهر من هذه الأحداث الحقد الصليبى الدفين على المسلمين بمساعدة روسيا ، ومباركة الغرب وعندما قامت الولايات المتحدة بغارةجوية لذر الرماد فى العيون تلقى كلينتنون مكالمة هاتفية من يلتسين جاء فيها (أكدت وأؤكد على أن مسائل معينة كتلك التى تتناول قصف مواقع الصرب لايمكن إقرارها من دون مشاورات مسبقة بين الولايات المتحدة وروسيا)[١].

= وانظر عاظ العدد (١١/١٠٠٣٣) الجمعة ١٠ شعبان ١٤١٤هـ الموافق ٢١ يناير ١٩٩٤م حيث ذكر بسام كمال أن روسيا تغض الطرف عن قتل المسلمين فى البوسنة رغم التقاء الرئيسين كلينتون ويلتسين وتشديدهما على مسألة مراعاة حقوق الإنسان .

(١) صحيفة الحياة العدد (٨/١١٣٧٨) الثلاثاء ١٢ نيسان/ابريل ١٩٩٤م الموافق ١ ذو القعدة ١٤١٤هـ . وقد كانت مواقف روسيا واضحة تجاه المسلمين هناك ، فمثلا : امتنعت روسيا عن التصويت على قرار بزيادة العقوبات على الصرب .
انظر صحيفةالحياة العدد (٦/١١٠٥٢) الاثنين ١٧ أيار/مايو ١٩٩٣م الموافق ٢٦ ذو القعدة ١٤١٣هـ .
وكذا عمل الروس على معارضة قرارات مجلس الأمن بشأن الغارات الجوية أو زيادة المحاصرة ووصل الأمر بها إلى إرسال قواتها إلى محيط العاصمة سراييفو .
انظر صحيفة المدينة المنورة العدد (١٠/١١٣٢١) الأربعاء ١٨ شوال ١٤١٤هـ الموافق ٣٠ مارس ١٩٩٤م .
ومما تجدر الإشارة إليه أن دول المجموعة الأوربية رفضت تسليح المسلمين .
انظر صحيفة عكاظ العدد (١٢/٩٧٦٥) السنة الرابعة والثلاثون الأربعاء ٧ ذو القعدة ١٤١٣هـ الموافق ٢٨ ابريل ١٩٩٣م .
ثم إن حلف الناتو بعد أن قرر سحب الأسلحة الثقيلة من الأطراف المتصارعة إلى خارج سراييفو فى دائرة نصف قطرها ٢٠كم فإن هذا القرار لم يطبق وخاصة فى أول الأمر إلا على السلمين حيث جردوا من سلاحهم وبقيت القوات الصربية محاصرة سراييفو ، وتم اجهاض القوات المسلمة بسحب الأسلحة الثقيلة التى كانت لديها بعد أن عجز الصرب طوال عامين عن كسرها .
انظر صحيفة المسلمون العدد (١/٤٧٢) وانظر (ص٤) الجمعة ٨ رمضان ١٤١٤هـ الموافق ١٨ فبراير ١٩٩٤م .
وانظر مجلة المجتمع العدد (٤٥/١٠٦٧) الثلاثاء ٥ ربيع الآخر ١٤١٤هـ الموافق ٢١ سبتمبر ١٩٩٣م .

(٤) إن الحرب فى البوسنة والهرسك كانت حربا عقدية ضد المسلمين ارتكبت المجازر تحت مسميات أخرى ولكنها حرب تريد وقبل كل شىء إبعاد كل ماله صلة بالإسلام من أوروبا وكان ديفيد أوين أعلن ذلك صراحة واعتبر أن هذه الحرب حرب دينية أو لابد من إضفاء هذا الطابع عليها (بالطبع من جهة المسلمين حتى يتسنى للأعداء استغلال ذلك) .

وقال أوين : (إن البوسنة لايمكن مطلقا أن تصبح دولة تتمتع فيها المجموعة السكانية الأكبر ـ وهم المسلمون ـ بسلطات ديمقراطية . إن هذا ـ ببساطة ـ أمر لايمكن قبوله)[١].

ولأجل ذلك اعتبر أوين أن عدم قبول المشروع بتقسيم البوسنة والهرسك يعتبر دليلا على عدم قبول السلام[٢].

لقد كشف الصراع فى البوسنة عن الأزمة الحقيقية التى يعيشها التجمع الدولى فى ظل الوفاق الدولى[٣] وبوابته الكبيرة التى فتحت فيما بعد النظام العالمى الجديد ، وأظهر أيضا أنه مادام أحد طرفى النزاع فيه العنصر الإسلامى فلابد من الخلاف حول القرارات والاجراءات التى تتخذ حتى لايقوم للمسلمين قائمة ولكن هيهات هيهات .

(ب) **الشيشان**[٤]:

---

(١) صحيفة الحياة العدد (١٥/١١٣٢١) الأحد ١٣ شباط/فبراير ١٩٩٤م الموافق ٣ رمضان ١٤١٤هـ .

(٢) انظر صحيفة الحياة العدد (٨/١٠٩٥٢) الجمعة ٥ شباط/فبراير ١٩٩٣م الموافق ١٤ شعبان ١٤١٣هـ .

(٣) انظر صحيفة عكاظ العدد (١٤/١٠٣٦٦) الأحد ٢٣ رجب ١٤١٥هـ الموافق ٢٥ ديسمبر ١٩٩٤م .

(٤) يقول يورى زينتين : الشيشان تقع شمال القفقاس ، ويحدها من الشمال اقليم ستافروبول الروسى ، ومن الجنوب جورجيا ، والجهات الأخرى تحيط بها أراضى قيودية ـ بلغاريا الكبرى ـ للقرواسيتيا الشمالية وداغستان . =

(١) إن العداء الذى يكنه الروس لسكان الجمهوريات ، والشيشان خاصة عداء عقديا . يخشاه الروس وكذا الغرب على حد سواء .

فبعد إنهيار الاتحاد السوفييتى ظهرت الجمهوريات الإسلامية إلى الساحة بوضوح ، وبدأت التراجعات تظهر التوجه الإسلامى ووقف الغرب والشرق ضد ذلك وتضافرت جهودهم على الحد من انتشار الأصولية الإسلامية كما يزعمون ، وعندما زار كلينتون موسكو ركز على مسألة التقارب بين الدولتين ، وقد اهتم كلينتون بهذا التقارب والدفاع المشترك بين الدولتين نظرا لموقع روسيا وأهميته حيث طبقت ذلك موسكو فقامت (تحارب المعارضة الإسلامية فى طاجكستان وفق مشروع "دولى" متكامل بوضع حاجز أمام زحف الأصولية المنبعثة من إيران وأفغانستان . ويلوح أن موسكو تنفذ هذه المهمة بحذافيرها . بل لعل قصف البرلمان الروسى بمباركة "الديمقراطيات الكبرى" لأنه عارض فيما عارض خطةكونية تجعل من روسيا عازلا بوجه زحف الحركات الأصولية والانبعاث القومى ، وهو دور لابديل لغير روسيا عنه وفق "مذهب كلينتون العسكرى" على الساحة الدولية)(١).

وأصبح الاهتمام من قبل روسيا والغرب بوضع حد لهذا المد الإسلامى واضحاً للعيان حتى حذر البرلمان الروسى السابق وبالذات

= مساحتها ١٩,٣ألف كم ، وعدد سكانها ١,٣ مليون نسمة وعاصمتها جروزنى ٤٠٠ ألف نسمة .

وقد وقعت عدة حروب بين الشيشانيين والقياصرة إلى أن ضمت إلى الإمبراطورية الروسية سنة ١٨٥٩م وبعد قيام الثورة البلشفية منحت الشيشان حق تكوين مقاطعة ذاتية ضمن إطار روسيا الاتحادية السوفيتية ، واحتلت المانيا جزءا منها فى الحرب العالمية الثانية ، وفى عام ١٩٤٤م حرر السوفييت الأرض من الألمان واتهم ستالين الشيشانيين بالتعاون مع الغزاة وقام بتهجير سكانها وإبعادهم آلاف الكيلومترات إلى آسيا الوسطى ، وفى عام ١٩٥٧م اعتبر الإبعاد عمل غير قانونى وبدأ السكان بالعودة إلى أراضيهم .

انظر صحيفة المسلمون العدد (٦/٤٢٧) الجمعة ١٨ شوال ١٤١٣هـ/ابريل ١٩٩٣م .

(١) مجلة الأسبوع العربى العدد (٢٧/٢٤) ١٩٩٤/١/٢٤م سلام مسافر .

حسبولاتوف بأن الغرب يريد توريط روسيا المسيحية فى حرب ضد تيار أخذ بالتعاظم لايمثل بالضرورة روحا عدائية ضد روسيا وكذلك كان موقف كثير من نواب البرلمان تحذيريا من أجل منع روسيا من التورط فى حرب روسية - إسلامية بقرار من الدوائر الغربية[1].

وقد تعرضت هذه الجمهورية إلى نكبات عدة على يد القياصرة ، وعلى يد ستالين[2]، وهاهى الآن على يد يلتسين بايعاز من الغرب وبحقد صليبى فى نفسه ونفوس أذنابه تقع تحت وطأة الحقد الصليبى مرة أخرى ، ، ولاغرابة فى هذا العداء لها فإن معظم سكانها مسلمون ومن السنة ، وقد أعلنت الشيشان استقلالها فى نوفمبر ١٩٩١م .

وبعد محاولة الشيشان الإستقلال والإنفصال عن التبعية لروسيا اقتحم الجيش الروسى تلك الجمهورية الصغيرة فأوقع ماأوقع فيها من خراب ودمار ناهيك عن القتل والتشريد .

(٢) أن روسيا ونظرا لوضعها الدولى الذى أصبحت فيه قوة متأخرة عن الولايات المتحدة وبمراحل لم يكن بمقدورها أن تقوم بهذا التدخل فى ظل نظام عالمى جديد يطالب بتحرير الشعوب ، وحق تقرير المصير لها بنفسها ولكن لأن المعتدى عليه هنا هم المسلمون (فقد أغمض الرئيس بيل كلينتون عن أحداث الشيشان تماما ، بل أعلن أن الأمر كله مسألة داخلية روسية)[3]. وهذا يعنى أن الشرق والغرب ، ووفاقهما ،

---

(١) انظر مجلة الأسبوع العربى عدد ١٩٩٤/١/٢٤ (٢٧) .

(٢) سحقت قوات القيصر الثورة الشيشانية فى عام ١٨٥٩-١٨٦٠م وراح ضحيتها ٤٠٠ شيشانى ، ورحل ستالين نحو مليون مسلم منها إلى سيبريا . انظر صحيفة عكاظ العدد (١٤/١٠٣٦٦) .

(٣) صحيفة عكاظ العدد (١٤/١٠٣٦٦) الأحد ٢٣ رجب ١٤١٥هـ الموافق ٢٥ ديسمبر ١٩٩٤م . ومما يدعم هذا الرأى أن الإقتصاد الروسى ليس من القوة بحيث يفتح على نفسه هذه الجبهات كلها سواء فى طاجاكستان ، أو الشيشان أو غيرها لولا أن هناك من يدفعها لذلك ، فتكاليف حرب الشيشان فى شهر واحد تعادل ميزانية الأبحاث الفضائية والعلمية فى عام . انظر صحيفة المدينة المنورة العدد (٧/١١٩٢٢) الأحد ٤ رجب ١٤١٦هـ الموافق ٢٦ نوفمبر ١٩٩٥م .

ونظامهما الجديد ليس للمسلمين فيه مكان .

(٣) أن إصرار المقاومة الشيشانية هناك على القتال وطرد القوات الروسية ولو بعد حين قد جعل الروس يضاعفون من ضرباتهم وحماسهم فى القضاء على هذه المقاومة ، زد على هذه الشجاعة أن قوادهم هناك يتحدثون عن الإسلام والعودة إليه .

لقد أبدى الشيشانيون مقاومة نادرة لهذه القوات المعتدية وقد استطاعوا أن يلحقوا الأضرار الفادحة بالقوات الروسية فقد أحرقوا ٤٠٠ مدرعة وقتلوا أكثر من ٦٠٠٠ روسى فى أول يوم حرب وذلك يوم ٣١ ديسمبر ١٩٩٥م كما صرح بذلك اصلان سخاروف[١] وقال إن الروس أرادوا التنزه فى أراضينا فأجبرناهم على البقاء حتى الموت . وهذا بعد أن فرضت روسيا التجويع لمدة ثلاث سنوات على الشيشان ونظرا لهذه القوة والشجاعة اتهم يلتسين وزير دفاعه بالجبن وغضب على الشيشان فزاد من الحرب بعنف[٢].

فأين هو النظام العالمى الجديد القائم على مراعاة حقوق الإنسان من قتل ٣٠,٠٠٠ من الشيشان؟[٣]. وأين هى الدعوة إلى حرية تقرير المصير وبقاء ٢٠٠٠-٦٥٠٠ مقاتل تحتفظ بهم روسيا فى الشيشان؟[٤]، إن هذه المعانى السامية سرعان مايضرب بها عرض الحائط ، وتصبح فى عالم النسيان ، إذا كان المسلمون طرفا فى النزاعات كما هو الحال فى البوسنة والشيشان ، وهذا يجعلنا نصور الموقف من الوفاق بالنسبة للمسلمين .

---

(١) قائد القوات الشيشانية ويعتبره الشيشانيون وزير الدفاع ، يرشحه الشيشانيون لقيادة البلاد ، يضع الخطط الحربية ضد الروس ، اعتبره جوهر دوداييف ذراعه اليمنى . لم يكتسب سمعة كالآخرين .

(٢) انظر صحيفة عكاظ العدد (٧/١٠٥٥٧) الأحد ١١ صفر ١٤١٦هـ الموافق ٩ يوليو ١٩٩٥م (شهادات بلون الدم من خط النار الاول ٢٥/٢٤) كتبها أيمن حبيب .

(٣) انظر صحيفة عكاظ العدد (١٤/١٠٤١٤) السبت ١٢ رمضان ١٤١٥هـ الموافق ١١ فبراير ١٩٩٥م .

(٤) انظر صحيفة عكاظ العدد (١٠/١٠٥٤١) الجمعة ٢٥ محرم ١٤١٦هـ الموافق ٢٣ يونيو ١٩٩٥م .

موقف الأمة المسلمة من الوفاق (النظام العالمى الجديد) :

يمكن إبراز موقف المسلمين من الوفاق فى النقاط التالية :

أولا : عدم الانخداع بهذا التقارب ، والتذكر الدائم أن هؤلاء الأعداء بعضهم أولياء بعض . قال تعالى : {**ولاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض**}(١).

ومن هنا لزم المسلمون أن يتعاملوا معهم وبشتى أصنافهم على أنهم أعداء لنا فى كل حين ، حتى ولو كانوا مختلفين فما بالك لو كانوا متفقين؟! فذلك من باب أولى .

ثانيا : اليقين بأن هذا الوفاق والتقارب ومانتج عنه من إعلان عن نظام عالمى جديد لايمكن أن يخدم قضايا المسلمين ، بل بالعكس هو ضدها ، وكان من الدوافع إليها الوقوف فى وجه المد الإسلامى المتنامى ، ومن هنا وجب على المسلمين الالتفاف حول كتاب ربهم ، والأخذ بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وترك الالتجاء للشرق أو الغرب فإنهم هم الأعداء وسيظلون كذلك إلى قيام الساعة {**ولن ترضى عنك اليهود ولاالنصارى حتى تتبع ملتهم**}(٢).

والأحداث التى شهدتها الساحة الدولية تشهد بصدق ذلك .

ثالثا : العلم بأن الأعداء من شرقيين وغربيين بدأوا يستبدلون العداء لليهود الذى كان يعرف بـ(اللاسامية) بالعداء للمسلمين (اللاإسلامية)(٣) فقام الوفاق الدولى ومن ثم النظام العالمى على أساس ضرب الصحوة الإسلامية (وتقوية السيطرة اليهودية والصهيونية على العالم ككل وعلى العالم الإسلامى بصورة خاصة)(٤).

---

(١) سورة المائدة : (٥١) .

(٢) سورة البقرة : (١٢٠) .

(٣) انظر مجلة الإصلاح العدد (١٦/٢٤٨) الخميس ١٦ صفر ١٤١٦هـ الموافق ٥-١١ أغسطس ١٩٩٣م .

(٤) الرسالة الإسلامية (بيروت) العدد (٢٩/١٢٧) شوال ١٤١٣هـ ، نيسان/ابريل ١٩٩٣م (النظام الدولى الجديد مواجهة الصحوة الإسلامية) بقلم د. أحمد موصلى .

ومن هنا وجب الإعداد لمواجهة هذا العداء .

رابعا : العمل الجاد من قبل الدول الإسلامية فى إيجاد التقارب الحقيقى بينهـا واتخاذ القرارات التى تخدم مصلحـة المسلمين فى كـل مكان وتهدف إلى نشـر الإسلام القـائم على الكتـاب والسنـة ، ويكمـن ذلـك العمـل فى إيجاد المنظمـات والمؤتمرات ، والجمعيـات ، ومـاشابه ذلـك مـن أجل خدمـة قضايا المسلمين ، ولكـى يكـون لهـذه الـدول كيان مستقل تستطيـع به أن تفـرض رأيها على المجتمع الدولى فهى تملك الثروات ، وتملك المواقـع الاستراتيجية ، وتملك كل مسببات القوة المادية ، وفوق هذا كله ، وقبله كله ، تملك الإيمان بربهـا تعالى وبرسولها صلى اللـه عليه وسلم . تلك القـوة الحقيقية التى تصغر أمامها كل قوة .

خامسا : ونظرا لأن الوفاق والنظام العالمى الجديد قد شغل حيزا كبيرا من وسائل الإعلام المختلفـة سواء من غربية أو شرقيـة أو إسلامية فيتوجب أن يكون هناك حشدا إعلاميا كبيرا يبين حقيقة هذا الـوفاق والغايات منه ، وماذا قدم للمسلمين ولقضاياهم .

سادسا : الاهتمـام بالمجال الثقـافى والحضارى . فـإن هـذه القوى تريد إبعاد المسلمين عن دينهم وفكرهم الأصيل المأخوذ من كتاب الله تعالى وسنة رسـوله صلى اللـه عليه وسلم ، ومـن هنـا وجب الاهتمـام بذلـك لصـد هذا العدوان .

وأخيرا ينبغـى الاهتمـام بصـد خطر هذا الوفاق لأنه أخذ يكشـر عـن أنيـابه ويعلن صراحة أن العدو القادم هو الإسلام ، وقـد أطاح هذا الوفاق وذلك النظام بالمارد الشيوعى ليتخذ عدوا آخر له وهو الإسلام فحذار حذار أن نغفـل عن هؤلاء الأعداء ، فمـا اتفقوا إلا لضرب المسلمين وتكميم أفـواه المصلحين ، والعمـل على سيطـرة اليهود والصليبيين ، وبدأت هــذه الأحقـاد والآثار تظهر وماسيأتى بعدها أكبر .

وبعد هذا العرض نصل إلى الحقائق التالية :

أولا : أن الدعوة إلى السلم وترك التسلح والنزاع وجدت منذ فترة أسبق على الوفاق(١).

ثانيا : أن التنازلات التى قدمها السوفييت كانت أكثر بكثير من تنازلات الولايات المتحدة . يقول حسين صبرا : (التنازل الذى يقدمه الجباران ليس متكافئا ، بحيث أن تنازلات الجبار السوفييتى كانت لصالح الجبار الأميركى ليس إلا . وأما ماقابلها من تنازلات أميركية فهى إنما صبت فى خانة المصالح الأميركية ذاتها . ومايطلق عليه "توافقا" بين الجبارين ليس سليما من الناحية الواقعية ، لأن غورباتشوف اتجه غربا وهو متمثل بالخصم الضعيف ، ويلمس ذلك من خلال جميع العروضات السخية التى قدمها للغرب . لذلك فإن مافعله غورباتشوف ليس سوى "استسلام" كامل للغرب وللجبار الأميركى بالتحديد ، وينتفى مع ذلك أى حديث عن "التوافق" أو "الوفاق" ، فليس هناك من اتفاق بين الجبارين سوى انسحاب الاتحاد السوفييتى من ساحة المواجهة ، لتبقى أميركا وحدها ولترتسم خارطة العالم المستقبلية بوجود جبار أوحد ومايعنيه ذلك من قيام إمبراطورية أمريكية تحكم العالم بمفردها ولايحدها حدود)(٢).

ثالثا : أن الوفاق أمر مرتب له وبدون شك وإذا كانت الحقائق والبراهين لاتسعف الكتاب والباحثين الآن لكونها فى نطاق الكتمان إلا أن التاريخ سيكشف ذلك .

ونذكر هنا قول نيكسون : (بأن مؤرخى المستقبل سيكتبون عن العام ١٩٧٢م ... الذى ساهمت أميركا فيه بقيادة العالم من الأراضى المنخفضة

---

(١) انظر الحرب العالمية الثالثة (الخوف الكبير) (١٣٨) ومابعدها وذكر أن سبب اخفاق الاجتماعات بشأن نزع السلاح تعود إلى :
أ ـ أن الإنسان هو الذى يقتل وليس السيف أو المدفع فلابد من نزع السلاح من القلوب والأفكار .
ب ـ عدم الصدق والإخلاص فى تلك الدعوات .

(٢) سادات الماركسية (٥٧) .

للحرب الدائمة نحو هضاب السلام العالية)[١].

وبالفعل سيكون الأمر كذلك ، بل إن نيكسون الذى دشن تلك السياسة بدأ يأخذ نصيبه من الاطراء والمديح[٢].

رابعا : أن الوفاق ظهر فى وقت كان فيه الرئيس ريغان أكثر اهتماما بالأيديولوجية بل اعتبره لورانس باريت أحد مؤرخى سنوات حكم ريجان أنه (أكثر الرؤساء فى تاريخ الأمة وضوحا فى أيديولوجيته)[٣].

ويقول دانيا ونورمان : (أصبحت معاداة الشيوعية عنصرا رئيسيا فى أيديولوجية ريجان)[٤].

وهذا يدل على أن ريجان لن يقدم تنازلا إلا إذا حصل على تنازل أيديولوجى كان يتعارض مع فكره .

خامسا : ظهرت الولايات المتحدة الأمريكية كقوة أولى فى العالم عسكريا وأصبح الاتحاد السوفييتى متراجعا عنها بمراحل نتيجة للبعد عن أيديولوجيته ، وكذا للتنازل الكبير الذى قدمه الزعماء للغرب وخاصة غورباتشوف .

سادسا : كان للوفاق الدولى ـ ومن بعد آثاره التى ترتبت عليه ـ أثرا فى التعجيل بإنهيار الشيوعية واسقاطها السقوط النهائى ، وبالفعل أسقطت وأعلنت الولايات المتحدة قيام النظام العالمى الجديد والذى تنفذه كما تشاء وفى الوقت الذى تشاء .

سابعا : فى ضوء هذه المتغيرات خلفت روسيا الاتحاد السوفييتى ، وبقيت هى الأخرى تسير فى طريق الغرب وتستجدى منه العطف الإقتصادى ومن هنا فإن روسيا وريثة الاتحاد السوفييتى بعد إنهياره لاتقل ـ إن لم تكن أكثر وهذا الأصوب ـ تبعية عن الاتحاد السوفييتى سابقا .

---

(١) نقلا من كتاب الاستخبارات السوفيتية فى العالم (٦١٦) .

(٢) انظر ماذكره بول فيندلى : صحيفة المدينة المنورة العدد (١١٣٥٤) ١٥ ذو القعدة ١٤١٤هـ الموافق ٢ مايو ١٩٩٤م ، مقال بعنوان (ميراث نيكسون) ترجمة حسن ساتى

(٣) نقلا من كتاب تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥ (٤٠٩) .

(٤) المرجع السابق (٤١٠) .

ثامنا : أظهرت هذه الأحداث المتلاحقة بين الشرق والغرب عدة قوى إقتصادية وسيكون السمتقبل لها إذا سارت الأمور على ماهى عليه الآن ونخص بالذكر الآن اليابان ، حيث قال الأستاذ زينشى يوشيدا بجامعة طوكيو (إذا كان القرن التاسع عشر هو القرن الأوروبى ، والقرن العشرون هو القرن الأمريكى .. فسيكون القرن الواحد والعشرون .. يابانيا)[١].

ومن هنا فلاغرابة فى العداء الذى يقع بين الولايات المتحدة واليابان بعد كل فترة إذ أن الأولى أصبحت تدرك هذه الحقيقة[٢].

تاسعا : أن من الحقائق التى سجلتها هذه الفترة أنه رغم الوفاق ، ورغم النظام العالمى الجديد ، ورغم سيطرة الولايات المتحدة عسكريا الآن ، إلا أن الصراعات والخلافات كانت موجودة وعلى مستوى مناطق العالم عامة تقريبا وكان من أخطر هذه الصراعات التدخل السوفييتى فى أرض أفغانستان المسلمة والذى لم يحرك الغرب تجاهه ساكنا يذكر فدل على فشل سياسة الوفاق فى معالجة القضايا التى يكون المسلمون طرفا فيها وهذا الفشل مقصود متعمد ، كما دل على أن الغرب وبقيادة الولايات المتحدة قد أرادت أن ترهق الاتحاد السوفييتى من جراء هذه الحرب فيقدم لها تنازلات أكثر وبقدر أكبر .

وكذا من جهة ثالثة أدى الجهاد الأفغانى إلى التعجيل بإسقاط الشيوعية وإزالة الرهبة الدولية من هذه القوة الكبرى وضرب الجهاد الأفغانى مثلا بأن القوة الحقيقية إنما هى فى التمسك بدين الله تعالى ونصرته لكى يتحقق النصر ، فغدا الجهاد الأفغانى سببا من أسباب إنهيار الشيوعية والتعجيل بإسقاطها .

---

(١) العالم الإسلامى والنظام الدولى (١٤٢) .

(٢) انظر صحيفة الحياة العدد (١١٠٥٠/٣) السبت ١٥ أيار/مايو ١٩٩٣م الموافق ٢٤ ذو القعدة ١٤١٣هـ .

الفصل الثالث
الجهاد الأفغاني

ويشتمل على تمهيد وعدة مباحث .

التمهيد .

المبحث الأول : دراسة تاريخية موجزة عن العلاقة بين حكومة الاتحاد السوفييتى وأفغانستان .

المبحث الثانى : التدخل الروسى فى أفغانستان ، وإعلان الجهاد .

المبحث الثالث : الخسائر الفكرية والسياسية والإقتصادية للاتحاد السوفييتى وأثر ذلك فى سقوطه .

المبحث الرابع : موقف الدول الرأسمالية من الجهاد الأفغانى .

(١٦٧٩)

الفصل الثالث
الجهاد الأفغاني

تمهيد :

إن الصراع بين الحق والباطل كان موجودا منذ أن أهبط الله تعالى آدم إلى هذه الأرض ، وهذا الصراع سنة من سنن الله تعالى ، وقد سجل التاريخ أنواعا عديدة من الصراع والحروب ، والتى كانت دوافعها مختلفة ، وأساليبها متنوعة ، وقد أولى الدين الإسلامى مسألة القتال والحروب اهتماما كبيرا ، وكان الجهاد فى سبيل الله تعالى ذروة سنام الإسلام ، وأفضل من كثير من أعمال الخير والبر ، وامتدح الله تعالى المجاهدين ، وأثنى عليهم رسول رب العالمين صلى الله عليه وآله وسلم ، وجاهد بنفسه وماله ، ولاقى فى سبيل الله تعالى مالم يلاقه نبى مرسل عليهم الصلاة والسلام أجمعين ، وقد ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على ذلك ، فقدموا أموالهم وأنفسهم رخيصة فى سبيل الله تعالى .

ثم سارت هذه القوافل من بعد الصحابة ممثلة فى التابعين وأتباعهم حتى وقتنا الحاضر ، فكان الجهاد لتبليغ دعوة الله تعالى للعباد وإخراجهم من الشرك والوثنية ، إلى نور التوحيد والعبودية ، فكانت الأمة فى عزها ومجدها ماقامت بسنة الجهاد ، فإذا ماتقاعست عنها أصيبت بتسلط الأعداء عليها ، وقد تعرضت الأمة الإسلامية فى تاريخها لهجمات عديدة منها اليهودية ، والصليبية ، ومنها العسكرية والفكرية ، ونتجاوز السرد التاريخى لذلك إلى أن نصل إلى زماننا هذا ، والذى تفنن الأعداء فى أساليبهم وأفكارهم الإلحادية الكفرية التى يبثونها بين شعوب المسلمين ، ومن أخطر هذه الأفكار الشيوعية ، وقد اكتوى بنارها وفسادها كثير من بلاد المسلمين ، وحاولت بسط نفوذها فكريا وعسكريا على كثير من البلاد الإسلامية والعربية كمصر ، والصومال واليمن وغيرها . ولاشك أنه يختلف من مكان لآخر فى

مقدار تغلغله وسيطرته ، ومن هذه الدول التى وقعت تحت التأثير الشيوعى فكريا وعسكريا دولة أفغانستان المسلمة ، والتى تشترك فى الحدود مع موطن الشيوعية الأول (الاتحاد السوفييتى) ، فقد قام بنشر الفكر الشيوعى فى الأراضى الأفغانية بإيجاد الخلايا الشيوعية ، والعملاء ، ثم عندما رأت أنها لن تفلح بهذه الطريقة أعقبتها بالتدخل العسكرى الآثم على هذه الأرض المسلمة.

فما كان من أهلها إلا أن هبوا فى وجه الإلحاد وأهله ، وأعادوا للأذهان سابق العهد بأن عز هذه الأمة فى جهادها لأعداء الله تعالى ، فضربوا أروع الأمثال ، وقدموا الأنفس والأموال ، وعجلوا بجهادهم هذا فى إنهيار الفكر الشيوعى وسقوط دولة الإلحاد .

وقبل أن نتبين تلك الحقائق أود أن أنبه على عدة مسائل يجدر بنا أن نضعها فى الحسبان عند حديثنا عن جهاد الأفغان :

أولا : أن الجهاد الأفغانى من الأسباب الخارجية التى أدت إلى إنهيار الشيوعية وسقوطها وهو من آخرها ، ومن هنا وجب الاعتدال عند الحديث عن الجهاد الأفغانى وأثره فى سقوط الشيوعية ، فلايقال بأنه السبب الأقوى أو السبب (الوحيد) فى سقوطها ، وكذلك لايتناسى أثره الفعال فى التعجيل بالإنهيار .

ثانيا : أن الجهاد الأفغانى قد جعل الجبارين يزيدان إصرارا على التقارب والوفاق ، لخوفهم من الأصولية الإسلامية! ، فاعتبروا المسلمين هم الأعداء الحقيقيين الذين ينبغى أن تتوحد القوى فى ضربهم ، ولأجل ذلك جاءت التصريحات والنداءات لمواجهة الأصولية الإسلامية والتى أخذت فى التنامى .

ثالثا : يمكن القول بأن الجهاد الأفغانى قد مر بعدة مراحل ومن هنا كانت وجهات النظر (الإسلامية) متباينة تجاهه ، ويمكن جعلها فى ثلاث مراحل :

الأولى : والتى قدمت فيها التضحيات ، وضربت فيها أروع الأمثال فى بذل النفس والمال فى سبيل الله تعالى .

الثانية : ظهـور الأحزاب والاختلاف بينهـا وخاصـة بعـد أن بدأت تتساقط المدن الأفغانية فى يد المجاهدين .

الثالثة : انسحاب الروس من أفغانستان ، وبدء القتال بين فصائل المجاهدين والتناحر والخلاف فيما بينهم فوقع ذلك التفرق والتشرذم الذى كان الشرق والغرب يهدف إليه على السواء ، وذلك حتى الآن .

وبهذا تكون ثمرة الجهاد بالنسبة للمسلمين لم تقطف حتى الآن ، ومن هنا نضع هذه اللمحة عن فضل الجهاد فى الإسلام وبعض غاياته .

فضل الجهاد في سبيل الله تعالى
وبعض من غاياته

إن ذروة سنام الإسلام ، هو الجهاد فى سبيل الله تعالى لإعلاء كلمته ، وقد أولى الإسلام الجهاد اهتماما كبيرا ، ومن هنا اهتم به العلماء والفقهاء لبيان أحكامه ، فألفت فيه الكتب الكثيرة ، وبينت العلاقة بين المسلمين وأعدائهم حال الحرب وحال السلم ، كما اهتمت كتب السير بذكر غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه ، ومن بعد غزوات الصحابة رضى الله عنهم ، ثم من بعد المعارك التى خاضها المسلمون فى تاريخهم ضد أعدائهم ، وضربت أروع الأمثلة فى التضحية بالنفس والمال ، مما يدل على أهمية الجهاد وكونه من أفضل الأعمال ، وقد وردت الآيات الدالة على فضله وأهميته ، ومن ذلك قوله تعالى :

{يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون}[١].

وقال تبارك وتعالى : **{يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين}**[٢].

وقال تبارك وتعالى : **{وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله}**[٣].

وقال سبحانه وتعالى : **{قل إن كان ءاباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجرة تخشون كسادها ومسكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لايهدى القوم الفسقين}**[٤].

---

(١) سورة الصف : (١٠-١١) .
(٢) سورة التوبة : (١٢٣) .
(٣) سورة الأنفال : (٣٩) .
(٤) سورة التوبة : (٢٤) .

من غايات الجهاد الإسلامى :

إن الغايات التى فرض من أجلها الجهاد فى سبيل الله تعالى كثيرة جدا ومن أهمها :

أولا : تطبيق شرع الله تعالى ، ونشر منهجه فى الأرض .

يقول د. سعد المرصفى : (الجهاد فى سبيل الله ، لإقرار منهج الله فى الأرض ، وإعلان سلطانه على البشر ، وتحكيم شريعته فى الحياة ، لتحقيق الخير والصلاح والنماء للناس ...)(١).

ثانيا : إخراج الناس من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان . يقول محمود شاكر :

(والأمة الإسلامية منذ وجدت كانت غايتها إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، فانطلق أبناؤها إلى الجهاد فى سبيل الله . ومامن فتى إلا وكان همه القتال والغزو مع جيوش الفتح والخروج فى أرض الله يبلغ دعوة الله ، ومامن أحد إلا وكانت أمنيته تحقيق النصر بإمكاناته كلها وطاقاته كلها وفوق ذاك كان أكبر أمانيه أن يموت فى أرض المعركة وتكتب له الشهادة . فكان كل رجل فى هذه الأمة يصلح أن يكون قائدا لما يحمل من روح معنوية عالية ، وكان كل جندى مقداما شجاعا يخوض غمار الحرب مبتسما يطلب الفوز بإحدى الحسنيين النصر أو الشهادة لايبالى أقبلت الكتيبة أم أدبرت ، شد الأعداء أم تراخوا بل ربما كان شدهم أحب إلى نفسه لينال منهم ويحقق مايريد ، فكم من رجل تسلم القيادة ولم يسمع به من قبل ، فإذا به فى مصاف عظماء القادة . وبهذه الروح انتشرت الفتوحات ، وانطلق المسلمون فى أرجاء الأرض يحطمون الطواغيت ، ويزيلون دول الظلم ومعاقل الشرك من المناطق التى وصلوا إليها ، واجتاحتها جيوشهم)(٢).

---

(١) المادية والروحية فى الميزان (١٩) .

(٢) أفغانستان (٦) ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، دمشق ، وانظر الجهاد الأفغانى ودلالاته (١١) ، محمد قطب ، الطبعة الثانية ، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م ، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر ، جدة .

ثالثا : القضـــاء على القـوى ، والعقبـات التى تمنـع وصـول الحق إلى الناس.

ذلك أن الحق يحتاج إلى تبليغ وإيصال إلى الآخرين ، فـإذا ماوجدت القـوى الشيطـانية التى تمنع وصـوله إليهـم فلابد من إبعـادها ليتسنى لهـؤلاء الناس معرفته ومن ثم اتباعه .

فكانت هذه الحروب (لإزالة العقبات ، أيا كانت ، مـن طريق المصلحة البشرية الحقيقية ، أو من طريق الدعوة الربانية)(١).

رابعا : وعلى هذا الأساس فإن الجهاد فى سبيل الله تعالى ليس المقصود منـه إرغـام الناس على الدخول فى دين اللـه تبـارك وتعـالى ، قـال تعالى : {**لاإكراه فى الدين**}(٢).

فعقيدة الإسلام لاتفرض بالقوة . قال تعالى :

{**أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**}(٣).

خامسا : مـن غـايات الجهاد القضـاء على التقـاعس والكسـل ، ورفع الهمـم وشحـذها من أجل الابتعـاد عن ملذات الدنيا وشهـواتها وزخارفهـا .

---

(١) ماهى علاقة الأمة المسلمة بالأمم الأخرى (١٩-٢٠) ، وانظر (٣٣) ، أحمد محمود الأحمد ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ ، المكتب الإسلامى ، بيروت .
وانظـر الجهـاد الأفغانى ودلالاته (١٩) وقـال : (إن الجاهليـة لتعلم أن هنـاك فـارقا كبيرا بالنسبـة لأية دعوة أو عقيـدة حقة أو باطلة ، بين أن يكـون لها دولة قوية ممكنة فى الأرض أو لايكون لها دولة بهذا الوصف .. وتعلم أن هنـاك فارقا كبيرا بين أن تكون دولتها منتصرة غالبة وأن تكون دولتها هزيلة منهزمة) .

(٢) سورة البقرة : (٢٥٦) .

(٣) سورة يونس : (٩٩) .
وانظر عن كون دين الله تعالى لايفرض بالقوة وأنه لاإكراه فى الدين :
الجهاد الأفغانى ودلالاته (٢٣-٢٦) ، دروس تربوية من القرآن الكريم لمحمد قطب (٤٦-٤٧) ، وانظـر مجلـة العـربى ، العـدد (٤٤٣) جمـادى الأولى ١٤١٦هـ/أكتـوبر (تشرين الأول) ١٩٩٥م (٣٤-٣٥) من مقال للدكتور محمد عمـارة بعنوان (النظام العالمى الجديد "رؤية اسلامية") ، التاريخ العسكرى (٩١) .

وبفضل الله عز وجل ، فإن هذه الأمة لاتخلو من أولئك الرجال أصحاب الهمم العالية والتطلعات البعيدة ، التى يسمون بها عن هذه الدنيا وملذاتها وقد ضربت الأمة الإسلامية مثلا لذلك التوجه فى جهادها ضد أعدائها ، فى وقتنا الحاضر وكان من خير الأمثلة مافعله المجاهدون فى أرض أفغانستان المسلمة بأعدائهم الملاحدة وسوف نتبين تلك الحقائق من خلال دراستنا لبعض جوانب الجهاد الأفغانى ، وقبل من ذلك نضع هذه اللمحة التاريخية للتعريف بأفغانستان .

(١٦٨٦)

لمحة تاريخية عن أفغانستان

تقع دولة أفغانستان فى قلب آسيا فى منطقة بعيدة عن البحار وتمتد على مساحة تصل إلى ٦٥٠,٠٠٠ كيلو مترا مربعا[١]. ويحدها من الشمال الجمهوريات السوفيتية الإسلامية ، ومن الجنوب باكستان ، ومن الغرب إيران[٢]. وهى تقع (على مفترق طرق ، تاريخى وجغرافى ، لثلاثة عوالم حضارية : الشرق الأوسط بعربه وشعوبه الإيرانية ؛ آسيا الوسطى المقطونة بالأتراك والمغول ؛ وشبه القارة الهندية)[٣].

يقول ماركس وانجلز : (إن موقع أفغانستان الجغرافى وطبيعة شعبها الخاصة يضفيان على هذه البلاد أهمية سياسية فى شؤون آسيا الوسطى لايمكن المغالاة فيها)[٤].

ويقول تروتسكى : (الطريق إلى باريس ولندن يمر أولا بقرى الأفغان)[٥].

وهى ذات موقع استراتيجى نظرا لـ(ممراتها البرية الهامة التى تصل مابين وسط آسيا وشبه القارة الهندية حيث الموانىء الهامة وشبه الجزيرة العربية حيث منابع الطاقة وهما الهدفان الحيويان للطموحات الروسية)[٦].

---

(١) انظر أفغانستان (١٦) وانظر مابعدها .

(٢) انظر : بشائر الإيمان فى جهاد الأفغان (٣١) ، أحمد بن عبد العزيز الحصين ، تقديم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م/١٤٠٧هـ ، مكتبة البخارى ، وذكر أن مساحتها ٧٢٠ ألف كيلو متر مربع . وانظر قضايا هامة فى حاضر العالم الإسلامى (١٢٥) .

(٣) تقرير من أفغانستان (١٩) ، جيرار شاليان ، ترجمة أميرة كيوان ، الطبعة الأولى ١٩٨٥م ، دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .

(٤) فى الاستعمار (١٥٢) .

(٥) مجلة كلية الملك خالد العسكرية ، العدد (١٤٠٦/١٢) (١١٤) .

(٦) أفغانستان والإجتياح الروسى (١) .

الشعب الأفغانى :

يزيد عدد سكان أفغانستان على ثمانية عشر مليون نسمة وينتمون إلى قبائل متعددة وأجناس مختلفة ، وأشهر هذه الأجناس :

الباشتون ، الطاجيك ، الأتراك ، الهزارة ، البالوخ ، الكافير . وهذه لمحة موجزة عن كل واحدة منها . يقول محمود شاكر :

(١ ـ البوشتن Pushtuns : كما يطلق عليها أيضا البوختن ويشكلون ٦٠٪ من مجموع السكان ، ويمثلون خليطا من العناصر التركية والإيرانية ، كما أنهم يتجمعون فى المناطق الواقعة جنوب جبال هندكوش ، كما يوجدون فى المناطق الواقعة فى شمالها ، وهم يعملون فى الزراعة كما يمتهنون الرعى ، ويمتازون بالقامة الطويلة ، ولون البشرة الأسمر ، والشعر الأسود المموج ، وقد اعتادوا تحمل المشاق بسبب طبيعة بلادهم ووعورة جبالها . وتقيم بعض القبائل منهم فى باكستان أو أن الحدود الاصطناعية قد فصلت مواطن هذه المجموعة بعضها عن بعض فجزأتها ويعرفون هناك باسم قبائل الباتان . ومن أشهر فروع البوشتن فى أفغانستان (الغلزة) وهم من فرع الجنوب وبسبب ميل لون هؤلاء إلى البياض فقد ظن بعضهم أنهم مجموعة خاصة تختلف عن البوشتن .

٢ ـ الطاجيك : وهم عناصر إيرانية ، يمتازون بالقامة المتوسطة ، ويسكنون الوديان العليا من إقليم (باداخشان) وفى السهول العليا فى وسط البلاد حتى الغرب حيث يعمرون السهول الغربية حول مدينة هراة ، ويشكلون ٣٠٪ من السكان ، ويعملون فى الزراعة والصناعة والتجارة .

٣ ـ الأتراك : وهم امتداد لسكان تركستان الغربية ، حيث نجد الأوزبك الذين يشكلون ٥٪ من مجموع سكان أفغانستان ، والتركمان وهم يقيمون على الضفة الجنوبية لنهر جيحون والقيرغيز الذين ينتقلون فى هضبة بامير ويرعون الأغنام والماعز وحيوان الياك ، وبالقرب من هذه القبائل يقيم القوزاق أيضا وهم من المجموعة نفسها .

٤ ـ الهزارة : وقد انحدروا من أصل مغولى ، وعددهم قليل يقرب من ٦٠,٠٠٠ ساكن ، وموطنهم هو المرتفعات الوسطى ، وهم يتبعون المذهب الشيعى ، ويشتغلون فى الرعى والزراعة .

٥ ـ البالوخ : وهم فى الجنوب ، ويعتقد أنهم من أصل عربى ، والقليل من البالوخ يقيم فى أفغانستان ، وأكثرهم يقيم فى باكستان فى إقليم بلوخستان المجاور لأفغانستان .

٦ ـ الكافير : ويقيمون فى الشمال الشرقى ، ويعرفون باسم النوريين بعد أن تحولوا إلى الإسلام فى بداية هذا القرن وكانوا من قبل يتبعون البوذية .

وهناك مجموعات قليلة فى البلاد من العرب والهنود والصينيين .

والملحوظ أن هذه الأصناف من القبائل على اختلافها يوحد بينها الإسلام ، فأفغانستان تدين كلها به)[١].

---

(١) أفغانستان (٦٤-٦٧) .

وانظر تقرير من أفغانستان (٢٢-٢٣) وقال : (ينقسم شعب أفغانستان ، من الناحية العرقية ، إلى نوعين : النوع الأول ، هندو ـ أوروبى من النسق الشرقى متوسطى (ويشمل هذا النوع شعوب البوشتون ، التاجيك ، النوريستان ، البالوتشى) . والنوع الثانى تركو ـ مغولى (ويشمل هذاالنوع جماعات الهزارا ، التوركمان ، الأوزبك ، الأيمك ، والخيرجز) . وهناك مجموعة ثالثة تعرف بالبراهوز وتشمل جزءا ضئيلا من السكان) (٢٢) .

وانظر بشائر الإيمان فى جهاد الأفغان (٣١-٣٢) .

وانظر مجلة كلية الملك خالد العسكرية العدد (١١٥/١٢) .

وانظر مجلة المجلة العدد (٣٧/٨٣٤-٣٨) وجاء فيها : (ويشكل معظم الشيعة الإمامية ١٠٪ من سكان البلاد ويتركزون فى الولايات التى تقع وسط البلاد ، أى ولاية باميان وغرب كابل . وهناك نسبة ضئيلة من الشيعة الاسماعيلية أتباع أغاخان ، وكان لهم حوالى ١٠ أحزاب حظيت بدعم إيران فترة الاحتلال الروسى) .

وانظر قضايا هامة فى حاضر العالم الإسلامى (١٢٦) وذكر أن نسبة المسلمين فيها ٩٩٪ معظمهم من أهل السنة .

والأفغـان شعـب شـديد البـأس ، محب للاستقلال وعـدم الـرضوخ للأعداء.

يقـول انجلـز : (إن الأفغـانيين عـرق مقدام ، شـديد البـأس ، متعلـق بالاستقلال)[١].

ويقـول القضمـانى : (والأفغـانيون معـروفون بتمسكهـم بآداب الـدين الإسلامـى وحرصهم على أداء فـرائضه ، وهم مشهورون بالكـرم والشجـاعة وحب الاستقلال)[٢].

اللغة :

تعتبر لغـة البشتو هى اللغة الرسمية وقبائل البشتـو هـى أكثرية سكان البلاد . وتليهـااللغة الفـارسيـة لغـة قبائل الطاجيك ، وتحتـل اللغـة العـربية مركزا مرموقا فى الدراسة لأنهـا لغــة القـرآن الكـريم ، والحديث النبــوى الشـريف ، والفقه ، وتدرس اللغـة العربية فى جميع المدارس على أنهـا جزء متمم لتدريس التفسير والحديث والفقه .

وكـذلك هنـاك اللغة التركيـة ، واللغـات المحلية مثـل لغـة الهزارة ، والبالوخ[٣].

الدين :

كـانت البوذية هى الديانة السائدة فى أفغانستان قبـل دخول الإسلام ، أمـا اليوم فإن نسبة المسلمين تصل إلى ٩٩٪ من السكـان ومعظمهم من أهل السنـة والجماعة ، ويوجد مجمـوعات شيعية ولكنها قليلـة ، كمـا يوجد عدد

(١) فى الاستعمار (١٥٢) .

(٢) قضايا هامة فى حاضر العالم الإسلامى (١٢٦) .

(٣) انظر أفغانستان (٦٧-٦٨) .

وانظر تقرير من أفغانستان (٢٣) وقال : (إن اللغتين الأساسيتين فى أفغانستان هما البوشتونية والدارية) .

وانظـر قضايا هامة فى حاضر العالم الإسلامى (١٢٦) وذكر أن اللغـة العربية كانت لغة رسمية حتى القرن الرابع الهجرى .

قليل من الهندوس . وكان الدستور الأفغانى ينص على أن الدين الإسلامى هو المصدر الوحيد للتشريع ، ومتى وجد قانون يتعارض مع أصول الدين الإسلامى فهو ملغى ولايجوز العمل به(١).

الإسلام ودولة أفغانستان :

إن دين الله تعالى بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وذلك بفضل الله تعالى ، ثم بجهاد المسلمين لنشره وتبليغه ، وقد وصل الإسلام إلى أرض أفغانستان فى عصر الخلافة الراشدة(٢)، ولم يأت منتصف القرن الثانى الهجرى إلا والمنطقة كلها إسلامية .

ثم تتابعت الدول التى حكمت أفغانستان ، وحصل كثير من الاضطرابات والخلافات(٣)... وعندما كان موقع أفغانستان يعد استراتيجيا وغالبية سكانها من المسلمين . فإنها كانت محط أنظار الدول الاستعمارية ، فقام الانجليز بغزوها سنة ١٨٣٨-١٨٤٨م ولم يتمكنوا من السيطرة عليها . ثم عاود الانجليز الكرة عام ١٨٨٧-١٨٨١م وعام ١٩١٩م .

(وفى كل مرة كان يباد الجيش الانجليزى بكامله بعد أن يهب الشعب الأفغانى للقتال تحت راية الإسلام)(٤).

---

(١) انظر أفغانستان (٦٨-٦٩) ، حاضر العالم الإسلامى (١٤٢) ، وذكر (أنهم نحتوا تمثالا لبوذا فى جبل بارتفاع خمسين مترا) قديما .

(٢) انظر عن ذلك : الكامل فى التاريخ (٢/٤١٢-٤١٧،٤٣٤-٤٣٧،١٠٨-١١٣) ، البداية والنهاية (٤/١٢٣،١٢٥،١٣٠-١٣١) ، الحافظ ابن كثير ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، دار الريان للتراث .

(٣) انظر عن ذلك التلخيص الجيد الذى ذكره محمود شاكر عن الدول التى حكمت تلك المنطقة فى كتابه أفغانستان (٤٧-٤٨) .

(٤) حاضر العالم الإسلامى (١٤٣) ، وانظر قضايا هامة فى حاضر العالم الإسلامى (١٢٧-١٢٨) .

(ومن سنة ١٩١٩م حتى سنة ١٩٧٩م تمتع الأفغانيون بستين سنة من الاستقلال والحياد ...)[١].

وهكذا كان الشعب الأفغاني يأبى الذل والاستكانة للأعداء ، وعرف بالشجاعة ، وحب الاستقلال ، ومن هنا عجز عنه الأعداء[٢]، فبذلوا فى سبيل السيطرة والتأثير عليه الكثير والكثير سواء عسكريا أو فكريا كما هو حال الاتحاد السوفييتى معهم ونأتى للحديث عن العلاقة بين أفغانستان والاتحاد السوفييتى .

---

(١) تقرير من أفغانستان (٣١) .

(٢) ولمزيد من المعلومات عن الشعب الأفغانى وعاداته وبعضا من تقاليده الإجتماعية من زواج وعزاء وغيرها انظر أفغانستان والإجتياح الروسى (١٠٧) ومابعدها .
وعن بعض العلماء الذين أنجبتهم أرض أفغانستان انظر (١٠٣-١٠٦) .
وعن طبيعة البلاد وتضاريسها انظر تقرير من أفغانستان (٢١) ومابعدها .
وكذلك موسكو فى طريقها إلى كابل (١٣٩) ومابعدها ، محمد مزمل ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، دون ذكر لرقم الطبعة ، ومجلة كلية الملك خالد العسكرية العدد (٢/١١٥-١١٦) من مقال بقلم اللواء الركن حسن أحمد البدرى .

المبحث الأول
دراسة تاريخية موجزة
عن العلاقة بين حكومة أفغانستان وروسيا

شكلت أفغانستان منطقة مهمة واستراتيجية بالنسبة لروسيا سواء كان ذلك فى عهد القياصرة ، أم بعد قيام الثورة البلشفية . وقد جاء فى وصية[١] أحد القياصرة لحكام روسيا مايدل على ذلك حيث جاء فيها : (تقدم إلى أقرب مايمكن من اسطمبول أوالهند ، وأى شخص يحكم هناك سيكون سيد العالم الحقيقى! وهكذا عليك أن تثير الحرب المستمرة ، ليس فى تركيا فحسب وإنما فى أرض فارس وعند تدهور الفرس وانحطاطهم وسقوطهم ، اخترق وتسرب إلى أبعد مايكون فى الخليج الفارسى ، وأعد تأسيس التجارة القديمة مع الشرق إن كان ذلك ممكنا ، واقترب إلى أبعد مايمكن من الهند التى تعتبر مخزن العالم ، وعندما تصل إلى هذه النقطة أو البقعة من الأرض ، لن تكون فى حاجة إلى الذهب البريطانى)[٢].

وفى عام ١٨٦٤م يقول الكسندر غورتشاكوف[٣]: (فى بعض الأحيان تشارك قوة عظمى الحدود مع دولة قبلية غير متمدنة ، لذلك تفرض عليها الضرورات الأمنية ضم هذه الدولة)[٤].

وكان يأمل القياصرة أن يسيطروا عليها ، وبقى هذه الأمل يراودهم هم والانجليز . وقد حاول الانجليز السيطرة على أفغانستان مرات عديدة ولكنهم ردوا على أعقابهم ، وعندما كانت القوات الانجليزية موجودة هناك

---

(١) طبعت عام ١٩٧٥م .

(٢) نقلا من كتاب الأفغان الحمر (١٤) ، أحمد موفق زيدان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م مطابع اخوان ، جدة .

(٣) وزير خارجية روسيا حينذاك .

(٤) نقلا من كتاب الأفغان الحمر (١٤) ، وانظر (١٨،١٥) ، وانظر أفغانستان والإجتياح الروسى (٢١) .

فقد وقفت القوات الروسية (القيصرية) على حدود أفغانستان ولم تتقدم إليها لأنها أدركت أن هذا التقدم ليس فى صالحها حيث ستلتقى وجها لوجه مع القوات الانجليزية . بالإضافة إلى أن :

(١) (حكومة بريطانيا ستواصل معها حربا شرسة وذلك حرصا منها على بقائها فى القارة الهندية .

(٢) لو أن الروس هزموا الجيش البريطانى أو وافقت بريطانيا على ترك أفغانستان للروس ، فإن الشعب الأفغانى المانع الأول لن يقبل الوجود الروسى على أرضه ، فيواجه ماواجهه الانجليز .

(٣) أن المستهدف هو وصول الروس إلى بحر الهند وحيث كانت أفغانستان محاصرة بالبر فستضيع جهود الروس وتضحياته فيها هدرا) .

هذا بالإضافة إلى (أن التقدم نحو أفغانستان وتورط الروس فى الحرب كان يمكن للشعوب المحتلة فى آسيا المركزية أن تستغل تورط الروس فى أفغانستان لقيامها ومقاومتها فلذلك ترك الروس التقدم نحو الجنوب ، لتطبيع الشعوب المحتلة واستحكام سيطرتها عليها)(١).

فهذه الموانع كانت تجبر الروس على عدم التوغل المباشر فى أفغانستان رغم أنهم كانوا يطمعون فى ذلك ، ومن هنا أدرك بعض أمراء أفغانستان ذلك التوجه الاستعمارى فحذروا من التحالف أو إقامة علاقة مع روسيا ، فهذا الأمير عبد الرحمن بن الأمير محمد وست خان(٢) يقول :

---

(١) موسكو فى طريقها إلى كابل (١١-١٢) .
وانظر الأفغان الحمر (١٦-١٧) ، وقد ذكر عدة إتفاقيات وقعت بين الطرفين (الانجليز ، والروس) كانت فى معظمها تثبت أن أفغانستان خارج المدار السوفييتى.
أفغانستان والإجتياح الروسى (١) .

(٢) درس الأدب الفارسى فى مدارس خاصة وعين حاكما لبلخ ، ولم يظهر نجاحا إداريا ثم شجعه والده على التدريب القسرى فأرسله أبوه لاخضاع القبائل فى بدخشان وانتصر عليهم ، وبعد وفاة والده خلفه عمه شير على خان فشن عبد الرحمن حربا عليه فأقصاه ، ثم خلفه عمه أعظم خان فهرب عبد الرحمن إلى آسيا الوسطى وبقى فيها ١٢ عاما فى بخارى ورجع إلى أفغانستان عام ١٨٧٩م وأعلن نفسه أميرا على البلاد سنة ١٨٨٠م .

(على أفغـانستان أن لاتتحـالف مـع روسيـا مطلقـا ، وحتى الأبد ، وستكـون هنـاك فى المستقبـل حرب ، وستفشـل روسيا فى إخضـاع المقـاومة الأفغانية ، ونتيجة لذلك ستكون هناك صراعات مؤلمة للطـرفين ، وإذا كانت روسيـا حصيفـة وعاقلة فلن تتـدخل فى الشـؤون الأفغـانية مطلقـا حتى ولـو دعاهم حكام أفغانستان لذلك ، إذ أن أكثر التحديات التى تواجه أى حاكـم أفغـانى حساسية هو أن يستطيـع ألا يثير روسيا ضده وفى نفـس الوقت لايقيم أية علاقات حميمة معها)[١].

ويقـول : (إنه من الممكـن للروس فى أحد الأيام أن تكـون لهـم يد تسلب هذه الأرض الغنية ، (مشيرا إلى أفغانستان)[٢]. وعندما حضرته الوفاة خاطـب ابنـه حبيب الله الذى تولى الحكـم مـن بعده فى الفترة الـواقعة بين ١٩٠١-١٩١٩م قائلا له : (بنى إياك أن تثق بالروس!)[٣].

وقـد خلـف حبيب الله والـده فى الحكـم ، وعمل بوصيتـه فـدفع ثمنا لذلك إهدار دمه . وقتل وظهر قوتان متنافستان على السلطة :

الأولى : محافظة بقيادة (نصر الله) شقيق حبيب الله .

والثانية : مجمـوعة عصرية تدعو للتحـريف يقودها (أمـان الله) الابن الأكبر لحبيب الله . وكانت تؤيده بعض القبائل القوية ممـا أهله إلى استلام السلطـة فى ٢١ فبراير ١٩١٩م ، وقيـد نصر الله وأتى به إلى كـابل ومات سنة ١٩٢١م[٤].

---

(١) نقلا من كتاب الأفغان الحمر (١٧) .

(٢) Afghanistan From 1900-1923 p.25 .
نقلا من كتاب الأفغان الحمر (١٨) .

(٣) نقلا من المرجع السابق (١٨) .

(٤) انظر المرجع السابق (١٨-١٩) .

العلاقة بين الدولتين بعد الثورة البلشفية :

عندما حطمت الثورة البلشفية القيصرية الروسية سارت فى الطريق نفسه ، فى محاولة السيطرة على أفغانستان وبث الفكر الجديد فى أرجائها ، ورأت روسيا الشيوعية أن أفغانستان هى المفتاح الحقيقى لأطماع الاتحاد السوفييتى وحرص لينين على التقرب من ملوكها لإزعاج بريطانيا فى الهند(١).

وبالعموم يمكننا أن نصور العلاقة بين الاتحاد السوفييتى وأفغانستان من خلال النقاط التالية :

أولا : استغلال حكام أفغانستان وتوظيفهم لخدمة الأطماع الشيوعية .

ثانيا : إيجاد العملاء واستغلالهم لتحقيق الأهداف السوفيتية إن فكريا أو سياسيا أو إقتصاديا .

ثالثا : إنشاء المنظمات والأحزاب الشيوعية ودعمها .

رابعا : توقيع المعاهدات بين الطرفين ، والتى تصب فى صالح السوفييت ولاشك .

خامسا : التأثير المباشر فى الأصول والنظم التى يقوم عليها الحكم فى أفغانستان .

سادسا : تقديم المساعدات لأفغانستان .

---

(١) انظر عن ذلك : أفغانستان والاجتياح الروسى (٢١) .

أولا : استغلال حكام أفغانستان وتوظيفهم لخدمة الأطماع الشيوعية :

سواء فكريا أم سياسيا أم إقتصاديا ، والإتيان بمن يختارونه ويرون أنه سيحقق لهم أكبر قدر من مطالبهم .

وسيظهر ذلك جليا من خلال العرض المختصر لحكام أفغانستان .

أمان الله والسوفييت :

قلنا بعد وفاة الأمير عبد الرحمن خلفه ابنه حبيب الله[١]، ونظرا لعمله بوصية والده فى معاداة الروس أهدر دمه فقتل وبعد مقتله وجدت قوتان ، واحدة محافظة بقيادة شقيق حبيب الله وهو (نصر الله) .

والثانية تدعو للتحديث بقيادة (أمان الله) الابن الأكبر لحبيب الله . وتولى الحكم فى عام ١٣٣٧هـ/١٩١٦م . وبعد أن تحقق النصر على الانجليز واضطروا إلى الاعتراف باستقلال أفغانستان غر هذا الشاب الحكم والسلطان وخدعته الأبهة (وانصرف إلى الصيد وركوب الخيل ، وبهره تقدم أوروبا العلمى فأراد أن يحذو حذوها .و كان أكثر مافتنته المظاهر الخداعة من لباس واختلاط وسفور ومتعة ...)[٢].

فعاش أمان الله هذا الجو وأخذ يزدرى بنى قومه ، وضيق عليهم فى معاشهم ، بكثرة الضرائب ، فافتقر الشعب فى الوقت الذى كان يظهر الترف والبدخ فى قصر الملك وبيوت حاشيته .

ثم سافر إلى أوروبا ، ومن بعدها ذهب إلى بومباى وكان ذلك سنة ١٩٢٨م ، وهناك استقبل استقبالا فخما وظهرت نساؤه سافرات فى أحدث الملابس الأوربية مما جعل سفيره هناك[٣]يستقيل احتجاجا على ذلك المظهر ، وكان الانجليز قد روجوا لذلك للاستفادة منه .

---

(١) تولى الحكم سنة ١٩٠١م .
(٢) أفغانستان (٥١-٥٢) .
(٣) محمد نادر خان ، وهو من الأسرة المالكة .

وعاد الملك أمان الله إلى قاعدة حكمه فى كابل وأصدر أوامره باتخاذ الزى الافرنجى ، وشجع على السفور ، وأرسل الفتيات إلى تركيا للدراسة دون محارم . وعندما كان الشعب الأفغانى المسلم يرفض مثل هذه الأفعال كان لابد وأن يثور ضد أمان الله فاندلعت الثورة وامتد لهيبها على المناطق الشرقية كافة .

واستفاد أحد قطاع الطرق من ذلك الوضع وهو باجى السقا (ابن السقا) واستولى على كابل وفر منها أمان الله إلى قندهار ، وتنازل لأخيه الأكبر عناية الله ، ولم يلبث أن ترك الحكم نظرا لأن الفتنة عارمة وسافر إلى بريطانيا وخلا الجو لابن السقا فأعلن نفسه ملكا لأفغانستان باسم (حبيب الله غازى) ، وتسلطت زمرته على البلاد والعباد ، وعاثوا فى الأرض فسادا[١].

وقد وجدت بعض الارهاصات خلال حكم أمان الله مهدت لنشوء الفكر الشيوعى ومن ذلك :

أولا : أن أمان الله أول زعيم أجنبى يزور موسكو عشية انتصار الثورة الشيوعية ، وقدم التهانى بانتصار ثورتهم .

وتعتبر المعاهدة التى تم توقيعها بين الطرفين الروسى والأفغانى فى ١٨ شباط ١٩٢١م الأولى من نوعها ، بعد استقلال أفغانستان . وقد اعتبرت احتلالا لأفغانستان مع وقف التنفيذ . وقدكان أمان الله يخاطب لينين بلقب رئيس الجمهورية الروسية العظمى .

ثانيا : وجود البعثات بين الطرفين ، وقد اعتبر حكم أمان الله مرحلة خصبة للتواجد السوفييتى التجارى ، ومن هنا (ثمنت روسيا وعملاؤها فترة أمان الله واعتبرت عهده بداية لترسيخ العلاقات معها ، ففى رسالة رسمية بعثتها الخارجية السوفياتية إلى سفيرها فى كابل جاء فيها : (عليكم بالجهد والإمعان فى دعم توجهات الأمير أمان الله الإصلاحية ومساعدته فى تطبيق

---

(١) انظر : أفغانستان (٥٢-٥٤) ، الأفغان الحمر (٣١) .

برامجه التى بدأ ينفذها فى أفغانستان ، ونلفت نظركم إلى أن أفغانستان فى وضعها الحالى تشبه تماما روسيا فى القرن الثامن عشر ، ونحن مستعدون لمساندة أمان الله فى تطبيق برامجه التىبدأها وإن كانت بعض المحافل الأفغانية التى تقوم باسم الاتحادية الإسلامية بمنطقة أفغانستان خطيرة علينا حيث تقف بريطانيا وراءها ، ومن حقنا أن نمنع هذه المخططات ، ونحاول تحجيم خطرها لأن أفغانستان فى هذه الظروف ذات قيمة عالية لنا ، ومانريده يحتاج إلى زمن طويل ، وعلى هذا نذكركم بمسؤوليتكم الكبيرة فى أفغانستان) .

ويقول لينين فى رسالة بعث بها إلى الملك أمان الله : (إن حكومة العمال والفلاحين قد أمرت سفارتها فى أفغانستان بإجراء حوارات معكم ، ومعرفة آرائكم بخصوص الاتفاقيات التجارية وعلاقات الصداقة فيما بيننا ، وبذلك نقود نضالا مشتركا ضد أكبر قوة إمبريالية فى العالم ، ألا وهى بريطانيا العظمى .

نحن نعرف أن الشعب الأفغانى يرغب فى تلقى المعونات العسكرية من الشعب الروسى ، وحكومة العمال والفلاحين ستعمل على تقديم مثل هذه المساعدات ، كما تتطلع إلى مد آفاق الدعم لأمة الأفغان ، وإعادة ترميم مالحقكم من حيف من قبل حكومة القياصرة)[١].

ثالثا : عمل السوفييت على إرسال البعثات إلى أفغانستان لتوطيد العلاقات مع حكومة أمان الله بالإضافة إلى المهندسين والخبراء . يقول ارنود (فى منتصف العشرينات أقام الروس علاقات جيدة مع الملك الأفغانى أمان الله أدت إلى نقطة ذات أهمية تمثلت فى إرسال مجموعة من الطيارين والتكنيكيين لمساعدة الملك فى السيطرة على رجال القبائل ، وكان ذلك فى عام ١٩٢٥م)[٢].

---

(١) الأفغان الحمر (٢٣) .

(٢) Afghanistan is two party communsm p.6 .

نقلا من كتاب الأفغان الحمر (٢٤) ، وانظر (٢٥) .

رابعا : قام أمان الله بفتح خمس قنصليات أفغانية فى الولايات الإسلامية المحتلة تأكيدا على متانة العلاقات بين الدولتين ، مقابل فتح ٦ قنصليات روسية فى أفغانستان ، كما منحت روسيا الملك مبلغا (نصف مليون دولار سنويا) . وإن إلتزام روسيا الصمت فى عهد أمان الله حيال الحدود التى رسمت عام ١٨٩٥م ومعارضتهم لرسمها قبل مجيئه لأمر يكتنفه الغموض وتثار حوله الشكوك ، مما يدل على وجود صفقة بين الطرفين .

وقد ترددت أخبار بأن أمان الله نفسه كان ينتمى إلى منظمة سرية لتحديث أفغانستان قبل تسلمه الحكم ، وقد كانت تصرفاته ترجح وجود مثل هذه المنظمة التى لم يعد يرى لها أثر بعد تسلمه السلطة . كما تردد أن وزير خارجيته (طرزى) كان من أعضاء تلك المنظمة السرية ، ولذلك حظى بثقة أمان الله فى فترة حكمه إذ جعله صلة الوصل بينه وبين روسيا ، ويعتبره بعض الكتاب الغربيين من أكبر الشخصيات القومية التحديثية فى آسيا الوسطى)(١).

ومما ينبغى التنبه له أن الشيوعيين تراجعوا عن فرض الشيوعية على أفغانستان لما رأوا من مقاومة الشعب للأفكار التحديثية ، مما جعل القادة الشيوعيين يعلمون أن تقبل فكرهم فى هذا الوقت (وبالقوة) غير ممكن فأوجدوا الخلايا السرية وبعض الدعاة لتهريب الفكر الشيوعى داخل أفغانستان .

وهكذا انقضى عصر أمان الله ، وعلاقات أفغانستان بالاتحاد السوفييتى وثيقة ، فوجدت العلاقات الدبلوماسية ، والزيارات بين البلدين وخاصة الجانب الأفغانى ، وارسال الخبراء من الجانب السوفييتى ، والبعثات من الجانب الأفغانى ، ولاشك أن التأثير من قبل الخبراء أو التأثر من قبل المبعوثين بالنسبة للفكر الشيوعى كان قائما وبصورة كبيرة دلت عليه الأحداث اللاحقة .

---

(١) الأفغان الحمر (٢٦) .

محمد ظاهر شاه[١]:

حينما تمكن ابن السقا من السيطرة على أفغانستان كان نادر خان[٢] يعد العدة من أجل العودة إلى بلاده ، وعندما رجع تمكن من القضاء على ابن السقا فى نهاية عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م وقد مضى على حكمه تسعة أشهر ، وسار نادر خان سيرة حسنة ، وقدم خدمات واسعة للبلاد ، وقام بالقضاء على الرشوة والفساد ، غير أنه اغتيل على يد أحد المعفين من مناصبهم لسوء تصرفاتهم ، واستلم الحكم من بعده ابنه محمد ظاهر شاه وكان عمره تسعة عشر عاما واستمر فى بداية حكمه على نهج والده ولكن بدأ طريق الانحراف عن الجادة يظهر فى سياسته وكانت زاوية هذا الانحراف تنفرج مع مرور الأيام[٣].

وحاول تطوير البلاد وترميم (جوانب الضعف فى الحياة الإقتصادية والعسكرية ، ولكن موارد البلاد المحدودة اضطرته إلى قبول المساعدات والقروض من روسية التى ظهرت بمظهر الصديق والمعين على مطامع الانكليز الأعداء التقليديين لأفغانستان . وشارك الروس فى إقامة بعض المنشآت للرى منذ عشرين عاما ، وبدأ الخبراء الفنيون يدخلون أفغانستان حتى صاروا يعدون بالألوف ، ثم بدأت المساعدات العسكرية بـ٢٥٠ دبابة وعدد من طائرات الميغ ٢١ التى استعملت بعد ذلك فى الإنقلاب العسكرى . وتسربت

---

(١) ولد فى كابل فى١٥ أكتوبر ١٩١٤م ، ودرس الابتدائية إلى الثانوية بمدرسة حبيبة ثم انتقل إلى المدرسة الأمانية سنة ١٩٢٢م ودرس اللغة الفرنسية ، وعندما عين أبوه محمد نادر خان سفيرا لبلاده فى فرنسا صحب ابنه ظاهر شاه وبدأ يدرس فى فرنسا وبعد عودة والده إلى أرض الوطن واستيلائه على الحكم عين وزيرا للدفاع عام ١٩٣٠م ، ثم وزيرا للتعليم ، ثم حكم بعد مقتل والده سنة ١٩٣٣م ، ثم أطيح به عام ١٩٧٣م أثناء خروجه للعلاج وأقام فى روما .
الأفغان الحمر (٦٢) .

(٢) كان سفيرا لبلاده فى فرنسا ، عاد إلى بلاده عام ١٩٢٩م واستطاع القضاء على ابن السقا ثم ولى حكم أفغانستان وبقى فيه حتى قتل عام ١٩٣٣م .

(٣) انظر : أفغانستان (٥٤) ، الأفغان الحمر (٢٨-٢٩) .

الأفكار الهدامة مع المساعدات القليلة والخبراء الشيوعيين والحفنة من الشباب الطلاب والضباط الذين أتموا دراستهم فى موسكو)[١].

وكان لبطانة السوء والخيانة دور كبير فى تحول محمد ظاهر شاه عن سياسة أبيه فأعلن فى عام ١٩٥٢م ثورته التى أسماها الثورة الثقافية .

(فنادى بنزع الحجاب وتغيير المناهج التربوية من إسلامية إلى أوروبية وفتحت وسائل الإعلام الفساد والدعارة والتحلل بالافلام والتمثيليات ...الخ وزج بالعلماء والدعاة والشباب المتدين فى السجون المظلمة بل وصل الأمر إلى أن فتح هذا الملك المستهتر للشيوعيين حرية تامة فى أفغانستان حتى وصل الأمر إلى أنهم يسبون الرسول عليه الصلاة والسلام وزوجاته الطاهرات ويثنون على طواغيتهم [ماركس - لينين - ستالين] فى جرائدهم الماركسية .

وعمل الملك اتفاقيات عسكرية وثقافية مع روسيا فاستفادت روسيا من هذه المنح على أن تغزو أفغانستان عقائديا وفكريا وسياسيا من خلال الخبراء والمبعوثين الطلاب إلى جامعات روسيا وتكونت تنظيمات شيوعية من الطلاب والجيش والفلاحين والعمال)[٢].

وهكذا كانت فترة محمد ظاهر شاه فترة خصيبة للفكر الشيوعى حيث وجدت الأحزاب الشيوعية فى أفغانستان ، وقام الملك بمنحها الحرية المطلقة ، فانتشرت الأفكار الماركسية واللينينية بين الشباب ، وأرسلت البعثات للتدريب العسكرى فى الاتحاد السوفييتى وأعدت إعدادا جيدا من أجل استلام الحكم هناك ، وقد أصبح التدريب العسكرى فى هذه الفترة روسيا بنسبة ١٠٠٪ ولاغرابة حينئذ أن تكون الإنقلابات العسكرية من أولئك الذين تدربوا فى روسيا[٣]. ومما زاد الحال سوء تعيين محمد داود زوج أخت الملك رئيسا للوزراء وذلك عام ١٩٥٣م .

---

(١) قضايا هامة فى حاضر العالم الإسلامى (١٢٨-١٢٩) .

(٢) بشائر الإيمان فى جهاد الأفغان (٤١) ، وانظر : تقرير من أفغانستان (٣٣) ، المخابرات السوفيتية من الداخل (٢٣٥-٢٣٦) ، فلاديمير كوزيشكن ، ترجمة شركة أورينتال هاوس للخدمات الإعلامية ، الطبعة الأولى ١٩٩١م ، قبرص .

(٣) أفغانستان والإجتياح الروسى (٢٥) .

محمد داود[١]:

بدأ نشاط محمد داود العدائى للاسلام والمسلمين منذ أن كان رئيسا للوزراء ، وقد كانت تربطه علاقات واسعة مع الاتحاد السوفييتى حينما كان وزيرا حتى لقب بمهندس العلاقات الروسية الأفغانية .

وظهر فى عهده الحزب الشيوعى بفرعيه ، وهما تابعان لموسكو وبدأ فى تنفيذ المخطط السوفييتى فى إبعاد الخطر الإسلامى عن حدود روسيا ، وجعل الفكر الشيوعى يتغلغل داخل أفغانستان بين طبقات المجتمع المختلفة من طلاب الجامعات والضباط والعمال ، ووصل الأمر به إلى تنفيذ مخططات موسكو خارج أفغانستان فى الدول المجاورة فأعطى الروس قاعدة جوية تشرف على الحدود الباكستانية والايرانية[٢].

(وفى الوقت نفسه راح يهاجم الدين وعلماءه ، ويفرض السفور ويأمر بالاختلاط فى الجامعة وينشىء المدارس المختلطة من الجنسين . ثم أعفى من منصبه بعد أن افتضح أمره ، وطفح كيله)[٣].

وأخذ يعمل لنفسه وقام فى سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م بإنقلاب عسكرى على ابن عمه ظاهر شاه وخلعه وأعلن قيام الجمهورية الأفغانية وأطيح بالنظام الملكى فى أفغانستان[٤].

---

(١) ولد فى كابل سنة ١٩٠٩م وينتمى للأسرة الملكية ، تلقى تعليمه العسكرى فى كابل وأكمل دراسته العليا فى باريس وفى عام ١٩٣٢م عين حاكما فى قندهار ، وعندما أصبح عمره ثلاثين سنة أصبح قائدا عاما للقوات المسلحة ورئيسا لكل المدارس العسكرية فى أفغانستان وشغل عدة مناصب حيث عين سفيرا فى باريس لمدة أربع سنوات ، ثم وزيرا للدفاع سنة ١٩٥٠م . الأفغان المر (٦٤-٦٥) .

(٢) انظر حاضر العالم الإسلامى (١٤٣-١٤٤) ، وانظر قضايا هامة فى حاضر العالم الإسلامى (١٢٩) .

(٣) حاضر العالم الإسلامى (١٤٤) ، وانظر قضايا هامة فى حاضر العالم الإسلامى (١٢٩)

(٤) انظر : أفغانستان (٦٢) ، فترة من الإنفراج الدولى (٥٣٩) ، الأفغان الحمر (٧١) .

ولاشك أن حكومة ظاهر شاه مكنت الشيوعيين ومنحتهم الحرية مما ساعد بعد ذلك على تهيئة الجو الذى يريدونه[١]. زد على هذا أن الحكومة كانت فاسدة فى ذاتها ، مستبدة ، كدست ديونا أجنبية ضخمة ، وأصيبت البلاد بالجفاف ففاقم من المجاعة[٢]، فساعدت هذه الأوضاع على تحقيق ماكان يدور بخلد محمد داود من أطماع .

وبعد نجاح الانقلاب على الملك اتضح توجه محمد داود الماركسى بصورة قطعية ، فمنع نشر المجلات والصحف الإسلامية ، وأوقف مركز البحوث الإسلامية بالجامعة ، وخفض عدد الحجاج من سبعة عشر ألف إلى أربعة آلاف .

وأصدرت وزارة العدل تعليمات تؤكد أن الكشف عن مساوىء الشيوعية جريمة يعاقب عليها ، وتم تنفيذ أهداف روسيا التى كشف عنها الإسلاميون وهى :

(١) القضاء على الزحف الإسلامى بإشاعة الإلحاد والعلمانية .

(٢) الوصول إلى مياه الخليج .

(٣) سبق أمريكا فى السيطرة على قادة آسيا وأفريقيا .

(٤) الحيلولة دون أن تصبح الصين قوة كبرى .

(٥) تطويق الجزيرة العربية من الشمال والجنوب للسيطرة على النفط[٣].

وفى عام ١٩٧٥م وضع نظام دستور للبلاد يتكون من التالى :

(١) (القضاء على الإسلام باسم القضاء على الرجعية .

(٢) محاربة الإسلام من خلال الاهتمام البالغ بإحياء الآثار الوثنية والمجوسية والبوذية .

(٣) صرف الناس إلى الاهتمام بالفنون الشعبية .

---

(١) انظر الأفغان الحمر (٦٠) ومابعدها .

(٢) تقرير من أفغانستان (٣٣) .

(٣) انظر : حاضر العالم الإسلامى (١٤٥) ، الأفغان الحمر (٧٢) .

(٤) التركيز على الأيدلوجية القومية .

(٥) استخدام الإرهاب فى فرض الثورة على الشعب)[١].

وقد أعلن عقب الإنقلاب أنه لاعداء بين أفغانستان أو أى من الدول إلا مع الباكستان[٢].

أسباب الانقلاب :

(١) تنامى الحركة الإسلامية :

شعر الاتحاد السوفييتى بخطر الحركة الإسلامية وخاصة بعد اكتساحها الانتخابات التى جرت فى مجلس طلبة الجامعة فى كابل والتى حصل المسلمون فيها على ٤٤ مقعدا من أصل ٥٤ مقعدا مما زاد من نقمة الأعداء من شيوعيين ورأسماليين ومتفرنجين دعاة التقدمية . وقام المسلمون بتوحيد جهودهم وجمع قوتهم ، ودعم صفوفهم فتجمعوا فى جمعيات ثلاث :

(١) تجمع الشباب المسلم فى جامعة كابل .

(٢) جمعية العلماء المحمدية .

---

(١) بشائر الإيمان فى جهاد الأفغان (٤٢) ، وانظر الأفغان الحمر (٧٣) .
وانظر حاضر العالم الإسلامى (١٤٥) وذكر أنه فى سبيل هذه المبادىء ارتكب الانقلاب الأول الارهاب والبطش ، الاستعانة بالفتيان والفتيات للتنصير ، الاستعانة بالخبراء الروس حتى وصل عددهم ٤ آفلا وبعضهم أعضاء فى ال K.G.B.

(٢) انظر الأفغان الحمر (٧١) .
وهذا دليل على التوجه الشيوعى وتأثيره على ذلك الزعيم! حيث نشرت البرافدا فى ١٣ فبراير ١٩٥٦م مقالا جاء فيه (على روسيا أن تساعد بشتى السبل والوسائل لمحو باكستان كلية من جذورها لأنها دولة عقائدية اسلامية تشكل خطرا دائما على المصالح السوفيتية ولاسيما بالنسبة لتركستان فى آسيا الوسطى) .
نقلا من كتاب الأفغان الحمر (٧٢-٧٣) .
ولمزيد من المعلومات عن هذا الإنقلاب انظر أفغانستان والإجتياح الروسى (٦) ومابعدها .

(٣) جمعية خدام الفرقان .

فشعر الشيوعيون بالخطر الذى يتهددهم فقام التخطيط للقضاء على الحركة الإسلامية باستبدال الحكومة رغم مساندتها للشيوعيين ضد المسيحيين[١].

وقال محمد داود فى تصريح له لصحيفة كيهان الايرانية : (إن الاخوان المسلمين لهم سابقة عريقة فى تاريخ أفغانستان إلا إننى سأقطع جذور هذه الجماعة وألقنها درسا يكفى لأولهم وآخرهم)[٢].

(٢) تردى الأوضاع الإقتصادية :

حيث وصلت البلاد إلى حالة كبيرة من الجفاف وقمع الفلاحين بقسوة وقاربت البلاد من حافة المجاعة[٣].

(٣) التعجيل بالثورة :

حيث بدأ الروس يشعرون أن الوقت قد حان لذلك فالأحزاب الشيوعية قد قويت ، والملك فى رحلة خارج البلاد ، وهناك من القواد من يمكن الاعتماد عليه فى هذه المهمة[٤].

بداية فقدان الثقة فى داود :

لقد عمل الروس على دعم داود ولكن لم تكن الخدمات التى قدمها تكفى هذا فى حين أن محمد داود قام بإيجاد حزب جديد أطلق عليه اسم (الحزب الوطنى الثورى) خاصة بعد أن بدأ الخلاف يدب بينه وبين حزب برشم حيث حصلت الفرقة بينهما عام ١٩٧٧م . وبدأ كل طرف يتربص بالآخر وشعر داود بأن الشيوعيين بدأوا يتربصون به وأنه ساقط لامحالة ،

---

(١) انظر : أفغانستان (٩٤) ، الأفغان الحمر (٦٣) .
(٢) نقلا من كتاب الأفغان الحمر (٦٣) .
وقال محمد داود : (إن أسباب التغير تعود إلى تفاقم الرجعية) .
(٣) انظر : فترة من الإنفراج الدولى (٥٣٩) ، الأفغان الحمر (٦٤) .
(٤) انظر الأفغان الحمر (٦٤) .

خاصة وأن الشعب قد انعزل عنه بسبب تحالفه الكبير مع الشيوعيين فبدأ بتصفية الخصوم وماجاء آخر سنة ١٩٧٧م إلا وقد عزل الوزراء الشيوعيين من حكومته ، وكرد فعل عمل الشيوعيون على القيام بأعمال تخريبية بإيعاز من الروس واقتنع داود حينها أن الروس وعملاءهم وراء هذه الاضطرابات فقام باعتقال قادة الحزب الشيوعى فى البلاد وزج بهم فى السجون وغير اتجاهه إلى أمريكا والدول الإسلامية(١).

ولكن لماذا غير داود اتجاهه؟

يمكن القول أن هناك عدة أسباب من أهمها :

(١) شعور داود أن الشعب لفظه وذلك بسبب تحالفه الفاضح مع الشيوعيين.

(٢) عثوره على وثائق لمؤامرة تحاك ضده وبالتعاون مع الكرملين فشعر بالخطر فأخذ فى إبعاد الشيوعيين .

(٣) التحول الأمريكى لكسب داود ورغبته هو فى ذلك(٢).

(٤) أن داود قال لبريجنيف فى نيسان ١٩٧٧م وذلك قبل سقوطه بأيام بعد أن قدم له بريجنيف قائمة بالشكاوى الروسية ضده :

(إننى أريد تذكيرك بأنك تتحدث مع رئيس دولة مستقلة وليس مع دولة أوروبية شرقية تدور فى فلكك ، وانك تريد التدخل فى الشؤون الداخلية لأفغانستان ولن أسمح لك بذلك)(٣).

---

(١) انظر : الأفغان الحمر (٧٥-٧٨) ، بشائر الإيمان فى جهاد الأفغان (٤٢) ، فترة من الإنفراج الدولى (٥٤٠) ، المخابرات السوفيتية من الداخل (٢٣٦) وذكر أن هؤلاء الشيوعيين كانوا على اتصال بسفير الاتحاد السوفييتى فى كابل . وانظر تقرير من أفغانستان (٣٩-٤٠) .

(٢) انظر : الأفغان الحمر (٧٨-٧٩) ، فترة من الإنفراج الدولى (٥٤٠) .

(٥) الأفغان الحمر (٨٤) .

ولمزيد من تذمر الشيوعيين من حكومة داود انظر أفغانستان والإجتياح الروسى (٨) ومابعدها .

وبعد الضغط على الحزب الشيوعى وسجن بعض أفراده بدأ الحزب العمل على إعادة صفوفه ، واستدراك الوضع خاصة بعد إعلان داود رغبته الأكيدة فى التقارب مع الغرب ومع بعض الدول الإسلامية فقام أحد الشخصيات البارزة فى الحزب الشيوعى واسمه ميرخيبر[١] برأب الصدع الذى حدث فى الحزب الشيوعى وبذل جهودا جبارة فى توحيد صفوف الحزب الشيوعى ، ولكن سرعان ماقتل ووجه الاتهام إلى داود . وقد أحدث اغتيال ميرخيبر فرصة كبيرة للشيوعيين من أجل الإعداد والتحرك فى التعجيل بالإنقلاب ضد داود وحوصر فى قصره وقتل داود وعائلته[٢]. وأفرج عن طرقى ـ حيث كان معتقلا من قبل داود ـ وسلم رئاسة الدولة .

محمد نور تراقى[٣]:

لقد كان للفساد الإدارى ، والإنهيار الإقتصادى ، والكبت السياسى

---

(١) ولد سنة ١٩٢٥م ، سجن ست سنوات من عام ١٩٥٠م وبعد إطلاق سراحه عمل بالشئون التعليمية فى وزارة الداخلية ثم طرد من كابول بسبب اشتراكه فى عصيان ١٩٦٥م وعاد إليها بعد عشر نسوات ووكل إليه مهمة تجنيد البرشميين الشيوعيين فى الجيش الأفغانى .

(٢) انظر : تقرير من أفغانستان (٤٠) ، الأفغان الحمر (٨٢-٨٣) ، أفغانستان (٩٨) . ولمزيد من المعلومات انظر الأفغان الحمر (٨٤-٨٧) .

(٣) ولد نور محمد تراقى سنة ١٩١٧م فى مديرية (مقر) بولاية غزنى ، وينتمى للبشتون وهو من عائلة فقيرة معدمة ، وعمل بالهند كموظف فى شركة تجارية وأخذ عن عمال المرافىء الكثير من الفكر الإشتراكى ، التحق بجامعة كابل فى الفترة ١٩٣٨-١٩٤١م ، وفى نهاية الأربعينات غدا مسئولا عن وكالة الأنباء الأفغانية (بختار) ونفى إلى الولايات المتحدة فى أوائل عام ١٩٥٣م ، ثم رجع إلى بلاده عن طريق باكستان عام ١٩٥٦م ، وعلم داود بمجيئه ولم يسجنه ، وكان من مؤسسى الحزب الأفغانى الشيوعى عام ١٩٦٥م واعتقل فى آخر رئاسة داود ثم أفرج عنه فى إنقلاب ١٩٧٨م ليتولى رئاسة الجمهورية ثم قتل على يد رفيق دربه حفيظ الله أمين أواخر سنة ١٩٧٩م ، ويلقب تراقى فى أفغانستان بلينين لأنه أزاح الملكية كما أزاح لينين القياصرة وقام بتصفية المراكز الحكومية .
انظر : الأفغان الحمر (٩٤-٩٦) ، أفغانستان والإجتياح الروسى (٥١) ومابعدها .

الذى بلغ ذروته ، والخلاف بين شطرى الحزب الشيوعى وميل داود عن الشيوعية كل ذلك كان دافعا للإنقلاب عليه ، فاتحد الحزبان الشيوعيان تحت قيادة تراقى ، وفى ليلة الإنقلاب اتصل بعض الضباط بمحمد داود وأخبروه بقيام مظاهرة فى الغد فاستأذنوه بخروج بعض الدبابات لحماية القصر فأذن بينما كانت فوهات المدافع موجهة إلى الخارج إذ جاء الموعد المحدد الثانية عشرة وأربع دقائق إذ تحولت إلى القصر ودكته فوق رؤوس من فيه يوم ٢٧ ابريل ١٩٧٨م . وقيل أن من قتل من الرجال والنساء والولدان بلغ ثمانين ألفا فى مقدمتهم العلماء وأعضاء الجماعات الإسلامية[١].

وأصبح تراقى رئيسا لدولة أفغانستان وبرئاسته (دخلت أفغانستان فى قلب الماركسية فأصدر عدة قرارات منها :

(١) مصادرة الممتلكات .
(٢) أمر بتوقف البرامج الدينية فى الإذاعة والصحافة .
(٣) حذف المواد الدينية فى المدارس والجامعات وحلت محلها آراء وأفكار فلسفية وشيوعية .
(٤) عمل دورات للفلاحين والعمال من رجال ونساء ثقافية إشتراكية شيوعية على طريق الماوية الصينية .
(٥) قتل من المسلمين حوالى ثلاثين ألف مسلم بل سحقهم بالصواريخ والمدفعية .
(٦) وكل هذا وشياطين الكرملين يباركون لهذا العمل الإجرامى ...

فهب الشعب المسلم الأفغانى صاحب الغيرة على دينه وعرضه بل هبت القبائل من أنحاء أفغانستان لحرب هذا الشقى .

فسلط تراقى جيشه الشيطانى على الشعب الثائر كالبركان فقتل مائتى ألف مسلم)[٢].

---

(١) انظر قضايا هامة فى حاضر العالم الإسلامى (١٢٩) ، وانظر أفغانستان والاجتياح الروسى (١١) .

(٢) بشائر الإيمان فى جهاد الأفغان (٤٣) .

وقد وقع طراقى معاهدة صداقة مع السوفييت (تأمينا لتكريس الحكم الشيوعى فى أفغانستان وتمهيدا لتدخل عسكرى سوفييتى فى الوقت المناسب . وفى ٤ من كانون الأول عشية عام ١٩٧٨م وفى أول زيارة له قام بها للخارج منذ توليه الحكم وقع الرئيس طرقى معاهدة للصداقة والتعاون وحسن الجوار بين أفغانستان والاتحاد السوفييتى مدتها عشرون عاما)(١).

وقد أفصح عن سياسته الماركسية من خلال جرائمه التى ارتكبها وخاصة ضد المسلمين ومن ذلك :

(١) نصب المشانق ضد الحركة الإسلامية خاصة .

(٢) تصفية مراكز الحكومة والوزارة ممن عليه مسحة دينية أو قبلية .

(٣) اعتقال العديد من قادة الحركة الإسلامية .

(٤) الغاء البرامج الدينية من وسائل الإعلام .

(٥) التهديد الفاضح للدول المجاورة .

(٦) تغيير علم البلاد إلى اللون الأحمر اقتفاء لأثر روسيا .

(٧) تقليص دور العلماء والمشايخ فى أفغانستان .

(٨) إرسال البعثات العسكرية والثقافية إلى روسيا بكثرة لم يسبق لها نظير لترويضها .

(٩) نزع الأراضى من مالكيها الحقيقيين دون تعويضهم(٢).

فزادت البلاد سوءا ، وازداد هياج الشعب المسلم ضد الفوضى والفساد الذى تعانى منه الدولة الأفغانية تحت سلطة تراقى وقد أحس أحد الزعماء الأفغان وهو حفيظ الله أمين أن تراقى اتفق مع الروس على اقصائه وجعل بابك كارميل يحل محله فقام بقتله(٣).

---

(١) أفغانستان والاجتياح الروسى (٥٨) .

(٢) انظر الأفغان الحمر (٩٦-٩٧) .

(٣) انظر : حاضر العالم الإسلامى (١٤٧) ، قضايا هامة فى حاضر العالم الإسلامى (١٢٩) ، فترة من الإنفراج الدولى (٥٤١) ، تقرير من أفغانستان (٤٦) ، وذكر أن كافة عناصر الشعب ساءها الوضع فمنها المعارضة الدينية ، ومنها السياسية ، ومنها القبلية .

حفيظ الله أمين[١]:

تولى عـام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م وعنـدما أصبح مسيطرا على رئاسـة الـدولة أدرك أن النظـام مـازال يعتمـد على السـوفييت فى المجـالين الإقتصـادى والعسكرى ورفض الإقرار بهذه النتائج ، وطلب من روسيا استدعاء سفيرها ، واتهمـه بالتخطيط للإطاحة بالنظـام فى كابل . واستبـدل السفير بعد شهر من ذلـك (أى فى ٦ تشـرين الثـانى ١٩٧٩م) . وخلال تلـك الفترة حور زعمـاء خلـق الـوثائق التى تتهـم الـروس بالتـواطؤ مـع طرقى وأتبـاعه لإثارة الفتن وحينها فر عدد من أتباع طرقى إلى الاتحاد السوفييتى[٢].

قام حفيظ الله بتوسيع دائرة حكمه ، والتقرب إلى الأحزاب الدينية ، وانتقـد طـرقى لإنفراده بالسلطـة ، ووعد بحماية المالكين الصغـار ، لكـن كان مجال المناورة ضيق إذ أن هناك آلاف قد أهرقت دماؤهم والشعوب القبلية لم تكن للتنازل عن ذلك بسهولة[٣].

وفى هـذه الأثناء قام الاتحاد السوفييتى بجهوده للتـأثير على النظام (فزار س.بابورتين المدير السوفياتى للشؤون الأمنية الدولية ، كـابول ، وتبعه فريق من المستشارين السوفيات الذين حاولوا إعادة تنظيم البوليس الأفغانى السرى إلا أن أمين رفض السماح لهم بذلك ، فنما التوتر بين البلدين)[٤].

---

(١) ولـد سنة ١٩٢٨م قريبا من كابل ، حصل على منحة دراسيـة وعاد وعين مدرسا فى الجامعة ، كان صلب الشخصية ، ولى عدة مناصب منها الأمين العـام للجنة الحزب المركـزية ، وزير الدفاع ، ورئيس الوزراء ، وبهذا سيطـر سيطرة تامة على أجهزة الدولة وكان هذا زمن تراقى ثم قام بالإنقلاب عليه فى ١٦ سبتمبر ١٩٧٩م ثم قتلـه الروس لتنصيب كارمل فى نهاية عام ١٩٧٩م . الأفغان الحمر (١٠٨) .

(٢) انظر : تقرير من أفغانستان (٤٧) ، الأفغان الحمر (١٠١) ومابعدها .

(٣) انظر تقرير من أفغانستان (٤٨) .

(٤) المرجع السابق (٤٨) ، وانظر أفغانستان والاجتياح الروسى (٥٩-٦٠) .

وقد أوهمت روسيا أمين أن هناك إنقلابا يدبر ضده وقصدت بذلك كسب الرجل حتى يظل على ثقته فى السوفييت بينما هم كانوا يحاولون ابعاده[١].

وفى ٢٧ كانون الأول/ديسمبر تدخلت الفرق السوفيتية فحاصرت كابل وحدات مسلحة وأطيح بأمين ونفذ فيه حكم الاعدام على الفور مع أفراد عائلته وعين بابراك كارمل رئيسا للجمهورية ورئيسا للوزراء[٢].

بابراك كارمل[٣]:

نفى بابراك كارمل أيام حكومة تراقى ، بإيعاز من حفيظ الله أمين حيث عين سفيرا فى تشيكوسلوفاكيا فى يوليو عام ١٩٧٨م . وعزل بعد ثلاثة أشهر تقريبا واختفى فى أوروبا الشرقية ثم جىء به من قبل الروس ليتزعم

---

(١) انظر الأفغان الحمر (١٠٩) .

(٢) انظر : تقرير من أفغانستان (٤٨) ، حاضر العالم الإسلامى (١٤٧-١٤٨) وذكر أن الإنقلاب حدث بدعم سافر من الاتحاد السوفييتى حيث امتد جسر جوى لنقل الجنود والمعدات عبر أكثر من ١٥٠ طلعة جوية لطائرات (الأنتيونوف) الضخمة . وانظر : الأفغان الحمر (١١٧) ، قضايا هامة فى حاضر العالم الإسلامى (١٣٠) . وقد اختلف فى شخصية أمين فمن قائل بأنه كان عميلا شيوعيا ، ورأى أنه يميل إلى الغرب ، ورأى أنه كان شيوعيا متعصبا رغب أن يكون لينين آسيا مستقلا عن السوفييت . انظر ذلك فى كتاب الأفغان الحمر (١٠٦-١٠٧) .

(٣) كارمل يعنى (صديق العمل) ولد عام ١٩٢٩م تخرج من مدرسة (نجات) وتعلم فيها اللغة الألمانية ، ظهر كعضو نشيط فى اتحاد الطلبة الشيوعى عام ١٩٥٠م ، فى عام ١٩٦٠م تخرج من الجامعة وعمل بقسم الترجمة فى وزارة التعليم ، وفى عام ١٩٦٥م شارك فى تأسيس الحزب الأفغانى ، كان الرجل الثانى فى حكومة تراقى ثم عندما تم الانقلاب عليه أى على تراقى جاء الروس بكارمل على دبابة روسية وسلموه حكم أفغانستان فى ٢٨ ديسمبر . انظر الأفغان الحمر (١٢٣-١٢٤) .
وفى ٥ مايو ١٩٨٦م قدم استقالته بحجة ظروفه الصحية وخلفه نجيب الله فى رئاسة الدولة وفرض عليه إقامة جبرية . انظر الأفغان الحمر (١٢٤) .

الانقلاب الأخير[١] وبعد أن استولى على الأمر وبسرعة كبيرة أطلق سراح ٢٠٠٠ سجين سياسى ، ومنح الثوار عفوا غير مشروط وأعلن أنه حان توحيد البلاد بوسائل سياسية لاعسكرية ، وبدأ النظام بتوجيه خاص نحو المؤيدين المسلمين[٢].

فى هذه الأثناء كانت القوات السوفيتية تتزايد داخل أفغانستان حتى جاوزت مائة ألف جندى توزعوا فى المناطق التى كان يحتلها جنود الجيش الأفغانى الرسمى[٣].

(وبذلك وقعت البلاد تحت الاحتلال الشيوعى السافر ، وحققت روسية حلمها الذى كانت تعمل لتحقيقه منذ أمد بعيد ...)[٤].

ولما وجدت روسيا أن بابراك كارمل ضعيف تخلصت منه وجاءت فى مكانه بشخص آخر أشد ولعا وحبا لروسيا وهو نجيب الله[٥].

---

(١) انظر حاضر العالم الإسلامى (١٤٨) .

(٢) انظر : تقرير من أفغانستان (٤٩) ، فترة من الإنفراج الدولى (٥٤٢) .
جاء فى خطاب لكارمل : (اخوتى المسلمين الأفغان الذين عاشوا دهرا طويلا من المظالم ، عليكم ، أيها الرجال والنساء والأبطال من أبناء هذا البلد ، اسمحوا لى أن أعبر عن عميق أسفى لمعاناتكم المفرطة وللدماء التى أريقت منكم بسبب السجن والهجرة البربرية المفروضة عليكم ، والتعذيب الوحشى الذى تعرضتم له واستشهاد عشرات الألوف من الأشخاص ، وكل هذا حدث أيام حفيظ الله أمين وبأوامر مباشرة من هذا العميل للمخابرات الأمريكية هذا الخائن لقى جزاءه على يد المجلس الثورى لشعب أفغانستان بسبب أعماله الشيطانية) .
Red Flag over Afghanistan p.89 .
نقلا من كتاب الأفغان الحمر (١٢٣) .

(٣) حاضر العالم الإسلامى (١٤٨) .

(٤) قضايا هامة فى حاضر العالم الإسلامى (١٣٠) .

(٥) انظر : بشائر الإيمان فى جهاد الأفغان (٤٤) ، حاضر العالم الإسلامى (١٤٨) .

نجيب الله[١]:

ويمكن القول بأن هناك أسبابا جعلت السوفييت يستبدلون كارمل بنجيب الله :

(١) اخفاق كارمل فى القضاء على الحركة الإسلامية الجهادية . فوقع الاختيار على شخص شرس يضرب بيد من حديد على الأعداء .

(٢) أن نجيب ينتمى لقبائل (البشتون) وهذا فى ظن الروس سيقرب بين الحزبين الشيوعيين (برشم وخلق) لأن حزب برشم أغلب أعضائه من البشتون المتعصبين ، ونجيب من أعضاء حزب خلق .

(٣) أن نجيب عمل فى المخابرات وبالتالى سيلعب دورا محوريا فى مستقبل أفغانستان[٢].

فكانت هذه الشخصية أضمن من غيرها لتحقيق المصالح[٣].

وأدرك المجاهدون الأفغان حقيقة ذلك الرجل فرفضوا رفضا قاطعا بقاءه ورفضوا الدعوة التى تنادى بالمصالحة الوطنية كما يزعم عملاء الشيوعية[٤].

---

(١) ولد عام ١٩٤٧م فى كابل ، درس بمدرسة حبيبة العالية وأتقن الفارسية مع اللغة الأم (البشو) وسنة ١٩٦٤م أنهى الدراسة الثانوية وسنة ١٩٧٥م تخرج من جامعة كابل طبيبا ، ويعتبر من المؤسسين للحزب الشيوعى عام ١٩٦٥م ، سجن مرتين لنشاطاته السياسية ، وفى عام ١٩٧٩م قام بالتخطيط لمؤامرة ضد خلق وتم نفيه إلى إيران سفيرا بها ثم سحبت منه الجنسية الأفغانية ، فغادر إلى تشيكوسلوفاكيا ليقابل كارمل ومنها إلى موسكو حتى دخول القوات الروسية أفغانستان ، وعندما عين كارمل رئيسا طار نجيب إلى كابل ليعمل رئيسا للمخابرات وترق نجيب فى ١٩٨٢م إلى عقيد ، ثم إلى عميد فى ١٩٨٣م ، عين رئيسا لأفغانستان عام ١٩٨٥م وتعرض لعدة محاولات من أجل اغتيال .
انظر الأفغان الحمر (١٣١-١٣٣) .

(٢) انظر الأفغان الحمر (١٣٤-١٣٥) .

(٣) انظر مجلة الجهاد العدد (٨٥) (١٠-١١) شعبان ١٤١٢هـ ، فبراير ١٩٩٢م .

(٤) انظر أقوال قادة الجهاد عن ذلك فى كتاب الجهاد الأفغانى طريق إلى الخلافة الراشدة (١/٢٨-٢٩) أم القعقاع ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩٠م بدون ذكر لدار النشر ، وانظر مجلة الموقف العدد (٦-٧) (٢٤-٢٧) وفيها بيان الاتحاد الإسلامى لمجاهدى أفغانستان .

وكـان فكـر قادة المجاهدين الأفغـان متفقاً في رفـض هـذه المصالحة أو إشـراك الأعداء فى الحكومة وأعلـن هؤلاء القادة طلبـاتهم التى تتلخص فى :

(أ) خروج القـوات الـروسية الغـازية من أرض أفغانستـان بدون قيـد أو شرط .

(ب) عدم الإشتراك فى حكومة بها عناصر غير إسلامية .

(ج) رفض أى قرار لاتوافق عليه المنظمات الأفغانية .

(د) مـواصلة الجهـاد حتى اخراج آخر جنـدى روسـى وإقـامة الحكـومة الإسلامية .

(هـ) حق الشعب الأفغانى فى تقرير مصيره دون السماح بالتـدخل الأجنبى .

(و) رأت المنظمـات الأفغـانيـة ضـرورة وجود حكـومـة مـؤقتة بإشـراف المجاهدين لحين إجراء الانتخابات العامة(١).

وقـد أعلن نجيب الله العميـل عن مبادرة جديدة وتتلخـص فى النقاط التالية :

(١) وقـف إطلاق النار لمدة ستـة أشهر لوقف سفك الدمـاء فى أفغانستان .

(٢) مشـاركة جميـع الأطراف فى الشـؤون السياسية والحيـاة الإقتصـادية فى البلاد .

(٣) الكـف عن ملاحقة أى شخص بسبب نشاطه السابق وإصـدار عفو عام عن الجميع بما فى ذلك الجنود والضباط الفارين من الجيش .

(٤) عـودة الوحدات العسكرية السوفيتية المحدودة إلى بلادهـا خلال ثلاث سنـوات على أن يغادر القسـم الأكبر منها أفغانستـان خلال ستة أشهر إذا ماسارت الأمور على مايرام .

---

(١) انظـر القصـة الـدامية للغـزو السـوفييتى لأفغـانستان (١٠٠) ، عصـام دراز ، دار الاعتصام دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها .

(٥) إجراء مفاوضات مباشرة مع أطراف النزاع وتشكيل حكومة يمثل فيها قادة الثوار بشكل متساو مع الأطراف الآخرين)[١].

وأعلن نجيب الله أن آخر هدف للحزب الديمقراطى الأفغانى هو (بناء الإشتراكية فى أفغانستان ، ولن يتخلى حزبنا عن هذا الهدف)[٢].

وهكذا وإلى آخر لحظة والشيوعية الحمراء تحاول إبقاء عملائها على رأس السلطة أو مشاركتهم فيها ، من أجل خدمة أهدافهم .

وقد كان هذا أحد الأساليب التى انتهجها زعماء الكرملين فى علاقتهم مع دولة أفغانستان المسلمة .

---

(١) الأفغان الحمر (١٣٥-١٣٦) .
(٢) المرجع السابق (١٣٨) .

ثانيا : إيجاد العملاء واستغلالهم لتحقيق الأهداف السوفيتية :

عملت الشيوعية فى الاتحاد السوفييتى على نشر الفكر الإشتراكى كلما سنحت لها الفرصة فى أى بقعة كانت ، وقد كانت الدول الإسلامية الهدف الأول للشيوعيين من أجل نشر فكرهم الالحادى فيها وذلك لعلمهم بأن الإسلام هو الخطر الحقيقى على عقيدتهم المادية وأنه يأتى عليها من البنيان ، ومن هنا عملوا على إيجاد العملاء والخلايا السرية فى أكثر بلدان العالم الإسلامى ومن هذه الدول أفغانستان والتى وقعت عقودا من الزمن تحت وطأة هؤلاء العملاء . وكانت هذه الخطوة من الأولويات التى اتخذها العدو الأحمر ضد أفغانستان فقامت علاقة السوفييت بأفغانستان ظاهرا على الوعود بالمساعدة ، وعدم التدخل فى الشئون الداخلية لها بينما كان العملاء ينفذون السياسة الإلحادية بالطرق السرية . يقول محمد مزمل : (عندما جاءت ثورة أكتوبر ١٩١٧م فى الاتحاد السوفييتى وتسلم الشيوعيون قيادة الأمر اختارت قيادة الثورة سياسة النفاق والتحيز الصورى مع الشعوب الإسلامية المحتلة وذلك إخمادا لثأرها ومقاومتها فى الوقت الذى لم تغرس الحكومة فصيلة السلطة بعد ، ولم تمض سنة على ذلك والشيوعية بدأت بسحقها ، ولكن موقف القيادة الشيوعية بالنسبة لأفغانستان استمر على ماكان حيث اختارت سياسة المصادقة مع الحكام ، وعقد الصداقات معهم واستغلال نواياهم وذلك لما عرف الروس من مواقف الشعب الأفغانى تجاه الانجليز فأرادوا أن يأخذوا خطوتهم فى هذه المنطقة الخطرة ببطء وتأنى والتآخى فى الظاهر واستخدام الحكام العملاء لتبنى النظام الشيوعى فى الشعب الأفغانى لصالح السوفييت)(١).

وعمل السوفييت على إيجاد العملاء ، واستغلال تذمر الشعب من الانجليز فاندفع حكام أفغانستان تجاه الحكام الروس .

---

(١) موسكو فى طريقها إلى كابول (١٢) .

يقول أبو بشير الحامدى عن أمان الله الذى تولى السلطة فى أفغانستان (كان أمان الله على نقيض والده شديد النفور من الانجليز ، إذ كانوا يشكلون خطرا حقيقيا على استقلال أفغانستان فقد كانوا يتحكمون فى شؤونها الداخلية أيضا ، ورأى أمان الله نداءات "لينين" بالثورة على الاستعمار البريطانى ومساندته الظاهرية لقوى التحرير ، فصدق وعوده وأكاذيبه ، فأسرع يمد يده إلى لينين يطلب المساعدة والمساندة فى محاربة الانجليز ...)[١].

لقد ركب زعماء الكرملين من على أكتاف هؤلاء العملاء وحققوا لهم عدة أهداف وكثيراً من مطامعهم ولو لم يكن إلا سهولة دخول القوات السوفيتية إلى أرض أفغانستان المسلمة بعد أن استنفذوا طاقاتهم .

ثالثا : إنشاء المنظمات والأحزاب الشيوعية :

إنشاء المنظمات والأحزاب الشيوعية ودعمها ، وجعلها بأيدى هؤلاء العملاء ليوجهوها الوجهة التى تريدها منهم موسكو ، وعلى سبيل المثال من هذه المنظمات :

(أ) منظمة (ويخ زاليمان) (شباب اليقظة) :

وأنشئت عام ١٩٤٥م ومن أعضائها تراقى وكارمل ، ومن مجلاتها (انجاز) (الجمر) (السن) (أى الشعب)[٢].

(ب) اتحاد الطلبة الشيوعى :

وقام فى ١٩٥١م عندما أعلن ثلاثون طالبا من كلية القانون والسياسة بجامعة كابل تأسيس (اتحاد الطلبة) واعتقلت الحكومة فى نفس السنة أعضائه وكان منهم أعضاء فى حركة شباب اليقظة . وكان أفراد الاتحاد متحمسين

---

(١) مذكرة عن تاريخ أفغانستان (١٣) نقلا من كتاب الأفغان الحمر (٢٠) . وانظر أفغانستان (٥١) .

(٢) انظر الأفغان الحمر (٤٣) ومابعدها .

للفكـرة الشيوعية ومن بينهم بابرك كارمل وكان لهـا خمس صحف معارضة (الوطن ، الشعب ، اجمر ، صوت الشعب ، رسالة الافغـان) وطفقت تهاجم رجال الدين والحكومة بشكل واسع ثم أغلقت واتخذ قرارا يقضى بحظر كافة الصحف المعارضة[١].

(ج) الحزب الشيوعى الأفغانى :

بعـد أن صدرت الموافقة على قيـام الأحزاب السيـاسية حيث نفذ داود ماطلب منه الروس صدر الدستور عام ١٩٦٤م يقضى بالسماح لقيام الأحزاب السياسية وبالتالى أزيلت العقبة أمام الشيوعيين .

(فأصدر الشيوعيون صحيفتهم الأولى (خلق) أى (الشعب) ، وأعلنوا من خلالها عن ميلاد أول حزب شيـوعى فى أفغـانستـان أسمـوه (حزب ديموقراطيك خلقى أفغانستان) ، أى : (حزب الشعب الـديمقراطى الأفغانى) ، وذلـك فى ١٩٦٥/١/١م ، وكان الإجتماع الأول للحزب فى بيـت (نور الدين تراقى) وحضـر الاجتماع آنذاك ٢٧ عضوا ... واختير (تراقى) رئيسـا للحزب وكارمل نائبا له)[٢].

وقـد ركـز الحزب نشـاطه على سلـك التعليم وطلاب الجامعـة وانتقـد السيـاسة الأمريكية ، وكان من أهدافه تقوية الروابط والعلاقـات مع روسيا وبدأت أفكاره الشيوعية تخرج عن طريق صحيفته (خلق) التى لم يصـدر منها إلا ستة أعداد ثم أوقفت بأمر من الحكومة[٣].

وحصـل خلاف بين تراقى وكارمل وظهر بوضوح عـام ١٩٦٦م فانقسم الحزب إلى مجمـوعتين (خلـق) أى الشعب ، و(برشـم) أى الراية[٤]، وكان يهدف السوفييت إلى جعل هذه الأحزاب والخلايا الشيـوعية والعملاء داخل الأراضـى الأفغـانية وسيلـة لنشـر الفكـر الإشتراكـى فيهـا ، فـإذا مـافشلت

---

(١) انظر : الأفغان الحمر (٤٧) ، أفغانستان (٨٧) .
(٢) الأفغان الحمر (٤٩) .
(٣) المرجع السابق (٤٩-٥١) .
(٤) انظر عن ذلك : المرجع السابق (٥٢-٥٩) ، أفغانستان والإجتيـاح الروسى (١٥) .

فى ذلك تكون ممهده لهم الطريق العسكرى وهذا عين ماحصل .

رابعا : توقيع المعاهدات بين الطرفين :

وقد حرص الاتحاد السوفييتى منذ زمن لينين على تلك المعاهدات (وأول معاهدة مع روسيا يعود تاريخها إلى سنة ١٩٢١م ، أى بعد سنوات قليلة من الثورة . ثم تبع ذلك معاهدة ثانية فى سنة ١٩٢٦م : اتفاقية حياد وعدم اعتداء أقامت خطوطا جوية بين طشقند وكابول)[١].

وكذلك معاهدة سنة ١٩٣١م والتى أرست قواعد الصداقة وحسن الجوار[٢]، وقد أضحت المعاهدة التى وقعها طرقى مع الاتحاد السوفييتى فى ٥ ديسمبر عام ١٩٧٨م واضحة فى أن الاتحاد السوفييتى كان يمكر بأفغانستان منذ فترة طويلة وبالنظر فى بعض مواد هذه المعاهدة يتبين لنا أن موسكو كانت تدعى شيئا وتفعل شيئا آخر ، ففى عام ١٩٧٨م تعقد هذه المعاهدة - والتى كانت بالطبع مع عميلهارجل تربى على عينها - . وفى عام ١٩٧٩م تجتاح قواتها أفغانستان ولو سميت هذه المعاهدة بأنها مؤامرة لكانت أقرب إلى الصواب . وإليك بعض ماجاء فى موادها .

(المادة ١ : يعلن الطرفان المتعاهدان الساميان ابتهاج عن عزمهما توطيد وتعميق الصداقة التى لاتنفصم عراها بين البلدين ، وتطوير التعاون الشامل الجوانب على أساس المساواة فى الحقوق واحترام السيادة الوطنية ووحدة الأراضى وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية لبعضهما البعض .

المادة ٢ : سوف يبذل الطرفان المتعاهدان الساميان الجهد لترسيخ وتوسيع التعاون الإقتصادى والعلمى الفنى المتبادل النفع فيما بينهما . وسوف يعملان تحقيقا لهذا الغرض على تطوير وتعميق التعاون فى مجال الصناعة والنقل والاتصالات والزراعة واستغلال الموارد الطبيعية وتطوير

---

(١) تقرير من أفغانستان (٣١) .
(٢) انظر الأفغان الحمر (٢٢٥) .

صناعة الطاقة وغير ذلك من مجالات الإقتصاد ، وتقديم العون فى إعداد الكوادر الوطنية وتخطيط تنمية الإقتصاد الوطنى وسوف يوسع الطرفان التجارة على أساس مبادىء المساواة والنفع المتبادل ونظام الأفضلية .

المادة ٣ : سوف يعمل الطرفان المتعاهدان الساميان على المساعدة فى تطوير التعاون وتبادل الخبرة فى مجال العلوم والثقافة والفنون والآداب والتعليم والرعاية الصحية والصحافة والإذاعة والتلفزيون والسينما والسياحة والرياضة ، وغير ذلك من المجالات .

وسوف يعمل الطرفان على توسيع التعاون بين أجهزة سلطة الدولة والمنظمات الإجتماعية والمنشآت والمؤسسات الثقافية والعلمية بهدف تحقيق التعرف الأكثر عمقا على حياة وكدح وخبرة ومنجزات شعبى البلدين .

المادة ٤ : إن الطرفين المتعاهدين الساميين إذ يعملان بروح تقاليد الصداقة وحسن الجوار وميثاق الأمم المتحدة ، سوف يتشاوران ويتخذان بموافقة الطرفين التدابير اللازمة لتحقيق الأمن والاستقلال ووحدة أراضى كل البلدين .

ولصالح تقوية القدرة الدفاعية للطرفين المتعاهدين الساميين سوف يواصلان تطوير التعاون فى المجال العسكرى على أساس الاتفاقيات المعنية المبرمة بينهما .

المادة ٥ : إن اتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفيتية يحترم السياسة التى تنتهجها جمهورية أفغانستان الديمقراطية من عدم الانحياز ، والتى تعد هامة للحفاظ على السلام والأمن الدولى .

وجمهورية أفغانستان الديمقراطية تحترم سياسة السلام التى ينتهجها إتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفيتية ، والموجهة نحو توطيد الصداقة والتعاون مع كافة البلدان والشعوب .

المادة ٦ : يعلن كل من الطرفين المتعاهدين الساميين فى ابتهاج أنه لن يدخل فى أية أحلاف عسكرية أو المشاركة فى أى تكتلات للدول ، وكذلك فى الأعمال أو التدابير الموجهة ضد الطرف المتعاهد السامى الآخر .

المادة ٧ : سوف يبذل الطرفان المتعاهدان الساميان كافة الجهود مستقبلا أيضا لحماية السلام العالمى وأمن الشعوب ، ومن أجل تعميق عملية الإنفراج الدولى وبسطها على كافة مناطق العالم بما فى ذلك آسيا وتجسيدها فى أشكال محدودة للتعاون المتبادل النفع بين الدول وتسوية المسائل الدولية المتنازع عليها بالطرق السلمية .

وسوف يساعد الطرفان بفاعلية مسألة نزع السلاح التام والشامل بما فى ذلك الأسلحة النووية تحت الرقابة الدولية الفعالة .

المادة ٨ : سوف يعمل الطرفان المتعاهدان الساميان على تطوير التعاون بين الدول الآسيوية وإقامة علاقة السلام وحسن الجوار والثقة المتبادلة بينهما وإنشاء منظومة فعالة للأمن بآسيا على أساس الجهود المشتركة لكافة دول القارة .

المادة ٩ : سوف يواصل الطرفان المتعاهدان الساميان النضال الثابت ضد مخططات قوى العدوان ، ومن أجل القضاء المبرم على الاستعمار والعنصرية بكافة مظاهرهما وأشكالهما .

وسوف يتعاون الطرفان فيما بينهما ومع الدول الأخرى المحبة للسلام فى تأييد النضال العادل للشعوب من أجل حريتها واستقلالها وسيادتها وتقدمها الإجتماعى)[١].

خامسا : التأثير المباشر فى الأصول والنظم التى يقوم عليها الحكم فى أفغانستان :

إن مما حرص عليه الأعداء الملاحدة فى التأثير على الشعب الأفغانى المسلم هو جعل الأصول والبرامج التى يسير عليها الحكام تحاكى البرنامج الشيوعى السوفييتى ليضمنوا بذلك التبعية الفكرية والسياسية لهم .

(١) نقلا من كتاب الأفغان الحمر (٢٢٥-٢٢٧) .

فبرناج الحزب الأفغانى لايخرج عن برناج الأحزاب الشيوعية العالمية فى سياسته وتوجهاته الإقتصادية والإجتماعية(١).

ودستور الحزب يمثل التبعية الواضحة للشيوعية الحمراء فى موسكو ، وقد جاء فى المادة الخامسة منه وهى عن واجبات العضو :

(أ) (إظهار معرفته الأيديولوجية وتعلم النظريات السياسية الماركسية ـ اللينينية ، ومحاولة تقوية التضامن الأيديولوجى ، منظمة الحزب وصدق الحزب ، ومقاومة أى عمل مضر بسلام ومصالح الحزب مهما كان داخليا أو خارجيا ، ورفض أعداء العمال وحزب الشعب والأمة والنضال ضد الاستعمار وكل المصاعب القومية والإجتماعية .

(ب) الالتزام بدستور الحزب وقراراته وآدابه ونشر وتبليغ الأهداف العامة والراهنة والسياسات بين صفوف الشعب والنضال من أجل تحقيقها .

(ج) الإشتراك الدورى وبانتظام فى نشاطات المنظمات المعنية ، والعمل باخلاص وبحسم وبقوة وبدون التفات عن أهداف الحزب ومبادئه وغاياته حسب الأوامر . ويدفع العضو رسم الإشتراك بانتظام ، وعقد حفلات الصداقة بين الأعضاء وخلق روح الرفاقية بين الأعضاء وروح التعاون والأخوة .

(د) تبليغ الأفكار الإشتراكية العلمية وأفكار البروليتاريا الداخلية والخارجية فى صفوف الشعب .

(هـ) النضال من أجل تقوية وحدة الشعب ، والكادحين والإخوة القاطنين فى بلادنا الفريدة ، أفغانستان وذلك لهدف تحقيق التساوى الكامل فى الحقوق والتعاون الأخوى بين كل الشعب من قبائل ومجموعات عرقية فى أفغانستان كبارا وصغارا ومن أجل تضامنهم مع منظمات العمال من منظمات سياسية لضرب البروليتاريا الشامل لكل (أفغانستان) والعمال والفلاحين والنساء والشباب واتحادات الطلبة .

---

(١) انظر هذا البرناج فى كتاب الأفغان الحمر (١٧٣-١٨٧) .

(و) توسيع علاقات الصداقة بين الأفغان والسوفييت ، وكذلك علاقات الصداقة بين أفغانستان والمعسكر الإشتراكى وحركة العمال الدولية وحركات الشعب التحررية فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وإيفاء أفغانستان بواجباتها القومية والدولية)[١].

وكذلك بقية المواد تصب فى خدمة السلطة الحزبية والأهداف الإشتراكية ، وتطبيق الأيديولوجية الماركسية[٢].

كذلك كانت المبادىء الأساسية لجمهورية أفغانستان والتى أعلن عنها فى ١٤ ابريل ١٩٨٠م قد نصت على (أن جمهورية أفغانستان الديمقراطية توسع وتقوى الصداقة والتعاون الشامل التقليدى مع الاتحاد السوفييتى والتعاون والصلات الودية الشاملة مع بقية بلدان الأسرة الإشتراكية على أساس مبدأ التضامن الأممى)[٣].

سادسا : تقديم المساعدات لأفغانستان :

إن من المسلم به أن ماقدمه الاتحاد السوفييتى لأفغانستان إنما كان الهدف منه تحقيق المصالح الفكرية والسياسية من ورائه ، وبالفعل قام الاتحاد السوفييتى بتقديم المساعدات لدولة أفغانستان ، وخاصة بعد الانفتاح الذى شهدته السياسة السوفيتية زمن خروشوف[٤].

وقد فاق الاتحاد السوفييتى الولايات المتحدة فى تقديم المساعدات مما يدل على اهتمام السوفييت بهذه الدولة ومحاولة ابعاد الولايات المحتدة عنها فـ(بين سنتى ١٩٥٥ و١٩٦٥م ، تلقت كابول مايقارب الـ٥٥٢ مليون دولار من موسكو (بالمقارنة مع ٣٥٠ مليون دولار من الولايات المتحدة) . وبعد سنة ١٩٦٥م ، تقلصت المعونة الأميركية أكثر ، فبلغت ١٥٠ مليون دولار فى السنة

---

(١) الأفغان الحمر (١٩٣-١٩٤) .
(٢) انظر هذه المواد فى المرجع السابق (١٩١-٢٠٨) .
(٣) المرجع السابق (٢٢٩) ، وانظر تلك المبادىء (٢٣١-٢٥٠) .
(٤) انظر أفغانستان (٨٩) .

خلال الفترة مـابين عامى ١٩٦٥ و١٩٧٧م ، فيمـا إرتفع الـرقم السوفياتى إلى ٧٥٠ مليون دولار)[١].

كما حصلت أفغانستان على قرض من تشيكوسلوفاكيـا عام ١٩٥٤م بمبلغ خمسة ملايين دولار[٢].

هـذا بالإضـافة إلى المعدات العسكـرية مـن دبابات ومـدفعية وطـائرات وقطع غيار[٣].

زد على ذلـك الـدعم الإقتصـادى مـن خلال التبادل التجـارى وإقـامة المشـاريع المشتركـة ومنها طـريق يمتـد من الحدود السـوفيتية إلى كـابل وهى الطريق التى استخدمتها الدبابات السوفتيية سنة ١٩٧٩م[٤].

كـذلك إرسال البعثات الأفغانية لتتلقى التدريب العسكـرى ، والتعليم فى الاتحاد السوفييتى ، بالإضافة إلى إرسال الخبراء والفنيين والمشغلين للأسلحة الحربية إلى أفغانستان . على أن هذه الإرساليات من قبل السوفييت لاتخلو من ضباط المخابرات فى ال .K.G.B والدعاة للفكر الشيوعى .

يقـول فلاديمير كـوزيتسكن : (تدفـق الخبراء السوفيـات على أفغـانستان وتغلغلوا فى الآلة الحزبية وفى الوزارات الحكومية ، وأوكـل إلى كل من ال كى.جى.بى. ومخابرات الجيش مهمة تنظيم الشرطة وأجهزة الأمن)[٥].

وبعد هذا العرض نصل إلى الحقائق التالية :

---

(١) تقرير من أفغانستان (٣٢-٣٣) .
وانظر : الأفغان الحمر (٤٣) .
فترة مـن الإنفـراج الـدولى (٥٣٨) وفيـه أن الـولايات المتحـدة رفضـت تسليحـه لتحـالفه مـع اسلام أباد بينمـا الاتحاد السـوفييتى قدم لـه كـل مساعدة طلبها منه .

(٢) انظر الأفغان الحمر (٣٨) .

(٣) انظر المرجع السابق (٣٩-٤١) .

(٤) تقرير من أفغانستان (٣٢) .

(٥) المخابرات السوفيتية من الداخل (٢٣٧) ، وانظر (٣٨) .

أولا : أن زعماء الاتحاد السوفييتى قاموا بمحاولات عديدة لكسب دولة أفغانستان وذلك بتقديم المساعدات إليهم ، ومحاولة التأثير فيهم ليجعلوا من أفغانستان دولة تسير فى فلكهم فكريا .

ثانيا : بعد أن أدرك الزعماء السوفييت صعوبة السيطرة على الشعب الأفغانى ، وإصراره على تمسكه بدينه عمدت إلى زرع الخلايا والعملاء لنشر الفكر الشيوعى .

ثالثا : عندما أدرك زعماء الشيوعية فى موسكو أن هؤلاء العملاء لم يفلحوا فى تحقيق مآربهم عمدوا إلى محاولة إيجاد قواد بارزين ورؤساء يحققون لهم أهدافهم ، وخاصة من أولئك الذين زاروا موسكو أو تلقوا تدريبا عسكريا فيها ، أو كانوا ضمن المبتعثين إليها ، وبالفعل تمكنوا من ذلك .

رابعا : عمل الزعماء السوفييت على استبدال بعض الرؤساء الذين لم يقوموا بخدمة أهدافهم كما ينبغى بآخرين أكثر عمالة لهم .

خامسا : زاد ذلك الوضع المتردى الذى فجره الحزب الشيوعى من إصرار المسلمين على تمسكهم بدينهم وعقيدتهم مما جعل السوفييت يرون أن وجود العملاء والزعماء والمؤيدين لهم لايكفون فى التأثير خاصة وأن بعضهم (أى زعماء أفغانستان العملاء) كانوا يجابهون القيادة السوفيتية .

سادسا : أمام فشل كل هذه المحاولات فى جعل أفغانستان شيوعية ماكان من قادة الكرملين إلا أن قرروا التدخل العسكرى المباشر فى أرض أفغانستان من أجل القضاء على الحركة الإسلامية ونشر الفكرة الشيوعية ، وتحقيق الأهداف السياسية والإقتصادية بالقوة العسكرية .

المبحث الثاني
التدخل الروسي في أفغانستان
وإعلان الجهاد

بعد الإنقلاب الأخير والذى كان الروس خلفه إما بطريق مباشر أو غير مباشر ، نودى بتراقى رئيسا لأفغانستان وقد كان مسجونا فأفرج عنه وقال فى خطابه الذى ألقاه عشية الإنقلاب : (إن النظام الجديد سيقوم بترشيد القومية الأفغانية الإجتماعية والإقتصادية والعدالة تحت ظل الإسلام وعدم الانحياز فى السياسة الخارجية)[١].

غير أن هذا كان إدعاء لم يصدقه أحد و(ظهر زيفه تماما من خلال المسلك السياسى لحكومة طرقى والمخطط التثقيفى الذى وضعته لتطويق الإسلام وتطويعه لقبول الماركسية للتلاميذ فى سن مبكرة ، كما أخذت تشجع المثقفين لدراسة اللينينية ليتأقلموا معها ...)[٢].

بالإضافة إلى تشجيع الخلاعة والفسق وتعاطى الخمر والاستخفاف بالصلاة مع الجماعة والقول بأنها تعطل العمل (مما أثبت بشكل قاطع ارتباط هذا النظام العميل بالشيوعية الدولية ، كما تأكدت مخططات الماركسية للسيطرة من خلاله)[٣].

قرار الغزو :

تباينت وجهات النظر فى غزو أفغانستان من قبل القادة السوفييت ،

---

(١) نقلا من كتاب الأفغان الحمر (٩٤) .
يقول السفير الأمريكى فى أفغانستان : (من الممكن ألا يكون السوفييت قد تدخلوا فى تفاصيل خطة الانقلاب ، لكن من المشكوك فيه أن يكون الشيوعيون الأفغان قاموا بانقلابهم دون اتصال وتحادث مع الروس فى ذلك) .
Red Flag over Afghanistan p.29 .
نقلا من كتاب الأفغان الحمر (٩٣) .

(٢) أفغانستان والاجتياح الروسى (٥٤) .

(٣) المرجع السابق (٥٤) .

ويرى يلتسين أن الغزو إنما كان بتخطيط أربعة أشخاص وهم (الرئيس الروسى برجنيف وديمترى استينوف وزير الدفاع وأندريه غيروميكو وزير الخارجية السابقة ، والمنظر الأيديولوجى سوسلوف)(١).

وقالت البرافدا فى ١٥ فبراير عام ١٩٨٩م : (ماهى الحكمة من التدخل الروسى فى أفغانستان ... إن مثل هذا القرار المهم والخطير إنما صمم من قبل عصابة ، ولم يوافق عليه برلمان منبثق من الشعب)(٢).

ولاشك أنه لم يبق أمام الاتحاد السوفييتى إلا التدخل العسكرى المباشر لفشل العملاء وعدم تمكنهم من تحقيق أحلام الكرملين فى القضاء على الحركة الإسلامية فى أفغانستان .

الرواية الروسية للغزو :

يحاول الروس أن يفسروا غزوهم لافغانستان بأنه إنما تم بناء على دعوة من حكومة كابل لمساعدتها فى صد العدوان عنها .

إلا أن هذا القول ينقضه الواقع ، ويفتقر إلى الدليل . يقول فرد هاليداى : (إن الرواية الروسية لاتقف على قدميها لأسباب عدة ، منها :

(١) أنها تتجاهل حقيقة أن القوات الروسية عندما وصلت استخدمت لاحلال مجموعة منافسة يقودها (بابراك كارمال) محل أمين .

(٢) أنها تلفق قصة خيالية مفادها أن أمين كان ، فى الواقع ، عميلا دائما لل سى.آى.اى. ،

(٣) أنها تبالغ فى مستوى المسؤولية الخارجية عن أزمة أفغانستان وتحول بالتالى اللوم عن حزب الشعب الديمقراطى ومستشاريه الروس ، والذين كانت سياستهم القمعية فى الأشهر الأولى من عام ١٩٧٩م

---

(١) نقلا من كتاب الأفغان الحمر (١١١-١١٢) .
مات بريجنيف وسوسلوف عام ١٩٨٢م واستينوف مات سنة ١٩٨٤م .

(٢) نقلا من كتاب الأفغان الحمر (١١٢) .

فعلت الكثير فى استعداء الشعب الأفغانى)[١].

(٤) أضف إلى ذلك لو صحت رواية السوفييت فإن أمين دعاهم كما يزعمون لمساعدته ولم يدعهم إلى إزاحته عن الحكم وقتله .

(٥) ومما تجدر الإشارة إليه أن أمين وقع إتفاقية فى ٥ ديسمبر ١٩٧٨م واشترط فيها :

(أ) (أن إرسال أية قوات سوفياتية يكون بطلب الحكومة الأفغانية ، إضافة إلى أن عمل هذه القوات يكون تحت إمرة ضباط أفغان) .

(ب) (عودتهم النهائية يجب أن تقرر طبقا لرغبات الدولة المضيفة)[٢].

وعلى هذا فقد كان تدخل القوات الروسية فى أفغانستان تدخلا سافرا انتهكت به حرمة ذلك البلد المسلم ، وكذلك انتهكت جميع الأعراف والقوانين الدولية ، ودللت على أن النظرية الشيوعية تقول شيئا وواقعها وفعلها يتجه نحو الصوب الآخر المخالف له تماما[٣].

أما الرواية الثانية للغزو فهى أن هذا التدخل الروسى فى ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩م كان غزوا واجتياحا لتلك الدولة المسلمة وكانت ترغب روسيا فى تحقيق أهدافها من ورائه كما دلت على ذلك الأحداث السابقة له واللاحقة .

ومما يدل على أن القصد هو السيطرة وفرض الهيمنة بالقوة أعداد وحجم القوات التى دخلت أرض أفغانستان .

---

(١) السياسة السوفتيية فى قوس الأزمة (١٠١-١٠٢) .

(٢) الأفغان الحمر (١١٥-١١٦) .

(٣) تنص المادة الثامنة والعشرون من الدستور السوفييتى لعام ١٩٧٧م على (دعم نضال الشعوب من أجل التحرر الوطنى والتقدم الإجتماعى ، ومنع حروب العدوان ، والتوصل إلى نزع شامل وتام للسلاح ، والتطبيق المستمر لمبادىء التعايش السلمى بين الدول ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة . وتمنع فى الاتحاد السوفييتى الدعاية للحرب) .
نقلا من كتاب السياسة السوفيتية فى قوس الأزمة (٤٠) .

فكان حجم القوات (١١٥,٠٠٠ مائة وخمسة عشر ألف جندى فى أفغانستان[١].

ورغم هذه الأعداد قالت صحيفة البرافدا بعد أن تم الاعتراف بالتدخل العسكرى من قبل السوفييت أن هناك (قوات عسكرية محدودة أرسلت لأفغانستان لصد الاعتداء الخارجى عليها ، وهذه القوات الضئيلة والمحدودة المقدرة بـ(٥) آلاف جندى ستنسحب تماما حينما تزول الدواعى التى دخلت من أجلها)[٢].

ثم أن القوات الروسية لم تكن وحدها التى قامت بالمعركة بل إن المخابرات السوفيتية وكذا الأفغانية (خاد)[٣]قد ساهمتا فى ذلك الغزو . وبهذا تكون روسيا قد انتهكت حرمة دولة مسلمة ، كما انتهكت الأعراف الدولية ، ومن قبل هذا أقامت لها العملاء داخل الأرض الأفغانية ، ولكن لم يكن الشعب الأفغانى ليستسلم لهذا الغزو وهو الذى لم يستسلم من قبل لكيد العملاء ، ولاللهجمات الانجليزية والقيصرية ، ومن هنا أعلن الشعب المسلم الجهاد فى سبيل الله تعالى ضد دولة الالحاد فـ(تفجرت ينابيع الثورة الإسلامية ضد الغزو بل الاستعمار الروسى .. وتشكلت فصائل وكتائب للمجاهدين ، وكونت منظمات للجهاد اتحدت غايتها وإن اختلفت أساليبها ووسائلها)[٤].

---

(١) انظر القصة الدامية للغزو السوفييتى الأفغانى (١٤٥) .
وانظر عن تمركز هذه القوات وفرقها (١٤٦-١٤٧) .
وانظر الأفغان الحمر (١١٦) .

(٢) نقلا من كتاب الأفغان الحمر (١١٦) .

(٣) تسمى بالخاد أى (خدماتى اطلاعاتى دولتى) أى خدمات الدولة للاستخبارات . ثم تحول اسمها مؤخرا إلى (واد) (وزارات أمنت دولتى) أى وزارة أمن الدولة وهى شريحة مصغرة عن ال K.G.B. . الأفغان الحمر (١٤٠) وانظر مابعدها .

(٤) أفغانستان والاجتياح الروسى (هـ) . من مقدمة الدكتور محمد سليم العوا .

إعلان الجهاد :

ظن السوفييت أن السيطرة على أفغانستان وعن طريق العملاء ستكون ميسرة وسهلة ، وعندما خاب ظنهم ذلك لجأوا إلى الغزو العسكرى لظنهم أيضا أن الشعب الأفغانى المسلم سيعلن استسلامه وخلال أشهر معدودة إلا أن المجاهدين الأفغان بإيمانهم وعقيدتهم الراسخة وقفوا فى وجه هذا العدوان سنين عديدة ، ضربوا فيها أروع الأمثال وأجلاها ، فى أنه لايوجد قوة فى الأرض تعادل أو تجابه قوة الإيمان بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم والكتاب الذى أنزل عليه ، عليه الصلاة والسلام .

(إن التدخل العسكرى للسوفييت .. قد واجه من الشعب الأفغانى مقاومة أثبتت خلال هذه المدة وهى تحارب لوحدها أن الروس لن ينالوا من حرية هذا الشعب وأنهم لن يصلوا بهذه السهولة إلى آمالهم وأن الطريق أمامهم مملوء بالمصاعب والعقبات ...)(١).

وقبل أن نسجل بعض الدروس التى أبرزها الجهاد الأفغانى والتى من خلالها ندرك أهمية هذا الجهاد للأمة الإسلامية بعامة يحسن بنا أن نبين دوافع الغزو لأفغانستان .

الدوافع لغزو أفغانستان :

لاشك أن الاحتلال السوفييتى لأفغانستان وقرار غزوها كان له عدة دوافع ويمكن ابراز أهمها فيما يلى :

أولا : ضرب الحركة والصحوة الإسلامية فى دولة أفغانستان لأنها تشكل خطرا كبيرا للسوفييت من حيث كونها دولة مجاورة لهم ، وكذلك لكون أغلب سكان الجمهوريات التى يتكون منها الاتحاد السوفييتى من المسلمين . ونحن نعلم بأن الإسلام يكفر بالشيوعية ويعاديها فكان لابد من العمل على استبدال الحكم الشيوعى هناك بالحكم الإسلامى ليأمن الاتحاد السوفييتى على نفسه .

---

(١) موسكو فى طريقها إلى كابول (٥) .

يقول بريجنيف : (إننا لن نسمح بقيام نظام معاد للشيوعية فى أفغانستان التى تلاصق حزامنا الرخو)[١].

(إن غزو السوفييت لأفغانستان لايستهدف أفغانستان وحدها ، بل يستهدف الوجود الفاعل والمؤثر للصحوة الإسلامية المعاصرة على الساحة الإقليمية والدولية ...)[٢].

وباختصار فإن (الخطر ليس فى أفغانستان الصغيرة الفقيرة إقتصاديا وعسكريا .. الخطر فى "إسلام أفغانستان")[٣].

ثانيا : خشية الاتحاد السوفييتى من الدول المجاورة لأفغانستان مثل باكستان وإيران لوجود الحركة الإسلامية فيها وبقوة ، فإذا ماتم للسوفييت السيطرة على أفغانستان جعلوها خط الدفاع الأول ضد هاتين الدولتين ، وبالتالى تأمين الاتحاد السوفييتى والجمهوريات من آثار المد الإسلامى . وقد أفصحت جريدة (أزفيستيا) الروسية سنة ١٩٤٧م عن خطورة باكستان وقالت (إن القضاء على هذه الدولة التى أنشئت على العقيدة الإسلامية واجب من واجبات الحزب الشيوعى الروسى لأنها تشكل خطرا على الجمهوريات الإسلامية بالاتحاد السوفييتى)[٤].

ثالثا : الموقع المتميز لأفغانستان والذى كان يعتبر المفتاح الحقيقى للخليج والجزيرة العربية لتحقيق الأطماع الاقتصادية . ففى سنة ١٩٤٠م قال فلاديمير مولوتوف مفوض الشئون الخارجية الروسية : (إن المنطقة الجنوبية للباتان والباتو باتجاه الخليج الفارسى هو مركز طموح الاتحاد السوفييتى)[٥].

---

(١) نقلا من كتاب القصة الدامية للغزو السوفييتى لأفغانستان (٦٠) .

(٢) أفغانستان الجرح والأمل (٧) ، د. عبد القادر طاش ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، دار حافظ للنشر والتوزيع ، جدة .

(٣) القصة الدامية للغزو السوفييتى لأفغانستان (٦٠) .
وانظر مجلة كلية الملك خالد العسكرية (١١٤/١٢) موضوع بعنوان أفغانستان بعد ست سنين من العدوان ، بقلم اللواء الركن حسن أحمد البدرى .

(٤) نقلا من كتاب حاضر العالم الإسلامى (١٤١) .

(٥) نقلا من كتاب الأفغان الحمر (١٤) .

يقول الدلال : (كانت مطامع الروس أن يغسلوا أرجلهم بمياه الخليج الدافئة ، وأن يكون لهم من بترول المنطقة نصيب . أى أنهم كانوا يهدفون تحقيق مطمعين : الأول يصب فى الاستراتيجية الجغرافية . والآخر : يصب فى الاستراتيجية الإقتصادية)(١).

رابعا : فشل العملاء والخلايا الشيوعية فى جعل المسلمين يتركون دينهم ، أو ينحرفون عنه إلى الإشتراكية ، فلم يفلح العملاء ولاالأحزاب الشيوعية فى إبعاد المسلمين عن شعائرهم وعقائدهم ، مما كان له أثر فى عزم السوفييت على غزو أفغانستان .

يقول جيرار شاليان : (وربماكان الغزو سابقا اجراء دفاعيا ، أو مناورة محلية هدفها الحؤول دون إنهيار التجربة الشيوعية فى أفغانستان والاستعاضة عن النظام الضعيف بآخر أقوى ظاهريا)(٢).

خامسا : شعور الاتحاد السوفييتى بأنه أصبح فى درجة متأخرة عن الولايات المتحدة ، خاصة وأنها قد حققت كسبا كبيرا فى مجال التسلح ، فأراد السوفييت شغل الولايات المتحدة وجعلها تقلل من صناعاتها العسكرية فكأن حال السوفييت يقول للولايات المتحدة أن دولتهم ماتزال قوية وبإمكانها التوسع فى دول المنطقة الأكثر أهمية وهى الشرق الأوسط ، وخاصة بعد فشل الولايات المتحدة فى فيتنام .

سادسا : كان يهدف السوفييت إلى تنمية إقتصادهم ببعض مايوجد فى أفغانستان . يقول جيرار إن الاتحاد السوفييتى يرغب فى (جذب البلاد إلى دائرته الإقتصادية والإفادة من مواردها الطبيعية غير المستثمرة ، أوالمستثمرة على نحو ضئيل كالنفط واليورانيوم والكروم والمنغنيز والنحاس والفحم والحديد والأحجار شبه الكريمة . كما ينوى أيضا إيجاد أعمال جديدة للشبان العاطلين عن العمل فى المدن . وهكذا ، أقام السوفيات بين عامى

---

(١) الإنهيار (١١٦/١) ، وانظر الشيوعية (٩) .
(٢) تقرير من أفغانستان (١٦) .

١٩٧٩ و١٩٨٠م عددا من المشاريع الإقتصادية لتقوية البيئة الصناعية فى أفغانستان وزيادة تجارتها مع روسيا . وسيستلزم عزل القوى الفدائية الأفغانية وتنمية الإقتصاد الأفغانى وقتا ، لكن الروس يأملون فى تكوين طبقة إجتماعية جديدة داخل أفغانستان ، تقبل بالنظام الجديد وتدعمه)[١].

ولكن بفضل من الله تعالى ، ثم بالجهاد فى سبيله وقف المجاهدون أمام أطماع الشيوعية الحمراء وجاء الجهاد الأفغانى محققا طموحات الأمة ، وتعالت صيحات الله أكبر ، ودوت فى جميع جبهات القتال ، وكانت كالرصاص القاتل بالنسبة للأعداء وأفزعتهم وجعلتهم يفرون هاربين أمام سلاح صغير بيد المجاهدين ، ولكن كانوا يملكون أكبر وأقوى سلاح ألا وهو الإيمان بالله تعالى ، فوقفوا بهذا السلاح فى وجه ثانى أكبر دولة فى العالم فى القوة العسكرية على أقل تقدير .

ومن هنا وجب علينا أن نصور ذلك الجهاد من خلال هذه النقاط :

أولا : أثبت الجهاد الأفغانى ، أن هذه الأمة هى أمة الجهاد ، وأن الجهاد ماض فيها إلى قيام الساعة وأنه الضمانة الحقيقية لهذه الأمة أمام دول الكفر والطغيان . كما أثبت أن المسلم لايبالى بتقديم روحه وماله فى سبيل مقاومة ومقارعة الكفر وأهله . وهذا ماأفرزته الساحة الأفغانية فقد سقط من القتلى الكثير والكثير ، وقدم من التضحيات مادل على أن المسلمين يرغبون فيما عند الله تعالى .

ثانيا : تحقق فى الجهاد الأفغانى سنة من سنن الله تعالى وهى أن القلة تغلب الكثرة بإذن الله ، وذلك إذا صدقت مع الله تعالى ، يقول جل جلاله {**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين**}[٢].

---

(١) تقرير من أفغانستان (٧١) .

(٢) سورة البقرة : (٢٤٩) .

وعن ذلك انظر : بشائر الإيمان فى جهاد الأفغان (٥٣-٥٥) ، أفغانستان الجرح والأمل (٣٩) ، الجهاد الأفغانى ودلالاته (٨٣) ومابعدها .

وعن أسلحة المجاهدين مقارنة بأسلحة العدو انظر : تقرير من أفغانستان (٧٥) ، القصة الدامية للغزو السوفييتى لأفغانستان (١٥٦-١٥٩) .

ثالثا : أن الجهـاد الأفغانى قـد جاء فى وقت أصبحـت الأمور تقاس فيه بالكم المادى وبالقيم المادية ، ولكن الجهاد الأفغانى أبطـل هذه التصورات التى تغفـل جانب المولى جل وعلا . وبسبـب هـذه الانتصـارات والتضحيـات التى قدمت فى ساحة الجهاد الأفغـانية ، رجع كثير مـن المتشككين عـن شكهـم ، وعـاد كثير من أهل الضلال إلى ربهـم ، ولاشك أن فى هـذا الجهاد وماحققه عبرة[١] لأولى الأبصـار ، كمـا أعـاد هـذا الجهاد كثيراً مـن النـاس إلى النبـع الأصيـل الـذى كانت الأمة قـد انصرفت عنه فأصابها الـذل والهـوان بسبب بعدها ذلك[٢]. يقول عبد القادر طاش : (من بركات حركة الجهـاد الإسلامى فى أفغـانستان أنهـا أحيت فى نفـوس الكثيرين من أبنـاء الأمـة المسلمة روح الجهاد بعد أن ذبلت أو كادت)[٣].

رابعا : أن المعـركة فى أفغـانستـان كانت بين الإيمان والكفـر ومـن هنا قامت الأمة المسلمة كلها للوقوف مع المجاهدين بدون تردد ونستثنى من ذلك الشواذ[٤]. فكانت الشعوب الإسلامية متفاعلة مع الجهاد داعمـة له ، سواء فى المحـافل الدولية ، أو بالدعم المباشر ، أو بالسماح للمتطـوعين بالذهاب إلى ساحات القتال وذلك كله مـن أجل أن القضية ليست قضيـة الشعب الأفغانى بل قضية كل مسلم يقول لاإله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقتال بين المسلمين والملحـدين . يقـول الحصين : (إننـا نعتقـد جازمين بأن المعـركة فى أفغـانستان ... هـى بين الإسلام والشيـوعيـة كمـا أن المعـركة فى فلسطين بين الإسلام واليهـودية سـواء بسواء . وأن المجـاهدين فى أفغـانستان يقاتلون لإعلاء كلمة الله عز وجل وإقامة حكومة إسلاميـة وماعلى المسلمين

---

(١) انظـر ماذكره الأستاذ محمد قطب عـن هذه المعانى فى كتابه الجهـاد الأفغانى ودلالاته (٩٣-٩٦) .

(٢) انظر الجهاد الأفغانى ودلالاته (٨٣) .

(٣) أفغانستان الجرح والأمل (٥٠) .

(٤) سواء الدول التى تسير فى فلك الاتحاد السوفييتى أو الأفراد والجماعات التى تعتنق الفكر الشيوعى .

فى أنحاء الأرض إلا أن يساعدوهم لأن المعركة معركة الإسلام ، والإسلام لايعرف الحدود وانتصار المسلمين فى أفغانستان هو انتصار لكل المسلمين على الشيوعية الإلحادية عدوة هذا الدين وأبنائه ، وليعلم كل مسلم أن هزيمة المجاهدين فى أفغانستان لاسمح الله هى هزيمة لمسلمى العالم أجمع .. وهى الباب الذى سيدخل منه الشيوعيون إلى باكستان فيما بعد وهم فى طريقهم إلى المياه الدافئة فى الخليج ويبقى بعدها الهدف الكبير وهو الوصول إلى الحرمين الشريفين قلب العالم الإسلامى ...)[١].

لقد كان لدخول العدو بنفسه إلى أفغانستان ، ولكون المسلمين يعرفون حقيقة فكره ومعتقداته ، جعل القضية لصالح المجاهدين ووقفت الأمة كلها وراء الجهاد فسطرت أعظم معانى الأخوة والتضحية فى سبيل العقيدة . يقول محمد قطب : (دخل العدو الكافر بنفسه ، فحسمت القضية فى حس الشعب الأفغانى ، فقامت الأمة كلها تجاهد ، ولم تنفرد بالجهاد جماعة صغيرة منعزلة ، كما هو حادث فى أماكن كثيرة من العالم الإسلامى ، فتتهم بالتطرف والانحراف . ودخل العدو بمبادىء لاشبهة عند الناس فى كفرها ، ومعاداتها للدين كله جملة ، وللإسلام بصفة خاصة ، فلم تعد هناك شبهة فى طبيعة المعركة ، وأنها معركة الكفر والإيمان . وتبلورت القضية فى حس الشعب الأفغانى ، بفعل التوعية التى قام بها الدعاة إلى الجهاد ، فصارت القضية أن أفغانستان أرض إسلامية اغتصبتها الشيوعية الكافره ، وينبغى أن ترد للإسلام لالشخص بعينه، وللحكم الإسلامى ، لالأى حكم يقوم فيها بعد إخراج الغزاة ، فانتفى خاطر الدافع الوطنى أو القومى ، أو الحزبى ، أو الشخصى ، أو الدفاع عن التراب من أجل التراب .. وصارت القضية خالصة للإسلام)[٢].

---

(١) بشائر الإيمان فى جهاد الأفغان (٤٥) .

(٢) الجهاد الأفغانى ودلالاته (٤٦-٤٧) ، وانظر (٧٧-٨٠) ، وانظر أفغانستان الجرح والأمل (١٦-١٧) .

خامسا : دلـل الجهـاد الأفغانى أنه ورغـم هـذا الواقـع الحالـك إلا أن المستقبـل للإسلام رغـم تجمـع قـوى الأرض ضد المسلمين ، فهــذه الصحـوة الإسلامية المباركة داخل بقاع العالم الإسلامى وآثارها ممتدة إلى دول أخرى بالإضـــافة إلى أن العـالم اليـوم لايملـك إلا الحضـارات التى لاتملــك التصـور الصحيح عن كثير من القضايا سواء بالنسبة للخالق ، أو المخلوق ، ومن هنا فإن هذه الحضارة لامحالة زائلـة وسيبقى الإسلام هو الحل الـوحيد والأمثل .

وقد دلل الجهاد الأفغانى على ذلك حيث سيبقى (فى جميع الأحوال هو نموذج المستقبـل .. سواء من حيث تجمع الأمة للقضيـة ، أو من حيث درجة الصمـود أمـام قوى الكفر والطغيـان . وحين تتجمـع الأمـة الإسلاميـة ذلك التجمـع ، وحين تصمـد ذلـك الصمـود ، فلـن تغلبها قـوة فى الأرض ، لأن انتصـارها حينئـذ يتم بسنة ربانيـة جارية ، وسنـة اللـه لاتتخلـف حين توجد شروطها التى بينها الله {**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**}[١])[٢].

لقد كان الجهاد الأفغانى مثالا رائعا فى وقتنا الحاضر ، أعاد للأذهان أن هذه الأمة لاتعرف الضعف والخور ، وإن وجد فيهـــا فى بعـــض مــــراحلها التـاريخية ، وقـد قام الجهاد الأفغـانى فى وقت تكالبـت الأمـم على هذه الأمة وتجمعت ضدها ، وغزتها عسكريا وفكريا ، واستولت على مواردها ، وبسطت نفوذها وسلطانها على كثير منها ، ومن هنا كان هذا الوقت غير مناسب لقيام هذا الجهاد من حيث الحسابات المادية ولكـــن الإيمان والـــروح المعنـــوية الإسلاميـة أكبر من أن تؤثر فيها هذه الماديات الزائلـة ، أو أن تضعفها قوة الأعداء المادية[٣].

سادسا : أن عز هذه الامة وقوتها وخوف أعدائها منها يكون فى إيمانها وجهادها .

---

(١) سورة محمد : (٧) .

(٢) الجهاد الأفغانى ودلالاته (١٠٤-١٠٥) .

(٣) يمكن الرجوع إلى ماذكره محمد قطب بشأن قيام الجهاد فى هذا الوقت حيث اعتبره أعجـوبة فى وقـت كان الاستعمـار فيه فى ذروة تأثيره (٤٨-٥٦) فى كتـابه الجهاد الأفغانى ودلالاته .

إن الجهاد فى أفغانستان قد صور حقيقة المسلمين عندما يجاهدون ضد قوى الطغيان ، فهذه الشيوعية الملحدة التى حطمت دول أوروبا الشرقية ، وهددت دولها الغربية ، تقف عاجزة أمام هذه الفئة الفقيرة المعزولة إلا من إيمانها بالله تعالى . ولأجل ذلك سرعان ماأعلن شباب أفغانستان ومن ثم شباب الأمة الإسلامية رغبتهم فى خوض المعركة ضد الإلحاد وأهله ، فإما النصر وإما الشهادة ، فمنذ السنوات الأولى للجهاد ضرب المسلمون هناك أروع الأمثال وأعادوا للأذهان سيرة الأبطال الفاتحين فـ(جن جنون الروس حين رأوا هذا الشعب الباسل يستبسل فى القتال ولايبالى مايصيبه من ألوان الدمار التى يصبها العدو فوق رأسه ...)(١).

ورغم كثرة الخسائر ، وشدة العدو ، وقلة إمكانات المجاهدين فقد ظلوا (ماضين بثبات واطمئنان فى مسيرة الجهاد المبارك ، وأمام هذا الثبات والإصرار فقد استعصت أفغانستان على الشيوعيين الملحدين ولم تنفع الطائرات والدبابات والقاذفات وقنابل النابالم المحرقة فى إخضاعها ...)(٢).

تقول أم القعقاع : (ماأقلت الغبراء ولاأظلت الخضراء فى العصر الحاضر من أبطال أصدق من أولئك المجاهدين ، الذين تركوا زينة الحياة الدنيا ، واحتضنوا السلاح ، وقبعوا فى الخنادق ؛ يواجهون أعتى وأشرس دولة على وجه الأرض . أبطال صنعوا تاريخ أفغانستان ، وشيدوا حضارة إسلامية تسامت وارتفعت بالجماجم والدماء لابالحجارة والإسمنت ، حضارة إسلامية سادت وكان لها الغلبة بالإيمان والعقيدة وليس بالحديد والنار)(٣).

ولكن ماهو سبب انتصار المجاهدين وثباتهم ضد العدوان الشيوعى؟ إن الإجابة على هذا السؤال جد مختصرة إنها العقيدة فى الله .

---

(١) الجهاد الأفغانى ودلالاته (٦٥) وانظر مابعدها .

(٢) بشائر الإيمان فى جهاد الأفغان (١٣) .

(٣) الجهاد الأفغانى طريق إلى الخلافة الراشدة (٧) .

يقول الحصين : (إن هذا كله لم يكن ليحصل لولا عقيدة التوحيد وحرارة الإيمان ، العقيدة الإسلامية والاندفاع لإعلاء كلمة الله وتحكيم كتابه فى أرض الإسلام هو الواقع الوحيد الذى جعل من المجاهدين الأفغان حمما لاهبة على رؤوس الشيوعيين وعملائهم[١]

وبعد هذا فإن المجاهدين الأفغان قد وقفوا أمام دولة الإلحاد بعدتها وعددها ، وحققوا أروع الانتصارات ولو نظرنا إلى قواتهم مقارنة بقوة عدوهم فإن العجب سيكون مصيرنا ، ولكن يزول ذلك إذا عرفنا أن الإيمان بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم لاتغلبه قوة مهما عظمت أو كبرت فكيف بهؤلاء القوم الفقراء العزل من السلاح والأكل أحيانا يقفون فى وجه هذه القوة الملحدة التى كانت تهابها كل الدول بما فى ذلك الولايات المتحدة؟

إنه الإيمان ، ثم تأييد الرحمن لهم كما أيد المؤمنين من قبل ، وقال تعالى : {**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وماجعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به ومالنصر إلا من عند الله العزيز الحكيم**}[٢].

وقال تعالى : {**فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها**}[٣]. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى قد أرسل المدد من عنده ، والعون لعباده ، والتثبيت لهم وحقق النصر لهم على أعدائهم رغم كثرتهم .

إن القاعدة الأساسية فى هذا أن يقوم المؤمنون بأمر الله تعالى ويجتنبون نهيه فيحقق لهم النصر {**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**}[٤].

---

(١) بشائر الإيمان فى جهاد الأفغان (٤٧) ، وانظر موسكو فى طريقها إلى كابول (١٦٢).
(٢) سورة آل عمران : (١٢٣-١٢٦) .
(٣) سورة الأحزاب : (٩) .
(٤) سورة محمد : (٧) .

ومانحسب الجهاد الأفغانى إلا جهادا اسلاميا ضد دولة الكفر والإلحاد ، فلم يكن الله تعالى ليتخلى عن عباده ، وقد حدث فى الجهاد مايدل على ذلك وأيد الله تعالى المجاهدين بعدة خوارق ، وأجرى على أيديهم عدة كرامات وليس هناك مجال للإنكار لأن ذلك قد ثبت فى معارك حربية كثيرة (إن هذا العون الربانى سنة جارية تجرى كلما وجدت أسبابها .. وليست من الخوارق التى انتهت مع الأنبياء)(١).

وأختم حديثى هنا ببعض ماجاء عن سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حيث قال : (الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه .

أما بعد فبمناسبة فراغ الحجاج من أداء مناسكهم وتقديم هديهم وضحاياهم لله سبحانه ويسرنى أن أذكر المسلمين فى كل مكان بإخوان لهم يقدمون أنفسهم وأموالهم جهادا فى سبيل الله وإعلاء لكلمته وحماية لأوطان المسلمين إنقاذا لها من مكائد العدو الظالم الغاشم وهم إخواننا فى الله والمجاهدون فى سبيله من أبناء الأفغان ، ولبيان الحقيقة يسرنى أن أخبر اخوانى المسلمين أن هذا الجهاد قد أوشك على إنهاء عامه الثامن والشعب الأفغانى المجاهد يحمل سلاحه ، ويرفع رايته أمام أشرس قوى الأرض وأعتاها وهو ثابت لايتراجع، صلب لايتزعزع ولسان حاله ومقاله يردد قول الله {**قل ادعو شركاءكم ثم كيدون فلاتنظرون إن ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين**}(٢)، وقوله تعالى : {**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم**}(٣).

---

(١) الجهاد الأفغانى ودلالاته (٧٤) .
(٢) سورة الأعراف : (١٩٥-١٩٦) .
(٣) سورة آل عمران : (١٧٣-١٧٤) .

وهـم إذ يقفون كالجبال الـرواسى فإنهم بحمد اللـه لايزالون فى نشاط متزايد وهمم عالية وصبر ومصابرة فى مقارعة الأعداء لإخراجهـم من بلادهم بالقوة بدون قيد ولاشرط إن شاء الله ثقة بالله سبحانه واعتمادا عليه وإيمانا بما وعد به من النصر لمن نصر دينه وجاهد فى سبيلـه كما قال تعالى : **{يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم}**[١].

ومـاكان أغلب الناس يتوقعـون أن يقف شعب أعزل فقير صغير أمـام دولتـه التى باعـت نفسها للكـافرين وأمـام الاتحاد السـوفياتى والعـالم الشـرقى والـدول التى تدور فى فلكـه . مـاكان الناس يظنون أن هـذا الشعـب الذى جعل الله جهاده مفخرة للأمة الإسلامية ـ سيقف طويلا طودا شامخا أمام هذه القـوى الكافرة الغاشمة وهـذا هو ظن روسيا التى كانت تحسبهـا نزهة مريحة وسفـرا قـاصدا . وظنهـا هـذا هـو الـذى أرداها فخسـرت وخابت وانزلقـت أقـدامها على سفوح جبال الجهـاد فى أرض الأفغان وكـانت تحسب أنها ستجد أمر الأفغان كأمر عدد من الدول التى انهارت أمامها فى يوم أو يومين ...) .

ويقـول : (ولقد شد الجهاد الأفغانى إليه أعصاب المؤمنين ولفـت أنظار العـالم أجمـع ، ومـازالت القلـوب والعيـون مبهـورة بما يجرى على أرض أفغانستان ويتابع الناس مسلمهم وكافرهم هذا الجهاد ، وهـم يترقبون نتيجته باهتمام بالغ ...) .

ويقـول : (ولقد حصلت كرامـات أثناء هذا الجهـاد حدث بهـا الثقات يصـل مجموعها إلى حد التواتر وعقيـدة أهل السنة والجمـاعة أن الكـرامات مستمرة فى المسلمين إما لإقامة حجة وإما لحاجة . ولاينكـر وقوعها إلا جاهل أو مبتـدع . وإن صرف الزكاة للمجـاهدين عامة من أوجب الـواجبات وأعظم القربات ...) .

---

(١) سورة محمد : (٧) .

(فكيف يتردد مسلم بعد هذا فى مساندته ومعاونته للمجاهدين الأفغان؟

كما يجب على المجاهدين بذل مزيد من الجهد لتوحيد صفوفهم وجمع كلمتهم واصلاح ذات بينهم .

وختاما أسأل الله العلى العظيم أن يجمع كلمة المجاهدين على الحق وأن يوحد صفوفهم ، وأن يوفق المسلمين حكاما ومحكومين إلى مساندتهم ونصرتهم وأن ينصر دينه ويعلى كلمته ويصلح أحوال المسلمين فى كل مكان ويمنحهم الفقه فى الدين وينصرهم على عدوهم إنه ولى ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه)[١].

---

(١) مقدمة الشيخ لكتاب بشائر الإيمان فى جهاد الأفغان (٧-١١) .

المبحث الثالث
الخسائر الفكرية والسياسية والاقتصادية للاتحاد السوفييتى وأثر ذلك فى سقوطه

إن غـزو الاتحاد السوفييتى لأفغانستان كان له آثارا متعـددة فاقمت من جراحه ، وعجلـت بإنهيـاره ، وزادته سمعـة سيئـة على المستـوى الـدولى ، جعلـت الدول تزداد منه نفورا ، وتتيقن بأن هذا النظـام نظام توسعى يقوم على القـوة والقهر والاستغلال . ومـن هنا فكان الغزو السـوفييتى لأفغانستان أحد الأسباب التى عجلت بإنهيار الفكر الشيوعى وسلطته السياسية .

ونذكـر الآن بعـض الخسـائر الفكـرية التى منى بهـا السـوفييت بسبـب غزوهم لأفغانستان واضعين فى أذهـاننا أن الشيـوعيين كـانوا يهـدفون إلى القضاء على الفكر الإسلامى هناك والاستعاضة عنه بالفكر الشيوعى .

الآثار الفكرية :

كان الفكر الشيوعى متصدعا ، وبدأت الأحزاب الشيـوعية المتفرقة فى دول أوروبا الشـرقية وغيرهـا تريد الخلاص من هذا المارد الـذى فرض نفسه عليها بالقوة ، وعندما قام الروس بغزو أفغانستان كان لهذه الخطوة أثر سلبى كبير عـل الفكر الشيوعى ممـا عجل بالتراجع فيه وإعلان إفلاسـه . ويمكـن ابراز تلك الحقيقة فى التالى :

أولا : التـأثير العميـق الـذى أحدثه الجنـدى المسلم فى نفـس المقـاتل الـروسى الشيـوعى ، حيث كان يرى المجـاهدين يقبلـون على الموت ولـربما حرصـوا عليـه كحـرص أولئـك على الحيـاة ، ثم الانتصـارات التى حققهـا المجـاهدون بسلاح لايصـل إلى أقـل مـايملكه العـدو ، إن هـذه البطـولات والانتصـارات ، وماكان يلاحظـه الجندى الشيوعى جعلتـه يتسـاءل عن ذلك الاندفاع والاستبسال .

وكـانت هـذه التساؤلات تولـد شـروخا غير بسيطـة فى نفسيـة أولئـك الجنود وبالتالى يتحول إلى حقيقة مايعتقده من فكر . ولاشـك أن كثيرا منهم

قد علم أن ذلك إنما حدث بعقيدة لاإله إلا الله والتى تحطمت أمامها عقيدة ماركس والشيوعية فى الاتحاد السوفييتى (لاإله والحياة مادة) .

(إن وضوح الجانب العقدى لدى المجاهد الافغانى قد بهر الجندى الروسى وجعله يتساءل ولو فى الخفاء عن عقيدة هؤلاء الذين يقاتلهم ، ذلك أن نتيجة المعارك كانت تجبره على طرح مثل هذا التساؤل . إذ كيف ينتصر - فى كل مرة - هؤلاء العزل على فرق الروس وعلى مدى عشر سنوات . لماذا يكون عدد القتلى من الروس فى كل معركة هائلا وكبيرا وعدد القتلى من المجاهدين قليلا؟! . لماذا يحتفظ قتلى المجاهدين بألوانهم وطراوة أجسامهم بعد استشهادهم بينما يتعفن قتلى الروس!! أليس ذلك فى حس الجندى الروسى الذى تكرر ذلك أمامه عشرات المرات أو مئات المرات يعتبر أمرا مثيرا للتساؤل وداعيا للاستغراب؟ لقد اتضح تماما للجندى الروسى أنه لايقاتل بشرا بالمعنى المتفق عليه!! . إذ كيف يستطيع الرصاص أن يواجه الدبابات والطائرات؟ إن اضطرابا نفسيا شديدا كان يتسلل إلى قلب الجندى الروسى بعد كل معركة . وكانت المشاهد غير الطبيعية تترك آثارها فى قلبه وفؤاده حتى أصبحت تلك الأحوال تسيطر على أحاديث الروس فيما بينهم . ولم يكن ذلك مقصورا على الجنود فقط بل تعداه إلى الضباط أنفسهم ماذا كان يروى هؤلاء الجنود من القصص لأهاليهم إذا رجعوا؟! لم تكن تلك المرويات فى البداية إلا همهمة . ولكن إذا اعتبرنا أن مدة خدمة الجندى فى أفغانستان حوالى ستة شهور . وأن العدد الكلى الدائم على مساحة المعركة هو ١١٥ ألف جندى حسب الإحصاءات الروسية الرسمية ، فمعنى ذلك أن عدد الذين يخدمون سنويا فى أفغانستان حوالى ٢٣٠ ألفا . وفى عشر سنوات هو مليونان وثلاثمائة ألف . إن الهمهمة التى بدأت بالعدد القليل قد تحولت إلى صوت عال مسموع بعد أن كبر العدد جدا وتضاعفت الحقائق الميدانية ، فكيف عندما يدعمها الخيال!! . إن التسلل العقدى شكل حجما لايستهان به فى كافة المرافق العامة فى الاتحاد السوفييتى .إذ أن الراجعين من الخدمة العسكرية لايلبثون أن يتوزعوا على مرافقهم الوظيفية التى كانوا يشغلونها

قبل خدمتهم . لاشك أن الحديث عن عقيدة المسلمين كان يحتل حيزا واضحا وكبيرا فى داخل المجتمع السوفييتى بعد مرور عشر سنوات من الحرب غير المبررة بالنسبة لتلك الشعوب . وهكذا استطاعت عقيدة "لاإله إلا الله" أن تحدث شروخا صغيرة فى عقيدة لاإله والحياة مادة ـ إن صح اعتبارها عقيدة ـ مالبثت أن اتسعت وكبرت فى حين فشلت عقيدة "لاإله والحياة مادة" فى إحداث أى شرخ معتبر فى عقيدة "لاإله إلا الله" متمثلة فى معتنقيها)[١].

ثانيا : استغل الشيوعيون هذا التدخل ومن بعد الهزيمة الشيوعية فى أفغانستان فى الاسهتزاء بالفكر وتحميله التبعية فى كل مايحدث للبلدان الشيوعية وعلى الأقل هذا التوجه العام دون النظر إلى متشددى الفكر ، فبعد دخول القوات الروسية إلى أفغانستان استغل ذلك علماء الصين وبعض الكوادر الموجودة فيها وقالوا كلمتهم التى لم يقولوها من قبل الاجتياح (ألا وهى أن الشيوعية أثبتت عدم كفاءتها فى حل مشكلات الصين وأنها فكرة غير علمية حيث أن رجال الشيوعية الأولون عاشوا ظروفا غير ظروفنا فلايوجد فى جعبة أفكارهم حلولا لمشاكل الجيل الحاضر ، وقالوا إن واقع الصين أكبر دليل على هذا)[٢]. ولم يكن الأمر مقتصرا على الصين بل إن دول أوروبا الشرقية حدث فيها ذلك الزلزال فى الفكر وعدم الوثوق به ، ومن ثم التمرد عليه خاصة بعد تحقق الانتصار والذى سبقه بفترة بسيطة إعلان غورباتشوف عن سياسته الجديدة . يقول الدلال : (لقد أحدثت عقيدة المسلمين المنطلقة من أفواه بنادق المجاهدين الافغان زعزعة عقدية هائلة فى التوازن العقدى المفروض بالقوة فى أعلى القيادات الحزبية فى الاتحاد السوفييتى ، مما أدى إلى خلخلة واضحة فى إمكان سيطرتها العقدية على دول أوروبا الشرقية . وبمجرد أن شعرت تلك الشعوب بهذه الخلخلة فى

---

(١) الإنهيار (١/١٢٠-١٢٢) .

(٢) موسكو فى طريقها إلى كابول (٨٩) .

المركز حتى خرجت عن بكرة أبيها لتطيح بعنف وبشدة بالأحزاب الشيوعية الحاكمة لها ...)[١].

و(لم يكن غريبا أن يشهد عام ١٩٨٩م وقوع المشهدين معا : انتصار المجاهدين فى أوائله وتمرد الشعوب المحكومة بالمارد فى أواخره)[٢].

ثالثا : إن من أعظم الضربات التى وجهها الجهاد الأفغانى بل الحركة الإسلامية فى أفغانستان للفكر الشيوعى هو تخوفه من الإسلام وذلك إعتراف صريح بأن مالديهم ليس هو الحق الذى يدعون أن الناس سيتقبلونه لأنه يحقق لهم السعادة ، ورغم أن الشيوعيين حاولوا فرضه بالقوة سواء عند قيام الثورة البلشفية ، أو كما حدث فى أفغانستان ومن قبل دول أوروبا الشرقية إلا أنهم فشلوا فى ذلك . فعندما أرادوا بثه عن طريق العملاء فى أفغانستان عجزوا عن تحقيق هدفهم .

وعندما جاءوا لفرضه بالقوة كذلك رجعوا دون تحقيق مطلبهم فـ(لم تستطع روسيا بعد عشر سنوات من الحرب المدمرة أن تفرض "عقائديا" أى فكر ماركسى يعتنقه الأفغان ويذودون عنه ، ودليل ذلك أن الجيش الذى يفترض أنه عقائدى فى كابل تناقص من ٧٠,٠٠٠ فى بداية الاحتلال إلى ١٠,٠٠٠ جندى عند بداية الانسحاب حسب الأخبار الموثوقة والمدارس التى يفترض أنها تعد الأجيال بدأت أعدادها فى تناقص سريع بدلا من الازدياد الكمى والنوعى والدوائر أخذت تخلو من موظفيها . فأين اذن يمكن للشيوعية أن تنمو ولعقيدة الكفر أن تزدهر؟)[٣].

لقد أرهقت هذه الدولة الفقيرة إلا من سلاح الإيمان تلك الدولة الكبرى وأقضت مضاجعها ومصدر ذلك الخوف هو إسلام هذه الدولة ،

---

(١) الإنهيار (١٢٢/١-١٢٣) .

(٢) المرجع السابق (١٢٤/١) .

(٣) مجلة الموقف ، العدد (١٦/٣) السنة الثالثة ، ذى الحجة ١٤٠٨هـ ، مقال بعنوان (تأملات فى مستقبل أفغانستان) بقلم عبد الرحمن محمود .

الـذى هـو الحق ، ودل ذلك على أن مـالدى هـؤلاء مـن فكـر لايستطيع أن يقاوم الحق لأنه باطل وفاسد ، وإلا لما فرضه أصحابه بالقـوة على الآخرين .

يقـول مزمل : (إن خوف القيادة السوفيتية عن قيـام حكومة إسلامية فى أفغـانستان ثم تبرير تدخلها العسكرى فى ديسمبر ١٩٧٩م بأنه كـان لحماية الحدود الـروسية عن الخطر والتصـدى للنفوذ الأمريكـى عـن طريق احتمال قيـام النظـام الموالى للبيت الأبيـض ـ المعادى للسوفييـت ـ فى أفغـانستان ثم مطالبة حكام موسكو تضمينات دولية خلال المفاوضات حول قضية أفغانستان والنظـام الجديد كـل ذلك يؤكـد خوف الروس لامن النفـوذ الأمـريكى كما يقـولون بل عن قيام حكومة إسلامية بجوارهم خوفا مـن تسرب المقاومة إلى شعوب ماوراء النهر وأن هذا الخوف والمبررات السوفيتيـة للتدخل العسكرى كلهـا توضـح نوعيـة وكيفية روابط الشعـوب المحتلـة مـع القيـادة الـروسية والفكـر الشيـوعى وعدم ثقة القيـادة الروسية بولاء هـذه الشعـوب لها كأن القيادة السوفيتية أدركت أن هذه الشعوب تتلصص الفـرص والفجوات للثأر والثورة)[١].

وقـد تذرعت روسيا بأنها تدخلت من أجل التصدى للنفـوذ الأمريكى فى أفغـانستان ولكـن حقيقة ذلـك التذرع أنه هروب مـن القـول بأن الخوف كان من القوة الإسلامية .

حيـث إن المعسكر الإشتراكى لايجد فى الرأسمالية القـوة التى تهدده فى الوقت الحاضر ، خاصة بعد الوفاق معها ، ولكونها خالية من الروح المعنوية شأنها شأن الشيوعية .

رابعا : مـن الآثار الفكـرية التى أوجدهـا الجهـاد الأفغـانى تأثيره فى مسلمى روسيا ، بل وإسلام بعض جنود الروس الشيوعيين .

لقـد عمـدت الحكـومة الشيـوعية إلى تفتيـت المسلمين ، حتى يصبحـوا أقليـات إسلامية مسحوقة منبـوذة فى وسط الكتل الروسيـة الملحـدة ، ولكن

---

(١) موسكو فى طريقها إلى كابول (٦٦-٦٧) .

بالـرغم من كل مافعله الروس الشيوعيون بقى المسلمـون هناك يحافظون على كثير مـن شعائرهم ، وحين أرسلت القوات الروسية إلى أفغـانستان كان فيها من يحمل اسما إسلاميا وخاض هؤلاء الجنود المعركة ضد المجاهدين ، ورأوا صمـود المجـاهدين وصلاتهـم تحت تسـاقط القنـابل دون أن يؤثر ذلــك فى خشـوعهم أو إخباتهم فانضم فـريق منهم إلى المجاهـدين ، بل وأسلم بعـض الجنود الشيوعيين وسرت روح التخاذل فى الجيش الروسى[١].

(وكـان تصور الكرملين فى البداية أن دخول قوات عنـاصرها البشرية من جمهوريات إسلامية الأصـل سـوف تحسـن شكـل الغــزو لـدى الشعـب الأفغـانى .. وتجعـل هنـاك نوعـا مـن التقارب مما قـد يسهـل مهمـة القوات السوفيتيية ..

لكـن النتيجـة حدثت عكس المتـوقع تماما ... لقـد ووجهـت القـوات السـوفتيية بمقاومة عنيفة أدت إلى قتـل الآلاف من الجنــود .. كما هرب عدد كبير منهـم وانضـم إلى صفوف المجـاهدين الأفغان .. أمـا مـن بقى منهم فى أفغـانستان .. فقـد ظهـر تعاطفهـم الشـديد مع المجاهدين الأفغـان . وأفـادت التقارير بأنهم لم يقاتلوا بالشكل المطلوب ...)[٢].

وعنـدما كـان الأمـر كذلـك باشـر السوفييت باستبـدال القـوات ذات الأصول الإسلامية بأخرى روسية[٣].

وفى هذا عدة مؤشرات :

(أ) محافظـة المسلمين على هـويتهم الإسلاميـة رغـم الــوحشية الشيـوعية .

---

(١) انظر الجهاد الأفغانى ودلالاته (٩٦-٩٧) .

(٢) القصة الدامية للغزو السوفييتى لأفغانستان (٦٣) .
وانظر بشائر الإيمان فى جهاد الأفغان (٤٥-٤٦) .

(٣) انظر : تقرير من أفغانستان (٨٤) ، موسكو فى طريقها إلى كـابول (١٦٠) ، القصة الدامية (٦٣) .
وانظـر قضـايا هامة فى حاضر العـالم الإسلامى (١١٢) ، وذكـر أن سحـب القوات (بدأ بعد ستة أسابيع من الغزو) .

(ب) بطلان الشيوعية كفكر حيث دخل بعض الجنود السوفييت فى دين الله تعالى .

(ج) تذمر الشعب السوفييتى من الشيوعية وظهر ذلك من خلال تصرفات وأفعال الجنود السوفييت فى جبهات القتال .

أما عن الجانب الآخر وهو تأثير المسلمين المجاهدين فى سكان الجمهوريات فهذه حقيقة لايمكن أن ينكرها أحد ، فإن سكان تلك الجمهوريات أصحاب أصول إسلامية هذا عدا عن كون كثير منهم بقى على الإسلام مطبقا لفرائضه حسب فهمه وعلى قدر علمه من الإسلام .

يقول جيرار : (من الخطأ الاستخفاف بالتهديد الذى تفرضه الأقليات الإسلامية على النظام فى الاتحاد السوفييتى ، فإن إحياءهم للدين ، واهتمامهم بالماضى ونموهم الديموغرافى المتزايد ـ جميع هذه العوامل تجعل المستقبل غير مؤكد . وليس هناك أى شك من نمو حركة وطنية . وبالفعل ، ربما شعرت شعوب جمهوريات آسيا الوسطى السوفياتية بأن التدخل فى أفغانستان قد قوى الوجود الإسلامى فى المدار السوفييتى ...)[١].

فأصبح الاتحاد السوفييتى كما يقول جيرار يخاف (من ثورة أصولية تنطلق من بين المسلمين فى روسيا ، وتنتشر عبر الحدود إلى الآخرين فى آسيا الوسطى فهناك مايقارب ال٤٥ مليون مسلم يعيشون داخل الاتحاد السوفييتى)[٢].

وبالفعل قامت بعض الأحداث فى الجمهوريات تدل على تعاطف أولئك المسلمين مع إخوانهم المجاهدين ، بالإضافة إلى مطالبتهم ببعض حقوقهم التى صادرتها الشيوعية منهم[٣].

---

(١) تقرير من أفغانستان (٨٣) .
(٢) المرجع السابق (٨٢) .
(٣) انظر القصة الدامية للغزو السوفييتى لأفغانستان (٩٦-٩٧) .
وانظر الجهاد الأفغانى ودلالاته (٩٨) .

و(قد اعترفت الصحافة السوفيتية ذاتها بأن التحقيقات قد أكدت وجود جذور "قومية" و"عرقية" لهذه الأحداث .. وهذا يعنى جذور عقائدية .. وقد اعترفت صحيفة برافدا السوفيتية فى أعقاب هذه الأحداث بوجود تشكيلات بين شعوب الجمهوريات الإسلامية)[١].

خامسا : كان الجهاد الأفغانى نقطة تحول فى التاريخ فقد كسر حاجز الرهبة والخوف الذى كان ينتاب المسلمين وغيرهم ، من الشيوعية ، ومن الحزب الشيوعى داخل الأراضى السوفيتية ، ولكن كان هذا النصر إيذانا بأفول ذلك الدب المتوحش ، وفقدانا للثقة فيه وفى سياسته التى ينتهجها وبالتالى فى الفكر الذى يسير عليه ، فأصبحت السلطة السياسية ضعيفة غير موثوق فيها ، كما أصبحت الفكرة التى تسير عليها السلطة السياسية فكرة باهتة لانتصار الفكر الإسلامى عليها والذى مثله حينذاك فئة قليلة ، وقد أدى ذلك الانتصار إلى التعجيل بعملية التغير فى الاتحاد السوفييتى ، ومن ثم التعجيل بسقوط الفكر الشيوعى ودولته . يقول العمارى : (إن الدرس الذى تلقاه الاتحاد السوفييتى فى أفغانستان من الشعب الأفغانى على يد المجاهدين كان له الفضل الأكبر فى ذلك ، بل وفى التغيير الذى حصل فى الاتحاد السوفييتى لأنه أحدث ردة فعل فى شعوب الاتحاد السوفييتى ضد عتاة الشيوعية من الحرس القديم الذين قاموا بالغزو ، وعرضوا شعبهم للإهانة ، وأبناءهم للقتل والتشويه فالهزيمة والفشل لم تكن فى الحسبان ، ولم يعتد عليها الاتحاد السوفييتى فأوجد ذلك تفاعلات عند الشعب خاصة عند المثقفين فإن كل الدول والشعوب تعيد حساباتها وتراجع نفسها وتمعن فى تفكيرها فيما ينتهجه قادتها فى سياسات البلاد الإقتصادية والعسكرية بعد أن يواجهوا صعوبات لاقبل لهم بها ، ومن هنا يجب أن تشكر كل الشعوب التى ابتليت بالشيوعية المجاهدين الأفغان الذين أعادوا للجبابرة صوابهم ، ومرغوا أنوفهم فى التراب ، وأعطوا الأمل للشعوب بأن فى إمكانها أن تتخلص من

---

(١) القصة الدامية للغزو السوفييتى لأفغانستان (٩٧) .

كل قوة تجثم على صدرها مهما عظمت)[١].

سادسا : فتح الجهاد الأفغانى المجال إلى وصول المصاحف وبعض الكتب الإسلامية إلى داخل الاتحاد السوفييتى لسكان الجمهوريات الإسلامية الذين كانوا يتحاشون تعليم القرآن لأبنائهم ناهيك عن امتلاك المصاحف .

وننقل ماذكره عصام دراز وهو فى احدى دور النشر بباكستان ودار هذا الحوار بينه وبين صاحب الدار فيقول : (لفت نظرى أثناء حديثى معه وجود مصحف مترجم .. تصفحت المصحف فوجدته مترجم إلى اللغة الروسية .. ومطبوع طباعة أنيقة .. سألت مدير دار النشر ضاحكا : "مصحف باللغة الروسية .. من ياترى سوف يشتريه منكم .. أو من يستطيع أن يشتريه ؟

ابتسم الرجل ثم قال بعبارة واضحة قوية لم أفهمها فى البداية : ياأخى . لقد فتحت الأبواب؟.

سألت مبتسما : يعنى ذلك أن الروس يستوردون المصحف منكم؟

كرر الرجل عبارته فى يقين وقوة .. : "لقد فتحت الأبواب ياأخى؟

سكتت قليلا .. وشعر بأنى لم أفهم .. فقال مكررا : لقد فتحت الأبواب بواسطة الجهاد الأفغانى .. إن غزو روسيا لأفغانستان جاء خدمة كبيرة للدعوة للإسلام .. الآن ياأخى المصحف يباع فى موسكو .." .

سكت وأنا أتابع كلام الرجل ..

لقد وزعنا فى عام واحد أكثر من ثلاثين ألف مصحف داخل الاتحاد السوفييتى .. إن الروس المسلمين يقبلون على شراء المصحف مهما كان ثمنه!! قال الرجل وكأنه يحدث نفسه .. ويحدثنى أيضا : "من كان يصدق ذلك؟ الفضل يرجع للجهاد الأفغانى .. لقد فتح لنا الباب .. والمصاحف تنقل بواسطة المجاهدين الأفغان مثل الذخيرة .. إلى داخل روسيا عبر حدود أفغانستان)[٢].

---

(١) وسقطت الماركسية (١١٨-١١٩) .

(٢) القصة الدامية للغزو السوفييتى لأفغانستان (٥٨) .

سابعا : زاد الجهاد الأفغانى من الخواء الروحى الذى كان يعيشه الفرد الشيوعى ، حيث أصبح المقاتل الروسى يتساءل لماذا أقاتل؟ وماالهدف من هذا القتال ، وإلى متى يستمر فى ضوء هذه الحقائق التى أشاهدها؟ وكل ذلك جعل عقيدة لاإله والحياة مادة غير حية فى القلوب ، بل لكون الطرف الآخر يعتقد بأنه "لاإله إلا الله وحده لاشريك له" (المجاهدون) تكاد تكون هذه العقيدة (المادية) ميتة لامجال للتفكير فيها .

يقول مينسيك هيلد : (لم يكن الجنود السوفيات يدركون مايفعلونه فى أفغانستان . فالتفسيرات التى كانت تعطى لهم لم تكن مقنعة ، ليس فقط بسبب تغيرها الدائم ، بل أيضا لأن الواقع كان يدحضها عند كل خطوة . ثم إن أى تفسير يمكن أن يكون مقنعا ، بشرط الإيمان به . أما الجنود السوفيات فقد كان شعورهم أنهم "أيتام" ، وبأن الإيمان قد هجرهم . لم يكن الجنود السوفيات الوحيدون الذين يشعرون بأنهم أيتام ، وبأنهم قد أهملوا فالنقاش كان قائما حول "الإيمان الشيوعى")(١).

هذه بعض الآثار السلبية التى واجهت الشيوعية من الناحية الفكرية من جراء الاعتداء على أفغانستان المسلمة ، على أن الفكر أساسا قد دب إليه الضعف والتراجع من زمن أبعد من ذلك ورافق ذلك أن غورباتشوف كان على رأس السلطة فى الكرملين وهو صاحب الفكر الجديد . ولكون الاتحاد السوفييتى قد دخل فى الوفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية ، وأصبح فى تعايش سلمى معها فإن تدخله فى أفغانستان قد أدى إلى خسائر أخرى أفقدته هيبته ، وزادت من عداوته ، وعجلت بالعمل على إنهياره ، وساعدت على توطيد أقدام أعدائه فى مناطق كان يرغب فى الوصول إليها من وراء اجتياحه لدولة أفغانستان المسلمة .

ونذكر الآن أهم الآثار السياسية التى ظهرت بسبب الغزو السوفييتى لأفغانستان مما جعل ذلك الغزو يزيد الوضع السوفييتى تفاقما ويعجل بإنهياره .

---

(١) نشوء وإنهيار الإمبراطورية الشيوعية (٣٥٣) .

الآثار السياسية :

أحدث الغزو السوفييتي لأفغانستان ردود فعل على المستوى الدولي جعلته يخسر الكثير من علاقاته ، وكذلك يتخذ الحذر منه ، وخاصة من دول الجوار . وتبرز أهم هذه الآثار في التالي :

أولا : استعداء الدول ، والتصويت شبه الكامل على وجوب انسحاب القوات الروسية من أرض أفغانستان ، دون قيد أوشرط .

يقول أندريه فونتين : (إن بريجنيف وجنرالاته لم يتمكنوا من تجاهل أن فعلتهم قد أثارت في العالم ، ردود فعل عنيفة . فكان هناك ١٠٤ أصوات في الجمعية العامة للأمم المتحدة ، بتاريخ ١٤ كانون الثاني عام ١٩٨٠م تطالب بالانسحاب ، الفوري غير المشروط والشامل للقوات الأجنبية . مقابل ١٨ صوتا و١٨ امتنع عن التصويت)(١).

وكذلك كان الأمر في المؤتمرات التي عقدتها الدول الإسلامية مثل منظمة المؤتمر الإسلامي ، وكان من أوائل تلك المؤتمرات مؤتمر اسلام أباد بتاريخ ٢٩ كانون الثاني ١٩٨٠م . وقد أجمع المؤتمر (على إدانة العدوان المسلح السوفياتي الموجه ضد الشعب الأفغاني وفي الخرق الفاضح لقواعد الاتفاقات ومعايير السلوك الدولي)(٢).

ثانيا : ردود فعل دول الجوار لأفغانستان والاتحاد السوفييتي وزيادة عداء هذه الدول للاتحاد السوفييتي وشكها في أطماعه التوسعية ، وهذا سيترتب عليه مد يد الوفاق مع الولايات المتحدة وهذا مايخشاه الاتحاد السوفييتي وبالعموم إن هذا العداء لهذه الدول كان بحسبها . أي كل دولة تتعامل مع ذلك الوضع حسب توجهها ومصلحتها . ونعرض لبعض هذه الدول ، وسيكون ذلك في نقاط .

---

(١) فترة من الإنفراج الدولي (٥٤٢) .
(٢) المرجع السابق (٥٤٣) .

(أ) **باكستان** :

ويمكن إبراز أهم الآثار فى التالى :

أولا : زيادة العداء للاتحاد السوفييتى وتأصله ومعرفة أن هذا الفكر يعادى الإسلام وأهله .

ثانيا : حصول باكستان على المساعدات الأمريكية من أجل الوقوف فى وجه المد الشيوعى لكى لايصل إلى منطقة الخليج حيث منابع النفط (أى لتحقيق المصالح الأمريكية) .

يقول الشيخ مفتى محمود[١]: (من البديهيات السياسية التى يفهمها المطلعون على الأوضاع السياسية فى العالم أن الدعم الأمريكى لباكستان وإيران يفرضه وصول روسيا لأفغانستان والتى كانت بشعبها المسلم الصلب فى دينه حاجزا بين الشيوعية وبين الوصول إلى باكستان أو إيران ومن ثم إلى منابع النفط التى تحرص عليها الولايات المتحدة ، وبالتالى فإن أى مساعدة تقدمها الولايات المتحدة لباكستان ينعكس بالضرورة على مصالحها السياسية فى العالم)[٢].

ثالثا : استثار هذا الغزو تضامن الشعب الباكستانى مع اخوانه فى دولة أفغانستان ، ولاشك أن مثل هذا التجمع والسير فى اتجاه واحد يشكل خطرا كبيرا على الشيوعية ، ولعل زعماء موسكو أرادوا تفريق ذلك التجمع وذلك بالاستيلاء على إحدى الدول لمقارعة الأخرى ، فلقوا نقيض ماأرادوا .

(ب) **الهند** :

وهى إحدى دول الجوار للدولتين ويمكن ومن خلال الوقائع والأحداث أن يقال بأن الهند قد مرت مع أفغانستان بأحوال ثلاثة :

أولا : العلاقة الحسنة مع السوفييت وتأثير الهند سلبا على دول الجوار لها مثل الباكستان وأفغانستان .

---

(١) رئيس التحالف الوطنى الباكستانى وأمين عام جمعية علماء الإسلام .

(٢) نقلا من كتاب أفغانستان والاجتياح الروسى (٧١) .

ثانيا : تذمر الهند وخوفها الشديد من الاتحاد السوفييتى وذلك بعد اجتياحه عسكريا لأفغانستان .

ثالثا : موقف الخائف المذعور بعد انسحاب القوات الروسية والعمل على منع قيام حكومة إسلامية فى أفغانستان .

أما عن علاقة الهند بالاتحاد السوفييتى فيقول غورباتشوف : (منذ زمن بعيد والعلاقات السوفيتية الهندية تسير بخطى موثوقة إلى الأمام .. يمكن وصف العلاقات السوفيتية ـ الهندية بأنها مثالية من وجهات نظر متعددة ، فهذه العلاقات غنية بمحتواها السياسى والاقتصادى والعلمى والثقافى ، وعميقة من حيث مستوى الاحترام والتعاطف السائد بين شعوب البلدين ، ومتناغمة بما تعكس من ثقة متبادلة وقناعة راسخة بضرورة علاقات الصداقة...)[١].

لقد كانت هذه العلاقة خير سلاح فى صراع الهند ضد أعدائها وخاصة مع الباكستان ، هذا بالإضافة إلى أن حكومات أفغانستان كانت شريكة مع حكومة الهند فى الولاء لطغاة الكرملين . لقد حافظت الهند على هذه العلاقة واستمرت الأوضاع كذلك إلى نهاية حكم حفيظ الله أمين ، حيث بدأ التحرك السوفييتى يتخذ طابعا آخر ثم حدث التغير فى سياسة الهند تجاه أفغانستان عندما هاجمتها القوات الروسية[٢].

التبدل فى هذه السياسة :

عندما اجتاحت القوات الروسية أفغانستان أخذت الهند فى التراجع من سياستها الحميمة مع السوفييت وبدأت فى محاولة التقرب من جاراتها كى لاتكون فريسة سهلة لها حال انشغالها بروسيا ومجابهتها ، فأدركت (خطورة وأبعاد الهجمة على أفغانستان للمنطقة والهند خاصة ، كما أنها تدرك بالضبط أن تعلق حكام موسكو برجال الهند إنما هو لمصالحهم فى الهند ، هذا

---

(١) عملية إعادة البناء (١٩٢) .

(٢) انظر موسكو فى طريقها إلى كابول (٧٩-٨٠) .

وقد مضت تجربة ظاهر شاه أمامها إلا أنها تعرف أن فشل الشعب الأفغانى فى إخراج الروس تعنى دخول السفن الروسية إلى بحر الهند الذى تتحرك الهند خلاله بمثابة البطل ، والذى يساوى قيمة الهند السياسية ، فإذن كيف ترضى حكومة الهند بحشد القوات البحرية الروسية فيه ، وهى تدرك أن استمرار الجيش فى أفغانستان تعنى نفس الهدف ، وهناك لن تبق حكومة باسم الهند ولاالوجاهة التى اكتسبتها الهند فى القرن الراهن وهى تحمل فى طياتها أديان وعروق متناحرة ومستعدة للتدخل الروسى)[١].

فأصبحت الدولة الصديقة بالأمس عدوة اليوم خوفا من الشيوعية أن تفرض عليها مالاترغبه ولاشك أن هذا الغزو لأفغانستان قد جعل الهند تخفف من عداوتها لدول الجوار ، وتود أن لاتتجاوز القوات السوفيتية أفغانستان بحال .

(ج) الصين الشعبية :

أثر الغزو السوفييتى على العلاقات الصينية السوفيتية وزادها توترا .

وعملت الصين على :

(١) الاستنكار للغزو .

(٢) مساندة المجاهدين بالسلاح وإن كان ضعيفا أمام قوات العدو (السوفييت) .

(٣) منح المسلمين الذين يقطنون على الحدود الروسية شيئا من الحرية كسبا لودهم .

(٤) استمالت الصين الدول الرأسمالية إليها وخاصة الولايات المتحدة[٢].

---

(١) انظر موسكو فى طريقها إلى كابول (٨١-٨٢) .

(٢) ولمزيد من المعلومات انظر : المرجع السابق (٨٥-٨٨) ، أفغانستان والإجتياح الروسى (١٢٣،١٥٣) .

(د) إيران :

وقد أثر الغزو السوفييتى لأفغانستان على علاقته مع إيران :

(١) قدمت إيران المساعدة للمجاهدين الأفغان .

(٢) أبدت إيران ميلا شديدا إلى المصالحة مع الولايات المتحدة الأمريكية ولو مؤقتا(١).

(هـ) دول الخليج والشرق الأوسط :

يمكن القول أن الغزو قد جر إلى الآتى :

(١) إزالة الغشاوة على الأقل لدى بعض المتشككين فى نوايا السوفييت تجاه قضايا المسلمين .

(٢) التآخى والاندفاع فى الجهاد مع الأفغان سواء بالدعم المالى أو دعم القضية فى المحافل الدولية .

(٣) أخذ الحذر والحيطة وزيادة العداء من قبل الدول الإسلامية التى كانت أساسا لاتقيم علاقة مع دولة الإلحاد .

(٤) سعت الولايات المتحدة إلى كسب دول الشرق الأوسط والتمركز فيها وذلك بتخويف هذه الدول من الشيوعية وغطرستها فيكون الاتحاد السوفييتى بذلك خسر مواقع كثيرة فى دول الشرق الأوسط كان بحاجة لها إذا ماأراد بث نفوذه فيها .

(٥) أدركت بعض الدول خطورة ذلك الغزو فعملت على الانخراط التام فى أحضان الرأسمالية ، وهذا بدوره زاد من تغلغل أمريكا فى المنطقة العربية ، وزاد من حدة العداء للاتحاد السوفييتى .

---

(١) ولمزيد من المعلومات انظر : أفغانستان والإجتياح الروسى (٧٥-٧٦،٨١،١٢٢) ، المخابرات السوفيتية من الداخل (٢٥١،٢٥٨-٢٥٩) ، موسكو فى طريقها إلى كابول (١٣٨) .

ثالثا : إن صمود الشعب الأفغانى فى وجه القوة الحمراء قد فتح المجال أمام الدول التى كانت ترتجف من ذكر هذه الدولة إلى أن تسول لها نفسها الخروج عليها وعدم الانصياع لها ، ولاشك أن أحداث أوروبا الشرقية فى الثمانينات قد كان لصمود المجاهدين أثر فيها إذ أن هذا الشعب الأعزل الفقير قد أحرج القوات الروسية ، بل هزمها فى مواطن كثيرة منذ اندلاع القتال على الجبهات المختلفة فى أفغانستان .

يقول مزمل : (إن مشاريع روسيا وخاصة مشروع هجمتها الحمراء فى أفغانستان هزت ثقة الأنظمة المتعاطفة معها نحو حكام موسكو ، وأكثر من ذلك أن تدخل جيشهم بعد حرب طويل ضد عملائهم فى أفغانستان أحيا الأمل فى قلوب أولئك المكبوتين والمكبلين الذين يعيشون تحت سيطرة الاستعمار الشيوعى فى البلاد المحتلة ودول أوروبا الشرقية وحرضهم بالقيام والمقاومة ضد الروس وأنها لحقيقة حية ، ولاشك إذ أن ضرورة إرسال ثم بقاء مائة وخمسين ألف جندى روسى مسلحين بأطور الأسلحة إلى أفغانستان الصغيرة المتاخمة مع الأراضى المحتلة ، وأفقر دول العالم ، أمر يوقف الإنسان الواعى أمام أسئلة كثيرة ، خاصة إذ يسمع تصريحات موسكو ، حول الفرق الروسية فى أفغانستان أنها وحدات عسكرية محدودة أرسلت إلى أفغانستان لقمع المتمردين ضد النظام ...)[١].

رابعا : أن فشل السوفييت عسكريا فى أفغانستان ، وفشلهم فى تبرير موقفهم من غزوها زعزع ثقة الفئات الموالية لها ، وهز كيانها النفسى . (كما إن الأمر بدوره خفف من ثقل الدبلوماسية فى الأجواء السياسية عالميا ومحليا وفعلا إن الدبلوماسيين الروس لايجيدون الإجابة على الأسئلة التى توجه لهم حول قضية أفغانستان وفئاتهم هناك لاللشعب الروسى ولاللأوساط الدولية . كما أن تفسير الروس لإرسال الجيش الأحمر إلى أفغانستان والقتال مع الشعب بأنه مساعدة ودية ـ قدمتها موسكو لشعب

---

(١) موسكو فى طريقها إلى كابول (٥٨) ، وانظر الإنهيار (١١٦/١) .

أفغانستان ـ أفهم الشعوب والأنظمة بأن تأخذ حذرها من تقديم الروس لها مساعدات مماثلة لأفغانستان)[١].

خامسا : ساعد الجهاد الأفغانى غورباتشوف فى إعلان سياسته والوقوف بقوة ضد خصومه (خصوم التغيير) إن هزيمة الروس فى أفغانستان قد فجرت (البركان السياسى فى أرجاء الكرملين . ولما تسلم غورباتشوف السلطة كان واضحا لديه أن استمرار الحرب فى أفغانستان على ذلك النحو سيقلب عليه ظهر المجن فكان لابد له من إيقاف ذلك التداعى السريع قبل أن ينتهى المشهد بواقع مريع!! . وهكذا تبلور قرار الانسحاب من أفغانستان منذ عام ١٩٨٦م . وكان قرارا صعبا . وليس هينا على الجنرالات الاعتراف بالهزيمة . لذلك تعهدوا أمام غورباتشوف بإنهاء المجاهدين خلال ستة شهور ، ووافق زعيمهم على المهلة ، ومرت المدة المقررة وفشل الجنرالات بعد أن استخدموا فى تلك الفترة حشودا هائلة . وأعطى هذا الفشل تبريرا قويا لغورباتشوف لإعلان قراره السياسى بالانسحاب من أفغانستان . وهكذا تحطم الجيش الأحمر على أعتاب السنن . إن للقرار السياسى الذى اتخذه غورباتشوف بالانسحاب من أفغانستان زخما سياسيا كبيرا كان فى أمس الحاجة إليه فى خضم التطبيق العملى لسياسة "إعادة البناء" و"المكاشفة")[٢].

وعمل غورباتشوف على استخدام ذلك الأسلوب والمناروات الدبلوماسية ليحول الهزيمة العسكرية إلى انتصار سياسى بالإشتراك مع الولايات المتحدة[٣].

---

(١) موسكو فى طريقها إلى كابول (٦١-٦٢) .
(٢) الإنهيار (١/١٢٤-١٢٥) .
(٣) انظر نشوء وإنهيار الإمبراطورية الشيوعية (٣٣٨) .

الآثار الإقتصادية :

إن إقتصاد الاتحاد السوفييتي كان منهارا فى الأساس ، ثم زادته الحروب التى خاضها السوفييت تفاقما فمن الحروب الأهلية إلى الحرب العالمية الأولى ، ثم الحرب العالمية الثانية ، ثم الحرب الباردة ، ثم تدخلها فى أفغانستان . إن دولة تشارك فى هذه الحروب وتكون طرفا فيها مهما كانت قوة إقتصادها لابد وأن تتأثر ، فما بالك إذا كان الإقتصاد يقوم على أساس فاسد يصادم فطرة الانسان ويعاديها ، ويحرم الشعب من ملكيته ويصادرها ، فإن ذلك سيكون أبلغ فى التعجيل بانهياره وعدم استمراره وهذا ماحدث للسوفييت . وإذا تجاوزنا الحروب السابقة فإن حرب السوفييت فى أفغانستان البلد الأعزل من السلاح قد فاقمت من جراح ذلك النظام الإقتصادى وساعد على تفجير الوضع السيء الذى كانت تعانيه تلك الدولة ، فأنفقت من المال الكثير ومن السلاح الكم الهائل ، ومن الرجال ماجعل الشعب السوفييتي يطالب بالانسحاب والعودة من هذه الحرب الخاسرة . ولو أردنا أن نعرف حال الإقتصاد السوفييتي كله فى تلك الفترات أى من النصف الثانى من السبعينات والثمانينات فلننظر إلى ماقاله غورباتشوف حيث قال عن الأوضاع الصعبة التى تشكلت فى البلاد وجعلت الإصلاح أمرا ضروريا : (فى مرحلة معينة ـ وقد لوحظ هذا الأمر بوضوح فى النصف الثانى من السبعينات ـ حصل مايصعب تفسيره لأول وهلة . فقد بدأ بلدنا يفقد زخم حركته ، وتزايدت الاخفاقات فى النشاط الإقتصادى ، وتراكمت المصاعب واحدة إثر الأخرى وازدادت حدتها ، وتضاعفت المشاكل التى لم تحل ، وظهر فى الحياة الإجتماعية ماتعودنا أن نسميه ظواهر الركود وغيرها من الظواهر الغريبة عن الإشتراكية . وتشكل نوع من "آلية الفرملة" للتطور الإجتماعى ـ الإقتصادى . كل هذا يجرى فى ظروف فتحت فيها الثورة العلمية آفاقا جديدة أمام التطور الإقتصادى والإجتماعى .

لقد تكونت صورة غريبة إلى حد كبير . فالدولاب الضخم للآلة الجبارة يدور ، ولكن مسنناته إنزاحت عن أماكنها ، أو أن الأحزمة تراخت

لدى تحليل الوضع المشار إليه ، اصطدمنا أولا وقبل كل شىء بفرملة (كبح) النمو الإقتصادى . فوتائر زيادة الدخل الوطنى خلال الخطط الخمسية الثلاث الأخيرة قد تقلصت إلى أقل من النصف ، ومع بداية الثمانينات تدنت إلى مستوى اقترب فعلا من حالة الركود الإقتصادى . إن وطننا ، الذى تمكن فى السابق من اللحاق بقوة بأكثر بلدان العالم تطورا ، بدأ يتراجع بشكل واضح عن مواقعه واحدا فواحدا . هذا فى حين أخذت تتسع ، وفى غير صالحنا ، الفجوة بيننا وبين الدول المتطورة فى مجال رفع فعالية الإنتاج ، ونوعية المنتجات ، والتقدم العلمى ـ التقنى ، وإنتاج واستيعاب التقنية الحديثة والتكنولوجيا ...)(١).

ويقول : (لقد أصبح من سمات تفكير العديد من المسؤولين عن إدارة الإقتصاد ، عدم الاهتمام بزيادة الثروة الوطنية ، بل باستهلاك مقادير أكبر من المواد والجهد والوقت لصنع هذه المادة أو تلك ثم بيعها بسعر أعلى ، وكانت نتيجة الركض وراء الأرقام القياسية شحا فى السلع . لقد أنفقنا ومانزال ننفق حتى الآن مواد خام وطاقة ومصادر أخرى تزيد عما تنفق الدول المتطورة الأخرى لصنع وحدة منتجة . لقد أفسدنا غنى بلادنا بالمصادر الطبيعية والقوى البشرية . وبصراحة لاتخلو من فظاظة أقول أدارت رؤوسنا...)(٢).

ويضيف : (إن التناول الموضوعى الصادق هو الذى قادنا إلى الاستنتاج التالى الثابت : أن البلاد قد بلغت مرحلة ماقبل الأزمة ، وتم التوصل إلى هذا الاستنتاج أثناء الإجتماع الموسع للجنة المركزية المنعقد فى نيسان ١٩٨٥م ، والذى كان بمثابة انعطاف لصالح نهج استراتيجى جديد ،

---

(١) عملية إعادة البناء (١٧) .
(٢) المرجع السابق (١٨) .

باتجاه إعادة البناء ، وصياغة المبادىء الأساسية لهذه الاستراتيجية الجديدة)[١].

فإذا كان حال الإقتصاد السوفييتى كذلك فكيف يمكنه الدخول فى الحروب المتعددة ، زد على هذا أن موسكو كانت ترعى أكثر من مائة حزب شيوعى فى العالم ويتطلب ذلك مساعدتها سياسيا وماديا[٢]، هذا عدا الصراعات الإقليمية وكذا الدخول مع الولايات المتحدة فى سباق التسلح من خلال الحرب الباردة ، إن هذا الواقع يفرض على السوفييت عدم الإقدام على غزو أقل الشعوب مقدرة ، فكيف إذا كان الشعب الذى قامت موسكو بغزوه هو شعب أفغانستان المسلم الذى يحمل القوة الإيمانية التى تتصدع أمامها كل القوى .

ويمكن ابراز أهم الآثار فى النقاط التالية :

أولا : أن هذا الغزو تزامن مع فترة من أشد الفترات فى التسابق من أجل التسلح بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى ، وهذا كان من أعظم الأسباب التى أثرت فى تردى الوضع الإقتصادى للدولتين على حد سواء ، وإن كان على الجانب السوفييتى أشد منه بالنسبة لعدوته . كما كان السوفييت يعانون من التذمر الداخلى من قبل الشعب نظرا لتردى الأوضاع الإقتصادية . ولاشك أن المجاهدين قد جعلوا القواد السوفييت يوجهون اهتمامهم بأفغانستان ويتناسون الجبهات الأخرى .

يقول جيرار : (لايمكن للاتحاد السوفياتى أن يتمسك بسياسته العسكرية الهجومية وأن يستجيب فى الوقت نفسه للمطالب المحلية بالتقدم الإقتصادى وفى هذا المجال ، فإن التورط العسكرى المكلف فى أفغانستان سيسبب من دون شك مشكلات للنظام السوفياتى)[٣].

---

(١) عملية إعادة البناء (٢٢) .

(٢) انظر موسكو فى طريقها إلى كابول (٦٣) .

(٣) تقرير من أفغانستان (٩٥) .

ومـن هنـا زاد سخط الشعب على النظـام وسياسته التـوسعية والانفـاق عليها وهو لايملك أحيانا مايأكله .

فـأثر الجهـاد الأفغانى على الإقتصـاد الشيوعى ، ومـن جانب آخر فتـح المجال لأفراد الشعب للمطالبة بالتقليل من هذا الانفاق والالتفات إلى إطعامه ولاننسـى أن الجوع الذى عانت منـه شعوب الاتحاد السـوفييتى كان من أبرز الأسباب فى ثورتها ضد النظام .

ثانيا : مـن المعلوم أن السوفييـت أدخلوا أرض أفغـانستان مايزيد على مائة ألف مقاتل مع أسلحتهم وعتـادهم ، وكانت المقاومـة الأفغـانية بالمرصاد لهـم ، ففـرقت جموعهم ، واستـولت على كثير مـن أسلحتهـم ، ممـا جعـل السـوفييت يعجـزون عن تلبيـة حاجات جنودهم وقوادهـم باستمـرار ، وإن حاولوا تلبيتها فعلى حساب أمور أخرى ، زد على هذا أن التـوتر القائم بين موسكو وبكين ، ورفض الأخيرة غزو الأولى لأفغانستان قـد جعل قادة الاتحاد السـوفييتى يرصـدون (مليـونى جنـدى سـوفييتى خلال التعبئـة المستمـرة على الحدود ...)[١].

فـاستنفر الجهاد الأفغانى عـدة جبهات وفتحها على الـروس ممـا جعلهم مشتتين فى تغطية هذه الجبهات وكانت تتطلب منهم الدعم المستمر والمتواصل فى حين كان الإقتصاد يلفظ إن لم يكن لفظ أنفاسه الأخيرة .

ثالثا : الخسائر البشرية والعسكرية .

لقد كانت أفغانستان فيتنام[٢]السوفييت ، وقد كلفهم الغزو لأفغانستان

(١) موسكو فى طريقها إلى كابول (١١٤) .

(٢) إن الشيـوعية الروسية لم تحصد (أى هزيمة يمكن أن تقارن بهـزيمتها فى أفغانستان . فهـذه الأخيرة أصبحـت تعرف عنـد البعـض بـ"فيتنام روسيـا" تاركـة على الجنـود الروس تأثيرات نفسية ، فردية وعامة ، ومستوقفة المحللين الذين درسوا دورها فى التعجيل بإسقاط الشيوعية نفسها فى عقر دارها) .

الحيـاة العدد (١١٠٥٠) السبت ١٥ أيار/مايو ١٩٩٣م الموافـق ٢٤ ذى القعدة ١٤١٣هـ

الشيء الكثير إن فى عدد الأرواح ، وإن فى الخسائر العسكرية من معدات وغيرها إما بتفجيرها وإما بالاستيلاء عليها ومن ثم استخدامها ضد العدو من قبل المجاهدين ، وزد على هذا أن القوات المرابطة فى أفغانستان والبالغة مائة وخمسة عشر ألفا كانت بحاجة إلى الكساء والغذاء وتأمين الاحتياجات وبالتالى زيادة التكاليف مع (مرور الوقت مما يشكل استنزافا مستمرا للإقتصاد السوفييتى الذى يعانى من متاعب عديدة)[١].

وهناك بعض الاحصائيات لبعض الفترات ومن ذلك أنه إلى بداية عام ١٩٨٨م كانت خسائر العدو (١٧٠٠٠ دبابة ، ٢١,٠٠٠ مدرعة وسيارة عسكرية ، إسقاط ٢٠٨٠ طائرة واستهلاك مثلها ، ٥٠٠٠٠ قتيل وجريح روسى ١٠٠,٠٠٠ قتيل وجريح من جند حكومة كابل ومثلهم أسرى ومستسلمون)[٢].

وبعد هذا فإن انسحاب القوات الروسية من أفغانستان قد دلل على هذه الآثار كلها مجتمعة إن فكريا أو سياسيا أو إقتصاديا .

---

(١) القصة الدامية للغزو السوفييتى لأفغانستان (٩٦-٩٧) .

(٢) الإنهيار (١١٨/١) .

وقد تحدثت كثير من الكتب والمجلات والصحف عن تلك الخسائر والمعارك ، وقد رأيت أن من أكثرها سردا لذلك فيما وقعت عينى عليه :

القصة الدامية (١٨٣-٢٣٤) .

الجهاد الأفغانى طريق إلى الخلافة الراشدة على سبيل المثال (٨٣-٨٤،٩٨،١٠٠،١٠٣، ١٦٦،١٧٠،١٨٦).

وانظر بشائر الإيمان فى جهاد الأفغان (٦٤-٦٥) .

وانظر مجلة المجاهد العدد (٨/١٠-١٢) السنة الأولى ذو الحجة ١٤٠٩هـ .

وانظر مجلة المجتمع العدد (٢٨/٦٤٣) الثلاثاء ٢٥ محرم ١٤٠٤هـ الموافق ١ نوفمبر ١٩٨٣م .

الانسحاب السوفييتى من أفغانستان :

وبعد أن وجد السوفييت أنفسهم فى موقف حرج ، كان لابد من الإبقاء على شىء من سمعتهم الدولية ، فبادروا بالإعلان عن الإنسحاب وماأقدموا على ذلك إلا بعد أن رأوا أن الهزيمة واقعة لامحالة ، وأن الأفغان ربما وصلوا إلى موسكو وحطموا أصنام الشيوعية والإلحاد هناك فكان قرار الانسحاب .

يقول محمد قطب : (إن الذى أفزع الروس وألجأهم أخيرا إلى الانسحاب لم يكن شيئا عاديا مما يحدث كل يوم .. وإن لم يكن فى الوقت ذاته خارقة من الخوارق التى لاتقع إلا مع الأنبياء!

إن الذى أفزعهم وألجأهم إلى الانسحاب شىء واضح محدد : إنهم ظلوا يضربون ويضربون ويضربون ، ثم يجدون عدوهم ثابتا لايتراجع ، بل على العكس من ذلك يتقدم بخطى حثيثة ، مهما أصابه من القتل ، ومهما أصابه من الجراح ...)[١].

ويقول : (إن انسحاب روسيا ذات القوة الباطشة أمام دولة من الدول الصغرى ، لاتملك شيئا يذكر من أدوات القتال بالنسبة للدب المتوحش .. كان له أثره الأكيد فى زلزلة النظام من جذوره . فقد آمن بالنظام من آمن به ـ أو رضى به من رضى على علاته ، أو خنع له من وقع تحت قهره ـ على أساس أنه ذو قوة لاتغلب! وأنه بسبب أيديولوجياته وتطبيقاته قد رسخ وتمكن فى الأرض ، واستطاع أن يناجز النظم الأخرى ويتغلب عليها ، أو فى القليل يقفها عند حدها! ثم إذا هو يعجز عن اخضاع ذلك الشعب شبه الأعزل ، ثم يزداد عجزه ويزداد ، حتى يضطر إلى الانسحاب من الميدان!

عندئذ لم يعد الحديد والنار قادرين على حماية النظام من الإنهيار!.. لقد كان الجهاد الأفغانى من بين الأسباب الأكيدة التى عرضت النظام للاهتزاز

(١) الجهاد الأفغانى ودلالاته (٧٥-٧٦) .

وأغرت "المصلحين" أن يعجلوا بالقضاء عليه قبل أن يزيلهم من الوجود)[١].

وقد أعلن غورباتشوف أن (موسكو ليست لها رغبة فى البقاء فى أفغانستان) ولكنها تحتاج إلى ضمان فى أن تلك البلاد سوف تبقى "محايدة" بعد الانسحاب السوفييتى)[٢].

ويقول : (إننا متورطون فى هذا الموقف ، إنها كانت غلطة)[٣].

وقام وزير الخارجية السوفييتى شيفرنادزة بزيارة إلى كابول ليخبر القائد الأفغانى نجيب الله (نرغب أن يكون عام ١٩٨٨م آخر سنة للوجود السوفييتى فى بلدكم)[٤].

ولكن هل يعنى ذلك الانسحاب أن قادة الكرملين سيتخلون عن أفغانستان نهائيا؟ إن الإجابة البدهية لذلك لا .

حيث إن الروس أخذوا فى محاولة جر المجاهدين فى الحوار السياسى وإدخال العناصر العميلة فى الحكومة التى يمكن أن تتولى قيادة كابول .

كما حاول الروس أن يجعلوا الحرب تنتقل بين المسلمين أنفسهم ، ولاتزال أحداث أفغانستان الدامية حتى هذه اللحظة ، وإننى أعتقد بأن وراءها الولايات المتحدة وروسيا خوفا من قيام دولة إسلامية فيها .

ولكن ماهى دوافع الانسحاب السوفييتى من أفغانستان؟

دوافع الانسحاب :

كان هناك عدة أمور جعلت الاتحاد السوفييتى يتراجع وينسحب من أرض أفغانستان المسلمة .

أولا : الانتصارات التى حققها المجاهدون الأفغان ضد عدوهم ، وخشية القوى العالمية من قيام الدولة الإسلامية فى أفغانستان فآثر السوفييت الانسحاب حتى لايقال بأنهم أخرجوا بالقوة وليتسنى لهم الإبقاء على بعض

---

(١) الجهاد الأفغانى ودلالاته (٣-٤) .
(٢) ميخائيل جورباتشوف سيرة ذاتية مفصلة (٣٤١) .
(٣) المرجع السابق (١٩٣) .
(٤) المرجع السابق (٣٦٢) .

الخلايات العملية داخل الأراضى الأفغانية وليكون التـأثير بطريق غير مباشر حتى لايعلم قادة الجهاد حقيقة الأمر .

يقول الدلال : (بعد الخسائر الفادحة التى منى بها الروس فى أفغانستان لم تبق لهم مندوحة من الانسحاب منها . ولكن من يرضى أن يكون البديل لذلك قيام "حكومة إسلامية" هناك . ولذلك تم الاتفاق الروسى - الأمريكى على عـدم التمكين للمجاهدين من قطف ثمرة جهادهم بإقـامة النظام الإسلامى على ربوع أفغـانستان . وتم بين "العظيمين"!! تقسيم الأدوار . فتكفلـت روسيا بالجانب العسكرى . وتكفلت أمريكا بالجانب السياسى)[١].

ثانيا : مطالبة الجماهير فى الاتحاد السوفييتى بالانسحاب من أفغانستان

لعلمهم بالخسائر الفادحة التى تكبدتها القوات السوفيتيـة هناك . جاء فى أنباء موسكو ٣١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٧م : (لقـد اعتمـد غـورباتشيف هـذا الحل فى أفغـانستان ليس فقـط من أجل الحد من النفقات المترتبـة على عملية تورط عسكـرى من دون أى أمـل بالانتصار ، وليس فقـط مـن أجل تسهيل المفـاوضات مع واشنطن وبكين ، إنما أيضا وعلى نحو خاص لأن هـذه الحرب بدأت تفقـد شعبيتها بشكل متزايد فى الاتحاد السـوفياتى فلقـد أظهـر استطلاع للـرأى أجرى حديثا أن ٥٥٪ مـن سكان الاتحاد السوفيـاتى يؤيدون انسحاب القوات السوفياتية)[٢].

ثالثا : التغير الكبير الذى حصل فى الأيديولوجية الشيوعية .

تقول ليلى ماركو : (إن الطريقة التى حاول بواسطتها الاتحاد السوفياتى إيقاف حرب أفغانستان تعبر بوضوح عن معنى التحولات الأيديولـوجية التى نلاحظها منذ وصول ميخائيل غورباتشيف إلى السلطة . هـذا مايؤكد بالوقائع أطـروحة التفكير الجديد . فـالأمر لايتعلق بهذا الصدد بتراجع تكتيكـى ، بل بتغيير استراتيجـى مـرتبط بالتحـول فى الاتحاد السـوفياتى بمجملـه . ويقـول

---

(١) الإنهيار (١٣٧/١) .

(٢) نقلا من كتاب الاتحاد السوفييتى فى ظل غورباتشوف (٢٠٣) .

غورباتشيف فى إعلانه المتعلق بأفغانستان ، والذى أصبح من الآن وصاعدا إعلانا تاريخيا لأنه يشكل الحدث الأول من نوعه للخروج من أحد الصراعات : "كل نزاع مسلح بما فيه النزاع الداخلى ، يمكن أن يسمم الجو فى هذه المنطقة ، ويثير أجواء عدم الاستقرار والضيق لجيراننا هذا إذا شئنا ألا نتكلم عن آلام شعب هذا البلد وخسائره . لهذا فإننا نعارض أى نزاع مسلح)[١].

رابعا : انتفاء الغاية والهدف لدى المقاتل الشيوعى من هذه الحرب ، فبدأ يتذمر ويتمرد على أوامر أسياده حيث (يعانى الجنود السوفييت من انعدام الشعور بقيمة القضية التى يحاربون من أجلها ويدفعون حياتهم وشبابهم ثمنا لها .

كما أن نقص 'التعيين" "الطعام" والشعور بالعزلة وعدم جدوى الحرب وطولها . كل ذلك يؤدى إلى الشعور باليأس والكآبة .

أما الجنود الذين يشتركون فى معارك ويكون نصيبهم التواجد فى خطوط المواجهة فإن حالتهم المعنوية تكون أسوأ . بل هناك دلائل على وجود تعاطف بين عناصر من القوات السوفيتية ذاتها وأفراد الجهاد . وهذا التعاطف يكون موجودا بقوة عندما يكون هؤلاء الضباط والجنود السوفييت من أصل إسلامى)[٢]. وهذا بلاشك جعل الجندى الروسى يتقاعس عن القتال وبالتالى يدب الضعف فى الجيش وتلحق به الهزيمة ، ومن ثم رأت موسكو تلافى الأمر خاصة وأن بعض الجنود أخذوا يستبدلون مالديهم من أشياء شخصية مقابل الحصول على الأفيون والحشيش بل وصل الأمر إلى مبادلة أجزاء من مركباتهم العسكرية للحصول على مايستطيعون به الحصول على المخدرات[٣].

---

(١) الاتحاد السوفييتى فى ظل غورباتشوف (١٩٣-١٩٤) .
(٢) القصة الدامية (١٦٠) .
(٣) انظر المرجع السابق (١٦٠-١٦١) .

مابعد الانسحاب :

إذا كان المجاهدون الأفغان قد حققوا الانتصار على العدو فإن هذه ليست نهاية المطاف ، وبكل أسف فإن ثمرة الجهاد الذى زاد على عشر سنوات وقدم فى سبيله مايفوق المليون انسان لم تظهر حتى الآن . إن الساحة الأفغانية مازالت مسرحا للأحداث ، والتنافس والصراع قائم فيها ، وهذه حقيقة لايمكن انكارها .

جاء فى كلمة مجلة المجاهد : (إن النصر فى سلم أهداف الجهاد لايعدو أن يكون الدرجة الأولى والأسهل ومابعدها أهم وأجل ، إن المسئولية الكبرى الآن هى المحافظة على ثمرات الجهاد بحيث لانهدم مابيننا ولانضيع ماوصلنا إليه ولانهدر الدماء التى أريقت ولاننسى الأموال والجهود التى بذلت .. إن مانطمح إليه الآن بعد أن ذقنا طعم النصر على روسيا أولا ثم على الشيوعية المدعومة بالعتاد والسلاح أن تستمر مسيرة الجهاد لتصل إلى غاياتها الكبرى وتقع الغاية المرتقبة من التمكين فى الأرض وإقامة شرع الله فى العالمين ويكون الدين كله لله أمرا ملموسا وحقيقة ماثلة للعيان .

بهذه النظرة الشاملة يجب أن يعتبر المجاهدون أن جهادهم بدأ من لحظة النصر ، ولابد من المجاهدة لشهوة المنصب وبريق المال ونزعة الاستعلاء .. إن الإعجاب بالنفس والاستكبار فى الأرض واساءة التصرف وعدم المحافظة على الثمرة .. كل هذه احتمالات بشرية متوقعة تحتاج إلى استغفار وتوبة وماالمجاهدون إلا بشر خلقوا من طين ويعتريهم التثاقل إلى الأرض ، وقد شاء الله لدينه أن يحمله البشر بضعفهم فليس عجيبا أن نرى بعض صور الضعف ، وليس قولنا هذا رضى وإنما نذكر بذلك حتى لايبدأ الهدم من داخل الصف ، وكلنا رجاء فى أن يصلح المجاهدون ماأفسده الجهل والهوى وأن يخفضوا جناحهم للمؤمنين وألا يخيبوا الآمال فيهم وأن يحافظوا على الولاء لله والبراء من أعدائه وأن يلتزموا منهج الكتاب والسنة فى إقامة دولتهم)(١).

---

(١) العدد (٤٣/٤-٥) السنة الرابعة ، ذو الحجة ١٤١٢هـ/يونيو ١٩٩٢م .

ولكون الأحداث لاتزال إلى الآن وآخرها بروز حركة الطالبان والتى تسيطر حتى هذه اللحظة على غالبية أراضى أفغانستان ، فإننا نكتفى القول : إن خلف هذه الأحداث أيد خفية تحركها وتوجهها لتحقق من ورائها المصالح المختلفة سواء كانت فكرية أم سياسية أم إقتصادية .

وإن من المتفق عليه أن قوى الكفر والطغيان أول ماتهدف إليه هو منع إقامة حكومة إسلامية على أرض أفغانستان الإسلامية ، ثم بعد ذلك تحقيق المصالح السياسية والإقتصادية التى يشترك فيها الروس والأمريكان ، ومن هنا وجه هؤلاء الأحداث فى تلك الدولة الإسلامية لصالحهم تحقيقا لمصالحهم .

وقد كثرت الأقوال عن توجه جماعة طالبان ولمصلحة من ، وبالعموم أياكان ذلك فإنها بدأت توظف لمصالح القوى الخارجية . يقول أحمد زكى يمانى إن (علاقة البترول بالسياسة الدولية ليست قاصرة على بترول الخليج ، بل نجدها واضحة كلما اكتشف البترول فى الدول النامية ، المستضعفة . وآخر مثل نضربه هو أفغانستان ، الدولة المسلمة التى عانت من احتلال السوفييت ، ثم عانت من حرب أهلية مدمرة ، يقتل فيها المسلم أخاه ، وتحركهم أصابع أجنبية خارجية ، تذكى بينهم العداوة المتأصلة فى أعراقهم وتمدهم بأسلحة الدمار ، حتى لاتقوم لها قائمة ، وتغير الوضع عندما حصلت الشركتان الأمريكيتان ، ديلتا ويونوكال على امتياز للبترول والغاز فى جمهورية تركمانستان الملاصقة لأفغانستان واكتشفتاه بكميات تجارية ، وبدأ البحث عن سوق تجارية ومنفذ على البحر للتصدير ، فلم تجد أفضل من باكستان سوقا ومنفذا . ودرس مشروع بناء أنبوب للغاز من حقل دوليتا باد إلى باكستان مارا بأفغانستان بتكلفة تتراوح بين بليونى دولار إلى ثلاثة بلايين وأنبوب آخر للبترول بتكلفة خمسة بلايين دولار ، ينتهى بناء الأول وتشغيله سنة ١٩٩٩م وينتهى بناء الثانى وتشغيله عام ٢٠٠٢م .

عندئذ فقط برزت الحاجة إلى استقرار أفغانستان وإنهاء حروبها الدامية وأسفر البحث عن ترسيخ طالبان للسيطرة على البلد الذى أنهكته الحروب

وجرى الاتصال بين شركة ديلتا وطالبان ، وأسفر عن اتفاق قاد إلى دعم وعون أديا إلى انتصارات كاسحة ، وكان المخطط الأول يقضى بعودة الملك ظاهر شاه ، ولكن لذة النصر ونشوته دفعت بعض عناصر طالبان إلى محاولة الاستئثار بلذة الحكم والانفراد به ، ولايزال الأمر محل بحث ونقاش . وروسيا التى تحرص على مرور بترول جمهوريات آسيا الوسطى من أراضيها وتصديره من ميناء روس فى البحر الأسود ، بدأت فى التحرك ضد طالبان ومساعدة الجنرال دوستم ، رغبة فى اجهاض المخطط الأمريكى ووأد المشروع الباكستانى ، ونشهد اليوم الصراع الدولى على بترول تركمانستان ، الذى قد يعيد الاستقرار إلى أفغانستان ، كما يقول المثل "فتش عن المرأة" فإن رجال السياسة وخبراء صناعة الزيت يقولون "فتش عن البترول")(١).

وبعد هذا العرض نصل إلى التالى :

أولا : أن هزيمة الاتحاد السوفييتى فى أفغانستان تتفق مع السنن الربانية التى لاتتغير ولاتتبدل ، فبالنظر إلى قوة كل من الدولتين نجد أن الاتحاد السوفييتى أكثر قوة وعددا ، ولكن الفئة القليلة غلبت الفئة الكثيرة وهذه سنة ربانية تقع عندما تقوم الفئة القليلة بأمر الله تعالى وتنصره جل وعلا قال تعالى : {**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**}(٢).

كما تحقق فى الجهاد أمر آخر وهو أن الإيمان إذا التقى مع الكفر فإن النصر حليف الإيمان بإذن الله تعالى حتى وإن كانت بعض الأيام على الحق ودولته .

ثانيا : عجل الجهاد الأفغانى بإنهيار الشيوعية فكريا وسياسيا وإقتصاديا ومع ذلك فلايمكن المبالغة والقول بأن الجهاد الأفغانى كان هو السبب الأقوى

---

(١) مجلة الأموال العدد (١١/١) السنة الأولى ، أكتوبر - ديسمبر ١٩٩٦م .
(٢) سورة محمد : (٧) .

أو الوحيد فى إنهيار الشيوعية (١).

بل ساعد على الإنهيار وفاقم من سوء الحالة الإقتصادية ومن فقدان الثقة فى الفكرة الشيوعية ، وعجل بالاهتمام بالإصلاحات السياسية والإقتصادية فى البلاد السوفيتية ، وكذلك جدية التنازلات عن المبادىء الإشتراكية لصالح القوة الامبريالية ، ولايمكن اعتباره السبب الأول فى إنهيار الشيوعية ، وتفكك المنظومة الإشتراكية .

ثالثا : لقد أثار الانتصار موجة عنيفة من السخط لدى الدول الكافرة بعمومها واتخذت منه ذريعة لحرب المسلمين والوقوف ضدهم .

رابعا : حرصت دول الكفر على عدم قطف ثمرة الجهاد من قبل المجاهدين فاختلفت الأحداث ، واشتعلت نار الفتنة وتذرعت بالحلول الدبلوماسية ، وفض النزاعات بالطرق السلمية ، حتى وصلت الحالة التى نراها الآن على الساحة الأفغانية .

وهذا يجعلنا نلمح بشىء من التفصيل عن موقف الدول الرأسمالية من الجهاد الأفغانى .

---

(١) انظر الكلمة التى ألقاها حكمتيار بمناسبة الذكرى الثانية عشرة للغزو الروسى لأفغانستان فى مجلة الموقف العدد (٧٨/١١-١٤) رجب ١٤١٢هـ السنة الحادية عشرة ، وقام بترجمة الكلمة معين أحمد . ويرى أن الجهاد الأفغانى هو الذى أسقط الشيوعية .
وانظر مقال بصحيفة المسلمون العدد (٣٩١) بعنوان دور الجهاد الأفغانى فى إسقاط الشيوعية بقلم محمود مورو ، حيث يرى الكاتب أن الجهاد الأفغانى هو أقوى الأسباب التى أسقطت الشيوعية .

المبحث الرابع
موقف الدول الرأسمالية من الجهاد الأفغاني

إن الغرب الكافر لابد وأنه ينظر إلى الجهاد باتجاهين اثنين حتما ، أما الأول فيتعلق بالاتحاد السوفييتي واعتبارهم أن هذا خرقا للوفاق وعودة إلى سياسة التوسع ومد النفوذ على البلاد ، وتهديداً للمصالح الحيوية الغربية فى منطقة الخليج ، والجانب الآخر هو الخوف من هذا الجهاد ومحاولة إبعاد المسلمين عن فكرة الجهاد والدعوة إلى الله تعالى ، لأن هذا تهديد مباشر لهم فى عقر دارهم .

والجانب الأول لاشك أن الغرب بقيادة الولايات المتحدة قد وقفت (ولو ظاهرا) مع حق الشعب الأفغانى فى دفاعه عن نفسه وأرضه وأمدته بشىء من السلاح ، الذى لايقارن بسلاح العدو وتطوره .

كما كان موقف الدول الرأسمالية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية موقف الخائف من هذه البطولات التى تحققت على يد المجاهدين فى أفغانستان ، إن الولايات المتحدة والغرب عامة لايريدون النصر للمجاهدين الأفغان لأن ذلك سيعنى قيام حكومة إسلامية ، وهذا ماتأباه التوجهات الغربية ، التى سعت للحيلولة دون تحقيق قيام الدولة الإسلامية فى أفغانستان بعد انتصار المجاهدين على أعدائهم الملحدين . أما عن سلاح الولايات المتحدة للأفغان فهو ذر للرماد فى العيون ، لأن واقعها يخالف ماتدعيه وقد ظهر ذلك جليا بعد انسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان .

يقول د. عبد القادر طاش : (كان من حظ هذه الحركة أن يتكالب عليها أعداء متناقضو الاتجاه فى ظاهر الأمر ولكنهم يتفقون جميعا على هدف واحد وهو الحيلولة دون قيام أى حركة إسلامية أصيلة وقوية فى العالم مهما كلفهم ذلك من ثمن ومهما تطلب منهم من تضحيات ، إن الغرب الاستعمارى ـ بزعامة أمريكا ـ لايريد لحركة الجهاد أن تنتصر ولذلك فهو يسعى ـ بكل الطرق ـ إلى محاولة استيعاب هذه الحركة واحتواء بعض

زعاماتها وتجيير مكاسبها لصالحه . ومن ثم لم يكن غريبا أن تتشدق أمريكا بمساعدة الأفغان فى نضالهم والإدعاء بإمدادهم بالأسلحة والصواريخ وهو إدعاء لايسنده الواقع ولاتؤيده البراهين!!

بل إن أمريكا تبذل جهودا خبيثة على المستوى الإعلامى للقضية الأفغانية إدراكا منها لأهمية هذا الجانب وخطورة تأثيره . وقد أفادت الأنباء مؤخرا أن "وكالة الإعلام الأمريكية" قد أقامت جهازا إعلاميا لتدريب الصحفيين الأفغان بالتعاون مع جامعة أمريكية وشركة إعلامية من القطاع الخاص وبأموال حكومية ، فقد قدمت الوكالة إلى جامعة بوسطن منحة قيمتها ١٨٠ ألف دولار لتدريب الصحفيين من اللاجئين الأفغان كما تعاقدت مع مؤسسة "كنغ فيتشرز سيندكت" لإنشاء وكالة أنباء أفغانية مقابل ٣١٠ آلاف دولار)[١].

ويمكننا ابراز هذه الحقائق وبيان موقف هذه الدول من خلال هذه النقاط :

أولا : الخوف من إقامة دولة اسلامية فى أرض أفغانستان الإسلامية .

إن أعظم مايهدد الشرق والغرب هو وجود الدولة الإسلامية التى تطبق شرع الله تعالى وتحتكم إليه ، وقد أعلن المجاهدون أن نيتهم بعد الانتصار هو إقامة الحكومة الإسلامية ، وماكان هذا الأمر ليرضى أعداء الله تعالى ، وقد بدأت المشاورات الدبلوماسية من عام ١٩٨٥م بين الأعداء من أجل وضع الحل المناسب للطرفين وهو فى نظرنا الحل الوحيد الذى أخبر الله تعالى عنه {**ولن ترضى عنك اليهود ولاالنصارى حتى تتبع ملتهم**}[٢]، حيث قامت الولايات المتحدة بعدة ممارسات من أجل الضغط على المجاهدين وعدم تمكينهم من إقامة الدولة الإسلامية[٣].

---

(١) أفغانستان الجرح والأمل (١٤-١٥) .
(٢) سورة البقرة : (١٢٠) .
(٣) انظر عن ذلك الإنهيار (١/١٣٨-١٣٩) .

ولكن لماذا يخشى المعسكران الشيوعى والرأسمالى قيام هذه الدولة الإسلامية . يضع الدلال هذه الأسباب فيقول :

(١) (إن هذه الدولة ، بتبنى مفهوم الجهاد الشامل ، ستؤدى إلى إحداث تغييرات كبيرة فيما حولها وهذه التغيرات بالطبع مرفوضة من القوى المعادية للإسلام كافة لأنها ستكون فى صالح تدعيم قيام كيان إسلامى قوى فى منطقة الشرق الأقصى . وستكون الخطوة الأولى هى قيام هذه الدولة بدعم الجماعات الإسلامية فى تلك البلاد معنويا وماديا . كما أن نجاحا إسلاميا من هذا النوع سيشكل خطرا ماحقا على إسرائيل من جهة الشمال . وكذا خطرا كبيرا على أوروبا النصرانية من الجنوب الشرقى .

(٢) ستقوم هذه الدولة لامحالة بنقل الأعمال الجهادية إلى داخل روسيا نفسها ، وستكون الخطوة الأولى باتجاه الاستفادة من المسلمين فى الجمهوريات الجنوبية المتاخمة لأفغانستان . ولاينسى اليهود أن موسكو كانت يوما ما ولاية إسلامية ، ولذلك فهم يخشون من محاولة الامتداد الإسلامى لاستعادة المفقود التاريخى جغرافيا وعقديا وحضاريا فى تلك المناطق ، وهذه الخشية منطلقة من تحليل منطقى لفهم أهداف الجهاد فى الإسلام ومراميه . وفى حال استعادة بعض الولايات الإسلامية لحريتها الحقيقية فإنها ستبدأ بإحداث ضغط عقدى (أيديولوجى) وسياسى فى اتجاه الشرق الروسى وفى اتجاه الغرب (الأوربى الشرقى) بما يمكن أن يؤدى إلى اندلاع أحداث صدامية تعيد ترتيب الحدود السياسية فى تلك المنطقة فى غير صالح اليهود والنصارى .

(٣) لقد نجح اليهود خلال الأربعين عاما المنصرمة فى تحويل قضية فلسطين من بعدها الإسلامى إلى البعد العربى ، وهاهم الآن على وشك النجاح فى تعويم القضية وتخليها عن أى طابع أيديولوجى بإحداث التفرقة بين الصف العربى بل فى داخل الصف الفلسطينى نفسه ، إن قيام دولة إسلامية فى أفغانستان سيخلط هذه الأوراق من جديد ويعيد ترتيبها

الصحيح لتمثل قضية فلسطين مكانتها وبعدها الإسلامي الأول فى ترتيب الأولويات . ومن خلال تفاعلات الأحداث فى أفغانستان وتصريحات قادة الجهاد فيها نرى أن أقدامهم هناك وعيونهم على بيت المقدس ، واليهود يعلمون هذا تماما .

(٤) إن قيام دولة إسلامية فى أفغانستان تتبنى الطرح الجهادى لقضية فلسطين سيسحب البساط من تحت أقدام المتاجرين بتلك القضية ، الذين أجادوا فن التمثيل خلال العقود المنصرمة . وسيضعهم وأحزابهم أمام مفترق طرق صعب ، مما قد يؤدى إلى إنهيار لأنظمتهم وانكشاف الحدود الاسرائيلية أمام الزخم الجهادى المشتعل ، وسيكون الإقبال الشعبى على الجهاد فى أنفاسه منذ عشرات السنين .

(٥) فى حال قيام دولة إسلامية فى أفغانستان فإنها ستكون منطلقا للقيام بالأعمال الجهادية فى مختلف البقاع الإسلامية المحكومة بغير ماأنزل الله .

وسيكون لها أثر بارز جدا فى العمليات الجهادية فى اريتريا والفلبين وغيرها . كما أنها ستكون بمثابة الداعم المعنوى للتحركات الشعبية الإسلامية فى كثير من البلاد الإسلامية ، وستكون هذه الدولة أنموذجا يحتذى به فى طريقة التعامل الجهادى مع أعداء الإسلام . ومجمل ذلك سيؤدى إلى إحكام الطوق حول اليهود فى فلسطين حيث سيصبح وضعهم كحال جزيرة فى بحر تلاطمت أمواجه وارتفع ماؤه وأوشك أن يبتلع الجزيرة بما عليها . ويضع العراقيل أمام محاولات المد اليهودى للتغلغل داخل الشعوب المجاورة .

لهذه الأسباب وغيرها فلن يسمح يهود الكرملين وغيرهم من أعداء الإسلام بقيام دولة إسلامية فى أفغانستان . فهل ينجحون؟!)[١].

---

(١) الإنهيار (١٤٠-١٤٣) .

وعندما لم تحقق الولايات المتحدة هدفها المرجو من ذلك عمدت إلى الأمم المتحدة لكى تضفى على توجهاتها الطابع الدولى المشترك ، وتنبه المجاهدون على أن إرسال المبعوث من قبل الأمم المتحدة وتدخلها فى أحداث أفغانستان لايقصد منه إلا إضاعة ثمرات الجهاد(١).

ثانيا : اتخذ الغرب الرأسمالى من الانتصارات التى حققها الجهاد الأفغانى ذريعة فى التشديد على المسلمين واعتبار الإسلام الخطر الحقيقى الذى يجب أن يوقف عند حده وأظهروا مسألة الأصولية الإسلامية وخطرها ، فأصبحت تصريحات الزعماء ووسائل الإعلام كلها تتجه هذه الوجهة .

ومن هنا جاءت الدعوة لتوحيد جهود الدول الغربية فى مواجهة الإسلام حيث جاء عن مجلس حماية الدستور فى المانيا : (إن الإسلاميين المتشددين وتأسيا بمايجرى فى الجزائر يفكرون بالقيام بحملات هجومية ضد ألمانيا وتهديد العالم الغربى ، وأن الغرب الذى انقسم بسبب الحرب الباردة عليه أن يتوحد باسم النصرانية للوقوف فى وجه الإسلام ...)(٢).

ثالثا : أن الدول الأوربية لايهمها من وراء هذا الجهاد إلا تحقيق مصالحها ومحاولة جعل الدولتين الكبريين فى صراعهما للاستفادة من دول الشرق الأوسط . إن الدول الأوربية (لاينتظر منها أى دعم مادى لحركة المجاهدين الأفغان لعدة اعتبارات أهمها رغبة هذه الدول فى تثبيت

---

(١) انظر أقوال قادة الجهاد وموقفهم من تحركات الأمم المتحدة : الجهاد الأفغانى طريق إلى الخلافة الراشدة (٢٥-٣١،٢٦-٣٢) ، أفغانستان الجرح والأمل (٦٠-٦١) ، مجلة الجهاد ، العدد (٩/٨٥) ، شعبان ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، الافتتاحية بقلم محمد يوسف عباس .

(٢) مجلة الجهاد العدد (٨/١١٨) .
ولمزيد من مواقف الغرب من الإسلام والمسلمين وتصوراتهم عنهم وكونهم سبب الأزمات والإشكالات والإرهاب انظر : مجلة الدعوة السعودية ، العدد (١٦٥٢/٣٠-٣١) ، دروس تربوية من القرآن الكريم (١٠١-١٠٢) ، مجلة الدعوة السعودية ، العدد (١٥٦٤/٢٤-٢٥) ١٢ جمادى الآخرة ١٤١٧هـ/٢٤ اكتوبر ١٩٩٦م . وفيه مطالبة المسلمين من فرنسا أن تعاملهم كما تعامل اليهود والنصارى .

العملاقين الروسى والأمريكى أحدهما بالآخر ليتسنى لهـا الانفـراد بالمصالح الاستعمارية فى الشرق الأوسط ولذلك فهى لن تدعم أحدهما ضد الآخر مادامت التقارير تشير إلى نقطة التعادل فى القوة بين العملاقين . ولئن كان الوجود الروسى فى أفغانستان يعتبر ورقة رابحة فى يد الأمريكيين يمكنهم بواسطتها احتواء حكومات شرق أوسطية مذعورة من الزحف الشيوعى والقفز الروسى ، وبما أن هذه الحكومات ينبغى لها إن كانت مطمئنة على وصفها أن تكون صديقة للدول الأوربية التى عادت دولا من الدرجة الثانية أو الثالثة أو ربما دون ذلك كالمانيا فإن هذه الدول الأوربية أحرص على إنهاء القتال المسلح فى أفغانستان بانسحاب روسى وتكريس حكومة شيوعية محايدة فى كابل ، ولذلك فإن الدور الأوربى دور ديبلوماسى صرف يهدف إلى طمأنة دائرة منابع النفط لكى لايدفعها خوفها من الشيوعية أن تنحاز إلى الولايات المتحدة طلبا للأمن ولعل هذا أيضا سبيل آخر ينتهى أن سلك بمجرى الجهاد الإسلامى فى أفغانستان إلى الانسياب فى التيه والضياع فى نهاية اللانهاية)[١].

رابعا : التعتيم الإعلامى للقضية الأفغانية من قبل الدول الرأسمالية .

لقد كان هناك تعتيما إعلاميا رهيبا عمايحدث فى أفغانستان ، كما كان الرأى العام لدى الدول الغربية بعيدا عن التأثير على سياسة دوله .

يقول جيرار شاليان : (لم تستطع حركات المقاومة الأفغانية حتى الآن إستغلال الرأى العام فى أوروبا أو الولايات المتحدة . وهى على الأغلب ، تعرف القليل عن العالم خارج أفغانستان ، ولاتدرك مدى أهمية مثل هذا التعاطف الشعبى ، لكن ربما كان ذلك مسألة وقت فقط ، حتى يعترف الغربيون بالأفغانيين كشعب يناضل من أجل حريته . وهكذا ، فعلى حركات المقاومة الإستمرار فى نشر قضيتهم)[٢].

---

(١) أفغانستان والاجتياح الروسى (١٥٣-١٥٤) .

(٢) تقرير من أفغانستان (٧٦) .

وكانت وسائل الإعلام متجاهلة لهذا الجهاد (وربما كان ذلك بسبب استخفاف شعوب العالم بقدرة شعب فقير على ملاطمة دولة عظمى لايفصل فرقها المسلحة بأحدث ماأنتجته التكنولوجيا الحديثة من أنماط السلاح المدمر)[١].

ولكن الحقيقة هو أن الشعب المظلوم هناك شعب إسلامى ، وقد أراد الغرب ألاتتعاطف شعوبه مع هؤلاء المجاهدين .

غير أن النصر من عند الله[٢].

ومما يؤسف له أن وسائل الإعلام الإسلامية بعد أن أولت موضوع أفغانستان الاهتمام فى أيامه الأولى لم تعط الجهاد الأفغانى حقه مع أهمية هذه الوسائل .

ويقول الحصين : (مع الأسف الشديد لم يعط الجهاد حقه فى وسائل الإعلام فى الدول الإسلامية مثلما تعطيه لمباريات كرة القدم من قيمة وإهتمام ، وأن أحداث الجهاد هناك على أرض أفغانستان لم تسجل بكاملها بالرغم من أنها تكون تاريخ المسلمين الحديث)[٣].

خامسا : قامت الولايات المتحدة والدول الرأسمالية بتوظيف الجهاد لأغراضها الخاصة ومصالحها الذاتية ، حيث قامت ببذل بعض السلاح البسيط للمجاهدين وأرادت بذلك كسب ود بعض الدول العربية والإسلامية ، وقد حققت الشىء الكثير من جراء هذا العمل الذى كان ذرا للرماد فى العيون أكثر منه مقارعة للغزاة المعتدين إذ لايساوى شيئا أمام مايملكه السوفييت .

---

(١) أفغانستان والاجتياح الروسى (١٥٠) .

(٢) انظر ماذكره د. عبد القادر طاش فى كتابه (الجرح والأمل) (١١-١٢) عن الاهتمام بقضايا الشعوب المغلوبة على أمرها كفيتنام ، والسلفادور ، ونيكاراجوا ، والإشارة عن قضية أفغانستان .

(٣) بشائر الإيمان فى جهاد الأفغان (١٣) .
وللمزيد انظر ماذكره د. عبد القادر طاش فى كتابه أفغانستان الجرح والأمل (١٣-١٦) .

يقول محمد قطب عن سلاح الولايات المتحدة للمجاهدين : (لقد أمدت أمريكا المجاهدين ببعض السلاح ، ولكن لالينتصروا ، إنما كان تمدهم به لهدفين ، كلاهما يحقق مصلحة لها . الأول : هو إجهاد روسيا بإطالة مدة القتال إلى أقصى درجة ممكنة (سواء كان ذلك ردا على الصفعة الروسية فى فيتنام ، أو لأى سبب آخر) والثانى : هو إتاحة الفرصة لروسيا ـ فى الوقت ذاته ـ لتقتيل أكبر عدد ممكن من المسلمين المجاهدين ، ليستريح الغريمان معا من العدو المشترك ، على طريقة المثل القائل : أنا وأخى على ابن عمى وأنا وابن عمى على الغريب! والغريب الذى يريد الطرفان معا قتله هو الإسلام .

من أجل ذلك أمدت أمريكا المجاهدين بالسلاح الذى أمدتهم به ، ولم تكن تتصور قط أن ينتصروا بذلك السلاح ، لأن كل الحسابات "البشرية" تقول إن هذا مستحيل!

ولقد فوجئت أمريكا ـ مفاجأة غير سارة ـ بذلك النصر ...)(١).

سادسا : عملت الولايات المتحدة بخبثها ودهائها على إثارة المشاعر الإسلامية والاستفادة منها لصالحها ، ودعت إلى الاستفادة من هذه المشاعر وعدم استثارتها ضد الغرب بل الاستفادة منها إيجابا فيما يحقق مصلحتها(٢)(أى مصلحة أمريكا) .

---

(١) الجهاد الأفغانى ودلالاته (٦٢) .
(٢) انظر أفغانستان والاجتياح الروسى (٧٤-٧٥،٨١) .

أثر هذا الغزو فى موقف الدول الرأسمالية ودور ذلك فى سقوط الشيوعية

أولا : مكن الغزو السوفييتى الولايات المتحدة من عودتها إلى منطقة الشرق الأوسط بقوة وأصبح ذلك ذريعة لها ، هذا بالإضافة إلى أن بعض الدول العربية والإسلامية ارتمت فى أحضان الولايات المتحدة تطلب منها الحماية ضد العدوان السوفييتى أو خطره المحتمل فيما لو سقطت أفغانستان .

ثانيا : يعتبر الغزو السوفييتى لأفغانستان شرخا فى الوفاق والإنفراج الذى بدأ بين الدولتين الكبريين وأدى ذلك إلى قطع الولايات المتحدة بعض المساعدات التى كانت تقدمها للسوفييت ، وكذلك منع بيع الحبوب إليها مما كان له أثره على إقتصاد وتطور الاتحاد السوفييتى .

يقول دانيا ، ونورمان : (إن التحرك السوفييتى فى أفغانستان عام ١٩٧٩م قد دفع الرئيس كارتر إلى حظر مبيعات الحبوب الأمريكية للاتحاد السوفييتى .. وقد احتج المزارعون الأمريكيون لأن الحظر كلفهم غاليا . وتنفيذا لوعد قطعه على نفسه خلال الانتخابات ، رفع الرئيس ريجان الحظر عام ١٩٨١م . غير أنه طبق عقوبات جديدة فى العام التالى ... وفى هذه المرة حظرت العقوبات بيع معدات البترول والغاز التى يحتاج إليها السوفيت لمد خط أنابيب رئيسى جديد)(١).

وأدى هذا بدوره إلى فقدان الاتحاد السوفييتى روافد كثيرة كانت تدعم إقتصاده ، وبالتالى كانت الولايات المتحدة تزيد من الضغوط عليه من أجل القبول بالتنازلات الفكرية ، وكذلك الاسراع بالتراجع فى السياسة الخارجية .

---

(١) تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥م (٤٣٢) .
وانظر تقرير من أفغانستان (٨٩) وقال : (إن التدخل السوفييتى فى أفغانستان يشير إلى انتهاء حقبة الإنفراج فى العلاقات الدولية المتوترة) .
وانظر (٩٣-٩٥) .

ثالثا : أدى الغـزو السوفييتى لأفغـانستان إلى إعادة السيطـرة الأمريكية على الساحة الأوربية .

فهـذا التـدخل (نزع زمام السيـاسة الأوربيـة من يد القيـادة الفـرنسية لتسلمها الدبلوماسية الأمريكية فسرعان مااستجابت أكثر دول أوروبا الغـربية بدرجات متفاوتة لعروض الولايات المتحدة تركيب قواعد الصواريخ النووية (بيرشنغ) على أراضيها)(١).

كما أن هذا التدخل (ربط دول أوروبا الغربية ثانية بالولايات المتحدة ودفـع الشعب الأمريكى إلى تأييـده لمواصلة الاتجاه التسلطـى فى الدبلوماسية الأمريكية فى الوقت الذى عمل على عزلة الروس عالميا)(٢).

رابعا : فتـح غزو أفغانستان جبهة جديدة ضد الاتحاد السـوفييتى وذلك بتحسـن العلاقـة بين الـولايات المتحـدة والصين ، حيـث بدأ وزير الـدفاع الأمـريكى حينهـا رولد براون الإتفـاق مع الصينيين بشـأن التصـدى للعملية السـوفيتية فى أفغانستان وحماية باكستان حليفة الصين ، ممـا أعطى التدخل الصينى فى الشـرق الاوسط بعـدا جديدا ، كمااستعدت الـولايات المتحدة على تحديث الصين صناعيا(٣). ولاشك أن هذا لم يكن ليترك السوفييـت فى راحة بال من الخطر الذى قد يواجهونه من الصين .

خامسا : مـن المعلوم أن هذا الغزو قد جعل الولايات المتحـدة تصعد من مسألة سباق التسلح بل ويعلـن ريجان عـن برنامجه حرب الفضـاء عـام ١٩٨٣م ، وكـذلك نشـر الصـواريخ بيرشنـج فى دول أوروبا فـاستغلت ذلـك الـولايات المتحدة فى تبريرهـا لسياستها الجديدة نحو سبـاق التسلح ، وكذلك لنشـر أسلحتهـا فى دول حلف النـاتو ، وفى هـذا جر للاتحاد السـوفييتى نحو تسـابق جديد وإرهاق إقتصـادى آخر له ولأجل ذلـك وتحت هـذه الضغوط

(١) أفغانستان والاجتياح الروسى (٧٠) .
(٢) المرجع السابق (٧٩) .
(٣) المرجع السـابق (٩٦) ، وأرجع إلى صحيفـة الأنبـاء الكـويتية فى ١٩٨٠/١/٧م .

قدم الاتحاد السوفييتى الكثير من التنازلات والتراجع فى سياسته التوسعية ، ولو أن الولايات المتحدة طلبت من السوفييت الخروج من أفغانستان مقابل سحب صواريخ بيرشنج أو التخلى عن برنامج الحرب الاستراتيجية لما تردد السوفييت فى ذلك ولكن الغرب لايود ذلك!!

ونعتقد جازمين أن الولايات المتحدة كانت ترغب فى الاستفادة من جانبين بالنسبة للجهاد الأفغانى :

(أ) بالنسبة للسوفييت .

(ب) بالنسبة للمجاهدين وتحقيق مصالحها .

أولا : إرهاق السوفييت وجعلهم يتورطون فى الهجمات التى سيشنها عليهم المجاهدون الأفغان ، وكذلك ليكون هذا التدخل مسوغا للولايات المتحدة من أجل تنفيذ مخططاتها الاستعمارية وتحقيق مصالحها . والفرض على السوفييت تقديم أكبر قدر من التنازلات إذا ماأصبحوا فى موقع الضعف .

ثانيا : مايتعلق بالمجاهدين فيمكن ابرازه فى عدة جوانب :

الجانب الأول : ضرب الصحوة الإسلامية والتوجه الإسلامى الموجود فى أفغانستان ، تلك الدولة المسلمة وهذا هدف يظل ملازماً للقوى اليهودية والنصرانية على حد سواء .

الجانب الثانى : كسب أكبر قدر من التأييد للولايات المتحدة والتعلق بها من قبل الدول العربية والإسلامية لأنها ستبرز على أنها مدافعة عن الحقوق الإسلامية وبالتالى تكسب ود تلك الدول وتظهر كما لو أنها الدولة الحريصة على المسلمين وقضاياهم .

الجانب الثالث : جعل التواجد الأمريكى فى المناطق التى كان يهدف إليها السوفييت من وراء غزوهم لأفغانستان أمرا مستساغا إن لم يكن أمرا مطلوبا منها .

بعض الآثار التى خلفها الغزو السوفييتى لأفغانستان

أولا : التدمير الهائل الذى لقيته البلاد الأفغانية ، والقتل والجرح والتشريد للملايين بسبب الهجمات الوحشية الشيوعية .

وقد قدم الجهاد أكثر من مليون ونصف قتيل و٣٠٠,٠٠٠ معاق وخمسة ملايين مهاجر من النساء والأطفال والشيوخ[١].

ثانيا : نقل الأطفال الأفغان إلى الاتحاد السوفييتى وذلك لبث الفكر الماركسى الشيوعى فى نفوسهم وبالتالى ارسالهم إلى وطنهم ليسيروا حسب ماكانوا قد تلقوه فى موسكو .

(وقد قام الاتحاد السوفييتى بنقل أكثر من ربع مليون طفل أفغانى إلى روسيا لتلقى التعليم هناك ويتم التركيز - بالطبع - على "مركسة" هؤلاء الأطفال وتحويلهم إلى دمى مطيعة للغازى الغاشم ليس بدافع الولاء السياسى فقط بل بدافع الولاء العقائدى وهو أكثر ثباتا وقوة من الولاء السياسى القائم على المصالح المتغيرة)[٢].

ثم بعد أن أرسل هؤلاء إلى الاتحاد السوفييتى وغيرهم من الشباب إما بالاختطاف ، أو موافقة أهلهم (فى معسكرات التدريب التى يشرف عليها مدربون يتقنون لغتى أفغانستان - البشتو والفارسية - كانت تتم عملية "غسيل مخ" مركزة لهؤلاء الأطفال اليافعين ، عملية رهيبة تقوم على أربعة مبادىء :

(١) لم يعد الاتحاد السوفييتى وأفغانستان سوى بلد واحد ، به شعب واحد

(٢) إنكم مسلمون ونحن كذلك وسنعلمكم كيف تصبحون مسلمين أفضل مما كنتم!!

---

(١) انظر الجهاد الأفغانى طريق الخلافة الراشدة (٩) .
وانظر عن اللاجئين تقرير من أفغانستان (٦٨-٦٩) .
وانظر الإنهيار (١/١١٧-١١٨) .

(٢) أفغانستان الجرح والأمل (٤٢) .

(٣) المجـاهدون ليسـوا مسلمين حقيقيين ، إنهـم متمردون وخونة يريدون تدمير بلدكم ونحن نريد الدفاع عنه!!

(٤) إذا أجدتم فى عملكم وأطعتم وساعدتمونا فى الدفاع عـن أفغـانستان فإنكم ستصبحون عندما تبلغون سن الرشد أغنياء وأقوياء)[١].

ومن آثار الحرب على أفغانستان إنهيار الإقتصاد ، ومشـاكل متعددة من الماء ، والكهرباء ، والمواصلات ، والألغام ، والإسكان ، والزراعة ، والطرق ، والتعليم .

بالإضافةإلى وجود كثير من الشباب عاش معظم حياته فى ظل الشيوعية ولايعرف من الدين شيئا فى حين أن المدارس والجامعات متوقفة[٢].

وذكـر وزير الاسكان أحمـد شاه أحمد أن الجامعـات والمدارس مليئـة بالسكـان لعـدم توفر السكن وقـال : (أهم مشكلة تواجهنـا حاليـا فى وزارة الإسكـان هـو توفير سكن لأهـل كـابل تحديدا لأن نصفهـا دمـرته الصواريخ واضطـر سكـان هذا النصف إمـا للهجرة خارجها أو إلى اللجـوء للعيـش فى النصـف الآخر الـذى يكتـظ بالسكـان ، إضـافة إلى المدارس والمسـاجد والمستشفيات والمستوصفات . وقد جاءنى مؤخرا وزير التعليم والتربيـة وطلب منى اخلاء السكـان من المدارس لبـدء الدراسة وأجد نفسـى عاجزا عن اتخاذ أى قرار بهذا الشأن لأننى لاأملك السكن البديل لهؤلاء)[٣].

---

(١) أفغانستان الجرح والأمل (٤٥) .
على أن السـوفييت لم يكتفوا بذلك بل كانت الحرب الفكرية قـائمة داخل الأراضى الأفغـانية ، كتعيين المدرسين فى جامعـة كابول أو العسكـريين فى مجال التـدريب . انظر نفس المرجع (٢٧) .

(٢) انظـر ذلـك وغيره فى اللقـاء الـذى أجرته مجلة الإصلاح مـع ربانى العـدد ٢٥٩ الخميس ٦ جمادى الأولى ١٤١٤هـ ، ٢١-٢٧ أكتوبر ١٩٩٣م ، السنـة السادسة عشرة (٢٠-٢٢) ، وطالب المسلمين بمد يد العون للأفغان .

(٣) الإصلاح ، العـدد (٢٣/٢٥٩) ، وانظـر صحيفة الشرق الأوسـط العدد (٥٦٠٣/٤) الجمعة ١٩٩٤/٤/١م .

ثالثا : العمل على إثارة الخلافات بين الأحزاب والطوائف الموجودة هناك وهذا ماحدث فعلا ومازالت أفغانستان حتى هذه اللحظة تئن من وطأة ذلك التناحر الذى كان الغرب وراءه وستكشف الأيام تلك الحقيقة .

وبعد هذا العرض نصل إلى الحقائق التالية :

أولا : أن الاتحاد السوفييتى دولة شيوعية ملحدة لايمكن بحال من الأحوال اعتبارها صادقة فى تعاملها مع المسلمين إلا إذا كان لها مصلحة من وراء ذلك التعامل وتاريخه مع المسلمين ليس به خفاء .

ثانيا : أن هذا التدخل أثبت أن السياسة السوفيتية تقوم على الإرهاب والقمع والتوسع والتدخل فى شئون الآخرين (ومن وجهة النظر السوفياتية فإن السياسة الخارجية الهجومية هى التى تضمن الأمن الوطنى ، حيث بفضل قوتها العسكرية النامية ، تستطيع موسكو الآن السيطرة على مساحة أكبر مما كانت تستطيعه من قبل ، خاصة فى المناطق المجاورة للاتحاد السوفياتى نفسه)(١).

ثالثا : أظهر الغزو السوفييتى لأفغانستان أن الاتحاد السوفييتى عدو ماكر يظهر بثوب الصديق ويرفع شعارات العدل والمساواة ، ويتظاهر بمد يد العون لفريسته حتى إذا ماحان وقت الانقضاض تكون تلك الارهاصات مساعدة له على ارتكاب جرمه(٢).

رابعا : أن الأعداء لايكشفون عن هويتهم مباشرة إذا أرادوا الغدر فيكون ذلك العداء مستترا بستار المساعدات الإقتصادية ، والتبادل التجارى والثقافى ، والتأثير السياسى ، وهكذا حتى مايغدو المجتمع يسير فى ركاب ذلك العدو دون أن يشعر .

خامسا : يستفاد من جهاد الأفغان أن المسلمين أقوياء ماتمسكوا بدينهم وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام ، وأن قوى الكفر والطغيان الجبارة تنهار

---

(١) تقرير من أفغانستان (٧٩) .

(٢) انظر قضايا هامة فى حاضر العالم الإسلامى (١٣٢-١٣٣) .

أمـام هذه الحقيقة ، فقد انهـارت فارس والروم ، ثم انهـار الاتحاد السوفييتى وليسـت هـذه النهاية ببعيدة عـن الـولايات المتحدة إذا مـااجتمع المسلمـون ووحدوا صفـوفهم فى التصدى لها ولمخططاتهاالشريرة ، ولـن يكون ذلك إلا بالعـودة إلى اللـه تعالى والتمسـك بكتـابه وسنة نبيه صلى اللـه عليـه وسلم .

سادسا : من الدروس المستفادة من أفغانستان ومما ينبغى على المسلمين التنبيـه إليـه أن الأعداء سيظلـون يعملـون على بث العملاء والأذناب داخل الـدول الإسلامية ، وبالتالى لابد مـن التنبه لهذا الأسلـوب الماكـر من أعداء دين الله تعالى ، والدور الآن سيكون للقوة الغربية الرأسمالية .

سابعا : دلـل الجهاد الأفغانى على أن الـدول العظمـى سواء شرقيها أو غربيها كلها تعمل ضد الإسلام والمسلمين والأحداث التى ظهـرت خلال هذه الفترة دلت على هذه الحقيقة وأن الجبارين يد واحدة ضد المسلمين وقضاياهم . ولاغـرابة فى هـذا التقـارب والالتقـاء ، لأن الأعـداء يخافـون مـن الجهـاد ويعلمـون أنه متى قام المسلمون به على وجهه الذى يرضـى المولى جل وعلا فلن تقوم لهم قائمة ، وقد شهدت المحافل الدولية الأمثلة الكثيرة على هذا العداء .

ثامنا : ينبغـى للمسلمين الحذر مـن وريثـة الاتحاد السـوفييتى وهـى جمهورية روسيا حيث إنها تخشى من (وصول حكومة أصـولية فى أفغانستان حتى لاتمتـد العـدوى إلى دول آسيـا الـوسطى المجـاورة ل(طـاجاكستان ، أوزباكستـان تركمـانستان) بالشكـل الـذى يهـدد مصـالحها ويشكـل تهـديدا لاستمرار العنصر الروسى المتحكم فى قرار معظم هذه الدول ...)[١].

تاسعا : من الدروس المستفادة من الجهاد الأفغانى والحقـائق الساطعة أن الحرب إذا كـانت دينيـة أى بسبـب الـدين فإن المسلمين كلهـم شـركاء فيها وكلهـم معنيون بها . فالحرب هناك ليست من أجل القوميـة ، ولاالقبلية إنما هى وكما نحسب ذلك فى سبيـل اللـه لـدفع العـدو عـن أرض إسلاميـة جاء

(١) مجلة المجلة العدد (٣٩/٨٣٤) .

ليقضى على المسلمين فيها ، وعلينا أن نحرص مما يحاول الأعداء أن يلصقه بهذا الجهاد بأنه حرب تحريرية أو ثورة شعبية[١]، أو أنها كانت نتيجة للعادات والتراث القبلى والتقاليد القتالية[٢].

عاشرا : الاهتمام بمسألة التوجه الشيعى فى أفغانستان وعدم ترك الفرصة لهم ، فإن إيران لايمكن أن تقدم المساعدة أو الاهتمام إلا إذا كان لها مصلحة عقدية من ورائها ، وعقيدة تلك الدولة ليست خافية على أحد .

حيث يقوم حزب الوحدة الأفغانى بعدة أعمال محاولا الحصول له على مكان فى مناصب الحكم فى أفغانستان ، وهذا الحزب يضم ثمانية فصائل أفغانية شيعية تتخذ من إيران مقرا لها ، وتم توحيدها برعاية إيران . وقد حاول الحزب الاستفادة من الخلاف بين فصائل المجاهدين (الحزب الإسلامى والجمعية الإسلامية) ولكن باءت جهوده بالفشل بعد نجاح الوساطة السعودية الباكستانية فى إزالة هذا الخلاف[٣].

الحادى عشر : إن انهيار الشيوعية يعنى أن العالم الإسلامى وتحديدا الإسلام سيكون العدو الحقيقى الآن فى مواجهة الغرب خاصة إذا ماأخذنا فى الاعتبار أن بعض دول المنظومة الإشتراكية السابقة أصبحت قاب قوسين أو أدنى من الانضمام إلى الولايات المتحدة والعمل بسياستها وتوجهاتها .

ومن هنا فلابد من أن يهتم المسلمون بهذه المواجهة مع الغرب الرأسمالى لأنها معركة لاتقل خطورة وقوة عن معركتهم مع الشيوعية الملحدة[٤].

---

(١) انظر تقرير من أفغانستان (٥٣) ومابعدها .

(٢) انظر نفس المرجع (٧٢) ومابعدها .

(٣) انظر مجلة المجتمع العدد (١٠١١/٢٣) السنة ٢٣ الثلاثاء ١٣ صفر ١٤١٣هـ الموافق ١١ أغسطس ١٩٩٢م .

(٤) وعن استغلال ذلك السقوط والعمل على مواجهة العدو الجديد انظر مجلة الجهاد ، العدد (٩٢/٢٧) جمادى الأولى ١٤١٣هـ/نوفمبر ١٩٩٢م فى إجابات الأسئلة التى أرسلتها مجلة الجهاد إلى عدد من المفكرين والعلماء ، وكانت هذه اجابة منير شفيق

الثانى عشر : أن أمريكا تدرك أن أفغانستان ليست مستعدة لأن تكون قاعدة أمريكية أو محطة لمصالحها وهم حسب رؤيتهم الاستعمارية يرون أن مستقبل أفغانستان إما أن يكون شيوعيا ، أو إسلاميا ، وكلا الأمرين بالنسبة لهم غير مقبول ومن هنا يرجحون بقاء الاصطدامات والاضطراب والوضع المتدهور فيها(١).

الثالث عشر : أن الولايات المتحدة حتى لو نظرت لاجتياح السوفييت لأفغانستان بالاعتبار فإن ذلك من خلال تحقيق مصالحها لامن أجل الدفاع عن المسلمين أو حقوقهم .

الرابع عشر : أن الصراع بين دولة الاتحاد السوفييتى وأفغانستان صراع قديم عمل السوفييت على إيجاد العملاء والخلايا له داخل الأراضى الأفغانية ولكنه فشل فى ذلك فاستبدلهم بالغزو العسكرى الذى فشل هو بدوره ، ثم عملت القوى الكافرة على إيجاد الحل الذى سيريح كل الأطراف ، وذلك بإثارة الخلافات والفرقة .

الخامس عشر : ومما يذكر هنا أن الدول الإسلامية ومنها المملكة العربية السعودية قد قدمت المساعدات للمجاهدين فكانت مصر تقدم السلاح الخفيف والسعودية ودول الخليج تقدم المال(٢).

السادس عشر : أن الجهاد الأفغانى قد ألحق خسائر كبيرة بالمعسكر الشيوعى السوفييتى ، وفسح المجال أمام الشعوب المضطهدة من قبل السوفييت إلى أن تخرج عن سكوتها وتنفجر فى وجه جلادها مما جعل الجهاد الأفغانى أحد الأسباب التى عجلت بإنهيار فكرها الشيوعى .

---

(١) انظر موسكو فى طريقها إلى كابول (١٤٧-١٤٨) .

(٢) انظر تقرير من أفغانستان (٧٦) .

وانظر عن بعض ماقدمته المملكة العربية السعودية جريدة عكاظ العدد (١٠/٩٦٣٦) الثلاثاء ٢١ جمادى الآخرة ١٤١٣هـ ، ١٥ ديسمبر ١٩٩٢م .

الخاتمة

(أ) النتائج :

أولا : إن أوروبا افتقرت لدين الله تعالى الصحيح وكانت وريثة للحضارتين الماديتين اليونانية والرومانية .

ثانيا : إن الكنيسة وهى تمثل الجانب الدينى فى أوروبا كان طغيانها ظاهرا وفساد رجالها واضحا ، ورفضها للحقائق العلمية مؤثرا فى النفسية الأوربية وبسببها رفض الدين الذى كانت تتسلط باسمه وعن طريقه .

ثالثا : إن اليهود كانوا خلف الأحداث التى شهدتها أوروبا فى وقت كانت شعوبها تنبذ الدين فاستغل اليهود تلك التوجهات ووظفوها لخدمة مصالحهم وتحقيق أهدافهم فكانوا خلف أكبر الثورات التى شهدتها أوروبا كالثورة الفرنسية ، والثورة البلشفية .

رابعا : إن الحياة الأوربية ـ وفى ظل الكنيسة المتحكمة بمصائر الشعوب ظلما وعدوانا باسم الدين ـ كانت تساعد على قيام المذاهب الإلحادية والمادية والتى تقدس المحسوس وتنكر كل أمر غيبى . وهذه البيئة هى التى نشأ فيها ماركس .

خامسا : إن قولنا هذا وهو أن البيئة الأوربية ساعدت على وجود الأفكار الإلحادية والمادية لاينفى وجود ذلك الفكر مسبقا أو وجود الدعوات المترتبة عليه من إباحية وغيرها .

سادسا : إن الفكرة الإشتراكية ليست وليدة العصر الحديث بل لها امتداد فى التاريخ الإنسانى كآراء وأفكار راودت أصحابها غير أنها اتخذت على يد ماركس مذهبا مدعوما بالأدلة بغض النظر عن صحة هذه الأدلة .

سابعا : ثبت أن الأفكار والمبادىء التى جاء بها ماركس واعتبرها المبادىء الأساسية لشيوعيته فى العصر الحديث لايمكن تطبيقها أو العمل بها لأنها تتعارض مع الفطرة الإنسانية ، والسنن الربانية وهيهات هيهات لمذهب أن يظل قائما وهو يخالف الإرادة الإلهية .

ثامنا : ثبت جلياً من خلال النظر فى سيرة حياة كارل ماركس والأحداث التى شهدتها الساحة الدولية منذ ذلك الوقت وحتى هذه اللحظة أن ماركس كان يهوديا ، وأن أفكاره الإلحادية وظفت لخدمة أطماع اليهود وتحقيق أهدافهم ، ففجرت الثورة البلشفية ، وقضى على الخلافة الإسلامية ، وأعطيت أرض الإسراء لليهود ليقيموا عليها الدولة الإسرائيلية .

تاسعا : ثبت من خلال استعراض الأحداث فى العصر الحديث أن اليهود وراء أكثر الأزمات والصراعات ، وإذا لم يكونوا كذلك فهم يوجهون الأحداث حين قيامها لتصب فى مصالحهم وتعمل على تحقيق أهدافهم . هذا بالإضافة إلى استغلالهم الأفكار والنظريات العلمية فى تبرير مسالكهم ومن تلك النظريات مذهب ماركس اليهودى .

عاشرا : تبين أن ماركس أقام مذهبه على الفلسفة المادية الإلحادية والتى تقوم على جانبين ، المادية الديالكتيكية ، والمادية التاريخية . غير أن الشرع ، والعقل ، والعلم ، والواقع ، أبطل كل تخرصات ماركس التى بناها على هذين الجانبين .

الحادى عشر : أن لله تعالى سننا يجريها فى هذا الكون وهى سنن ثابتة لاتتغير ولاتتبدل تقع متى وجدت أسباب وقوعها . ولكون أسباب حدوث السنة الربانية ـ بذهاب الريح وتفريق الجمع ـ توفرت فى النظام الشيوعى سواء من حيث فكره أم واقعه ، فإن سنة الله تعالى حقت عليه . فانهار الاتحاد السوفييتى وسقط فكره .

الثانى عشر : إن الفكر الشيوعى صادم الفطرة البشرية ، وخالف السنة الربانية ، وقضى على الحرية الإنسانية ، وعانت الشعوب التى حكمها من انعدام أبسط مقومات الحياة الضرورية ، وقام على نبوءات كذبها الواقع والحقائق العلمية ، مما لزم معه إدخال العدولات عليها منذ تفجير الثورة البلشفية إلى الحقبة الغورباتشوفية ، مما جعل هذا الفكر يفقد مصداقيته ويكفر به جماعات من أصحاب العقول السوية . ونظرا لكون هذا الفكر قد حمل كل ذلك فإن سنة الله تعالى حقت عليه وسقط ، وسقط النظام القائم عليه وزالت دولة الاتحاد السوفييتى من على الخارطة السياسية .

الثالث عشر : إن سقوط الاتحاد السوفييتى لم يكن سقوطا مفاجئا ، بل إن ذلك المصير هو المصير المحتوم لكل منهج أرضى أو مذهب وضعى خالف أمر الله تعالى وسننه ومافطر عليه خلقه ، حيث كان الفكر الماركسى باطل فى نظرياته فاشل فى تطبيقاته .

الرابع عشر : إن عوامل سقوط الشيوعية كانت من جانبين :

(أ) الجانب الداخلى : وذلك بفساد الفكر وتذمر الشعب منه ومطالبته بالانعتاق من وطأته .

(ب) الجانب الخارجى : وذلك الجانب أكثر ماتمثل فى الحروب التى خاضها الاتحاد السوفييتى فى وقت كان فيها إقتصاده منهارا .

ولأجل ذلك لم يكن بامكان الشيوعية أن تعيش أكثر مما عاشت .

الخامس عشر : تبين لى أن الأسباب الخارجية لم تكن فى قوة الأسباب الداخلية من حيث التأثير فى سقوط الشيوعية ، وذلك لأن أسباب وقوع السنة الربانية كانت موجودة فى داخل النظام .

السادس عشر : إن الحروب التى خاضها الاتحاد السوفييتى قد أرهقته كثيراً وجعلته يوجه موارد البلاد إلى تصنيع السلاح وإنتاجه ، وكانت الحرب الباردة التى استمرت مايقارب أربعة عقود قد استنزفت ثروات البلاد ومواردها وانعكس ذلك على إقتصادها وبالتالى نفور الشعوب السوفيتية من الفكر الذى يحكم بلادها . حيث لايجد الإنسان الشيوعى حاجياته وضرورياته ودولته تعمل على قدم وساق فى امتلاك الفضاء فى تسابق محموم مع الولايات المتحدة الأمريكية .

السابع عشر : إن الصحوة الإسلامية المباركة قد أقضت مضاجع اليهود والنصارى ورأوا أنه لابد من مواجهة الخطر الداهم (الأصولية الإسلامية)!! فاتفقوا على توحيد صفوفهم وجهودهم من أجل التصدى لهذا العدو ، ومن الأمثلة الواقعية على هذا الاتفاق أحداث البوسنة والهرسك والشيشان ، فيما يعرف بسياسة التطهير العرقى .

الثامن عشر : ثبت لى أن الجهاد الأفغانى قد ساعد على إنهيار الشيوعية غير أنه ليس السبب الرئيس ولاالأول الذى أدى إلى إنهيارها بل ليس هو السبب الأقوى أو الأول بين الأسباب الخارجية التى عجلت بإنهيار الشيوعية.

التاسع عشر : إن اليهود بعد أن حققوا أهدافهم من وراء الشيوعية رأوا أنه لابد من إسقاطها وجعل العالم يتجه إلى وجهة واحدة تسيطر عليها اليهودية العالمية وبالتالى تتحكم بمصائر الشعوب ومقدراتها وهذا ماتشهد به الساحة الدولية فى وقتنا الحاضر .

العشرون : ثبت أن اليهود خلف الثورة البلشفية ، وخلف إسقاط الشيوعية وإن كانت المسألة الأخيرة تحتاج إلى فترة زمنية طويلة من أجل كشف الحقيقة كاملة عنها . شأنها شأن الأحداث التاريخية .

الحادى والعشرون : إن إنهيار الاتحاد السوفييتى وسقوط الشيوعية فيه دليل على بطلان الفكر الماركسى وعدم إمكان تطبيقه كما أن فيه أبلغ رد على أصحاب الأهواء والتوجهات الإشتراكية . حيث سقطت الدولة الأم لهذا الفكر فماذا بعد هذا البرهان لأصحاب الأهواء والظنون ؟!!

الثانى والعشرون : ثبت بهذا السقوط للشيوعية أنه لايبقى إلا الحق وأن الظلم والطغيان مصيره إلى الزوال مهما طال أمده ، وأن الأنظمة الأرضية بمختلف أشكالها وتوجهاتها مصيرها إلى السقوط بما فى ذلك النظام الرأسمالى .

(ب) **التوصيات** :

أولا : يجب على الأمة الإسلامية استغلال ذلك الحدث فى إبراز محاسن الإسلام وأنه الدين الصالح لكل زمان ومكان .

ثانيا : إن على الأمة الإسلامية قيادة وشعوبا الاهتمام بالجمهوريات الإسلامية(١)، لنشر دين الله تعالى وتعليم أهلها العقيدة الصحيحة ، ونشر العلم بينهم ، وافتتاح المساجد لهم ، وترجمة كتب أهل السنة والجماعة بلغتهم ليتفقهوا فى دين الله تعالى ، ويعبدوه على بصيرة .

ثالثا : يضاف إلى ذلك الاستفادة الإقتصادية والعسكرية من الجمهوريات الإسلامية .

رابعا : على العالم الإسلامى فى خضم هذه المتغيرات الدولية والسيطرة اليهودية على الساحة العالمية التكاتف والتعاون فى مواجهة الأطماع والأهداف اليهودية .

خامسا : على المسلمين أن يتنبهوا لمكر الأعداء وخداعهم ولايظنون أن مايفعله هؤلاء الأعداء القصد منه رعاية قضايا المسلمين أو تحقيق أهدافهم ومصالحهم .

سادسا : على أولئك المهزومين نفسيا والذين تمتلكهم عقدة التقليد ومحاكاة الآخرين لضعف فى نفوسهم أن يعودوا إلى دينهم ، ويعلموا أن الإسلام هو الدين الصالح لكل زمان ومكان ، وأن عز المسلمين فى تمسكهم بدين ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، لافى الأخذ بالأفكار الإشتراكية ولاالأفكار الرأسمالية .

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين .

---

(١) جمعت مادة علمية لابأس بها عن الجمهوريات سواء مايتعلق بتاريخها ، أو إقتصادها ، أو أحداثها بعد مطالبتها بالانفصال وأسأل الله تعالى أن يمكنى من إخراجها فى بحث أو كتيب مستقل .

الفهارس

(١) فهرس الآيات القرآنية .

(٢) فهرس الأحاديث الشريفة .

(٣) فهرس الأعلام .

(٤) فهرس الأديان والمذاهب والفرق .

(٥) فهرس بعض المصطلحات الشيوعية .

(٦) فهرس المصادر والمراجع .

(٧) فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــة	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
ياأيها الناس اعبدوا ربكم	٢١	٤٩٨
الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بنا	٢٢	٤٩٨
وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة	٤٣	٥٦٥
وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة	٨٠	٩
ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم	٨٥	١٥
ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل	٨٧	٨
ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا	١٠٩	١٥٧٨
وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أونصارى	١١١	٩
ولن ترضى عنك اليهود ولاالنصارى حتى تتبع ملتهم	١٢٠	١٧٧٣،٦٨٣، ١٦٢٤
أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى	١٤٠	٩
إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار	١٦٤	٥١٥،٥٠٣، ٧٤٠
وإذا قيل لهم اتبعواماأنزل الله	١٧٠	٧٠٧
ولكم فى القصاص حياة ياأولى الألباب	١٧٩	٦٧٠
وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم	١٩٠	٧١٠
فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر	٢٤٩	١٧٣٣
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض	٢٥٣	٩٣٢

الآيــة	رقمها	الصفحة
لاإكراه فى الدين	٢٥٦	٧٠٦،٧١٠، ١٦٨٤
لله مافى السموات ومافى الأرض	٢٨٤	٥٢٦
آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه	٢٨٥	٥٣٥
لايكلف الله نفسا إلا وسعها	٢٨٦	ع

سورة آل عمران

الآيــة	رقمها	الصفحة
زين للناس حب الشهوات من النساء	١٤	٥٥٨،٥٨٢، ٦٠٢
قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء	٢٦	٩٣٢
يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا	٣٠	٨٥٨
ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه	٨٥	١٥،٥٢٨
ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته	١٠٢	ب
واعتصموا بحبل الله جميعا	١٠٣	١٣٦
ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير	١٠٤	٧٣٩،٧٤١
ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة	١٢٣	١٧٣٨
إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة	١٢٤	١٧٣٨
بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم	١٢٥	١٧٣٨
وماجعله الله إلا بشرى لكم	١٢٦	١٧٣٨
ولله مافى السموات ومافى الأرض	١٢٩	١٠٤١
ولقد صدقكم الله وعده	١٥٢	١١٣٠
فبما رحمة من الله لنت لهم	١٥٩	٨٢٨
الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم	١٧٣	١٧٣٩

الآيــة	رقمها	الصفحة
فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء	١٧٤	١٧٣٩
ولايحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم	١٧٨	٤٢٦
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم	١٩١	٥١٥

سورة النساء

الآيــة	رقمها	الصفحة
ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة	١	ب،٥٨٦،٥٨٣
ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل	٢٩	٦٧١
الرجال قوامون على النساء	٣٤	٩٧٩
ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول	٥٩	٨٢٦،٨٢٢
إناأنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس	١٠٥	٨٢٢
وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا	١٢٨	٥٥٨
وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما	١٥٦	١٠
وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم	١٥٧	١٠
بل رفعه الله إليه	١٥٨	١٠

سورة المائدة

الآيــة	رقمها	الصفحة
ياأيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله	٢	١٠٤٣
فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية	١٣	١٢،٧
وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه	١٨	٨
أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما	٥٠	١٠٤٠
ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء	٥١	١٥٧٨
وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس	١١٦	١٣
ماقلت لهم إلا ماأمرتنى به	١١٧	١٣

الآيــة	رقمها	الصفحة
سورة الأنعام		
فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء	٤٤	٤٢٦
فقطع دابر القوم الذين ظلموا	٤٥	٤٢٦
وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا	١٢٩	٤٢٣
وهو الذى جعلكم خلائف الأرض	١٦٥	٩٦٨
سورة الأعراف		
إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض	٥٤	٤٠٨
لقد أرسلنا نوحا إلى قومه	٥٩	٤١٣،٤٦٠
قال الملأ من قومه	٦٠	٤١٣
قال ياقوم ليس بى ضلالة	٦١	٤١٣
أبلغكم رسالات ربى	٦٢	٤١٣
أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم	٦٣	٤١٣-٤١٤
فكذبوه فأنجيناه والذين معه	٦٤	٤١٤
وإلى عاد أخاهم هودا	٦٥	٤١٥
قال الملأ الذين كفروا من قومه	٦٦	٤١٥
قال ياقوم ليس بى سفاهة	٦٧	٤١٥
أبلغكم رسالات ربى	٦٨	٤١٥
أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم	٦٩	٤١٥
قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده	٧٠	٤١٥
قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب	٧١	٤١٥
وإلى ثمود أخاهم صالحا	٧٣	٤١٦
واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد	٧٤	٤١٦
قال الملأ الذين استكبروا من قومه	٧٥	٤١٦

الآيـــة	رقمها	الصفحة
قال الذين استكبروا	٧٦	٤١٦
فعقروا الناقة	٧٧	٤١٦
فأخذتهم الرجفة	٧٨	٤١٦
فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم	٧٩	٤١٦
وقال الملأ الذين كفروا من قومه	٩٠	٤١٨
فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين	٩١	٤١٨
فانتقمنامنهم فأغرقناهم فى اليم	١٣٦	٤١٩
وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر	١٣٨	٨
ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا	١٤٩	٤٣٠
الذين يتبعون الرسول النبى الأمى	١٥٧	١٢٦
وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم	١٧٢	٤٥٦،٤٥٢
أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض	١٨٥	٥١٣
هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها	١٨٩	٥٨٣
ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها	١٩٥	١٧٣٩
إن ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين	١٩٦	١٧٣٩

سورة الأنفال

الآيـــة	رقمها	الصفحة
إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم	٩	٥١١
ياأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول	٢٧	٨٦٦
ليميز الله الخبيث من الطيب	٣٧	١١٢
وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة	٣٩	١٦٨٢،٧١١
وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل	٦٠	١٣٤٢
وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافى الأرض جميعا ماألفت بين قلوبهم	٦٣	١٣٧

الآيـــة	رقمها	الصفحة
سورة التوبة		
لايرقبون فى مؤمن إلا ولاذمة	١٠	٦٨٣
قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم أحب إليكم من الله ورسوله	٢٤	١٦٨٢
وقالت اليهود عزير ابن الله	٣٠	٨
اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله	٣١	١٣
إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها	٦٠	٦٦٥
وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون	١٠٥	٨٦٦،٨٥٨
وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة	١٢٢	٧٦٣
ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار	١٢٣	١٦٨٢
سورة يونس		
هو الذى يسيركم فى البر والبحر	٢٢	٤٦١،٤٥٢
ومايتبع أكثرهم إلا ظنا	٣٦	٦٧٣
ولو شاء ربك لأمن من فى الأرض كلهم جميعا	٩٩	١٦٨٤،٧٠٦
سورة هود		
وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة	٦٠	٤١٦
فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها	٨٢	٤١٧
مسومة عند ربك وماهى من الظالمين ببعيد	٨٣	٤١٨،٤١٧
وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة	١٠٢	٤١٩
ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة	١١٨	٩٣٢
إلا من رحم ربك	١١٩	٩٣٢

الآيــة	رقمها	الصفحة
سورة يوسف		
ومايؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون	١٠٦	٤٥٣
لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب	١١١	٤١٠
سورة الرعد		
الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها	٢	٥١٣
له معقبات من بين يديه ومن خلفه	١١	٤٢٥
أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها	١٧	٤٢١
ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا	٣٨	٦٠١
وإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك	٤٠	٧٠٧
سورة إبراهيم		
ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق	١٩	٥١٣
سورة الحجر		
إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون	٩	٥٣٠
سورة النحل		
ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا	٣٦	٤٦٠
والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق	٧١	٩٦٨
والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا	٧٢	٥٨٣
من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياةطيبة	٩٧	٥٥٨
من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان	١٠٦	٦٧٣

الآيـــة	رقمها	الصفحة
سورة الإسراء		
ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك	٢٩	١٠٤٦
ولاتقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق	٣٣	٦٧٠
أو خلقا مما يكبر فى صدوركم	٥١	٤٥٠
وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن	٥٣	٧٤٣
ولقد كرمنا بنى آدم	٧٠	٧٤٠،٦٦٩
وقل جاء الحق وزهق الباطل	٨١	،٥٥٤،٤٤٥ ١٣٣٨
سورة الكهف		
وقل الحق من ربكم	٢٩	٧٠٦
ومامنع الناس أن يؤمنوا	٥٥	٤١٠
وتلك القرى أهلكناهم	٥٩	٥٥٤
سورة مريم		
ماكان لله أن يتخذ من ولد	٣٥	١٣
سورة الأنبياء		
وماأرسلنا من قبلك من رسول إلأ نوحى إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون	٢٥	٤٦١
ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له	٧٦	٥١١
وزكريا إذ نادى ربه رب لاتذرنى فردا	٨٩	٦٠٢
سورة الحج		
أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا	٣٩	٧١٠

الآيـــة	رقمها	الصفحة
سورة المؤمنون		
ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين	١٢	٥٠٦
ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين	١٣	٥٠٦
ثم خلقنا النطفة علقة	١٤	٥٠٦
فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا	٢٧	٤١٥
سورة النور		
ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا	٢٧	٦٧٣
فإن لم تجدوا فيها أحدا فلاتدخلوها	٢٨	٦٧٣
سورة الفرقان		
والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا	٦٧	١٠٤٦،٥٦٣
سورة الشعراء		
فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون	١١٩	٤١٥
ثم أغرقنا بعد الباقين	١٢٠	٤١٥
كذبت ثمود المرسلين	١٤١	٤١٧
إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون	١٤٢	٤١٧
كذبت قوم لوط المرسلين	١٦٠	٤١٧
سورة النمل		
وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا	١٤	٤١٨، ٤٥٣، ٤٦٠

الآيـــة	رقمها	الصفحة
فانظر كيف كان عاقبة مكرهم	٥١	٤١٧
فتلك بيوتهم خاوية	٥٢	٤١٧
وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون	٥٣	٤١٧

سورة القصص

الآيـــة	رقمها	الصفحة
وقال فرعون ياأيها الملأ ماعلمت لكم من إله غيرى	٣٨	٤١٩
وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة	٧٧	١٠٤٦

سورة العنكبوت

الآيـــة	رقمها	الصفحة
أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل	٢٩	٤١٧

سورة الروم

الآيـــة	رقمها	الصفحة
يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى	١٩	٥٠٦
ومن آياته أن خلقكم من تراب	٢٠	٥٠٦
ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا	٢١	٥٠٦،٥٨٣، ٦٠١
ومن آياته خلق السموات والأرض	٢٢	٥٠٦
ومن آياته مناكم بالليل والنهار	٢٣	٥٠٦
ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا	٢٤	٥٠٦
ومن آياته أن تقوم السماء والأرض	٢٥	٥٠٦
وله من فى السموات والأرض	٢٦	٥٠٦
وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده	٢٧	٥٠٧
فأقم وجهك للدين حنيفا	٣٠	٤٥١،٤٥٥، ٤٥٧

الآيــة	رقمها	الصفحة
سورة لقمان		
وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه	١٣	٤٠٩
ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله	٢٥	٤٥٨،٤٥٣
سورة الأحزاب		
ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم	٩	١٧٣٨
إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات	٣٥	٥٨٦
سنة الله فى الذين خلوا من قبل	٦٢	٤١٢،٤٠٩
ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله	٧٠	ب
يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم	٧١	ب
سورة فاطر		
الحمد لله فاطر المسوات والأرض	١	٤٥١،٤٥٠
ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك	٢٨	٧٦٠،٥٤٢
إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا	٤١	١٠٧٨،٥١٣
استكبارا فى الأرض ومكر السىء	٤٣	،٥٥٥،٤٢٣ ١٣٣٨
سورة يس		
لاالشمس ينبغى لها أن تدرك القمر	٤٠	،٥٠٧،٤٠٨ ٥١٥
وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله	٤٧	٥٦٢

الآيـــة	رقمها	الصفحة
سورة الزمر		
ألا لله الدين الخالص	٣	٤٥٨
أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما	٩	٧٦١
ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون	٢٩	٥٤٥
سورة فصلت		
قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض	٩	٥١٣
من عمل صالحا فلنفسه ومن أساءفعليها	٤٦	٨٥٨
سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفهسم	٥٣	٥١٣
سورة الشورى		
ذلك الذى يبشر الله عباده	٢٣	١٣٣
والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة	٣٨	٨٢٨
سورة الزخرف		
بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة		
وإنا على آثارهم مهتدون	٢٢	٣٥٩
وكذلك ماأرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال	٢٣	٣٥٩
أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم	٣٢	٩٦٨
سورة محمد		
ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم	٧	١٧٣٨،١٧٤٠،
سورة الفتح		
لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة	١٨	٨٢٧

الآيــة		رقمها الصفحة
سورة الحجرات		
ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا	٦	٦٧٣
ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن	١٢	٦٧٣
ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى	١٣	٦١٩،٦٢٥، ٩٦٧
سورة الذاريات		
والذاريات ذروا	١	٥١٦
وفى الأرض آيات للموقنين	٢٠	٥٠٦
وفى أنفسكم أفلا تبصرون	٢١	٥٠٦
سورة الطور		
والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم	٢١	١٠٤٣
فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين	٣٥	٥٠٤
أم عندهم خزائن ربك أمهم المصيطرون	٣٧	٥٠٤
سورة النجم		
وأن ليس للإنسان إلا ماسعى	٣٩	١٠٤٣
سورة القمر		
وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر	٣	٤١٢
ولقد تركناها آية فهل من مدكر	١٥	٤١٥
كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر	١٨	٤١٦
فكيف كان عذابى ونذر	٢١	٤١٦

الآيـــة	رقمها	الصفحة
سورة الواقعة		
أفرأيتم ماتمنون	٥٨	٥٠٦
أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون	٥٩	٥٠٦
أفرأيتم ماتحرثون	٦٣	٥٠٦
أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون	٦٤	٥٠٦
سورة الحديد		
هو الأول والآخر والظاهر والباطن	٣	١٠٧١
آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا	٧	٥٦٣
سورة المجادلة		
ياأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا	١١	٧٦٠
لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله	٢٢	١٣٣٨
سورة الصف		
ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم	١٠	١٦٨٢
تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله	١١	١٦٨٢
سورة المنافقون		
وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت	١٠	٥٦٢

الآيـــة	رقمها	الصفحة
سورة الملك		
هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها	١٥	٨٧١
ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير	١٩	٥١٣
سورة القلم		
ن . والقلم ومايسطرون	١	٧٦٠
سورة الحاقة		
وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية	٦	٤١٦
سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما	٧	٤١٦
فهل ترى لهم من باقية	٨	٤١٦
سورة المعارج		
والذين فى أموالهم حق معلوم	٢٤	٥٥٨
للسائل والمحروم	٢٥	٥٥٨
سورة نوح		
ومكروا مكرا كبارا	٢٢	٤١٥
وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتزرن ودا ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسرا	٢٣	٤١٥
سورة الإنسان		
إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا	٢٩	١١٣٠
وماتشاؤون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما	٣٠	١١٣٠

الآيـــة	رقمها	الصفحة
سورة النبأ		
ألم نجعل الأرض مهادا	٦	٥١٤
والجبال أوتادا	٧	٥١٤
وخلقناكم أزواجا	٨	٥١٤
وجعلنا نومكم سباتا	٩	٥١٤
وجعلنا الليل لباسا	١٠	٥١٤
وجعلنا النهار معاشا	١١	٥١٤
وبنينا فوقكم سبعا شدادا	١٢	٥١٤
وجعلنا سراجا وهاجا	١٣	٥١٤
وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا	١٤	٥١٤
لنخرج به حبا ونباتا	١٥	٥١٤
وجنات ألفافا	١٦	٥١٤
سورة الإنفطار		
إذا السماء انفطرت	١	٤٥٠
سورة البروج		
والسماء ذات البروج	١	٥١٦
سورة الغاشية		
فذكر إنما أنت مذكر	٢١	٧٠٧
لست عليهم بمصيطر	٢٢	٧٠٧
سورة الفجر		
وتحبون المال حبا جما	٢٠	٥٦٠

الآيـــة	رقمها	الصفحة
سورة التين		
لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم	٤	٢٦٤
سورة العلق		
اقرأ باسم ربك الذى خلق	١	٧٦٠
خلق الإنسان من علق	٢	٧٦٠
اقرأ وربك الأكرم	٣	٧٦٠
الذى علم بالقلم	٤	٧٦٠
علم الإنسان مالم يعلم	٥	٧٦٠
سورة الزلزلة		
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره	٧	٨٥٨
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره	٨	٨٥٨

فهرس الأحاديث الشريفة
مرتبة على الحروف

الحديث	الصفحة
(أ)	
إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم	٨٢٤
الدين النصيحة	٧٤١
اسمعوا وأطيعوا	٨٢٦
السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره	٨٢٦
اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه	٦٧٢
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لاإله إلا الله	٥٥٩
المسلمون شركاء فى ثلاث	٥٦٨
إن إخوانكم خولكم	٨٦٢
إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة	٤٥٢
(ب)	
بايعنا على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا	٨٢٦
بعثت بجوامع الكلم	١٣٤٢، ١٣٤٣
(خ)	
خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش	٥٨٤
(ف)	
فمن رغب عن سنتى فليس منى	٥٨٤

الحديث	الصفحة
(ك)	
كل المسلم على المسلم حرام	٦٧٠
كلكم راع ومسئول عن رعيته	٨٦٤
كل مال نحلته عبدا حلالا	٤٥٤
(ل)	
لأن يأخذ أحدكم أحبلا فيأخذ حزمة من حطب فيبيع	٨٥٩
لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا	٥٦٠
(م)	
ماأكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده	٨٥٩
مامن مولود إلا يولد على الفطرة	٢٣٠
من رأى منكم منكرا فليغيره	٧٤١
من سلك طريقا يطلب منه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة	٧٦١
من قتل دون ماله فهو شهيد	٦٧١
من مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية	٨٢٣
(ى)	
يامعشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج	٥٨٣

فهرس الأعلام المترجم لهم [١]

الاسم	الصفحة
(أ)	
ابيقور	٣٦٠
إسحاق نيوتن	٩٧
آسية بنت مزاحم	٥٣٧
أفلاطون	١١٤
اندروبوف	١٢١٨-١٢١٩
أوجست كومت	٢٤٩
(ب)	
بابك الخرمى	١٢٧
بابيف	١٤٥
بدماير	١٧٤
برنشتين	١٥٧-١٥٨
برونو	٩٦
بريجنيف	١٢١٤
بولس	١٠
بيكون	١٠٧

(١) اكتفيت بذكر رقم الصفحة التى وردت بها الترجمة .

الاسم	الصفحة
(ت)	
تروتسكى	٨٤
ترومان	٣٠٨
تشرشل	١٣٦٧
تشرنينكو	١٢٢٣-١٢٢٤
توماس مور	١٤١
تيودور هرتزل	٢٦٨
(ج)	
جاليليو	٩٧
جودين	٦٦٠
جون لوك	١٨٠
(خ)	
خروشوف	١١٩٩-١٢٠٠
(د)	
دارون	٢٥٧
ديكارت	١٠٢
ديموقريطس	٣٥٩
(ر)	
روبرت أوين	١٥١
روزفلت	٢٩٢

الاسم	الصفحة
ريكاردو	٢٥٤
(ز)	
زرادشت	١٣٦
(س)	
سان سيمون	١٤٨
سبنسر	٣٦٢
ستالين	١١٨١
(ش)	
شارل فورييه	١٥٠
شوبنهاور	٣٦١
شيلنج	٣٥٣
(ع)	
السلطان عبد الحميد	٢٧٤
عبد الرحمن بن عوف	٥٣٧
عثمان بن عفان	٥٣٧
(غ)	
غورباتشوف	١٢٢٦

الاسم	الصفحة
(ف)	
فردريك انجلز	٢٤٠-٢٤١
فيشته	٣٥٢
فيورباخ	٣٦٤
(ق)	
قسطنطين	١٦
قطز	١٣٤٤
(ك)	
كابتزا	٨٦٩
كالفن	٥٩
كامبانيلا	١٤٣
كامينيف	٢٩٣
كانت	١٠١
كاوتسكى	١٧٦
كوبرنيكوس	٩٦
كوجلمان	٢٤٦
كومت	١٠٥
(ل)	
لينين	١١٥٤

الاسم	الصفحة
(م)	
مابلی	١٤٤
مارتن لوثر	٥٦
مانی	١٣٦
محمد بن عبدالوهاب	٥٢٥
محمد داود	١٧٠٢
محمد ظاهر شاه	١٧٠٠
محمد وست خان	١٦٩٣
مورلی	١٤٣
میخایلوفسکی	٣٧٧
(ن)	
نادر خان	١٧٠٠
نجیب الله	١٧١٣
نور محمد تراقی	١٧٠٧
نیتشه	٣٦٢
(هـ)	
هس	٦١
هوبز	٣٦٠
هیوم	٣٦١
(و)	
وکلیف	٦١

فهرس الأديان والمذاهب والفرق

	الصفحة
البابكية	١٣٨
الباطنية	١٢٦
الشيوعية	١٦٢
الإشتراكية	١٩٤
الصهيونية	٢٧١
القرامطة	١٢٩
الماركسية	١٦٢
الماسونية	٢٩١-٢٩٢
المذهب التجريبى	١٠٦
المزدكية	١٢٠
المسيحية	١٠
اليهودية	٧

فهرس بعض المصطلحات الشيوعية

البروليتاريا	١٧٢
البيريسترويكا	١٢٤٢
الأممية	٢١٦
التأميم	٢٠٦
التحريفية	٢١٩
دكتاتورية البروليتاريا	١٧٢
الشوفينية	٢٢١
الطوباوية	١٤٠
الغلاسنوست	١٢٤٤
الفابية	١٥٩
الانتهازية	٢١٩

فهرس المراجع والمصادر

(١) القرآن الكريم .

(٢) الله يتجلى فى عصر العلم ، مجموعة من العلماء الأمريكان ، ترجمة د. الدمرداش عبد المجيد سرحان ، دار العلم ، بيروت ، لبنان .

(٣) الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، د. جمعة الخولى ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

(٤) أجنحة المكر الثلاثة ، عبد الرحمن الميدانى ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

(٥) أحجار على رقعة الشطرنج ، وليام غاى كار ، ترجمة سعيد جزائرى ، الطبعة الثانية عشرة ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .

(٦) احذروا الأساليب الحديثة فى مواجهة الإسلام ، د. سعد الدين صالح ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع.

(٧) الأحكام السلطانية ، الماوردى ، دار الفكر .

(٨) الأخوة الزائفة ، جاك تنى ، ترجمة أحمد اليازورى ، الطبعة الخامسة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع .

(٩) الأدلة والقواطع والبراهين فى إبطال أصول الملحدين ، عبد الرحمن الناصر بن سعدى ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزئع .

(١٠) آراء غربية فى مسائل شرقية ، عمر فاخورى ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٥م بيروت .

(١١) أركان حقوق الإنسان ، د. صبحى المحمصانى ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩م ، دار العلم للملايين ، بيروت .

(١٢) أزمتنا الحضارية فى ضوء سنة الله فى الخلق ، د. أحمد كنعان ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ ، طبع رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر .

(١٣) أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، ابن الأثير ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
(١٤) أسس الإقتصاد ، أبو الأعلى المودودى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، الدار السعودية للنشر والتوزيع .
(١٥) الاستخبارات السوفيتية فى العالم ، كريستوفر اندرو ، اوليغ غورديسكى ، ترجمة هنادى السمرا ، رينا شربل ، نادر عسيران ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، دار الحقيقة للطباعة والنشر .
(١٦) استراتيجية التنمية السوفتيية الجديدة ، بسام خليل ، ١٩٨٦م ، دار الفارابى ، بيروت ، لبنان .
(١٧) الاستراتيجية الإسرائيلية ، د. غازى إسماعيل ربابعه ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م ، مكتبة المنار ، الأردن ، الزرقاء .
(١٨) استيقاظ آسيا ، لينين ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧٠م .
(١٩) أسرار الإنقلاب العثمانى ، مصطفى طوران ، ترجمة كمال خوجه ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة .
(٢٠) إسرائيل إلى أين ، ناحوم غولدمان ، ترجمة د. نسيم الخورى ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م/١٤٠٥هـ ، دار المشرق العربى الكبير ، بيروت .
(٢١) الأسرة فى الإسلام ، د. مصطفى عبد الواحد ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، دار البيان العربى ، جدة .
(٢٢) إسلام لاشيوعية، د. عبد المنعم النمر ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ، دار غريب للطباعة ، القاهرة .
(٢٣) الإسلام أثره فى الحضارة وفضله على الإنسانية ، أبو الحسن الندوى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، دار المنارة للنشر والتوزيع ، جدة ، المملكة العربية السعودية .
(٢٤) الإسلام دين الفطرة ، إبراهيم الجبالى ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م مكتبة الهدى ، حلب .

(٢٥) الإسلام فى السنغال ، أحمد التيجانى سى ، دار مكتبة الحياة ، بيروت.
(٢٦) الإسلام فى جه الزحف الأحمر ، محمد الغزالى ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، صيدا .
(٢٧) الإسلام لاشيوعية ولارأسمالية ، البهى الخولى ، دار الفتح .
(٢٨) الإسلام وأزمة الغرب ، رجاء جارودى ، ترجمة د. رفيق المصرى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع .
(٢٩) الإسلام والمناهج الإشتراكية ، محمد الغزالى ، الطبعة الثانية ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .
(٣٠) الإسلام وحقوق الإنسان ، د. القطب محمد القطب ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، دار الفكر العربى .
(٣١) الإسلام ومشكلات الحضارة ، سيد قطب ، الطبعة التاسعة ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، دار الشروق .
(٣٢) الإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ، ترجمة ظفر الإسلام خان ، د. عبد الصبور شاهين ، الطبعة الأولى ، المختار الإسلامى .
(٣٣) الإسلام يرفض الشيوعية ، د. محمد عبد المنعم خفاجى ، دار المنار للنشر والتوزيع .
(٣٤) الإسلام يقينا لاتلقينا ، د. صابر طعيمة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، دار الجيل ، بيروت .
(٣٥) الإسلام ومبادىء نظام الحكم ، د. عبد الحميد متولى ، منشأة المعارف بالاسكندرية .
(٣٦) الأشباه والنظائر ، السيوطى ، الطبعة الأخيرة ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م ، شركة مطبعة مصطفى الحلبى ، مصر .
(٣٧) إشتراكيتهم وإسلامنا ، بشير العوف ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٦م ، مؤسسة الإنتاج الطباعى ، بيروت .
(٣٨) الإشتراكية البناءة، هنرى ده مان ، ترجمة غياث حجار ، ١٩٦٢م ، دار الاتحاد ، بيروت .

(٣٩) الإشتراكية العربية ، يحي الجمل ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠م ، دار المسيرة بيروت .
(٤٠) الإشتراكية على مشارف القرن الواحد والعشرين ، مجموعة من المؤلفين ترجمة منير غانم ، حسن خضر ، وليد الهليس ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م ، دار البراق للنشر ، تونس .
(٤١) الإشتراكية فى التجارب العربية ، طائفة من المفكرين ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٥م ، دار الكتاب الجديد .
(٤٢) الإشتراكية والحرب ، ادوارد كارول ، نقله للعربية موريس صقر ، الطبعة الأولى ، ١٩٦١م ، دار العلم للملايين ، بيروت .
(٤٣) أصل الأنواع ، تشارلز داروين ، ترجمة إسماعيل مظهر ، مكتبة النهضة ، بيروت .
(٤٤) إصلاح إجتماعى أم ثورة ، روزا لوكسمبورغ ، دار دمشق للطباعة والنشر .
(٤٥) الأصول الوثنية للمسيحية ، إدغارويند ، كارل غوستاف يونغ ، ترجمة سميرة عزمى الزين ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، منشورات المعهد الدولى للدراسات الإنسانية .
(٤٦) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، الإمام ابن القيم ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ، لبنان .
(٤٧) الأعمال العربية الكاملة ، أمين الريحانى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
(٤٨) إغاثة اللهفان ، ابن القيم ، دار الفكر .
(٤٩) الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام ، عبد الله التل ، الطبعة الثانية ، المكتب الإسلامى ، بيروت .
(٥٠) أفغانستان ، محمود شاكر ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، المكتب الإسلامى ، بيروت .

(٥١) أفغانستان الجرح والأمل ، د. عبد القادر طاش ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، دار حافظ للنشر والتوزيع ، جدة .
(٥٢) الأفغان الحمر ، أحمد موفق زيدان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، مطابع اخوان ، جدة .
(٥٣) أفغانستان والإجتياح الروسى ، محمود المرداوى ، شركة الشعاع للنشر الكويت .
(٥٤) أفكار ماركسية فى الميزان ، طارق حجى ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، مطبوعات الاتحاد الدولى للبنوك الإسلامية .
(٥٥) إفلاس الأممية الثانية ، لينين ، ١٩٧٠م ، دار التقدم ، موسكو .
(٥٦) أفلاطون فى الإسلام ، د. عبد الرحمن بدوى ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠م دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع .
(٥٧) إقتصادنا ، محمد باقر الصدر ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، دار التعارف للمطبوعات بيروت .
(٥٨) الإقتصاد الإسلامى مبادىء وأهداف ، د. عبد الله الطريقى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ ، توزيع مكتبة الحرمين .
(٥٩) الاكتساب فى الرزق المستطاب ، محمد بن الحسن الشيبانى ، تحقيق محمود عرنوس ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان .
(٦٠) الإمامة العظمى ، د. عبد الله بن عمر الدميجى ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩هـ ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض .
(٦١) الإمبراطورية الرومانية ، النظام الإمبراطورى ومصدر الرومانية ، د. مصطفى العبادى ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٨١م .
(٦٢) الأمريكيون ، ميشال جوبيرا ، ترجمة وجيه البعينى ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس .
(٦٣) أملى ، رايسا غورباتشوف ، كتاب الشرق الأوسط ، الشركة السعودية للأبحاث والنشر .

(٦٤) انتى دوهرنغ ، فردريك انجلز ، ترجمة فؤاد أيوب ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨١م ، دار دمشق للطباعة والنشر .
(٦٥) الإنسان بين المادية والإسلام ، محمد قطب ، الطبعة الحادية عشرة ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، دار الشروق .
(٦٦) الإنسان ذلك المجهول ، اليكس كاريل ، تعريب شفيق أسعد ، ١٩٨٤م مكتبة المعارف ، بيروت .
(٦٧) الإنسان فى ظل الأديان ، د. عمارة نجيب ، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م ، مكتبة المعارف ، الرياض .
(٦٨) الإنسان فى القرآن الكريم ، العقاد ، المكتبة العصرية ، بيروت .
(٦٩) الإنسان وحريته فى الإسلام ، د. محمود بابللى ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
(٧٠) الأنظمة السياسية المعاصرة ، د. يحي الجمل ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت .
(٧١) الإنقلاب ، ميخائيل غورباتشوف ، ترجمة د. سامى عمارة ، الشركة السعودية للأبحاث والنشر .
(٧٢) إنهيار الشيوعية أمام الإسلام ، د. سعد الدين صالح ، ١٩٨٩م ، دار الأرقم .
(٧٣) الإنهيار (إنهيار الشيوعية) ، سامى محمد الدلال ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ، دار المؤتمن للنشر والتوزيع .
(٧٤) أوروبا فى بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة ، د. عبد المجيد نعنعى ، ١٩٨٣م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت .
(٧٥) أوضاعنا السياسية ، عبد القادر عوده ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(٧٦) بالسيف أمريكا وإسرائيل ، ستيفن غرين ، ترجم بإشراف محمود زايد الطبعة الثانية ، ١٩٨٩م/١٤٠٩هـ ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، لبنان .
(٧٧) البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، دار الريان للتراث .
(٧٨) بروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة محمد خليفة التونسى ، الطبعة السابعة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان .
(٧٩) بشائر الإيمان فى جهاد الأفغان ، أحمد بن عبد العزيز الحصين ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م/١٤٠٧هـ ، مكتبة البخارى .
(٨٠) بصدد الجملة الثورية ، لينين ، ١٩٦٨م ، دار التقدم ، موسكو .
(٨١) بطولة المرأة المسلمة ، بنت الهدى ، دون ذكر لمعلومات الطبع أو النشر .
(٨٢) بنية الثورات العلمية ، توماس كولين ، ترجمة شوقى جلال ، سلسلة عالم المعرفة ، ١٦٨ ، الكويت .
(٨٣) بؤس الفلسفة ، نقله إلى العربية حنا عبود ، دار دمشق للطباعة والنشر.
(٨٤) البابن الشيوعى ، الشركة اللبنانية لكتاب بيروت ، لبنان .
(٨٥) البيريسترويكا من منظور إسلامى ، فتحى يكن ، منى حداد ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع .
(٨٦) بين الدين والعلم ، عبد الرزاق نوفل ، الطبعة الأولى ، مكتبة وهبة .
(٨٧) تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر .
(٨٨) تاريخ الأمم والملوك ، ابن جرير الطبرى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
(٨٩) تاريخ الثورة الفرنسية ، ألبير سوبول ، ترجمة جورج كوسى ، الطبعة الرابعة ، منشورات البحر المتوسط ، بيروت ، باريس .

(٩٠) تاريخ الحضارة الإسلامية ، ف.بارتولد ، ترجمة حمزة طاهر ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٥م ، دار المعارف ، القاهرة .

(٩١) تاريخ الديالكتيك ، الفلسفة الكلاسيكية الألمانية ، مجموعة من المؤلفين، ترجمة د. نزار عيون السود ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م ، دار دمشق للطباعة والنشر .

(٩٢) التاريخ الدبلوماسى ، ج.ب. دروزيل ، تعريب د.نور الدين ، حاطوم ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، دار الفكر ، دمشق .

(٩٣) التاريخ العسكرى ، د. طلال عامر المهتار ، دون ذكر لمعلومات الطبع أو النشر .

(٩٤) تاريخ الفكر الإقتصادى ، د. شقير لبيب ، دار نهضة مصر للطبع والنشر .

(٩٥) تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٩٦) التاريخ اليونانى ، د. عبد اللطيف أحمد على ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٦م .

(٩٧) تاريخ النظريات الإقتصادية ، مجموعة من المؤلفين السوفييت ، ترجمة ماجد البطح ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م ، دار دمشق للطباعة والنشر .

(٩٩) تاريخ الولايات المتحدة منذ ١٩٤٥م ، دانيال دافيز ، نورمان لنجر ، ترجمة عبد العليم الأبيض ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م ، الدار الدولية للنشر والتوزيع .

(٩٩) التبيان فى أقسام القرآن ، الإمام ابن القيم ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .

(١٠٠) تجربة عربى فى الحزب الشيوعى ، قدرى قلعجى ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، دار الكتاب العربى ، بيروت .

(١٠١) الاتحاد السوفييتى فى ظل غورباتشوف ، ارنست ماندل ، ترجمة بولا الخورى ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م ، دار الواحة ، بيروت ، لبنان .

(١٠٢) الاتحاد السوفييتى إلى أين فى ظل غورباتشوف ، ارنست ماندل ، ترجمة كميل داغر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م ، دار الفارابى ، بيروت ، لبنان .
(١٠٣) التحالف بين العمال والفلاحين ، لينين ، دار التقدم ، موسكو .
(١٠٤) تحت راية الإسلام ، نجيب الكيلانى ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع .
(١٠٥) التحدى العالمى ، جان جاك شرايبر ، ترجمة فيكتور سحاب ، إبراهيم العريس ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
(١٠٦) التضليل الإشتراكى ، د. صلاح المنجد ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٥م ، دار الكتاب الجديد .
(١٠٧) التطور والثبات فى حياة البشرية ، محمد قطب ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، دار الشروق .
(١٠٨) تعاليم الماركسية ، انجلز ، ترجمة فواز طرابلسى ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٧م ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت .
(١٠٩) التعليم فى الاتحاد السوفييتى ، كاونتس ، ترجمة محمد بدران ، مكتبة الأنجلو المصرية .
(١١٠) تفسير القرآن العظيم ، الحافظ ابن كثير ، دار الدعوة .
(١١١) تقرير من أفغانستان ، جيرار شاليان ، ترجمة أميرة ، كيوان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م ، دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
(١١٢) تكوين الصهيونية ، خالد الشقطينى ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
(١١٣) تلبيس ابليس ، ابن الجوزى ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
(١١٤) التملك فى الإسلام ، حمد الجنيدل ، عالم الكتب ، الرياض .

(١١٥) التنظيم الدولى ، د. الشافعى محمد بشير ، ١٤١٠هـ/١٩٨٠م ، مكتبة الجلاء الجديدة .
(١١٦) تهافت الفكر المادى التاريخى ، د. محمد البهى ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، متبة وهبة .
(١١٧) التوراة تاريخها وغاياتها ، ترجمة سهيل ديب ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، دار النفائس ، بيروت .
(١١٨) التيارات السياسية المعاصرة ، د. عبد الحميد البطريق ، الطبعة الأولى ١٩٧٤م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت .
(١١٩) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى ، ١٤١٠هـ ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .
(١٢٠) الثنائية الدولية ، د. دعد بوملهب عطا الله ، ١٩٩١م ، مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان .
(١٢١) الجاسوسية والجاسوسية المضادة ، بليدو فسكاوبلوخ ، ترجمة حكمت البعينى ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٢م ، منشورات البحر المتوسط ، بيروت لبنان .
(١٢٢) جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .
(١٢٣) جاهلية القرن العشرين ، محمد قطب ، الطبعة الثانية عشرة ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ، دار الشروق .
(١٢٤) جذور البلاء ، عبد الله التل ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
(١٢٥) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين، محمد على يوسف ، ١٩٦٦م ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .
(١٢٦) جمهورية أفلاطون ، نقلها إلى العربية حنا خباز ، دار أسامة ، دمشق بيروت .

(١٢٧) الجهاد الأفغاني ودلالاته ، محمد قطب ، الطبعة الثانية ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر ، جدة .
(١٢٨) جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي ، د. محمود عبد الحليم عثمان ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، مكتبة المعارف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
(١٢٩) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق مجدى قاسم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ، توزيع مكتبة البلد الأمين .
(١٣٠) الأجور والأسعار والأرباح ، كارل ماركس ، دار التقدم ، موسكو .
(١٣١) حاضر العالم الإسلامى ، د. على جريشة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، جدة .
(١٣٢) الحجاب ، أبو الأعلى المودودى ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، الدار السعودية للنشر والتوزيع .
(١٣٣) حذار لاهم تقدميون ولاعلميون ولاموضوعيون ، مصطفى محمود ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، المختار الإسلامى للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة .
(١٣٤) الحرب ، محمد أسد الله صفا ، الطبعة الثانية ، دار الرؤية العلمية للطباعة والنشر .
(١٣٥) الحرب الثورية الشيوعية ، صلاح نصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥م ، الوطن العربى .
(١٣٦) الحرب العالمية الثالثة ، جون هاكيت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤م ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر .
(١٣٧) الحرب العالمية الثالثة ، الجزال فيكتور فرنر ، ترجمة د. هيثم الكيلانى ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

(١٣٨) الحرب العالمية الثانية ، رمضان لاوند ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية عشرة ، ١٩٨٨م .
(١٣٩) حرب الفلاحين فى المانيا ، فدردريك انجلز ، تعريب محمد أبو خضور دار دمشق للطباعة والنشر .
(١٤٠) الحرب فى الفضاء ، اللواء خضر الدهراوى ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م دار المريخ للنشر ، الرياض .
(١٤١) حرب المخابارت بين المخابرات الأمريكية والروسية ، سيلينا بليدوسكا وجوناثان بلوتش ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م ، دار الرشيد ، دمشق .
(١٤٢) حرب المائة ثانية ، بيير غالوا ، ترجمة جبرائيل بيطار ، الطبعة الاولى ١٩٨٨م ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق .
(١٤٣) حرب النجوم تكنولوجيا وآفاق ، اللواء الكرن عبد الله سيد أحمد ، العميد الركن طلعت نورى ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨م ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .
(١٤٤) الحرب النفسية ، د. أحمد نوفل ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، دار الفرقان للنشر والتوزيع .
(١٤٥) حركات ومذاهب فى ميزان الإسلام ، فتحى يكن ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع .
(١٤٦) الحركات الباطنية فى العالم الإسلامى ، د. محمد أحمد الخطيب ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، مكتبة الأقصى للنشر والتوزيع .
(١٤٧) الحريات العامة فى الإسلام ، محمد سليم محمد ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية .
(١٤٨) الحسبة فى الإسلام ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، دار الفكر ، بيروت .
(١٤٩) الحضارة الأوربية فى القرن التاسع عشر ، جيفرى برون ، ترجمة عبلة حجاب ، منشورات المكتبة الأهلية ، بيروت .
(١٥٠) حقائق عن نظام الحكم الشيوعى ، ليونهارد ، نقله للعربية محمد شامه الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، مكتبة وهبة .

(١٥١) حقيقة الشيوعية ، إعداد أمين شاكر ، سعيد العريان ، على أدهم ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر .
(١٥٢) الحقيقة الكاملة عن سقوط الثورات الإشتراكية ، إعداد محمد عبدالرؤوف ، محمد نصيرات ، سعيد كامل .
(١٥٣) حقيقة المواقف الشيوعية من القضية الفلسطينية ، عابد سليمان المشوخى ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، مكتبة المنار ، الأردن ، الزرقاء .
(١٥٤) حقيقة اليهود ، فؤاد سيد الرفاعى ، دار صلاح الدين .
(١٥٥) حكم الإسلام فى الإشتراكية ، عبد العزيز البدرى ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م ، الكمتبة العلمية ، المدينة المنورة .
(١٥٦) حكومة العالم الخفية ، سبيريدوفيتش ، ترجمة مأمون سعيد ، الطبعة التاسعة ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع .
(١٥٧) الحلف الأطلسى والشرق الأوسط ، مروان بحيرى ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢م ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، لبنان .
(١٥٨) حروب التدخل الأمريكية، ريتشارد بارنت ، ترجمة منعم النعمان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٤م ، دار ابن خلدون للطباعة والنشر والتوزيع .
(١٥٩) حوار مع الشيوعيين فى أقبية السجون ، عبد الحليم خفاجى ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، دار القلم ، الكويت .
(١٦٠) حول الصحافة ، لينين ، جمع جولو فانوفا أوفسيبيان ، أعدها للعربية فخرى كريم ، دار الفارابى .
(١٦١) خرافة الإشتراكية الجيدة والرديئة ، د.جيرفوف ، تعريب أكرم سليمان ١٩٧٨م ، دار الفارابى .
(١٦٢) خصائص التصور الإسلامى ، سيد قطب ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، الاتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية .
(١٦٣) خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، عبد الله التل ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، المكتب الإسلامى .

(١٦٤) درء تعارض العقل والنقل ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم .
(١٦٥)دراسات فى تطور الرأسمالية ، مورس دوب ، تعريب د. رؤوف عباس حامد ، دار الكتاب الجامعى .
(١٦٦)دراسات فى الإقتصاد السياسى ، عيسى عبده ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م .
(١٦٧) دراسات قرآنية ، محمد قطب ، الطبعة السادسة، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، دار الشروق .
(١٦٨) دراسات متميزة فى العلاقات بين الشرق والغرب على مر العصور ، د. يوسف على الثقفى ، الطبعة الثانية ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م .
(١٦٩) دروس تربوية من القرآن الكريم ، محمد قطب ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م ، المجموعة الإعلامية ، مكتبة المأمون .
(١٧٠)دعوة الرسل إلى الله تعالى ، محمد أحمد العدوى ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
(١٧١)دفاعا عن الماركسية ردا على مختلف منتقديها ، موريس كورنفورث ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م ، دار الفارابى ، بيروت .
(١٧٢) دوام حق الملكية ، د. عبد الرزاق فرج ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
(١٧٣) دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل ، إبراهيم الشريقى ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .
(١٧٤) دور الماركسية فى الإشتراكية العربية ، د. عمر حليق ، الطبعة الأولى ١٩٦٥م ، دار الكتاب الجديد .
(١٧٥) الدولة والثورة ، لينين ، ترجمة الياس شاهين ، دار التقدم ، موسكو .
(١٧٦) الدين أو اللادينية ، د. محمد ناصر ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م الدار السعودية للنشر والتوزيع .

(١٧٧) الديموقراطية والحرية ، حافظ صالح ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م دار الفتح ، بيشاور ، باكستان .
(١٧٨) ديالكتيك الطبيعة ، فردريك انجلز ، ترجمة توفيق سلوم ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨م ، دار الفارابى ، بيروت ، لبنان .
(١٧٩) رأس المال ، ماركس ، ترجمة محمد عيتانى ، ١٩٨١م ، مكتبة المعارف بيروت .
(١٨٠) الرأسمالية وموقف الإسلام منها ، د. حمود بن أحمد الرحيلى ، النشرة الأولى ، ١٤١٥هـ ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الرياض .
(١٨١) الرد على الجهمية ، الإمام ابن منده ، تحقيق د. على ناصر الفقيهى ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة النبوية.
(١٨٢) رسائل حول التكتيك ، لينين ، ترجمة الياس شاهين ، دار التقدم ، ١٩٧٣م .
(١٨٣) رسائل فى العقيدة ، الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، الرياض .
(١٨٤) روح الدين الإسلامى ، عبد الفتاح طبارة ، توزيع دار العلم للملايين بيروت ، لبنان .
(١٨٥) الروس قادمون ، إبراهيم سعده ، الطبعة الرابعة ، المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر بالإسكندرية .
(١٨٦) زاد المعاد فى هدى خير العباد ، الإمام ابن القيم ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، عبد القادر الأرناؤوط ، الطبعة الخامسة عشر ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع .
(١٨٧) سادات الماركسية ، حسين أحمد صبرا ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م ، منشورات الشراع .
(١٨٨) ستالين ، بسام العسلى ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦م ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر .

(١٨٩) السرطان الأحمر ، د. عبد الله عزام ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، مكتبة الجيل الجديد بصنعاء ، الجمهورية العربية اليمنية .
(١٩٠) سقوط الماركسية ، وحيد الدين خان ، ترجمة ظفر الإسلام خان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ، دار الصحوة للنشر .
(١٩١) السلوك لمعرفة دول الملوك ، أحمد بن على المقريزى ، صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٧م ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
(١٩٢)سنن أبى داود ، مراجعة محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الباز للنشر والتوزيع ، المروة ، مكة المكرمة .
(١٩٣) سنن الترمذى (الجامع الصحيح) ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، بيروت .
(١٩٤) سنن الله فى المجتمع من خلال القرآن ، محمد الصادق عرجون ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، الدار السعودية للنشر والتوزيع .
(١٩٥)السنن الإلهية فى الحياة الإنسانية (رسالة دكتوراه) ، د.شريف الشيخ صالح ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
(١٩٦)السوفييت وقضية فلسطين ، د. محمد ناصر المهنا ، دار المعارف .
(١٩٧) السياسة السوفيتية فى قوس الأزمة ، فردهاليداى ، ترجمة عفيف الرزاز ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢م ، مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت ، لبنان .
(١٩٨) السياسة الصناعية لمجتمع الحرب الصهيونى ، إعداد قسم الدراسات ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م/١٤٠٢هـ ، منشورات فلسطين المحتلة .
(١٩٩) سير أعلام النبلاء ، الإمام الذهبى ، الطبعة السابعة ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .
(٢٠٠)سيرة حياة كارل ماركس ، مجموعة من المؤلفين السوفييت ، ١٩٧٨م ، دار الفارابى ، بيروت .

(٢٠١) السيرة النبــوية ، ابن هشـام ، دار إحيـاء التراث العــربى ، بيروت ، لبنان .
(٢٠٢) الشتاء النووى ، مارك أهارول ، دار الراقى ، بيروت .
(٢٠٣) صحيــح مسلم بشــرح النــووى ، الطبعـة الأولى ، ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م .
(٢٠٤) الصــراع على السيــادة فى أوروبا ، تايليير ، ترجمـة د. كـاظم هـاشم نعمت ، د. يونيل يوسف عزيز .
(٢٠٥) الصهيونية والنازية ، دراسة مقارنة ، د. محمد الـدسوقى ، عبد التواب سلمان ، ١٩٦٨م ، دار المعارف ، مصر .
(٢٠٦) الصهيونية وربيبتها إسرائيل ، عمر رشدى ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م ، دار القلم ، الكويت .
(٢٠٧) صوت المنبر ، محمد الحجار ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦هـ ، دار الصابونى .
(٢٠٨) الشخصية اليهودية من خلال القرآن ، د.صلاح عبـد الفتاح الخالدى الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق .
(٢٠٩) شرح العقيدة الطحاوية ، على بن أبى العز ، تحقيق شعيب الأرناؤوط الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، دار البيان ، دمشق .
(٢١٠) شفاء العليل ، ابن القيم ، دار التراث ، القاهرة .
(٢١١) شمـس العـرب تسطع على الغـرب ، زيغريد هونكـه ، ترجمـة فاروق بيضـون ، كمال دسوقى ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، منشـورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
(٢١٢) شهـادتى للتـاريخ ، عبـد القـوى مكاوى ، الطبعـة الأولى ، ١٩٧٩م .
(٢١٣) الشيـخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ومنهجه فى مبـاحث العقيدة ، د. آمنـة محمـد نصير ، الطبعـة الأولى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، دار الشـروق ، بيروت .
(٢١٤) الشيوعية خلاصة كل ضروب الكفر والموبقات والشـرور والعاهات ، أحمــد عبــد الغفــور عطـار ، الطبعــة الأولى ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع .

(٢١٥) الشيوعية فى موازين الإسلام ، د. لبيب السعيد ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
(٢١٦) الشيوعية العلمية (المعجم) ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨٥م .
(٢١٧) الشيوعية منشأ ومسلكا ، دندل جبر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م مكتبة المنار، الزرقاء ، الأردن .
(٢١٨) الشيوعية والأديان ، طارق حجى ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، مطبوعات الاتحاد الدولى للبنوك الإسلامية .
(٢١٩) الشيوعية وموقف القرآن الكريم منها ، د. عبد الباقى عطا الله ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، دار المنار للنشر والتوزيع .
(٢٢٠) ضمانات الحرية ، د.منيب محمد ربيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، مكتبة المعارف ، الرياض ، السعودية .
(٢٢١) ضوابط الملكية فى الفقه الإسلامى ، عدنان خالد التركمانى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، دار المطبوعات الحديثة للطباعة والنشر ، المملكة العربية السعودية .
(٢٢٢) الطبقة الجديدة ، ميلوفان دجيلاس ، دار الكتاب العربى للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت ، لبنان .
(٢٢٣) الطريق الروسى إلى الإشتراكية ، يوجين فارغا ، ترجمة جورج طرابيشى ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٧م ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت .
(٢٢٤) الظاهرة القرآنية ، مالك بن نبى ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق .
(٢٢٥) عاجلا أوآجلا ستزول إسرائيل ، بقلم ١٥ كاتبا فرنسيا ، ترجمة ريمون نشاطى ، منشورات دار الآداب .
(٢٢٦) عالم الجاسوسية ، مجموعة من المؤلفين ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م ، دار الحسام للطباعة والنشر والتوزيع .
(٢٢٧) العالم الإسلامى والنظام الدولى ، نبيل زكى ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م ، منشورات مركز دراسات العالم الإسلامى .

(٢٢٨) العالم فى القرن العشرين ، دانييل براور ، مركز الكتاب الأردنى ، ١٩٩٠م .
(٢٢٩) العدالة الإجتماعية ، سيد قطب ، الطبعة الشرعية الحادية عشرة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، دار الشروق .
(٢٣٠) العدل فريضة إسلامية، د. أسعد السحمرانى ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
(٢٣١) العرب وإسرائيل صراع أم صلح ، أحمد ديدات ، ترجمة محمد مختار ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، مكتبة النور ، مصر .
(٢٣٢) عسكرة الفضاء ، بول بى ، ترجمة على موسى الكاظمى ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م ، دار الشئون الثقافية العامة .
(٢٣٣) عصر الإلحاد ، محمد تقى الندوى ، ترجمة د. مقتدى حسن ، دار الصحوة للنشر والتوزيع .
(٢٣٤) عصر المفوض السامى الأمريكى ، نصر شمالى ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤م ، دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
(٢٣٥) عقم المذهب التاريخى ، كارل بوبر ، ترجمة عبد الحميد صبره ، ١٩٥٩م ، منشأة المعارف بالإسكندرية .
(٢٣٦) العقيدة الإسلامية سفينة النجاة ، د. كمال عيسى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة .
(٢٣٧) على الطريق ، طلال سلمان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م ، المركز العربى للمعلومات .
(٢٣٨) العلاقات الأمريكية السوفيتية ، صبرى مقلد ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع ، الكويت .
(٢٣٩) العلمانية ، د. سفر الحوالى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، مطابع جامعة أم القرى .
(٢٤٠) العلوم الطبيعية فى القرآن ، يوسف مره ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م ، دار مكتبة الهلال ، بيروت .

(٢٤١) عمليـة إعادة البناء ، ميخائيل غورباتشوف ، مجموعة من المترجمين ، الطبعـة الثـانية ، ١٩٨٩م ، دار الكـرمل للنشـر والتـوزيع ، عمـان ، الأردن .
(٢٤٢) العهـد الجديد ، الطبعـة الثـانية ، ١٩٩١م ، دار المشـرق ، بيروت .
(٢٤٣) العهـد القـديم ، الطبعـة الثـانية ، ١٩٩١م ، دار المشـرق ، بيروت .
(٢٤٤) الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ، د. على عبـد الحليم محمود ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، أشرف على طباعته ونشره إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
(٢٤٥) غـورباتشوف صـانع القـرار وضحيتـه ، غيردروغ ، ترجمـة يوسـف ضومط ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م ، مكتبة بيسان ، بيروت .
(٢٤٦) غورباتشوف ونهج التحول الكبير ، د. رزق رزق ، ١٩٩١م ، دار بلال بيروت .
(٢٤٧) فتـاوى عن الشيوعية ، د. عبـد الحليم محمود ، الطبعـة الثـانية ، دار المعارف .
(٢٤٨) فتـح البارى بشرح صحيح البخارى ، الحافظ ابن حجـر ، دار المعرفة بيروت ، لبنان .
(٢٤٩) فتح القدير ، الإمام الشوكانى ، بيروت .
(٢٥٠) الفتح بالإرهاب ، ليلاند ستاوى ، ترجمة عيسى سابا .
(٢٥١) فترة مـن الإنفراج الـدولى ، اندريه فونتين ، ترجمـة موسى الزعبى ، ١٩٨٨م ، مطبعة الجاحظ ، دمشق .
(٢٥٢) فجـر الإسلام ، أحمد أمين ، الطبعة الحادية عشـرة ، ١٩٧٥م ، شركة الطباعة الفنية .
(٢٥٣) الفـرد والمجتمـع فى الإسلام ، محمـود الشـرقـاوى ، مكتبـة الأنجلـو المصرية .
(٢٥٤) الفرصة السانحة ، ريتشارد نيكسون ، ترجمة أحمـد صدقى مراد ، دار الهلال .

(٢٥٥) الفــرق بين الفــرق ، عبـد القـادر البغـدادى ، دار المعـرفة للطبـاعة والنشر.
(٢٥٦) الفـروق ، القرافى ، دار المعـرفة للطباعة والنشـر ، بيروت ، لبنـان .
(٢٥٧) الفشـل الكبير ، زبنجـو برنجسنكى ، ترجمة ميشيـل سليمـان ، مركز المكتب الأردنى .
(٢٥٨) الفكر الدينى فى مواجهة العصر ، د. عفت الشرقاوى ، الطبعة الثانية ١٩٧٩م ، دار العودة ، بيروت .
(٢٥٩) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغـربى ، د. محمد البهى ، الطبعة الحادية عشرة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، الناشر مكتبة وهبة .
(٢٦٠) الفكر الأوروبى فى القرن الثامن عشر ، بول هـازار ، ترجمة د. محمد غلاب ، الطبعـة الثـانية ، ١٩٨٥م ، دار الحداثة للطبـاعة والنشـر والتوزيع .
(٢٦١) الفكر المادى الحديث وموقف الإسلام منه ، د. محمود عتمان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م ، الدار الإسلامية للطباعة والنشر .
(٢٦٢) الفكـر المادى فى ميزان الإسلام ، د. صـابر طعيمـة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، مؤسسة جواد للطباعة والتصوير ، بيروت ، لبنـان .
(٢٦٣) الفكر الماركسى ، د. صفوت حامد مبارك ، الطبعـة الأولى ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، عالم الكتب ، القاهرة .
(٢٦٤) فلسفتنـا ، محمد باقر الصدر ، الطبعة الثانية عشـر ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، التعارف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان .
(٢٦٥) فلسفـة الأنوار ، جورج بوليتزر ، ترجمـة جورج طـرابيشى ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٧م ، دارالطليعة للطباعة والنشر ، بيروت .
(٢٦٦) فلسفـة الثورة الفرنسيـة ، برنارغروتويزن ، ترجمـة عيسى عصفور ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢م ، دار منشورات عويدات ، بيروت .
(٢٦٧) الفلسفة الإغريقية ، محمد غلاب ، الطبعة الأولى ، ١٩٣٨م ، القاهرة.

(٢٦٨) الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر ، جماعة من العلماء السوفييت ، ترجمة د. حسان صدر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م ، دار الفارابى ، بيروت ، لبنان .
(٢٦٩) الفلسفة المعاصرة فى أوروبا ، بوشنسكى ، ترجمة د. عزت قرنى ، سلسلة عالم المعرفة ١٦٥ ، الكويت .
(٢٧٠) فن الحرب ، اميل وانتى ، تعريب أكرم ديرى ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣م ، دار القلم ، بيروت ، لبنان .
(٢٧١) فوق أطلال الماركسية ، محمد عبد الله الخطيب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، دار المنار الحديثة .
(٢٧٢) الفهرست ، ابن النديم ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
(٢٧٣) فى الاستعمار ، كارل ماركس ، فردريك انجلز ، ترجمة فؤاد أيوب ، دار دمشق للطباعة والنشر .
(٢٧٤) فى تاريخ الفلسفة اليونانية ، عوض الله حجازى ، محمد السيد ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٤هـ ، المطبعة المنيرية بالأزهر .
(٢٧٥) فى سبيل موسوعة فلسفية ، د. مصطفى غالب ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م ، دار مكتبة الهلال ، بيروت .
(٢٧٦) فى ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت .
(٢٧٧) القاموس المحيط ، الفيروزآبادى ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع .
(٢٧٨) القانون الدستورى والنظم السياسية ، د. عبد الحميد متولى ، د. سعد عصفور ، د. محسن خليل ، منشأة المعارف بالإسكندرية .
(٢٧٩) قصة الفلسفة اليونانية ، أحمد أمين ، زكى نجيب محمود ، الطبعة السابعة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
(٢٨٠) قصة الملكية ، على عبد الواحد وافى ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م ، مكتبة نهضة مصر .

(٢٨١) القصة الدامية للغزو السوفييتى لأفغانستان ، عصام دراز ، دار الاعتصام .
(٢٨٢) قضايا هامة فى حاضر العالم الإسلامى ، محي الدين القضمانى ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، المكتب الإسلامى .
(٢٨٣) القنبلة الموقوتة والاستيطان ، مازن النقيب ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م ١٤٠٥هـ ، دار المشرق العربى الكبير ، بيروت .
(٢٨٤) القوى العظمى بين شريعة الغاب وصراع الفيلة، د. حسن البزاز ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨م ، دار الشئون الثقافية العامة .
(٢٨٥) كارل ماركس وداعا ، أم خداعا ، فؤاد شاكر ، الطبعة الأولى ، مكتبة التراث الإسلامى .
(٢٨٦) الكامل فى التاريخ ، ابن الاثير ، تحقيق على شيرى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٩م ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان .
(٢٨٧) كفاحنا فى مقاومة الشيوعية ، محمود عبد الوهاب ، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع .
(٢٨٨) كواشف زيوف ، عبد الرحمن الميدانى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق .
(٢٨٩) الكيد الأحمر ، عبد الرحمن الميدانى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، دار القلم ، دمشق ، بيروت .
(٢٩٠) لسان العرب ، ابن منظور ، الطبعة الأولى ، دار صادر ، بيروت .
(٢٩١) لاشيوعية ولااستعمار ، العقاد ، دار الهلال .
(٢٩٢) لاللرأسمالية لالماركسية ، نعم للإسلام ، هادى المدرسى ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان .
(٢٩٣) لماذا رفضت الماركسية ، مصطفى محمود ، دارالعودة ، بيروت .
(٢٩٤) لمحات من تاريخ العالم ، جواهر لال نهرو ، نقله إلى العربية مجموعة من الأساتذة الجامعيين ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان.

(٢٩٥) لانزاع بين الدين والعلم ، د. عبد الحليم عويس ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، دار النفائس ، بيروت .
(٢٩٦) لينين ، مصطفى طلاس ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر .
(٢٩٧) لينيننا ، دار التقدم ، موسكو .
(٢٩٨) مابعد الحرب الباردة، روبرت مكنمارا ، ترجمة محمد حسين يونس ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .
(٢٩٩) المبين فى بعض أحوال الإسلام والمسلمين فى الاتحاد السوفييتى ، عبد الحميد داغستانى ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ، مطابع الصفا ، مكة المكرمة .
(٣٠٠) المادية والروحية فى الميزان ، د.سعد المرصفى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، مكتبة المعلا ، الكويت .
(٣٠١) المادية والمثالية ، مهدى الحافظ ، ١٩٧٤م ، دار الفارابى ، بيروت .
(٣٠٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوى ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
(٣٠٣) الماركسيات بعد ماركس ، بيار فافر ، ترجمة انطوان نجيم ، ١٩٨١م ، المنشورات العربية .
(٣٠٤) الماركسية بين النظريةوالتطبيق ، د. عبد المنعم النمر ، دار الأندلس للإعلام .
(٣٠٥) الماركسية قضايا أساسية ، بليخانوف ، ١٩٨٣م ، دار التقدم ، موسكو.
(٣٠٦) الماركسية وحرب العصابات ، مجموعة من المؤلفين ، ترجمة إبراهيم العابد ، ماهر كيالى ، الطبعة الأولى ، ١٩٧١م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .
(٣٠٧) الماركسية والنزعة التحريفية ، لينين ، منشورات مكتبة عائد ، دمشق.

(٣٠٨) الماسونية ، سعيد الجزائرى ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م ، دار الجيل ، بيروت .
(٣٠٩) ماهى سلطة السوفييت ، لينين ، ١٩٧٠م ، دار التقدم ، موسكو .
(٣١٠) ماهى علاقة الأمة المسلمة بالأمم الأخرى ، أحمد محمود الأحمد ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ ، المكتب الإسلامى ، بيروت .
(٣١١) ماوراء التاريخ ، وليام هاولز ، ترجمة د. أحمد أبو زيد ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر .
(٣١٢) المثالية والمادية وأزمة العصر ، د. عبد المنعم الحفنى ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٧م ، مكتبة مدبولى ، القاهرة .
(٣١٣) مجد الأمم ، هيلين كاريرد انكوس ، ترجمة يوسف شلب الشام ، دار الحقيقة .
(٣١٤) مجموع الفتاوى ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض .
(٣١٥) محاضرات فى الندوة الدبلوماسية ، إشراف د. إبراهيم الغيص ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، وزارة الخارجية ، الإدارة العامة للشئون السياسية ، قسم البحوث والمعلومات .
(٣١٦) محاضرات فى النصرانية ، محمد أبو زهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م ، دار الفكر العربى .
(٣١٧) المخابرات السوفيتية من الداخل ، فلاديمير كوزيشكن ، ترجمة شركة اورنتيال هاوس للخدمات الإعلامية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م ، قبرص.
(٣١٨) مختارات هيغل ، ترجمة الياس مرقص ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٩م ، المكتبة الفلسفية .
(٣١٩) مختار الصحاح ، محمد بن أبى بكر الرازى ، المركز العربى للثقافة والعلوم .
(٣٢٠) المختارات ، لينين ، ترجمة الياس شاهين ، ١٩٧٥م ، دار التقدم ، موسكو .

(٣٢١) المخططات التلمودية ، أنور الجندى ، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع .
(٣٢٢) المخطط السوفييتى لهزيمة حزيران ، د. محمد عزت نصر الله ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠م ، مؤسسة دار فلسطين للتأليف والترجمة .
(٣٢٣) مدخل إلى علم العلاقات الدولية ، د. محمد خلف ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م ، المركز الثقافى العربى .
(٣٢٤) مدخل لدراسة التاريخ الأوروبى ، د. محمد مخزوم ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م ، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع ، طرابلس ، لبنان .
(٣٢٥) المدخل إلى تطبيق الماركسية فى الواقع العربى ، إحسان حراش ، ١٩٧٥م ، دار الحقيقة ، بيروت .
(٣٢٦) المدخل للتشريع الإسلامى ، د. محمد فاروق النبهان ، الطبعة الأولى ١٩٧٧م ، دار القمة ، بيروت .
(٣٢٧) مذابح وجرائم محاكم التفتيش فى الأندلس ، محمد على قطب ، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة .
(٣٢٨) مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
(٣٢٩) المذاهب الإقتصادية الكبرى ، جورج سول ، ترجمة راشد البراوى .
(٣٣٠) المذاهب العسكرية فى العالم ، بسام العسلى ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
(٣٣١) المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ، عبد الرحمن عميرة ، الطبعة الرابعة ،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض.
(٣٣٢) مذكرات شيفرنادزه ، ترجمة مازن محمد نفاع ، ١٩٩٢م ، دار معد للنشر والتوزيع .
(٣٣٣) مذكرات مونتغمرى ، ترجمة ن.البعلبكى ، دار القلم ، بيروت ، لبنان .

(٣٣٤) مذكرات ونستون تشرشل ، تعريب خيرى حماد ، ١٩٦١م ، دار أسامة ، دمشق .
(٣٣٥) مراسلات ماركس انجلز ، ترجمة جورج طرابيشى ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣م ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت .
(٣٣٦) المرأة فى التصور الإسلامى ، عبد المتعال ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، دار غريب للطباعة ، القاهرة .
(٣٣٧) المرأة ومكانتها فى الإسلام ، أحمد الحصين ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الصحابة الإسلامية ، السالمية ، الكويت .
(٣٣٨) مرض نفسى اسمه الشيوعية ، نبيل خالد ، مطبعة دار الوفاء ، المنصورة .
(٣٣٩) مرضى حكموا العالم ، اقتباس رشاد جميل فياض ، ١٩٩٤م ، جروس برس ، طرابلس ، لبنان .
(٣٤٠) مسائل بناء الإشتراكية ، لينين ، دار التقدم ، موسكو .
(٣٤١) مستقبل الإسلام بعد سقوط الشيوعية ، أنور الجندى ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، دار العمير للثقافة والنشر ، جدة .
(٣٤٢) المسلمون أمام التحدى العالمى ، د. إحسان حقى ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع .
(٣٤٣) المسلمون فى الاتحاد السوفييتى ، شانتال ، بينغيش ، تعريب إحسان حقى ، مؤسسة الرسالة .
(٣٤٤) المسلمون فى الاتحاد السوفييتى عبر التاريخ ، د. محمد على البار ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ، جدة .
(٣٤٥) المسلمون فى تاريخ الحضارة ، ستانوودكب ، ترجمة محمد فتحى عثمان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة .
(٣٤٦) المسيح الأحمر الدجال ، فؤاد كرم ، ١٩٧٠م .

(٣٤٧) المسيحية نشأتها وتطورها ، شارلز جينبير ، ترجمة د. عبد الحليم محمود ، المكتبة العصرية ، بيروت .
(٣٤٨) مصادر الماركسية الثلاثة وأقسامها المكونة الثلاثة ، دار التقدم ، موسكو .
(٣٤٩) معالم الإشتراكية العربية ، حسين أبو الحسن ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م دار المسير للصحافة والطباعة والنشر .
(٣٥٠) معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية ، د. عبد الرحمن مليبارى ، ١٤١٤هـ ، مطبعة سفير ، الرياض .
(٣٥١) المعبود الذى هوى ، مجموعة من المؤلفين ، ترجمة عباس حافظ ، دار الكتب الحديثة .
(٣٥٢) المغنى ، ابن قدامة المقدسى ، مكتبة الجمهورية العربية ، مصر .
(٣٥٣) مقال فى العدل الإجتماعى ، د. عماد الدين خليل ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .
(٣٥٤) مقالات وخطابات بمناسبة أعياد ثورة أكتوبر ، لينين ، ترجمة دار التقدم ، موسكو .
(٣٥٥) المقدمة ، عبد الرحمن بن خلدون ، دار الجيل ، بيروت .
(٣٥٦) الملل والنحل ، الشهرستانى ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
(٣٥٧) ملحمة الجهاد الأفغانى ، د. عدنان على رضا النحوى ، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ/١٩٩١م ، دار النحوى للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
(٣٥٨) الملكية فى الشريعة الإسلامية ، عبد السلام العبادى ، الطبعة الأولى ١٩٧٧م ، مكتبة الاقصى ، عمان ، الأردن .
(٣٥٩) الملكية وضوابطها فى الإسلام ، د. عبد الحميد البعلى ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، دار التوفيق النموذجية للطباعة والجمع الآلى .
(٣٦٠) الملكية ونظرية العقد فى الشريعة الإسلامية ، د. أحمد فراج حسين ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الثقافة الجامعية .

(٣٦١) مناهج الشريعة الإسلامية ، أحمد محي الدين العجوز ، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان .
(٣٦٢) منهاج السنة النبوية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
(٣٦٣) منهج المتكلمين والفلاسفة المنتسبين للإسلام فى الاستدلال على وجود الله تعالى ، رسالة دكتوراه ، يوسف محمد الأحمد ، ١٤١٠-١٤١١هـ/ ١٩٩٠-١٩٩١م .
(٣٦٤) من الحرب الباردة حتى الوفاق ، كولن باون، وبيتر مونى ، تعريب صادق عودة ، الطبعة الأولى ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .
(٣٦٥) من يجرؤ على الكلام ، بول فندلى ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، لبنان .
(٣٦٦) موجز تاريخ الولايات المتحدة ، ألان نيفنز ، هنرى كوماجر ، ترجمة محمد بدر الدين خليل ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة .
(٣٦٧) الموجز فى الأديان والمذاهب المعاصرة ، ناصر القفارى ، ناصر العقل الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ، دار الصميعى للنشر والتوزيع ، الرياض .
(٣٦٨) موسكو وإسرائيل ، د. عمر حليق ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٧م ، الدار السعودية للنشر ، جدة .
(٣٦٩) موسكو فى طريقها إلى كابول ، محمد مزمل ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، دار المجتمع للنشر والتوزيع .
(٣٧٠) موسوعة أعلام الفلسفة ، إعداد رونى ايلى ألفا ، مراجعة د. جورج نخل ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

(٣٧١) موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادى للتاريخ ، د. أحمد العوايشة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، المكتبة الإسلامية ، عمان الأردن .
(٣٧٢) موقف الإسلام والكنيسة من العلم ، عبد الله المشوخى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، مكتبة المنار .
(٣٧٣) موقف الدين من العلم ، د. على فؤاد باشكيل ، ترجمة أورخان محمد على ، ١٩٨٥م ، دار الوثائق ، الكويت .
(٣٧٤) موقف ماركس وانجلز من الآداب العالمية ، رمسيس عوض ، مكتبة الأنجلو المصرية .
(٣٧٥) ميخائيل غورباتشوف سيرة ذاتية مفصلة ، أعده محررو مجلة التايم الأمريكية ، ترجمة دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م .
(٣٧٦) النار والجليد ، مجموعة من المؤلفين ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م ، دار الحسام للطباعة والنشر والتوزيع .
(٣٧٧) نحو إقتصاد إسلامى ، د. محمد شوقى فنجرى ، دار الزايدى للطباعة والنشر .
(٣٧٨) ندوات علمية حول الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان فى الإسلام ، ١٩٧٣م ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت .
(٣٧٩) نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، د. على النشار ، الطبعة السابعة ، ١٩٧٧م ، دار المعارف ، القاهرة .
(٣٨٠) نشوء وإنهيار الإمبراطورية الشيوعية ، ميشيل هيلير ، ترجمة د. نظير جاهل ، حسن الصنيقة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م/١٤١٢هـ ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، لبنان .
(٣٨١) نصوص حول الإضرابات ، لينين ، ترجمة إسماعيل محمود ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٥م ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت .
(٣٨٢) النضال الطبقى فى فرنسا ، كارل ماركس ، دار التقدم ، موسكو .

(٣٨٣) نظام الحياة فى الإسلام ، أبو الأعلى المودودى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، الدار السعودية للنشر والتوزيع .
(٣٨٤) النظام الإقتصادى فى الإسلام ، د. أحمد محمد العسال ، د. فتحى أحمد عبد الكريم ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، مكتبة وهبة .
(٣٨٥) نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأمريكية ، بروسترك دينى ، ترجمة د. ودوده عبد الرحمن بدران ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، مصر .
(٣٨٦) نظرات فى الإشتراكية الثورية ، معروف الدواليبى ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٦م ، دار الكتاب الجديد .
(٣٨٧) النظرية المادية فى المعرفة ، روجيه جارودى ، تعريب إبراهيم قريط ، دار دمشق للطباعة والنشر .
(٣٨٨) النظم الإقتصادية المعاصرة ، د. صلاح الدين نامق ، دار النهضة العربية .
(٣٨٩) نقد أصول الشيوعية ، صالح اللحيدان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
(٣٩٠) نقد الثقافة الإلحادية ، د. أحمد عبد الرحمن إبراهيم ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان .
(٣٩١) نقد العقل المحض ، عمانويل كانط ، ترجمة موسى وهبة ، مركز الإنماء القومى ، بيروت .
(٣٩٢) نقد النظرية الماركسية ، هادى المدرسى ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت .
(٣٩٣) نقض أوهام المادية الجدلية ، د. سعيد رمضان البوطى ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا .
(٣٩٤) نقض الإشتراكية الماركسية ، غانم عبده ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م ، دار الإيمان ، بيروت .

(٣٩٥) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
(٣٩٦) هذا الدين ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت .
(٣٩٧) هزيمة الشيوعية فى عالم الإسلام ، أنور الجندى ، دار الاعتصام .
(٣٩٨) هل تعود الشيوعية ، حميدى العبد الله ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م ، شركة الحقيقة للصحافة والإعلام .
(٣٩٩) واقعنا المعاصر ، محمد قطب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م ، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر .
(٤٠٠) وجاء دور المجوس ، عبد الله محمد الغريب ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
(٤٠١) وسقطت الماركسية ، عبد القادر العمارى ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، دار الثقافة ، الدوحة .
(٤٠٢) الوصية الأخيرة ، نيكيتا خروشوف ، ترجمة زهدى جار الله ، ١٩٧٥م ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت .
(٤٠٣) وضعية الدين عند ماركس وانجلز ، ميشال برتران ، ترجمة صلاح كامل ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م ، دار الفارابى ، بيروت ، لبنان .
(٤٠٤) يهود الأمس سلف سيء لخلف أسوأ ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م مكتبة السوادى للتوزيع .
(٤٠٥) اليهودية ، أحمد شلبى ، الطبعة الحادية عشرة ، ١٩٩٣م ، مكتبة النهضة المصرية .
(٤٠٦) اليهود فى المعسكر الشرقى ، داؤد سنقرط ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ، دار الفرقان للنشر والتوزيع(*).

(*) ملاحظة : لم أدخل فى هذه القائمة الصحف والمجلات .

فهرس الموضوعات

الصفحة

الباب الأول
الشيوعية الماركسية

المقدمة .... ب–ع
تمهيد ١
أولا : خصائص الحضارة اليونانية ٣
ثانيا : خصائص الحضارة الرومانية ٥
ثالثا : اليهودية ٧
رابعا : النصرانية ١٠
التحريف : ١٢
أولا : التحريف العقدى ١٢
ثانيا : فصل العقيدة عن الشريعة ١٥
مجمع نيقيه ١٨
العقيدة التى أقرها المجمع ١٩
أهم قرارات المجمع ٢٠
النتائج ٢٢
طغيان الكنيسة ٢٤
أولا : الطغيان الاستعبادى ٢٥
ثانيا : الطغيان السياسى ٢٧
ثالثا : الطغيان المالى ٣٠
أساليب الكنيسة فى تنمية مواردها المالية ٣١
أولا : الأملاك الإقطاعية ٣١
ثانيا : الأوقاف ٣٢
ثالثا : العشور ٣٢

الصفحة

رابعا : الهبات والعطايا ٣٢
خامسا : العمل المجانى (السخرة) ٣٣
سادسا : صكوك الغفران ٣٤
أصل هذه البدعة ٣٥
رابعا : الطغيان العلمى ٣٧
الصراع بين العلم والكنيسة ٣٨
النظريات العلمية وردها ٣٨
محاكم التفتيش ٣٩
المسلمون ومحاكم التفتيش ٤١
صور من العذاب وآلات التعذيب ٤١
شاهد عيان على محاكم التفتيش ومابداخلها ٤٣
آثار الكنيسة على الحياة الأوربية ٤٩
حركات الإصلاح ٥٣
المسلمون وحركات الإصلاح ٥٤
حركة مارتن لوثر ٥٦
حركة جون كالفن ٥٩
حقائق عن حركة الإصلاح اللوثرية ٦١
عدم نجاح حركات الإصلاح ٦٢
بعض ايجابيات حركات الإصلاح ٦٤
وقفة أخيرة مع حركات الإصلاح الدينى ٦٦
الشيوعية وبعض العوامل التى أدت إلى قيامها ٦٨
الثورة البلشفية ٧١
أولا : الحركات الممهدة لقيام الشيوعية ٧٣
ثانيا : اليهود وراء النظام الإشتراكى ٧٤

الصفحة

ثالثا : اتفاق المذهبين فى حرب الإسلام ٧٧
رابعا : حال اليهود فى روسيا إبان حكم القياصرة ٧٩
خامسا : إيجاد العملاء داخل روسيا لتسهيل مهمة الثورة ٨٣
سادسا : إنهاك روسيا حربيا وإضعافها سياسيا ٨٦
سابعا : إعلان الثورة ٨٨
ثامنا : التمويل اليهودى للحركة الإشتراكية ٩٢
تاسعا : الثورات الإشتراكية خارج روسيا ٩٤
سابعا : النظريات العلميةوالمذاهب الفلسفية الإلحادية
التى سبقت ماركس ٩٥
سيادة الدين ٩٩
سيادة العقل ١٠٠
سيادة الحس ١٠٥
الفصل الأول : مراحل الإشتراكية ١١٢
تمهيد ١١٢
المبحث الأول : المرحلة الأولى : أفلاطون ١١٤
إشتراكية أفلاطون ١١٥
الأسرة فى جمهورية أفلاطون ١١٧
المبحث الثانى : المرحلة الثانية : المزدكية ١٢٠
المبحث الثالث : المرحلة الثالثة : القرامطة ١٢٦
البابكية (الخرمية) ١٣٨
المبحث الرابع : المرحلة الرابعة : الإشتراكيون الطوباويون ١٤٠
أولا : الإشتراكية الطوباوية ١٤٠
ثانيا : أساتذة ماركس (الطوباويون الأواخر) ١٤٧
سان سيمون ١٤٨
شارل فورييه ١٥٠

الصفحة

روبرت أوين ١٥١
المبحث الخامس : المرحلة الخامسة : ماركس ١٥٦
المبحث السادس : المرحلة السادسة : الشيوعيون بعد ماركس ١٥٧
أولا : التيار الإصلاحى ١٥٧
ثانيا : الإشتراكية الفابية ١٥٩
الخطوط العريضة فى مبادىء الإشتراكية الفابية ١٦٠
الفصل الثانى : الأهداف والمبادىء الأساسيةللشيوعية ١٦٢
تمهيد ١٦٢
المبحث الأول : القضاء على الملكية الفردية ١٦٥
رأى ماركس فى تطور الملكية ١٦٥
المبحث الثانى : إلغاء الطبقات وإقامة طبقة البروليتاريا . ١٧٢
ظهور البروليتاريا وصراعها الطبقى ١٧٥
معنى الدكتاتورية ١٧٦
الأهداف التى يرغب الشيوعيون فى تحقيقها من وراء هذا المبدأ ١٨١
المبحث الثالث : كفالة الدولة لجميع المواطنين ١٨٤
أولا : الجانب السياسى ١٨٤
ثانيا : حق التربية والتعليم ١٨٧
المبحث الرابع : المساواة ١٩٠
المبحث الخامس : مبدأمن كل حسب كفاءته ولكل حسب عمله ١٩٤
المبحث السادس : مبدأ من كل حسب كفاءته ولكل حسب حاجته ١٩٧
المبحث السابع : إلغاء الدين ١٩٩
ماهى التربية الإلحادية ٢٠١

الصفحة

الاتحاد السوفييتى والتربية الإلحادية ٢٠١
المبحث الثامن : التأميم ٢٠٦
الأهداف التى يطمحون فى تحقيقها من وراء هذا المبدأ .. ٢٠٧
المبحث التاسع : زوال الدولة ٢٠٩
المبحث العاشر : الأممية ٢١٦
أولا : الأممية الأولى (الإشتراكية) ٢١٦
ثانيا : الأممية الثانية ٢١٧
ثالثا : الأممية الثالثة (الشيوعية) ٢١٨
رابعا : الأممية البروليتارية ٢٢٠
الفصل الثالث : الشيوعية وصلتها بالصهيونية ٢٢٤
المبحث الأول : حياة كارل ماركس ٢٢٨
والداه ٢٢٨
نشأته العلمية ٢٣١
فى باريس ٢٣٣
فى لندن ٢٣٧
المبحث الثانى : مصادر الماركسية ٢٤٤
أولا : الفلسفة الألمانية ٢٤٥
المصدر الثانى : الإشتراكية الفرنسية ٢٤٩
المصدر الثالث : الإقتصاد الانجليزى ٢٥٤
المصدر الرابع : نظرية التطور ٢٥٦
نظرية التطور ٢٥٧
أثر نظرية داورين فى الفكر الأوروبى ٢٥٩
الآثار العقدية ٢٦٠
أثر الداروينية فى الفكر الشيوعى ٢٦٢

الصفحة

موقف العلم من النظرية ٢٦٤
المبحث الثالث : الشيوعية وليدة الصهيونية ٢٦٧
العودة إلى صهيون بفلسطين عقيدة يهودية ٢٦٩
تعريف الصهيونية ٢٧١
الحركة الصهيونية الحديثة ٢٧٣
كيف ظهرت البروتوكولات ٢٧٥
الصهيونية واليهودية ٢٧٨
المبحث الرابع : البراهين الدالة على أن الشيوعية وليدة الصهيونية ٢٨٢
(أ) البراهين الدالة على أن الشيوعية وليدة الصهيونية ٢٨٣
(ب) دعم الشيوعية لدولة إسرائيل ٣٠٧
الفصل الرابع : المادة ٣٤٨
منشأ الخلاف ٣٤٨
فيشته ٣٥٢
هيغل ٣٥٣
ثناء الماركسيين على هيغل ٣٥٦
المادية وبعض فلاسفتها ٣٥٩
(أ) ديموقريطس الابديرى ٣٥٩
(ب) أبيقور ٣٦٠
(ج) هوبز ٣٦٠
(د) دافيد هيوم ٣٦١
(هـ) شوبنهاور ٣٦١
المبحث الأول : مادية ماركس ٣٦٤
تعريف المادة والمقصود بالمادية ٣٦٦
المبحث الثانى : المادية الجدلية (الديالكتيك) ٣٧٣

الصفحة

المادية الجدلية الماركسية	٣٧٦
المبحث الثالث : أزلية المادة وأبديتها وقوانينها عندهم...	٣٨٠
قوانين المادة	٣٨٢
أولا : الترابط	٣٨٢
ثانيا : قانون الحركة	٣٨٣
ثالثا : قانون التطور فى الطبيعة	٣٨٤
رابعا : قانون التناقض فى الطبيعة	٣٨٧
المبحث الرابع : المادية التاريخية	٣٩٠
المادية التاريخية	٣٩٢
الأسس التى يقوم عليها التفسير المادى للتاريخ	٣٩٤
التفسير المادى للتاريخ البشرى	٣٩٨
المبحث الخامس : التفسير المادى للدين والأخلاق والأسرة	٤٠٠
التفسير المادى للدين	٤٠٠
التفسير المادى للأخلاق	٤٠٣
التفسير المادى للأسرة	٤٠٥

الباب الثانى

أسباب سقوط الشيوعية الداخلية

تمهيد عن السنن الربانية ومفهوم السقوط	٤٠٨
السنن الإلهية	٤٠٩
الأمم السابقة والسنن الربانية	٤١٣
السنة الإلهية بالنسبة لمن تقع عليه	٤٢٠
مفهوم السقوط	٤٢٨
هل كان السقوط مفاجئا	٤٤٣

الصفحة

هل السقوط خاص بالفكر الشيوعى ٤٤٥
أقسام الأسباب ٤٤٥
أولا : الأسباب الداخلية ٤٤٦
ثانيا : الأسباب الخارجية ٤٤٦
الفصل الأول : مصادمة النظام الشيوعى للفطرة ٤٤٧
تمهيد ٤٤٧
المبحث الأول :مصادمة الشيوعية لفطرية التدين ٤٤٩
أولا : إثبات فطرية التدين شرعا وتاريخا ٤٥٠
(أ) فطرية التدين شرعا ٤٥٠
(ب) الدلالة التاريخية على أن البشر مفطورون على
التوحيد.. ٤٥٨
ثانيا : مصادمة الشيوعية للفطرة الدينية فى النفس البشرية ٤٦٤
أولا :إنكارهم وجود الخالق جل جلاله ٤٦٧
ثانيا :موقفهم من الدين وأقوالهم فيه ، نشأته وتطوره... ٤٧٢
ثالثا : تفسيرهم لنشأة الدين ٤٩٢
بيان بطلان مزاعمهم ٤٩٧
أولا : إنكارهم وجود الخالق جل وعلا ٤٩٧
ثانيا : إبطال مزاعمهم فى الدين وأنه أفيون الشعوب ... ٥٢١
ثالثا : رد مزاعمهم فى نشأة الدين ٥٢٩
أولا : قولهم إن الدين من اختراع الإنسان ٥٢٩
ثانيا : بطلان زعمهم أن الدين من اختراع الطبقة الحاكمة ٥٣٢
ثالثا : بطلان زعمهم أن الدين من اختراع الطبقة
المضطهدة.. ٥٣٤

الصفحة

رابعا : بطلان زعمهم أن الدين يتطور تبعا لتطور العامل
الإقتصادى ٥٣٥
خامسا : بطلان زعمهم أن الإنسان اخترع الدين بسبب
جهله ٥٤٢
سادسا : بطلان زعمهم بأن الدين متطور ٥٤٤
الشيوعيون والفطرة ٥٤٦
المبحث الثانى : مصادمة الشيوعية لفطرية التملك ٥٥٦
تعريف الملكية ٥٥٦
فطرية التملك ٥٥٧
الملكية فى الإسلام.. ٥٦٠
شروط التملك وقيود الملكية ٥٦١
خصائص الملكية فى الإسلام ٥٦٢
التصرف فى الملكية ٥٦٥
أنواع الملكية فى الإسلام ٥٦٦
الملكية العامة ٥٦٧
من صور الملكية العامة فى النظام الإسلامى ٥٦٨
الشيوعية ومصادمة فطرية الملكية الخاصة ٥٧٠
ملخص أقوال الشيوعيين فى الملكية الفردية ثم بيان
بطلانها.. ٥٧١
بيان بطلان مزاعم الشيوعية عن الملكية الفردية
ومصادمتها للفطرة الإنسانية ٥٧٣
الشيوعية وفطرية التملك ٥٨٠
المبحث الثالث : مصادمة الشيوعية لفطرية الزواج
والحياة الأسرية ٥٨٢

الصفحة

بعض الآيات والأحاديث الدالة على فطرية الزواج وسكن الإنسان إليه ٥٨٣
الشيوعية وفطرية الزواج والحياة الأسرية ٥٨٨
الأسرة عند الشيوعيين ٥٨٩
الأسرة فى الإشتراكية ٥٩٢
نظرتهم للمرأة ٥٩٢
تربية الأطفال ٥٩٤
إبطال مزاعم الشيوعية وبيان مصادمتها للفطرة الإنسانية ٥٩٨
واقع الاتحاد السوفييتى ومصادمة فطرية الزواج والحياة الأسرية ٦١٥
المبحث الرابع : مصادمة الشيوعية لفطرية التجمع والانتماء ٦١٩
فطرية التجمع والانتماء ٦١٩
الشيوعية ومصادمة فطرية التجمع والانتماء ٦٢١
بطلان مزاعمهم من عدة وجوه ٦٢٥
مصادمة الفطرة وإنهيار الشيوعية ٦٣٤
الفصل الثانى : القضاء على الحريات ٦٣٧
تمهيد ٦٣٧
لمحة عن الحقوق والحريات ٦٤٠
لمحة تاريخية عن القوانين والدساتير وحقوق الإنسان ٦٤١
تعريف الحرية ٦٤٣
مقصودنا بالحرية وأهميتها وبيان أنها مقيدة وليست مطلقة ٦٤٥
أهمية الحرية وتقييدها ٦٤٧
مصدر هذه الحرية ٦٤٨

الصفحة

الحريات فى النظام الشيوعى ٦٥٠

المبحث الأول : الحرية الشخصية ٦٥١

(أ) الحرية الشخصية فى النظام الشيوعى ٦٥١

(ب) الحرية الشخصية فى الإسلام ٦٦٩

المبحث الثانى : الحرية الدينية ٦٧٦

(أ) الحرية الدينية فى النظام الشيوعى ٦٧٦

الشيوعية وحرية العقيدة بين النظرية والواقع ٦٨٠

(ب) الحرية الدينية فى الإسلام ٧٠٦

المبحث الثالث : الحرية الفكرية ٧١٥

(أ) الحرية الفكرية فى النظام الشيوعى ٧١٥

أثر القضاء على هذه الحرية ٧٣٤

(ب) الحرية الفكرية فى الإسلام ٧٣٩

حرية الرأى والفكر فى الكتاب والسنة ٧٤٠

واقع المسلمين وحرية الفكر والرأى ٧٤٢

المبحث الرابع : حرية التعلم والتعليم ٧٤٥

(أ) حرية التعلم والتعليم فى النظام الشيوعى ٧٤٥

اهتمام الاتحاد السوفييتى بالتربية والتعليم ٧٤٦

مصادر التربية والتعليم فى الاتحاد السوفييتى وأهدافها ٧٤٧

لمحة عن مناهج التعليم فى الاتحاد السوفييتى ٧٥٢

(ب) حرية التعلم والتعليم فى الإسلام ٧٦٠

واقع الأمة المسلمة مع حرية التعليم ٧٦٣

المبحث الخامس : الحرية السياسية ٧٦٥

(أ) الحرية السياسية فى النظام الشيوعى ٧٦٥

تقسيم الدولة عند الشيوعيين ٧٨١

الصفحة

الحرية السياسية الشيوعية بين النظرية والواقع ٧٨٢
بطلان مزاعمهم فى الدكتاتورية ٧٩٣
بطلان مزاعمهم فى دعوى تحقيق الانتخاب ٨٠٦
الرد على زعمهم توافر حق النقد فى الهيئات السياسية .. ٨١١
إبطال دعواهم فى الدفاع عن أنفسهم بانتقادهم
الديموقراطية الغربية ٨١٣
(ب) الحرية السياسية فى الإسلام ٨٢٢
الأصل الأول : يقوم الحكم فى الإسلام على عقيدة
لاإله إلا الله.. ٨٢٥
الأصل الثانى : وجوب تعيين الحاكم ٨٢٥
الأصل الثالث : البيعة ٨٢٧
الأصل الرابع : الشورى ٨٢٨
المبحث السادس : حرية العمل ٨٣٣
(أ) حرية العمل فى النظام الشيوعى ٨٣٣
النظام الشيوعى وحرية العمل والعمال ٨٣٨
(ب) حرية العمل فى الإسلام ٨٥٨
كفالة الإسلام حق العمل وحريته ٨٦٠
واقع الأمة المسلمة فى تحقيق الحرية للعمال ٨٦٦
المبحث السابع : حرية التنقل ٨٦٨
(أ) حرية التنقل فى النظام الشيوعى ٨٦٨
(ب) حرية التنقل فى الإسلام ٨٧١
مصادرة الحرية وسقوط الشيوعية ٨٧٣
الفصل الثالث : فشل النظام الإقتصادى الشيوعى ٨٨٠
تمهيد ٨٨٠

الصفحة

المبحث الأول : المذهب الإقتصادى الشيوعى وأهم مرتكزاته ٨٩٤
العامل الإقتصادى ٨٩٤
أهم مرتكزات النظام الإقتصادى الشيوعى ٧٩٧
المبحث الثانى : النظام الإقتصادى الشيوعى بين النظرية والواقع ٩٠٠
أولا : إلغاء الملكية الفردية ٩٠٠
بطلان زعمهم أن الملكية الفردية سبب الشرور والظلم.... ٩٠٥
ثانيا : بيان فساد مبدأ التأميم ٩٢٤
فساد مبدأ إلغاء الطبقات ٩٣٢
نقض دعواهم فى المساواة ٩٧٠
كفالة الدولة ٩٨٤
بطلان وفساد مبدأ (من كل حسب كفاءته ولكل حسب عمله) ٩٨٤
بطلان وفساد مبدأ (من كل حسب كفاءته ولكل حسب حاجته) ٩٩٠
المبحث الثالث : نظرية القيمة وفائض القيمة ٩٩٥
القيمة وفائض القيمة ٩٩٧
القيمة عند ماركس ٩٩٧
نظرية فائض القيمة ٩٩٩
أولا : قانون تجمع رأس المال ١٠٠١
ثانيا : قانون التراكم الرأسمالى ١٠٠٢
ثالثا : قانون زيادة البؤس (الفقر) ١٠٠٤
بطلان هذه النظرية ....

الصفحة

(أ) القيمة ١٠٠٥
(ب) بطلان نظرية فائض القيمة ١٠١٣
بطلان قانون تجميع رأس المال ١٠٢٣
بطلان قانون تراكم رأس المال ١٠٢٤
بطلان قانون زيادة البؤس والفقر ١٠٢٥
بطلان قانون الصراع.. ١٠٢٦
أهم أسباب فشل النظام الإقتصادى الشيوعى ١٠٣٠
أثر فشل الإقتصاد الشيوعى فى إنهيار الاتحاد السوفييتى
وفكره ١٠٣٤
المبحث الرابع : مميزات النظام الإقتصادى الإسلامى ١٠٤٠
مميزات الإقتصاد الإسلامى ١٠٤١
الفصل الرابع : فساد تنبؤات الشيوعية وبطلان نظرياتها ١٠٥٢
تمهيد ١٠٥٢
المبحث الأول : فساد نبؤات الماركسية ١٠٥٤
أثر فساد النبؤات ١٠٦٦
المبحث الثانى : إبطال العلم للأفكار الماركسية ١٠٦٩
أولا : وجود الإله ١٠٧١
ثانيا : أزلية المادة ١٠٧٢
المبحث الثالث : إبطال قوانين الجدل ١٠٨٣
أولا : قانون التناقض ١٠٨٣
ثانيا : قانون التطور ١٠٩١
ثالثا : قانون الحركة ١١٠٢
رابعا : قانون الترابط ١١٠٣
المبحث الرابع : بطلان المادية التاريخية ١١٠٨

	الصفحة
المادية التاريخية باطلة وبيان بطلانها من وجوه	١١١٠
الفصل الخامس : مصادمتها للواقع والتغيير فى مبادئها ...	١١٤٩
تمهيد	١١٤٩
أثر ذلك التصادم	١١٥٣
المبحث الأول : التراجع والتغيير زمن لينين	١١٥٤
المبحث الثانى : التراجع والتغيير زمن ستالين	١١٨١
المبحث الثالث : التراجع والتغيير زمن خروشوف	١١٩٩
المبحث الرابع: التراجع والتغيير زمن بريجنيف	١٢١٤
المبحث الخامس : التراجع والتغيير زمن اندروبوف	١٢١٨
المبحث السادس : التراجع والتغيير زمن تشرنينكو	١٢٢٣
المبحث السابع : التراجع والتغيير زمن غورباتشوف	١٢٢٦
التغيير والتراجع وأثر ذلك فى سقوط الشيوعية	١٣٢٤

الباب الثالث

أسباب سقوط الشيوعية (الخارجية)

تمهيد	١٣٣٥
لمحة تاريخية عن الحرب	١٣٣٨
الحرب الباردة ومفهومها	١٣٤٢
بعض النماذج لهذه الحرب	١٣٤٢
أهمية الحرب النفسية وخطرها	١٣٤٦
تعريف الحرب النفسية	١٣٤٧
بعض المصطلحات التى عرفت بها الحرب النفسية	١٣٤٨
لمحة عن مصطلح الحرب الثورية	١٣٤٩
أهداف الحرب النفسية ووسائلها	١٣٥١

الموضوع	الصفحة
مصطلح الحرب الباردة	١٣٥٣
بداية الحرب الباردة ونهايتها	١٣٥٥
المبحث الأول : أسباب الحرب الباردة ومقدماتها	١٣٦٤
مؤتمر يالطا	١٣٦٧
أولا : المانيا	١٣٦٩
ثانيا : أوروبا	١٣٧١
ثالثا : آسيا والشرق الأقصى	١٣٧١
رابعا : الأوضاع العالمية	١٣٧٣
آثار المؤتمر	١٣٧٥
المبحث الثانى : الحرب الباردة بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة وأبرز أساليبها	١٣٩٥
التوسع والتدخل فى شئون الآخرين	١٣٩٦
توسع الاتحاد السوفييتى	١٣٩٩
الاتحاد السوفييتى وأوروبا الشرقية	١٤٠٢
بولونيا	١٤٠٣
رومانيا	١٤٠٦
المجر	١٤٠٩
بولندا	١٤١٠
يوغسلافيا	١٤١٤
تشيكوسلوفاكيا	١٤١٦
المجر والبانيا	١٤١٧
الأزمات	١٤٢٣
أزمة برلين	١٤٢٤
آثار أزمة برلين	١٤٣١

الصفحة

ثانيا : التحالف ١٤٣٥
حلف شمال الأطلنطى ١٤٣٧
بعض الأهداف التى حققها الحلف ١٤٤١
رد الفعل السوفييتى ١٤٤٢
حلف وارسو ١٤٤٣
آثار قيام التحالف ١٤٤٥
ثالثا : أحداث الصين اتجاه الحرب الباردة شرقا ١٤٤٧
مساعدات الولايات المتحدة لتشاينغ ١٤٥٠
السوفييت والصين ١٤٥٣
رابعا : الحرب الكورية ١٤٥٨
نشوب الحرب بين الدولتين ١٤٦٢
خامسا : الأزمة الفيتنامية (الهند الصينية) ١٤٧٤
آثار الحرب الفيتنامية ١٤٨٣
سادسا : الشرق الأوسط والحرب الباردة ١٤٨٨
آثار أزمة الشرق الأوسط ١٤٩٣
سابعا : أزمة كوبا ١٤٩٩
الولايات المتحدة وكوبا ١٥٠٢
الاتحاد السوفييتى والإشتراكية الكوبية ١٥٠٢
كوبا بين القوتين العظميين ١٥٠٣
صواريخ كوبا ١٥٠٦
اكتشاف قاعدة الصواريخ ١٥٠٦
الأسباب التى أدت إلى نشر الصواريخ فى كوبا............ ١٥١٣
ثامنا : الإجتياح الروسى لأفغانستان ١٥١٨
سباق التسلح ١٥٢٠

الصفحة

الفضاء والأمم المتحدة ١٥٢٨
القانون الدولى للفضاء وتنظيم الأمم المتحدة لاستخدامه ١٥٣٠
اهتمام الدولتين بالفضاء ١٥٣١
الصراع بين الدولتين ١٥٣٣
(أ) الأقمار الصناعية ١٥٤١
(ب) الأسلحة المضادة للأقمار الصناعية ١٥٤١
مبادرة الدفاع الاستراتيجي ١٥٤٣
السبب فى هذه المبادرة ١٥٤٤
ردود الفعل لحرب النجوم لدى السوفييت ١٥٤٤
إمكانية تنفيذ مشروع الدفاع الاستراتيجي وسلبياته ١٥٤٧
التجسس (حرب المخابرات) ١٥٥٣
المبحث الثالث : آثار الحرب الباردة ١٥٥٧
أولا : التعجيل بسقوط الاتحاد السوفييتى وإنهياره ١٥٥٧
ثانيا : الآثار السياسية للحرب الباردة ١٥٦٩
ثالثا : تشويه القيم والأخلاق ١٥٦٩
رابعا : من آثارها ونتائجها (الوفاق الدولى) ١٥٧٠
المبحث الرابع : إنهاء الحرب الباردة ١٥٧١
الفصل الثانى : الوفاق الدولى ١٥٧٧
تمهيد ١٥٧٧
أولا : التعايش السلمى ١٥٨٠
خروشوف والتعايش السلمى ١٥٨٤
الشيوعيون المتشددون والتعايش السلمى ١٥٨٥
الأسباب التى أدت لقبول سياسة التعايش ١٥٨٦
أهم ميزات التعايش السلمى ١٥٨٧

الصفحة

الإنفراج الدولى ١٥٨٩
التحديد الزمنى لفترة الإنفراج الدولى ١٥٩٠
الوفاق الدولى ١٥٩٣
المبحث الأول : بداية الوفاق وفكرته ١٥٩٥
المبحث الثانى : أهدافه ونتائجه ١٦٠٨
أهدافه ١٦١١
(أ) الولايات المتحدة الأمريكية ١٦١٧
(ب) الاتحاد السوفييتى والوفاق ١٦٢١
سولت ١٦٢٦
ستارت ١٦٢٩
مؤتمر جنيف ١٦٣٠
مؤتمر ركيافيك ١٦٣٥
قمة موسكو ١٦٣٥
قمة مالطا (لقاء العاصفة) ١٦٣٥
قمة واشنطن ١٦٣٥
المبحث الثالث : أثر الوفاق فى تنازل الاتحاد السوفييتى
عن كثير من مبادئه ١٦٤٣
أولا : إبطال مبدأ القضاء على الرأسمالية بالقوة ١٦٥٣
ثانيا : أبطل غورباتشوف فكرة الصراع بين النظامين والتى
قال بها ماركس من قبل ١٦٥٤
ثالثا : القضاء على مبدأ الدكتاتورية ١٦٥٥
رابعا : إعلان نهاية الصراع الأيديولوجى مع الولايات
المتحدة ١٦٥٥
خامسا : إعلان زوال مبدأ حتمية سيادة الإشتراكية ١٦٥٧

الصفحة

سادسا : العمل مع الرأسمالية على تحقيق الأمن ١٦٥٧
سابعا : التعاون فى حل الإشكالات الإقليمية والعالمية ١٦٥٧
ثامنا : لم يعد هناك حاجة لتصوير الولايات المتحدة
بأنها العدو اللدود للاتحاد السوفييتى ١٦٥٩
تاسعا : التغيير فى مجال الإقتصاد ١٦٦٠
عاشرا : حصول الفرد على كثير من حقوقه فى ظل سياسة
غورباتشوف الإصلاحية والإنفتاحية ١٦٦١
الحادى عشر : كان من آثار الوفاق التى ظهرت زمن
الحقبة الغورباتشوفية فرض البيريسترويكا بالقوة
من قبل الجبارين على دول أوروبا الشرقية ١٦٦٢
الثانى عشر : حقق الاتحاد السوفييتى شيئا من المصالح
الإقتصادية نتيجة الوفاق زمن غورباتشوف ١٦٦٣
المبحث الرابع : الموقف من الوفاق ١٦٦٥
موقف الأمة المسلمة من الوفاق (النظام العالمى الجديد) ١٦٧٤
الفصل الثالث : الجهاد الأفغانى.......................... ١٦٧٩
تمهيد ١٦٧٩
فضل الجهاد فى سبيل الله تعالى وبعض من غاياته ١٦٨٢
من غايات الجهاد الإسلامى ١٦٨٣
لمحة تاريخية عن أفغانستان ١٦٨٦
الشعب الأفغانى ١٦٨٧
اللغة ١٦٨٩
الدين ١٦٨٩
الإسلام ودولة أفغانستان ١٦٩٠

الصفحة

المبحث الأول : دراسة تاريخية موجزة عن العلاقة بين
حكومة أفغانستان وروسيا ١٦٩٢
العلاقة بين الدولتين بعد الثورة البلشفية ١٦٩٥
أولا : استغلال حكام أفغانستان وتوظيفهم لخدمة الأطماع
الشيوعية ١٦٩٦
أمان الله والسوفييت ١٦٩٦
محمد ظاهر شاه ١٧٠٠
محمد داود ١٧٠٢
أسباب الإنقلاب ١٧٠٤
بداية فقدان الثقة فى داود ١٧٠٥
محمد نور تراقى ١٧٠٧
حفيظ الله أمين ١٧١٠
بابراك كارمل ١٧١١
نجيب الله ١٧١٣
ثانيا : إيجاد العملاء واستغلالهم لتحقيق الأهداف
السوفيتية ١٧١٦
ثالثا : إنشاء المنظمات والأحزاب الشيوعية ١٧١٧
رابعا : توقيع المعاهدات بين الطرفين ١٧١٩
خامسا : التأثير المباشر فى الأصول والنظم التى يقوم
عليها الحكم فى أفغانستان ١٧٢١
سادسا : تقديم المساعدات لأفغانستان ١٧٢٣
المبحث الثانى : التدخل الروسى فى أفغانستان وإعلان الجهاد ١٧٢٦
قرار الغزو ١٧٢٦
الرواية الروسية للغزو ١٧٢٧

الصفحة

إعلان الجهاد ١٧٣٠

الدوافع لغزو أفغانستان ١٧٣٠

المبحث الثالث : الخسائر الفكرية والسياسية والإقتصادية

للاتحاد السوفييتى وأثر ذلك فى سقوطه ١٧٤٢

الآثار الفكرية ١٧٤٢

الآثار السياسية ١٧٥٢

(أ) باكستان ١٧٥٣

(ب) الهند ١٧٥٣

(ج) الصين الشعبية ١٧٥٥

(د) إيران ١٧٥٦

(هـ) دول الخليج والشرق الأوسط ١٧٥٦

الآثار الإقتصادية ١٧٥٩

الإنسحاب السوفييتى من أفغانستان ١٧٦٤

دوافع الإنسحاب ١٧٦٥

مابعد الإنسحاب ١٧٦٨

المبحث الرابع : موقف الدول الرأسمالية من الجهاد

الأفغانى ١٧٧٢

أثر هذا الغزو فى موقف الدول الرأسمالية ودور ذلك فى

سقوط الشيوعية ١٧٨٠

بعض الآثار التى خلفها الغزو السوفييتى لأفغانستان ١٧٨٣

الخاتمة ١٧٨٩

فهرس الآيات القرآنية ١٧٩٥

فهرس الأحاديث الشريفة مرتبة على الحروف ١٨١٢

فهرس الأعلام المترجم لهم ١٨١٤

	الصفحة
فهرس الأديان والمذاهب والفرق	١٨١٩
فهرس بعض المصطلحات الشيوعية	١٨٢٠
فهرس المراجع والمصادر	١٨٢١
فهرس الموضوعات	١٨٥٣